تاريخ الدولة الفاطمية

تأليف:
الدكتور محمد جمال الدين بورود
أستاذ التاريخ الإسلامي
كلية الآداب - جامعة القاهرة

ملتزم الطبع والنشر
مدار الفكر العربي
الإدارة: 94 شارع عباس العقاد - مدينة نصر
ت: 2638482

شبكة كتب الشيعة

shiabooks.net
mktba.net
بسم الله الرحمن الرحيم

تقدير ووفاء

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين

وبعد، فهذا كتاب يتناول تاريخ الدولة الفاطمية وسياساتها الخارجية ينجلل لنا فيه مدى نجاح الفاطميين في نشر دعوتهم وإقامة خلافاتهم في المغرب والأحوار الداخلية في مصر قبل أن يشتد إليها سلطان الدولة الفاطمية والجهود التي بذلها الفاطميون في سبيل بسط سياستهم على مصر واتخاذها مقرًا لخلافاتهم، والتحركات السياسية والدينية التي ظهرت في العصر الفاطمي الأول بمصر، وارتداد نفوذ الزوراء وما تترتب عليه من تناقض في العصر الفاطمي الثاني وتطور نظام الحكم والحضارة في مصر على عهد الدولة الفاطمية.

وأوضح المؤلف في هذا الكتاب أن الفاطميين تطعموا إلى زعامة العالم الإسلامي، ووجهوا جهودهم إلى توسيع رقعة دولتهم، وقد نفوذهم إلى أراضي الدولة العباسية، فلما أصبحت القاهرة مقرًا لخلافاتهم تطلعوا إلى بسط سلطانهم على بلاد الحجاز، لكي ترسموا خلافاتهم قوة أمام العالم الإسلامي، وذلك أن السياحة على الحرمين الشريفين ببلد والمدينة صار يتم فيها على أنها من مستلزمات الخلافة، وأن من ينظف بها يعد الخليفة الحقيقي للمسلمين.

وعلى الرغم أنهما واجهوا منافسة العباسيين لهم في بسط سياستهم على البلاد المقدسة في الحجاز، فإنهم استطاعوا في خلال الفترات التي اقتصر فيها نفوذهم أن ينصروها فيها الأمن، كما أظهروا قدرتهم على درة الاحترام عنها، وتامين الوافدين إليها من المسلمين على أرواحهم وأموالهم.

وكانت بلاد البحرين من بين أقطار جزيرة العرب التي خضعت لسيادة الفاطميين في النصف الأول من القرن الرابع الهجري، وقد حرص أمراؤها من القرامطة على استمرار العلاقات الودية بينهم وبين الخلفاء الفاطميين بالمغرب، لكن صلة الوودة بين الفاطميين والقرامطة لما لبث أن تبددت في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري بسبب طموح أمير القرامطة الحسن بن أحمد إلى استعادة سلطتهم على بلاد الشام، وأدى هذا إلى قيام العداء بين هذا الأمير وبين الفاطميين، ثم ضعف أمر القرامطة بلاد البحرين بسبب الخلافات الداخلية بينهم.
حتى لم يبق لهم في أواخر القرن الرابع إلا ولاية صغيرة على الساحل الشرقي للجزيرة العربية.

ومن ولايات الجزيرة العربية التي انتشرت فيها الدعوة الفاطمية اليمامة وعُمان، وقد تولى نشر هذه الدعوة باللماة دعاء الإسماعيلية باليمن أثناء قيام دولة بني الأحسر الملوكية بها، أما ولاية عمان فكان بعض أمراء الصليبيين باليمن يتعج إليها دعاء لنشر الدعوة الفاطمية حتى أصبح بها عدد كبير من أنصار الدعوة في عهد الخليفة المستنصر بالله الفاطمي.

وكانت بلاد اليمن من أهم مراكز الدعوة الفاطمية؛ فاتخذها دعاء الإسماعيلية منذ أواخر القرن الثالث الهجري مقرًا لنشر دعوته وحرص هؤلاء الدعاء على الاحتفاظ بعلاقات ودية مع الخلفاء الفاطميين، وظل النفوذ الفاطمي في اليمن رغم ذلك - يتدرج بين القوة والضعف حتى قام بتمر الدعوة الفاطمية الأمراء الصليبيين باليمن فيذل كل منهم قصريًا جده في سبيل توثيق عرية الصداقة مع الخلفاء الفاطميين في مصر، مما كان له أثر كبير في احتفاظ الفاطميين بمركز مرموق في بلادهم، وخاصة في عهد السيدة الحرة الصليبية.

على أن الدعوة الفاطمية أخذت في الضعف بعد وفاة هذه الملكة إذ لم يكن هناك من الصليبيين شخصية قوية، تستطيع أن تخلفها وتسير سيرتها في نشر تلك الدعوة. ولم يثبت أن زال النفوذ الفاطمي من اليمن باستيلاء صلاح الدين يوسف بن أيوب على اليمن.

وكانت الضرورة السياسية والعسكرية تقضي على الفاطميين أن يبدوا نفوذهم إلى بلاد الشام، بعد أن استروا في مصر. لكن الفاطميين واجهوا صعوبات كثيرة في سبيل سيطرتهم على بلاد الشام؛ فإن غالب استياء أهلية دمشق من سياسة الفاطميين القائمة على التعصب للملذب الشيعي، قام قوات بلاد البحرين بدور هام في مناهضة نفوذهم في بلاد الشام، كما أن الحركات الاستقلالية التي تزعمها أمراء العرب في هذه البلاد أدت إلى إضعاف سلطة الفاطميين وقد أدى ضعف الفاطميين في بلاد الشام إلى هجوم السلاجقة لهذه البلاد، فبذلوا جهدهم في بسط سيطرتهم عليها، وتصدى لهم الفاطميين حتى أصبحوا هم والسلاجقة يتقاسمون النفوذ في بلاد الشام.

وكانت بلاد العراق خط أنظار الفاطميين، على اعتبار أنها مقر الخلافة العباسيّة. لذلك عهد الفاطميون إلى دعاؤهم بنشر الدعوة فيها وصلى الدعاء
الفاطميون في العراق وفارس نجاحًا كبيرًا حتى انضم إليها العديد من الدبالة أنصار
بني بويه والترك، بل أقيمت الدعوة الفاطمية في بغداد نفسها، وقد تصدر
السلاجقة للriblyba في العراق وفارس، كما حاول الفاطميون بسط سيادتهم على
والأندلس وصقلية أيضًا.

وكان الفاطميون يرون أن بلاد المغرب لا تصلح أن تكون مركزًا لدولتهم
ومن ثم اتجهت أنظارهم إلى مصر، فانضموا إليها في مستهل القرن الرابع الهجري
مرة حملة أخفقت جميعها في تحقيق غايتها، ثم لجأ الفاطميون إلى كسب
ضدائه الإخشيديين في سبيل ذلك، حتى إذا ما ولي الخليفة المعز لدين
الله الفاطميين، حاول الاستيلاء على البلاد المصرية وقوى عزمه على غزوها، حين
استنجد به أولو الرأي في هذه البلاد، لينفذ منه الفوضى التي انتشرت في
بلادهم فأعد حملة بقيادة جوهر الصقلي، تمكنت من ضم مصر إلى حوزة
الفاطميين، ثم أسس جوهر مدينة القاهرة، كما بني الجامع الأزهر، ومهد لاتخاذ
القاهرة مركزًا للخلافة الفاطمية، فقضى على الدعوة العباسية، وأحيل محلها
الدعوة الفاطمية وأصبحت مصر دار خلافة بعد أن كانت دار إمارة.

***

وقد قسم المؤلف الكتب إلى قسمين:
القسم الأول الدعوة الإسماعيلية وقيام الدولة الفاطمية في المغرب والعقبات
التي واجهتها، وانتشار الخلافة الفاطمية إلى مصر، واتخاذ الفاطميين القاهرة
حاضرة لدولتهم، والجامع الأزهر مركزًا لنشر دعوتهم.

وتحدد المؤلف عن الأحوال الداخلية في مصر: التنظيمات الإدارية والمالية،
الحركات السياسية والدينية في مصر الفاطمية، سياسة الفاطميين مع أهل الدولة،
الحاكم بأمر الله ودعو الوهيم، العناصر الأجنبية وأثرها في الوضع الداخلي في
مصر - عصر نفوذ الرعاة في مصر - زوال الخلافة الفاطمية.

***

وفي القسم الثاني من الكتب كتب المؤلف عن علاقة الفاطميين بولايات
الجزيرة العربية، اليمن والبحرين وعمان واليمن والحجاز وبلاد الشام والعراق
والأندلس والغرب،

وأثر ضعف الفاطميين في مصر في ضعف المذهب الإسماعيلي في مصر
وخارجها.
تاريخ الدولة الفاطمية

تعرض دار الفكر العربي مشكورة للقراء هذا الكتاب الفخم، وبعيد طبعه، بعد أن اشتد الطلب عليه من الطلاب، ومن القارئ المتزلف لأن هذا الكتاب عظيم القيمة، يعرض لفترة تاريخية هامة جدًا في تاريخ مصر الإسلامية، ويعطى للقارئ مادة دسمة بأسلوب منعت.

ونعرض هذا الكتاب بمناسبة الذكرى الثالثة لاستاذ الجيل وأستاذ أُساتذة التاريخ الإسلامي والفكر الإسلامي أستاذنا المرحوم جمال الدين سرور في ذكرى الثالثة تغمعه الله برحمةه وأسكنه فسيح جناته.

لقد ترك في نفوس تلاميذه آثار كبيرة – وأنا أحد أوائل تلاميذه. كان لا يكتفي بتعليمنا المادة العلمية وإنما يحاول جاهدًا أن يغرس فيها مكارم الأخلاق ومثله العليا.

د. عصام عبد الرؤوف الفقي
أستاذ التاريخ الإسلامي
كلية الآداب جامعة القاهرة

القاهرة في 23 / 1 / 1995
الباب الأول

1 - الدعوة الإسماعيلية إلى قيام الخلافة الفاطمية

جهود الإسماعيلية في نشر دعوته بالمغرب - رحيل عبد الله (المهدي) من سلمية إلى المغرب

بيعة عبد الله المهدي بالخلافة

2 - سياسة الفاطميين في توطيد سلطانهم بالمغرب

اهتمام عبد الله المهدي بتوطيد نفوذه بالمغرب - حالة المغرب في عهد الفاطميين والنصير

سياسية المعرة لدين الله في بلاد المغرب

الباب الثاني

الأحوال الداخلية في مصر قبل أن يستقر فيها سلطان الفاطميين

1 - التنظيمات الإدارية والمالية في مصر إلى نهاية العهد الإخشيدي

التنظيم الإداري - الإدارة المالية

2 - العلاقات السياسية بين مصر والخلافة في عهد الطولونيين والإخشيديين

الطولونيين والخلافة - عودة مصر إلى الخلافة العباسية - الإخشيديون والخلافة

الباب الثالث

السيادة الفاطمية في مصر

1 - امتداد سلطان الفاطميين إلى مصر

الحملات الفاطمية على مصر - جهود المعز في فتح مصر - تأسيس مدينة القاهرة والجامع الأزهر

2 - اتخاذ مصر مقرًا للخلافة الفاطمية

إقامة الدعوة الفاطمية محل الدعوة العباسية - قدم المعز إلى مصر واتخاذ القاهرة حاضرة خلافته

الباب الرابع

الحركات السياسية والدينية في العصر الفاطمي

1 - موقف الفاطميين من أهل السنة في مصر

أهل السنة في مصر قبل الفتح الفاطمي - اهتمام الفاطميين بتحويل المصريين إلى مذهبهم الشيعي

2 - سياسة الفاطميين مع أهل الذمة

الذينون في أوائل العهد الفاطمي بمصر - سياسة الظاهر والنصير نحو أهل الذمة
سياسة الحاكم في إصلاح المجتمع وتنظيم شعون دارته دعوة تأليف الحاكم، وموقف المصريين منها

4- العناصر الأجنبية وأثر التنافس بينها في حالة مصر الداخلية

استعانة الفاطميين بالعناصر الأجنبية- الحروب العنصرية وأثرها في حالة مصر الداخلية

جهود بدر الجمل في إعادة الأمن والداخلي إلى البلاد المصرية

الباب الخامس

عصر تقويض الوزراء الفاطميين

1- ازدياد سلطة الوزير في العصر الفاطمي الثاني

تدخيل الوزير الأفضل في توليه السلطة، وإعطاء نزار عن الخلافة، ظهور طائفة الوزارية والمعطلة

استناد الأفضل وابنه ابنه على أحمد بالسلطة أثناء توليهما الوزرة- التنافس بين رجال الدولة على

تقلد الوزارة

2- زوال الخلافة الفاطمية

استعانة بعض الطامحين في الوزارة بأمراء الدول المجاورة وأثرها في مصر. دخول قوات

الفرجية البلاد المصرية، استبعاد الخليفة العاضد بنور الدين صاحب دمشق، قدم شيركو على

رأس الحملة الثالثة التي أعدها نور الدين وتقلد الوزارة تولية صلاح الدين وزارة العاضد

الفاطمي، سياسة صلاح الدين في القضاء على المذهب الشيعي- والخلافة الفاطمية في مصر

الباب السادس

النظم والحضارة في العصر الفاطمي بحصر

1- نظم الحكم والإدارة

نظام الخلافة الفاطمية، الوزارة في عهد الفاطميين- النظام الإداري- التنظيم الحربي

2- الحالة الاقتصادية

الثروة الزراعية- مظاهر تقدم الصناعة- نشاط حركة التجارة الداخلية والخارجية

نظام المعاملات التجارية

3- مظاهر الحياة الاجتماعية

ترف الخلفاء وكبار رجال الدولة- الاحتفال بالأعياد والمساهمة في استغراب WCS ومحاسبة

4- الحياة الثقافية

اهتمام الفاطميين ببنهر الثقافة العلمية والأدبية والمذهبية- دور نصر الثقافة (مكتبة القصر

الفاطمي، دار الحكمة)- نشاط الحركة الثقافية في مصر

مصادر القسم الأول
القسم الأول

الدولة الفاطمية في مصر
سيستعا الداخلية ومظاهر الحضارة في عهدها

1. قيام الخلافة الفاطمية في بلاد المغرب.
2. الأحوال الداخلية في مصر قبل أن يستقر فيها سلطان الفاطميين.
3. السيادة الفاطمية في مصر.
4. الحركات السياسية والدينية في العصر الفاطمي.
5. عصر نفوذ الوزراء الفاطميين.
6. النظم والحضارة في العصر الفاطمي بمصر.
مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيديا محمد خاتم النبيين، وآله وصحبه. فهذا القسم يتناول تاريخ الدولة الفاطمية في مصر، يتجلى لنا فيه مدى نجاح الفاطميين في نشر دعوتهم وإقامة خلافتهم بالمغرب، والأحوال الداخلية في مصر قبل أن يمددها سلطان الدولة الفاطمية، والجهود التي بذلها الفاطميين في سبيل بسط سيادتهم على مصر واتخاذها مقراً لخلافتهم، والحركات السياسية والدينية التي ظهرت في العصر الفاطمي الأول بمصر، وازدادت نفوذ الوزراء وما ترتيب عليه من نتائج في العصر الفاطمي الثاني، وتطور نظام الحكم والحضارة في مصر على عهد الدولة الفاطمية.

أخذ أئمة الإسماعيلية منذ منتصف القرن الثاني الهجري يوجهون جهودهم إلى نشر دعوتهم في كثير من أرجاء العالم الإسلامي. وقد لقبت الدعوة نجاحاً كبيراً في بلاد المغرب، كان من ثمارة خضوع كثير من مدن شمال إفريقيا لدعائهم، ثم قيام الخلافة الفاطمية بتلك البلاد في أواخر القرن الثالث الهجري. ولم يكن سلطان الفاطميين موطناً في بلاد المغرب في النصف الأول من القرن الرابع الهجري، ولذلك انتهت جهود خلفائهم إلى العمل على ضبط الأمور في تلك البلاد، وبخاصة في المغرب الأقصى، على أن ما بذلوا من جهد في هذا
السبيل لم ينه الاضطراب الذي ساد المغرب، فسرعان ما قامت فيه بعض الثورات بعد انتقال المعز لدين الله إلى مصر. مما ترتب عليه ضعف النفوذ الفاطمئي في المغرب.

وكانت مصر في الوقت الذي أخذ فيه الأئمة الإسماعيلية في نشر دعوتهم، ولاية إسلامية، خاصة استطاعت السلطان الامبراطور في بغداد، وكثيرا ما تأثرت أحوالها الداخلية بالسياسة العامة للعباسيين، فوليها ولاة من الأتراك بعد أن ازداد نفوذ العنصر التركي في العراق في مئتي القرن الثالث الهجري، ثم عمل بعض النواب والولاة إلى الاستقلال بصرف عن الخلافة العباسية بعد أن تطرق الضعف إليها؛ فحاول أحمد بن طولون الذي حكم مصر نائبا عن واليها التركي - توطيد سلطته في هذه الولاية. ثم لم يلبث أن انفرد بتدبير شؤونها، وأقام بها دولة مستقلة، عرفت باسم الدولة الطولونية، ظلت نحو ثمانية وثلاثين عاما (254 - 292 هـ)، ثم عادت مصر إلى سلطان العباسيين.

لم تتنعم البلاد المصرية بالهدوء والاستقرار في الفترة التي عادت فيها إلى الخلافة العباسية بسبب السياسة التي اتبعت في تعيين الولاة وعزل بعضهم مراك، فضلا عن النزاع والتناقص على حكمها. وكان سوء الأحوال في مصر مما شجع الفاطميين في بلاد المغرب على التطلع لغزوها، فتوجهوا إليها عدة حملات، تصدت لها قوات من جنر العراق ومصر.

على أن تلك الفترة التي عادت فيها مصر إلى حكم العباسيين لم تستمر طويلا، فقد انتهت منذ أن قتل الخليفة الرازي محمد بن طفج الإخشد ولائتها سنة 322 هـ لبلائه في صد الجيش الفاطمئي عن البلاد المصرية، واستطاع الإخشد بفضل الوُفاق الذي ساد علاقته بالخلافة العباسية أن يوطد سلطته في مصر، فاصبح له حق توريث إمارتها لأبنائه من بعدة مدة ثلاثين سنة. غير أن أولاد الإخشد لم يتسير لهم إدارة شؤون الولاية بأنفسهم، فولى الوصاية عليهم كافور الإخشد، الذي باشر أمور البلاد المصرية مع أعيانها؛ وما لبث أن استأثر بالسلطة فيها، ثم اضطرت الحالة السياسية في مصر بعد وفاة كافور؛ فاستغل هذه الفرصة الفاطميين لتحقيق أمنيتهم في بسط سلطانهم على تلك البلاد.
وكان الفاطميون يرون أن بلاد المغرب لا تصلح لتكون مركزاً لدولتهم، ومن ثم اتجهت أنظارهم إلى مصر؛ فانطلقوا إليها في مستهل القرن الرابع الهجري عدة حملات أخفقت جميعها في تحقيق غايتها؛ ثم لجأ الفاطميون إلى كسب صداقة الإخشيديين، حتى إذا ما جاء الخليفة المعز لدين الله حاول إعادة الكرة للاستيلاء على البلاد المصرية؛ وقوى عزمه على غزوها حين استنجد به أولو الرأي في تلك البلاد لينقذ بلادهم من الفوضى التي انتشرت فيها؛ فأعاد حملة بقيادة جوهر الصقلي، تمكنت من ضرب مصر إلى حوزة الفاطميين، ثم أسس جوهر مدينة القاهرة، كما بني الجامع الأزهر. ولم يكتف بذلك، بل أخذ يهدي لاتخاذ القاهرة مقراً للخلافة الفاطمية، فقضى على الدعوة العباسية، وأحل محلها الدعوة الفاطمية ورسومها، وما لبثت ولاية مصر أن أصبحت بعد قدرة المعز إليها دار خلافة بعد أن كانت دار إمارة تابعة للخلافة الفاطمية بلاد المغرب.

اتخذ الفاطميون بعد أن استقر سلطانهم في مصر - وسائل مختلفة في معاملة سكانها من الطوائف الدينية والعباسية الأجنبية، فركزوا اهتمامهم في تحويل المصريين السنة إلى المذهب السني، لكنهم لم ينجحوا في ذلك السبيل، فظل المذهب السني محتفظاً ببعض مظاهر قوته في مصر، أما فيما يتعلق بأهل الدار، فإن الفاطميين قرؤهم إليهم وأحزامهم براعتهم وتسامحهم بعد أن أقنوا من تاعذ اعتمادهم على السنيين، غير أنهم لم يتسكروا طيلة عهدهم بهذه السياسة، فكثيراً ما اضطرروا إلى العدول عنها، ولم يعمل الفاطميون على محاربة العناصر الأجنبية، بل ساروا على طريقة العباسيين في الاستعانا بهم، وكان لزياد عددهم وتنافس طوائفهم أثر سيئ في حالة مصر الداخلية.

وكانت مصر في مستهل العصر الفاطمي تحتل مكانة مرفوعاً بين الدول المعاصرة لها وتنعم بالرخاء والاستقرار، غير أن الأحداث التي طرأت على هذه البلاد منذ أواخر القرن الخامس الهجري أضعفت من شأنها، فقد اضطحل سلطان الخلافة الفاطمية وأخذ نفوذ الوزراء في الازدهار، وأصبح في أيديهم أمر تنفيذ الخلافة وعزلهم، بل انصرف بعضهم عن الاحتفاظ بظاهر المذهب الفاطمي، وحاول البعض الآخر إحياء المذهب السني. كما تنافس كبار رجال الحكومة الفاطمية في منصب الوزراء؛ واستعان بعض الطامعين في هذا المنصب بأمراء
الدولة المجاورة بما تركت عليه تطلع هؤلاء الأمراء إلى السيطرة على مصر، الأمر الذي مهد السبيل لزوال الخلافة الفاطمية.

على أن أهم ما اتصف به العصر الفاطمي في مصر هو النهضة التي ظهرت آثارها في جميع نواحي الحياة المصرية، فعلى جانب ما تلمسه من تطور في نظام الحكم والإدارة، نلاحظ اهتمام الفاطميين بتنمية الثروة مما ساعد على انتشار الرخاء في البلاد، فضلًا عن ذلك فقد اتخذت الحياة الاجتماعية في هذا العصر عدة مظاهر: فبلغ الترف والبذخ أقصاء في بلاط الخلفاء والوزراء، كما تجلت قوة الشعر والإسلامي في مكاتبهم ورسومهم أيام الأعياد والمواسم الدينية.

وفكان من مظاهر تطور الحضارة في العصر الفاطمي نشر الثقافة العلمية والأدبية، فضلا عن الثقافة الجهوية التي تتصل بالذهب الإسماعيلي؛ فعنى الفاطميين إنشاء المكتبات والمعاهد العلمية، كما شجعوا العلماء والكتاب وغيرهم من رجال الأدب ما كان له أثر كبير في خلق نهضة ثقافية في مصر في ذلك العصر، فاصبح كثير من أبنائها طلابًا للعلم وأنصارا للأدب، كما وفد إلى معاهدها بالفترة كثير من أعلام الشرق.

* * *

وقد بدأت هذا القسم ببحث قيام الخلافة الفاطمية في بلاد المغرب، والسياسة التي اتبعتها الفاطميين لتوطيد نفوذهم في تلك البلاد حتى منتصف القرن الرابع الهجري، ثم تحدثت عن الأحوال الداخلية في مصر إبان الفترة التي قضاءها الفاطميين في تأسيس دولتهم في الشرق وسط سياستهم على المغرب، وبينت سياسة هذه الدولة الجديدة في مد سلطاتها إلى مصر واتخاذ القاهرة مقرا لها.

كذلك تناولت بالبحث الحرکات السياسية والدينية في مصر في العصر الفاطمي الأول؛ فوضع سياسة الفاطميين مع المصريين على اختلاف مذاهبهم وطوايفهم، وشرحت أسباب كثرة العناصر الأجنبية في مصر وقتذاك، ومدى تأثر حالة مصر الداخلية من جراء استعامتة الفاطميين بهذه العناصر.

وعنيت أيضا بتوضع الظروف التي أدت إلى ازدياد نفوذ الوزراء واستثمارهم بالسلطة دون الخلفاء في العصر الفاطمي الثاني؛ كما تحدثت عن انصراف بعض
وزارة هذا العصر عن تأييد المذهب الفاطمي، وتنافس كبار رجال الدولة على منصب الوزارة، وما كان لذلك من أثر في القضية على الخلافة الفاطمية.

ببحثت التطورات التي طرأت على نظام الحكم والإدارة في ذلك العصر، وبيان مدى ما وصلت إليه مصر من تقدم في ميدان الزراعة والصناعة والتجارة، وما تجلى فيها من رقي الحياة الاجتماعية وازدهار الحركة العلمية والأدبية.

والله أسأل أن يوفقني لتابعة البحث في تاريخ الدولة الإسلامية وحضارتها.
الباب الأول

قيام الخلافة الفاطمية في بلاد المغرب

1- الدعوة الإسماعيلية إلى قيام الخلافة الفاطمية.
2- سياسة الفاطميين في توطيد سلطاتهم بالمغرب.
ا – الدعوة الإسماعيلية إلى قيام الخلافة الفاطمية:
لما ظفر العباسيون بالخلافة لم يرحب بهم العلويون من أبناء الحسن بن علي والحسن بن علي بن أبي طالب، واستمر النزاع بين الفريقين طوال العصر العباسي الأول حتى أصبحنا لا نجد تاريخ خليفة عبسي خاليا من الحروب ضد العلويين.
غير أن أحفاد الحسن بن علي المعروفين بالحسينين لم يكونوا في أوائل العصر العباسي الأول متفقين مع أحفاد الحسن بن علي الذين عرفوا بالحسينيين، فقد تخلى جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين عن محمد ابن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب المعروف بالنفس الزكية، وأخذ يعمل في الخفاء لبهمد السبيل لأبنائه من بعد، للوصول إلى الخلافة، واستطاع جعفر الصادق بحسن سياساته أن يقنع بقايا العلويون من أحفاد الحسن بن علي الذين التقوا حوله - بعد أن بدأ العباسيون شملهم - أن الوارث الحقيقي لعلي وفاطمة.
انحصرت زعامة العلويين منذ أواخر العصر الأموي، وأوائل العصر العباسي في جعفر الصادق - وهو الإمام السادس عند طائفة الإمامية - وكانت هذه الطائفة تذهب إلى أن الإمامة تكون في سلالة علي عن طريق ابنه الحسين، وأنها لا تنتقل من أخ إلى أخ بعد أن انتقلت من الحسن إلى الحسين، ولا تكون إلا في الأعاقب (1).
وقد خرج بعض الإمامية على هذه التعاليم بعد موت جعفر الصادق سنة 148 هـ، وانقسموا إلى طائفين:

(1) انظر: كتاب فرق الشيعة لأبي محمد الحسن التربختي، ص 57، 58 - 71، 72.
1 - الإمامة الموسوية وهم الذين أطلق عليهم فيما بعد الإمامة الآثنا عشرية. وقد قالوا بإمامة موسى الكاظم بن جعفر الصادق وهو عندهم الإمام السابع.

2 - الإمامة الإسماعيلية وقد قالوا بإمامة إسماعيل بن جعفر الصادق وكان أكبر أولاد أبوه جعفر.

ويروى أن الصادق خلع ابنه إسماعيل من الإمامة وأيّد ابنه موسى الكاظم محله لمسائل نسبته إليه. وقد اعتُرض الشيعة الذين كانوا يميلون إلى إمامة إسماعيل على خلعه، كما لم يعترفوا بحقية جعفر في نقل الإمامة إلى موسى الكاظم.

والمما توفي إسماعيل في حياة أبيه سنة 145 هـ، رأى أتباعه أن الإمامة يجب أن تنقل بعد وفاة جعفر الصادق إلى حفيده محمد بن إسماعيل طبقاً لتعاليمهم التي تنص على أن الإمامة لا تتقلل من أخ إلى آخر، بل يجب أن تظل في الأعقاب، وذلك حولها إليه الإمامة وأصبح الإمامة السابع عندهم، ومن ثم أطلق على هذه الطائفة اسم السبجية لتمييزهم عن طائفة الآثنا عشرية.

أما الإمامة الموسوية، فقالوا إن الإمامة بعد موسى الكاظم تنقل إلى ابنه علي الرضا، ثم إلى أعقابه من بعده حتى الثاني عشر من أعتهم وهو محمد المنتظر بن الحسن العسكري بن علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا.

وعرفت هذه الطائفة باسم الإمامة الآثنا عشرية لأنتمرهم إمامهم الثاني عشر، ويقال إن محمدًا دخل سريابا في مدينة سامرا سنة 270 هـ، وأما أن تنقل إليه، ولكنه لم يعد ولم يقف له أتباعه على أثر من ذلك الجين.

ولا يزال أنصاره ينتظرون عودته، ويعتقدون أن سيظهر ويملا الأرض عدلاً كما ملت جوراً، ومن ثم سمي الإمام المنتظر.

انتقلت إمامة الإسماعيلية، إلى محمد بن إسماعيل بعد وفاة جده جعفر الصادق، وأمعن أنصاره في التخفي ونشر الدعوة(1) له سرا أيام الخلفاء العباسيين.

(1) هذه الدعوة هي التي نبت منها الخلافة الفاطمية.
الهدى والهادى والرشيد. ولما ذاعت دعوته في خلافة الرشيد أيقن أن بقاءه بالمدينة المنورة سيستحسن على العباسيين مهمة تبع حركاته والتشكل منه، فرحل منها شرقاً، وأخذ ينتقل بين بلاد الدولة الإسلامية، فذهب إلى الري، ثم انتقل إلى جبل دماوون القريب منها، واستقر هناك بقرية تدعى سملاء، أطلق عليها فيما بعد اسم محمد أباد نسبة إليه.

كان محمد بن إسماعيل يعتمد في نشر دعوته على رجل اسمه ميمون القذاح، ويقول عنه الإسماعيلية إنه من نسل سلمان الفارسي. ولما توفي محمد خلفه في الإمامة عبد الله الرضي الذي أمعن في التخفي واتخذ عبد الله بن ميمون القذاح داعية له.

يرجع السبب في اختفاء الأئمة الذين تولوا الإمامة بعد محمد بن إسماعيل إلى ما ذهب إليه الإسماعيلية من أن الإمام بجور له أن يستمر إذا لم تكن له قوة يظهر بها على أعدائه. ومن المرجع أنهم نهجوا هذه الطريقة خشية أن يلحق بهم ما لحق أتباع طائفة الإمامة الأثنا عشرية من الاضطهاد والقتل.

استقر الإمام عبد الله الرضي بسالمية من أعمال حمص، وكان العباسيون قد تبعوه في عهد الأمام ما اضطره إلى الهرب مع ابنه أحمد ولي عهده في الإمامة، فقصدا مازندران والأهوار ثم رحلوا إلى قرية سلمية التي لم تلبث أن أصبحت دار هجرة للإسماعيلية، ولا توفي عبد الله تولى ابنه أحمد إمامة الإسماعيلية، فاتخذ عبد الله بن ميمون القذاح داعية له كما اتخذه أبواه من قبل(1).

أصبحت سلمية المركز الرئيسي للدعوة الإسماعيلية منذ أن اتخذها الأئمة الإسماعيلية دار هجرة في عهد الأمام العباسي، فكان يخرج منها الدعاء لنشر دعوتهم في البلاد الإسلامية، وطلبت على هذه الحال أيام الإمام الحسين بن أحمد ابن عبد الله الذي استطاع أن يقيم في سلمية آمناً مطمئنًا دون أن يتألم يد العباسيين. والواقع أن كرم الإمام الحسين، وبدله الأموال الكثيرة وتفانيه في إظهار حبه للهاشميين، وتفانيه أنصاره في طاعته، كل ذلك ساعد على ذيو الدعوة في سلمية.

(1) حسن إبراهيم ورفيق شرف: كتاب عبد الله الهادي، ص 41 - 444.
استمرت أيام الإمام السمراني بن أحمد بانتشار الدعوة الإسماعيلية في كثير من أرجاء العالم الإسلامي، فعلى بلاد اليمن أخذ كل من على بن نافع الإسماعيلي، وابن القاسم رستم بن الحسين بن فرج بن حوشب الكوفي منذ وصولها إليها سنة ۲۵۴ هـ في نشر الدعوة الإسماعيلية، وفجأها في ذلك نجاحا كبيرا، ثم بنى ابن حوشب حصنا بجبل لاعة (جرينبو صنعاء) وأعد جيشا رفح به على صنعاء وأخرج منها بني يعفر، وتمكن بمساكن دعاته من التغلب على كثير من أرجاء اليمن. (1) ثم بعث ابن حوشب الدعاء إلى اليمامة وعمان والبحرين والسند والهند ومصر والمغرب. (2) وكان مبعوثا إلى المغرب أبا سفيان والحلاوئي. وقد نصح لهما ابن حوشب بأن يتبع كل منهما عن صاحبه في نشر دعوة الإمامية وعمرهما بعملهما لظهور المهدي ودراسته.

وكان الإمام الحسين بن أحمد يحرص على نشر دعوته في بلاد المغرب، فأرسل أبو عبد الله الشيعي إلى ابن حوشب بالمغرب سنة ۲۷۸ هـ وأمر بالدخول في طاعته والاقتضاء بخبره على أن يرحل بعد ذلك إلى المغرب لينتشر الدعوة الإسماعيلية، فقدم أبو عبد الله على ابن حوشب وصار من كبار أصحابه وأقام باليمن عاما واحدا. (3)

وأما أصل ابن حوشب فإنه رفأة أبا سفيان والحلاوئي بالمغرب، عهد إلى أبي عبد الله الشيخ في الانتزاع إلى المذهب الإسماعيلي في تلك البلاد وقال له: إن أرض كندة من بلاد المغرب قد حره حريته الحلاوئي وأبو سفيان، وقد ماتا وليس لها غيره، فبادر فإنها موطئا ممتعا دلك. (4)

غادر أبو عبد الله الشيعي بلاد اليمن فقادا مكة، فوصلًا فيها موسم الحج سنة ۲۷۹ هـ، وسأل أبو عبد الله عن حاجاج كتامة واجتمع بهم، فسمعهم يتحدثون عن فضائل آل البيت، فاستكمل معهم في الحديث، ثم سألوه عن الجهاد التي سوف يرحل إليها بعد الحج، فقال إنه يريد مصر، فسوا بصحبتي ورحلوا من مكة وهو يخفى عليهم أغراضه، وما لبثا أن علموا به لما شهدوه وردها.

كتب (1) النفوذ الفاطم في جزيرة العرب للمؤلف ص ۱۲۶-۱۲۷.
(2) ابن خلدون: ج ۵ ص ۲۱.
(3) انظر: كتاب ۵ عبد الله المهدي، ص ۷۱.
(4) القرشي: أمتاز الحفاظ، ص ۴۷۵-۷۵.
ودق استطاع أبو عبد الله بما اجتمع إليه من ضروب الخيل أن يقف على جميع أحوال حجاج كتامة، فلمما وصلوا مصر أخذ بدوهم، فشق عليهم فرائح وسأله عن حاجته بمصر دون غيرها من البلاد، فقال إنه يريد أن يطلب فيها العلم، فقالوا له: 
一二"افقًا إذا كنت تقصد هذا، فإن بلادنا أنفع لك وأنطوع لأمرك ونحن أعرف بحذرك، وما رأينا به حتى أجابهم إلى المسر بصحبتهم(1) ونا
اصبحوا على مقرية من بلادهم كتامة، خرج إلى لقائهم أصحابهم الذين انتشرت بينهم تعاليم الشيعة على يد دعاة الإسماعيلية من قبل.
وان كان التشيع قد انتشر في بلاد المغرب على يد الإمام إدريس بن عبد الله ابن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الذي فر من أبدى العباسيين بعد موافقة فتح في عهد الخليفة الهماده سنة 169 ه، وأقام الأدارسة في المغرب الأقصى دولة علوية سنة 172 ه، تعرف بدولة الأدارسة الفف حولها البربر، ومن ثم أصبحت بلاد المغرب أرضًا صالحة للدعوة الإسماعيلية، وكان ذلك ما سهل على كل من الداعيين أبي سفيان والحولاني نشر الدعوة للمهدي من آل علي، وصار الناس يتحدثون في تلك البلاد عن قرب ظهور المهدي، فلما ذهب أبو عبد الله الشيسي إلى المغرب في أواخر سنة 280 ه وجد الأمر ممتهنة له، كما وجد التشيع قد استفر في عقول البربر واعتقدها كثير من وزراء الأغالبة الذين قامت دولتهم في إفريقية (تونس) على يد إبراهيم بن الأغلب سنة 184 ه (1000 م) وظلت قائمة إلى أن استولى الفاطميون عليها سنة 296 ه.

أكرم أهالي كتامة وقادة أبو عبد الله الشيسي وأحوله من أنفسهم محل الإجلال والإكرام، وتهافت كل منهم على إتمال في بيته، وارداد النفاش المغارة حوله بسبب ما كان يخبرهم به من أنه يبشر بالمهند. ولم بلبث أبو عبد الله أن كشف عن نواياه لرجال كتامة، فقال لهم: أنا صاحب البذر الذي أخبر به أبو سفيان والحولاني، فارادات محبتهم له، وعظم أمر فيهم وأتمنى القبائل من كل مكان(2)، وظل أبو عبد الله مواليًا لإمام الإسماعيلية سلمانية الحسين بن أحمد الذي عرف أيضًا باسم محمد الحبيب يرسل إليه رسله وهداياه.

(1) المفرزي: تعلُّم الحنفية، ص 76.
(2) المفرزي: تعلُّم الحنفية، ص 76 - 77.
لم يكتمل أبو عبد الله الشييعي بنشر الدعوة للفاطميين في بلاد المغرب، بل
أخذ يعمل منذ سنة 289 هـ على بسط نفوذهم في شمال إفريقيا، فوقعت في يده
عدة مدن، وكان مما ساعد على تقدمهم يغزو مورت إبراهيم الثاني بن أحمد بن
الأغلب أمير الأغالبة بإفريقية سنة 291 هـ، وخلال ابنه أبو العباس عبد الله به
الذي لم يبق في الإمرة سوى سنة أشهر، فلخلقه ابنه زيادة الله الثالث آخر أمراء
الأغالبة الذي انصرف إلى اللهوء والترف بينما كان وزراءه يعملون على نجاح
المذهب الشيعي الذي اعتنقته أهالي هذه البلاد. ولم تقطع الحرب بين قوات كل
من أبي عبد الله الشييعي وزيادة الله الثالث حتى سنة 297 هـ حيث دارت وقعة
الأرس (1) التي أدت إلى زوال دولة الأغالبة بإفريقية، وامتثلت نفوذ الفاطميين في
ذلك الوقت إلى أكثر أجزاء بلاد المغرب حتى أصبحوا أصحاب السلطان المطلق في
جميع الجهات الوارقة إلى الغرب من مدينة القيروان (2).

* * *

كان دعة الاصماعية بالأيمن يعتقدون أن دولة المهدى ستظهر في بلادهم،
كما جرح رؤساؤهم على أن يكون قيامها على أيديهم، وكذلك كانت الحال بين
دعاء الاصماعية في بلاد المغرب، إذ كانوا يرجون قعود المهدى إليهم لإقامة
دولتهم المشروعة، ولذا أنفق زعمائهم أبو عبد الله الشييعي - بعد أن استقر به المقام
في هذه البلاد وصادفت دعواته شيئا كثيرا من التراجع - إلى عبد الله بن الإمام
الحسن بن أحمد - وهو بصليمة - وفدا من رجال كتامة يدعوهم للقدوم إلى بلاد
المغرب (3). وكانت بلاد المغرب وقتذاك تشمل عدة دول وإمارات، وهي دولة
الأغالبة في إفريقية (تونس) ودولة الأدارسة في المغرب الأقصى، وإمارة مدرار في
سجلماسة وإمارة بنى رستم التي تاهت بالغرب الأوسط (4).

كان الخليفة الأموي العباسي قد وصله إذ ذلك ذريع الدعوة الاصماعية في
بلاد اليمن والمغرب، فنهد إلى بعض رجاله بتلقي حركات عبد الله والقبض
عليه فخرج عبد الله من سلمية بعد مقابلته وقد كتب وقفه على مدى نجاح
الدعوة في بلاد المغرب وأيضاً أتباعه أنه سيعقد اليمن (5).

(1) كانت فيما بعد تعد باب الهندية.
(2) حسن إبراهيم: تاريخ الدولة الفاطمية ص 50 - 51.
(3) الفرعي: المواعظ والأعيان بذكر الخبط والأثار، ج2، ص 11.
(4) انظر رياض: مجمع الأنساب والأمراء الحاكمة في التاريخ الإسلامي ج1 ص 101 - 102.
(5) نفوذ الفاطمي في جزيرة العرب للمؤلف ص 14 - 15.
على أن عبيد الله لم يكن راغباً رغبة أكيداً في إقامة دولته ببلاد اليمن، بل أزم الرحل إلى بلاد المغرب منذ خروج من سلسلة تلبية للدعوة التي وجهها إليه داعيته أبو عبد الله الشيعي. وقد أدى به حرصه على عدم يقين في قضية العباسيين إلى إخفاء حقيقة الجبهة التي سيصدقها؛ فلما وصل إلى مصر اتضح لداعي دعاته فيوزر أنه سيصدق المغرب فشق ذلك عليه، وتخلف عن المسير مع الإمام عبيد الله ومضى إلى اليمن (1). أما عبيد الله فرح به اتباعه بمصر وعلى رأسهم داعيته أبو عيسى الذي طلب من ابن عياش أن يسمح له بالإقامة في داره ويكرم وفادية. وكان ابن عياش يخلص للمذهب الإسماعيلي وأنصاره ويعتبر منزلته كبيرة عند ولاة مصر.

بذلك الخلافة العباسية جهوداً كبيرة للفت توجه عبيد الله لكنه لم تستطع إلى ذلك سبيلاً بفضل ما قدمه له أنصاره من معونة، ذلك أنه لما جاءت أوقات الخلافة العباسيّة إلى ولى مصر محمد بن سليمان الكاتب بالقبض على المهدى، تمكن أنصاره من إهانة الوالي أن عبيد الله رجل هاشم محترب التجارة وأن الشخص المصوصد فر إلى اليمن، كما أن هذا الوالي نفسه لم يكن وفايا للمباسمين فأمر بالقبض على بعض غلمان المهدى وضربهم ضرباً خفيفاً وأهمل شأن المهدى. لما بلغ العباسيين أن محمد بن سليمان الكاتب تناول في القبض على عبيد الله المهدى، ولما عيسى بن محمد النوضري (2) على مصر بدلاً منه: فقدم إليها في جمادي الآخرة سنة 292 هـ، وكان كثير من حاشية هذا الوالي يدينون بعقائد المذهب الإسماعيلي، فحزروا عبيد الله المهدى بما قد يحقق به من خطر العباسيين الذين كانوا إذ ذلك يتوقفون ويتهون العيون عليه؛ فقرر الرحل من مصر. خرج عبيد الله من الفسطاط مرتين ريا التجار يريد المغرب، غير أن عيسى النوضري لحق به وقبض عليه، لكنه ما لبث أن أطلقه بعد أن رشته بالمال كبير. ولم تقف متاعب عبيد الله عند هذا الحد، فقد هجم على قافته وهي في طريقها إلى طرابلس جماعة من البربر عند الطاحونة (والتي موضع في برقا) ونهوها (3).

---

(1) الفتح الناظر في جزيرة العرب للمؤلف ص 166.
(2) كان عيسى بن محمد النوضري من بين القواد الذين قدروا مع محمد بن سليمان الكاتب إلى مصر للقضاء.
(3) الفروزي: انتخاب الحنفية، ص 82.
ما وصل عبيد الله المهدي إلى طرابلس، وبعث رسلًا من قبله إلى دايعه أبي عبد الله الشيعي يخبره أنه في طريقه إليه، ومن هؤلاء الرسل الذين أنفذههم عبيد الله إلى المغرب أبو العباس أخو عبد الله الشيعي وجماعة من الكتاميين، غير أن زيدة الله الثالث أمير الأغالبة قبض على أبي العباس هذا بالقيروان وعذبه ليدله على الجهينة التي يقيم فيها المهدي، فلم يجه، واستطاع عبيد الله بفضل الأموال التي أعطاهها لعامل طرابلس أن يهرب مع أتباعه إلى سجلماسة.(1) بالمغرب الأقصى.

ظل عبد الله في بداية الأمر طليقا في سجلماسة بسبب إغلاق الأموال على واحده البسيع بن مدرار؛ غير أن معاملة وإلى سجلماسة لعبد الله ما لبث أن تبدلت بعد انتصار أبي عبد الله الشيعي على الآغالبة سنة 296 هـ. إذ خشي ما سوف تتطور إليه الحال بعد ذلك، فقبض على عبد الله و وجهه وأتباعه في السجن.

كان أبو عبد الله إذ ذلك يبدع نفوذه على معظم أرجاء المغرب عن طريق الحرب والفرحة، فدخل راداة مقر أمانة الأغالبة، وحذف اسم الخليفة العباسي من الخطب، ثم سار في قوة كبيرة إلى سجلماسة لإطلاق عبد الله من سجنه، و لما علم البسيع بن مدرار أمير سجلماسة بوصول أبي عبد الله الشيعي إليها، هرب ليلا وخلا الجو لأبي عبد الله، فطلاق داعى الفاطميين سراح عبد الله المهدي وأبيه أبي القاسم.(2)

أخذت البيعة لعبد الله المهدي بسجلماسة، وتلك ذلك تقليل أبي عبد الله الشيعي سيفا ومنحه خلعة للدلالة على مكانته، وأخذ أبو عبد الله يقدم إلى عبد الله أشاعرة وأنصاره ثلاثة أيام كاملة، ثم رحل عبد الله عن سجلماسة - بعد أن أقام بها أربعين يوما - فاجدًا إفريقيا في حلف كبير من العساكر - وكان أبو عبد الله الشيعي ورؤساء كتامة مشاة بين يديه وولده خلفه - فلما اقترب من راداة تلقاه أهله وأهل التحول بالملاح، ثم نزل بقصر من قصور رادة واتخذها حاضرة له في شهر ربيع الآخر سنة 297 هـ، وأمر بذكره اسمه في الخطبة على مبان البلاد وتلقب بالهالدي أمير المؤمنين(3)، وبذلك قامت الخلافة الفاطمية في شمال إفريقيا.

(1) ابن الأثير: ص 141.
(2) المغيري: انتظار الحفظ، ص 287-290.
(3) المغيري: انتظار الحفظ، ص 292.
سياسة الفاطميين في توطيد سلطانهم بالمغرب

أرسل عبد الله المهدي بعد إعلان خلافته عمالا إلى الولايات المختلفة واختارهم من زعماء كتامة ومن يئث بهم من الغاربة، وعهد إلى أبي عبد الله الشيبي بإخضاع بلاد المغرب الأوسط والآقصى لأن أهلها لم يدينوا له بالطاعة. فخرج أبو عبد الله سنة 297 هـ مع بعض قادة كتامة ودعاتهم إلى تلك البلاد، فاقتتح مدناها، ثم سار على رأس جيش سنة 298 هـ لإخضاع قبائل زناتة جنوب بلاد كتامة، فدخلوا في طاعته وصار يجيء منهم الأموال (1).

وعلى الرغم من أن الدولة الفاطمية تدين بظهورها لأبي عبد الله الشيبي، فإن عبد الله المهدي لم يثبت أن عمل على التخلص منه؛ لأن أبي عبد الله كان موضوع ثقة كثيرة من الكتاميين، كما علتها مكانته بين أهل بلاد المغرب مما أثار حفي بعبد الله المهدي عليه، فخشى أن يفتتن به الناس فيضعف بذلك نفوذه، لذلك أمر بقتل كل من أبي عبد الله وأخيه وأبي العباس في جمادي الآخرة سنة 299 هـ (2).

آثار حادث مقتل أبي عبد الله الشيبي أهل بلاد المغرب، فثارلون، واشتتبك الكتاميون مع أهل القيروان، غير أن عبد الله ما لبث أن تمكن من إخماد تلك الثورات. ثم عهد عبد الله المهدي إلى وله أبي القاسم بالخلافة من بعده، وبعثه على رأس حملة محاربة الكتاميين الذين عادوا إلى بلادهم وأقاموا طفلا ادعوا أنه المهدي، ورموا أن أبي عبد الله لم يمت، فقال لهم أبو القاسم وأوقع عليهم الهزيمة وقتل الطفل الذي وله باسم المهدي (3).

رأى عبد الله المهدي بعد أن تخلص من أبي عبد الله الشيبي وأخضع الكتاميين أن يستعين في إدارة دولة بولاية آخرين، وطمعن بهم، فولى على المغرب الآدنى حبسة بن يوسف، وعين على بلاد المغرب الأوسط والآقصى أخاه عروبة بن يوسف؛ وكان مقره تاهرت.

---

(1) ابن عدرا: البيان المغرب، ج1 ص 194.
(2) المزيري: أنعاس الحفنا، ج3 ص 95.
(3) المزيري: أنعاس الحفنا، ج4 ص 97.
كذلك وجه عبد الله المهدي عنايته إلى إخضاع قبائل صنهاجة، بالمغرب الأقصى والقضاء على نفوذ الأدارسة في فاس، وعهد بذلك إلى قائده مصالة بن حيوس الذي نجح في الاستيلاء على قَاكرية حاضرة الصنهاجيين سنة 680 هـ، ثم أتباع نحو الأدارسة في فاس والتقى يحيى بن إبراهيم بالقرب من مكتسا، فأوقع به الهزيمة واضطر يحيى إلى طلب الصلح على أن يؤدي إياه بعض الأموال ويلع بيده الله المهدي، فولاه مسالة على فاس، كما ولي موسى بن أبي العافية على سائر بلاد المغرب الأقصى، ومالبث موسى أن تغلب على ملك الأدارسة بلاد المغرب، وقصد يحيى بن إبراهيم مدينة المهديه حيث قضى بها بقية حياته.

استمرت الأمور لموسى بن أبي العافية في بلاد المغرب الأوسط والأقصى منذ زال نفوذ الأدارسة من فاس في عهد عبد الله المهدي، وأخذ نفوذه في الأزدياد بعد وفاة مسالة بن حيوس القائد الفاطمي سنة 632 هـ حتى أصبح يهدد كيان الفاطميين في بلاد المغرب الأقصى، فخضع طاعة خليفتهم ودخل في طاعة عبد الرحمن الناصر الأموي بالأندلس (1)، الذي طمع إذ ذلك في استيلاء المغرب الأقصى واستولى على مدينة سبتة وأرغم موسى على إقامة الخطبته له على متاه بلاده. وله علم عبد الله المهدي بذلك عهد له لولي عهده أبو القاسم سنة 635 هـ بالعمل على توطيد سلطته في هذه البلاد؛ فسار إليها واستطاع أن يعيد للفاطميين كثيراً من نفوذهم (2).

* * *

لم تقتصر مجهودات عبد الله المهدي على توطيد سلطان خلافته، بل رأى أن يبني حاضرة في مكان يتوسط أجزاء دولته ليتخدها حصناً يعتصم به هو وأنصاره، ووجه منه هجماته إلى الخارجين عليه، ولتكون مقراً للدعوة الإسماعيلية، فخرج يرتاد موقعاً يصلى لتحقيق أغراضه، فوقع اختياره على مكان يقع على بعد ستين ميلاً جنوبي القروان، حيث وضع أساس مدينة جديدة اسمها المهدية. وقد ذكر أبو عبد البكر (3) أن البحر يحيط بها من ثلاث جهات، وأن المهدي اتخذ لهذه المدينة بابين من الحديد زنة كل باب منهما ألف قطار وطوله

(1) ابن خلدون: العبر وديوان البلاذ والخبر، ج1 ص 320 - 40.
(2) كتاب عبد الله المهدي، ص 189.
(3) المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والغرب، ص 29 - 31.
ثالثون شهراً، ونقش على هذين البابين صور بعض الحيوانات، وأقيم بها ثلاثة وستون صهريجاً عدا ما كان يجري فيها من القنوات. وبني المهدى مدينة المهدية داراً للصناعة تسع أكثر من مائتي مركب. ولما فرغ من إحكام بناه حاضرة خلافته الجديدة سنة 530 هـ، قال «اليوم أنت على الفاطميات». يعني بناه؛ ثم انتقل إليها سنة 538 هـ، وأنشأ فيها الدكاكين، كما رتب أرباب المهن; فجعل كل طائفة في سوق. وبعد أن تم للمهدى تأسيس هذه المدينة أمر ببناء مدينة أخرى بجوارها وجعل بين المدينتين ميداناً فسيحاً وأحاطها بسور وأبواب وسماها زويلة نسبة إلى إحدى قبائل بلاد المغرب وأصدر أوامره إلى أصحاب الدكاكين بأن يقيموا فيها بحرهم وأهاليهم.

* * *

كانت حالة بلاد المغرب بعد وفاة عبد الله المهدى سنة 522 هـ، تتطلب كل جهود ابنه أبي القاسم الذي آتى إليه الخلافة ولقب القائم بأمر الله، فقد ثار في عهده ابن طلول القرشى بطرابلس وزعم أنه ابن المهدى. ولما ظهر للبربر كله قتلوه، كما اشتد خطر الثورة التي أضرم نارها أبو زيد مخلد بن كيداد وهو من قبيلة زنانة التي خرجت على عبد الله المهدى وانحاز زعيمها محمد بن خزر إلى عبد الرحمن الناصر الأموي بالنندلس. وكانت هذه القبيلة ناقمة على الفاطميين لإيشارهم الكاتبين بالناصب، لذلك عمدا إلى مناهضتهم في بلاد المغرب الأوسط، واستخلف سلطانهم بهذه البلاد. وقد تلقى حقد زنانة على الفاطميين ورغبهم في القضاء على خلافتهم بلاد المغرب في ثورة أبو زيد مخلد بن كيداد الذي نشأ في بلاد تور(1) وتعلم القرآن وخلال جماعة من الحوارج الصغرية(2)، فانزل إلى مذهبه واعتقده(3) وكان الحوارج قد التمسوا الآمنين في بلاد المغرب بعد أن أشتد اضطهاد الأمويين لهم، فوجدوا أهالي هذه البلاد حائزين على بني أمية وولاتهم، لذلك أصبح من يسير

(1) وهي بلاد البارود في إمارة تونس.
(2) تابع زيد بن الأصفاح وممالوم إقليم الشمالي من الجزيرة، وكان الحوارج قد التمسوا الآمنين في بلاد المغرب بعد أن أشتد اضطهاد الأمويين لهم.
(3) المقرئي: تعاون الخفاف، ص 90.
على هؤلاء الخوارج ضم البربر إلى صفوفهم. كما قتلت مذاهبهم بولا طيبة منهم.

اتخذ أبو يزيد تأهيرت محلًا لإقامته وصار يعلم الصبيان القرآني ومذاهب الخوارج. وقد عرف أبو يزيد بعدئته للشيعة، فصار يدعو الناس للخروج على الخليفة الفاطمي. واتباع نفوذته في الأزدياد منذ سنة 316 هـ، دعا دعوته بين بعض قبائل البربر، كما قويت شوكة في عهد القائم، واجتمع إليه سائر الخوارج، وأخذ له البيعة عليهم سنة 331 هـ. صاحب أبو عمر: على قتل الشيعة واستيحاً الغنائم والسبيل، وعلي أنهم إن ظفروا بالمهدة وقوىون صار الأمر شوري.

كان حركة أبو يزيد ذات طابع وطني، الغرض منها إنشاء حكومة من البربر لا يشترك فيها العرب، وذلك أن البربر رأوا أنهم فتحوا بلاد الأندلس بدماهم وسبوفهم، وبدنا جهدهم في تولية الفاطميين الخلافة بالقروان دون أن يبالوا شيئاً من ثمار أعمالهم، لذلك تزعم أبو يزيد ثورة هؤلاء البربر ليستعيد سلطانهم.

رحب أبو يزيد في عهد الخليفة القائم الفاطمي إلى رقابة، فساندته منها الكتاميون، ثم تقدم إلى القروان وبعث برسله مع وفد من أهلها إلى عبد الرحمن الناصر الأموي صاحب قرطبة ليخبروه بدخله في طاعته، ورغبته في أن يمده بقوة لمحاربة الفاطميين، ففوجئهم الناصر الأموي بإجابة طلبهم، وظل أبو يزيد يواصل مهاجمة المدن التي في حوزة الخلافة الفاطمية، ففاجأ أهل المهدية بحملاته حتى اضطروا إلى التزوج عنها إلى طرابلس وصقلية ومصر.

على أن نفوذ أبو يزيد سرعان ما ضعف على أقل انضمام عدد كبير من رجاله إلى جيوش الفاطميين; وكان ذلك مما اضطره إلى الارتداد عن المهدية بقوة صغيرة من رجاله تاركاً خلفه ما كان معه من موذ وعتاد. ثم تقدم إلى القروان، فأوقع بأهلها الهزيمة سنة 334 هـ.

---

(1) ابن خلدون: ج7، ص11.
(2) ابن خلدون: ج7، ص12.
O’Leary, A Short History of the Fatimid Khalifate, P. 89.
(3) حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام السياسي، ج2، ص200.
(4) ابن خلدون: ج7، ص14 - 15.
ولا توفر الخليفة القائم في هذه السنة، كتب ابنه وولي عهده إسماعيل الذي تلقب بالنصر، موهته خوفاً من أن يطعم فيه أبو يزيد، ولم يتلقب بالخليفة، كما لم يغير السكة ولا الخطب ولا البنود حتى فرغ من أمر أبي يزيد.

وجه المنصور الفاطمي كل عنايته للقضاء على حركة أبي يزيد، وسرعان ما قويت جيوشه بالهجمات قبيلة صنهاجة إليها، وأخذت قواته في مطاردة أبي يزيد حتى عجز عن مقاومتها وحلت به الهزيمة؛ وانتهت فتنة هذا الخارجي بالقبض عليه ووفاته متاخترا بجرحه سنة 376 هـ(1).

وقد كشفت ثورة أبي يزيد عن مدى استعداد البربر لتأكيد كل خارجي يثور على الدولة الفاطمية، وأخذ النفوذ الفاطمي في بلاد المغرب يضاءل منذ قيام هذه الثورة، كما ابتداوات الحكومات المستقلة في الظهور في المناطق البحرية من الدولة الفاطمية(2).

أخذ المنصور الفاطمي بعد قضائه على ثورة أبي يزيد في تعقب الزناتيين بإفريقية، وكان يعلى بن محمد أحد أمراء زناتة قد استفحلا خطرهم من ناحية المغرب الأوسط، وأقام الخطة على منابرها لعبد الرحمن الناصر، ولم يزل سلطانه بالمغرب في ازدياد إلى أن بعث إليه المعز لدين الله الفاطمي قائده جوهر الصقلي سنة 347 هـ، فعبر على إلى لقائه والإذعان لطاعته(3).

سادت حالة البلاد في شمال إفريقية من جراء تلك الثورات التي استنفدت كثيراً من أموال الخلافة الفاطمية؛ فرأت المنصور أن يعيد تنظيم هذه البلاد ويعمل على إنعاش مواردها ليعوض ما انفقته الدولة من الأموال. كذلك شرع المنصور في إنشاء أسطول كبير، كما أسس سنة 377 هـ مدينة في الموضع الذي دارت فيه الواقعة بينه وبين أبي يزيد على مقرية من الفيروان وسماها المنصورية، واتخذها حاضرة له. وكان له هذه المدينة خمسة أبواب:باب القبلي، والباب الشرقي، وباب ورويلة، وباب كتامة، وباب القفطوح. وكانت جيوش الفاطميين تخرج من هذا الباب الأخير(4).

---

(1) انظر: المعز: انواك الخلافة، ص 122 - 135.
(2) O’Leary, A Short History of the Fatimid Caliphate. P. 91.
(3) ابن خلدون: ج 76، ص 17 - 18.
(4) البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص 25.
نقل المنصور إلى هذه المدينة أسواق القروان، كما رحل إليها كثير من الصناع، فأزدهرت فيها الصناعة والتجارة؛ وأصبحت على جانب عظيم من التقدم والرقي، وغدت منذ ذلك الحين حاضرة الفاطميين إلى أن قدم العصر لدني الله الفاطميين إلى مصر في 7 رمضان سنة 362 هـ، فحلت محلها مدينة القاهرة(1).

لم تؤتي المنصور سنة 341 هـ، آلت الخلافة إلى ابنه المعز؛ وقد أوضح سياسته في خطبة ألفها على رؤساء كتامة بدءة المنصورية؛ فقال لهم(2): فإنه شغل بكعب ترد عليه من المشرق والغرب، يجيب عنها بنفسه، كما بين أن سيوجه عنايته إلى صيانة أرواح رعاياه، وتعزيم بلاده وقمع الفتن والثورات حتى يسود الأمن والطمأنينة بين زعيم دولته. ويختم بقوله. إنكم إذا لمزتم مع أمركم بكم، رجوت أن يقرب الله علينا أمر المشرق، كما قرب أمر الغرب لكم.

كذلك عن المعز بالعمل على توطيد نفوذ الخلافة الفاطمية في بلاد المغرب؛ فعهد إلى جوهر الصقلي بإخضاع الأمويين الثوريين على الحكم الفاطمي في هذه البلاد؛ فسار في أوائل سنة 347 هـ على رأس جيش كبير يضم كثرا من رجالات المغارة من بينهم زيري بن مناد الصنهاجي قاصدا تاهرت، فاستولوا عليها وقضى على وليها يعلى بن محمد الزناتي الذي عرف بانحرافه عن الفاطميين، وولاته لعبد الرحمن الناصر الأموي(3)؛ ثم استأنف جوهر السير إلى فاس؛ ولما أمعنت عليه اتجه إلى سجلماسة. وكان قد استبد بحكمها رجل يقال له ابن واسيل تلقب بالشاكير بالله وخاضبه الناس بأمير المؤمنين، ونصب اسمه على السكة؛ فطارده جوهر حتى قبض عليه وأخذة أسيروا. واستعاد الفاطميين بذلك سلطانهم على سجلماسة. وبلغ من عناية المعز بفتحها أنه ضرب بها عملة، نقش عليها اسمه(4).

أخذ جوهر بتابع السير في بلاد المغرب الأقصى وما زال يفتح مدنه مدينة بعد مدينة حتى وصل إلى ساحل المحيط الأطلسي؛ ولم يستعنه سوى سبعة

---

(1) حسن إبراهيم: تاريخ الدولة الفاطمية، ص 546.
(2) الفرجي: اتحاظ الفتح، ص 137.
(3) الصلابي: الاستقصاء لأيام المغرب الأقصى، ج 1. ص 67.
قيام الدولة الفاطمية في بلاد المغرب

وطنجة، ثم انصرف راجعا إلى المهدية بعد نجاحه في إقامة الدعوة للفاطميين على جميع منابر المغرب(1).

على الرغم من الجهود التي بذلها كل من جوهر الصقلي، وزيرى بن ناد بن وطيين سلطان الفاطميين على بلاد المغرب، فإن الأمر لم تستقر لهم في هذه البلاد، فقد ثار أحد زعماء زنانة على المعز سنة 359 هـ، مما اضطره إلى الخروج إليه بنفسه، فلمما وصل إلى باغاتة(2) ولي هذا الثائر هاربا، فبعث إليه المعز قائده زيرى بن مناد، فقبض عليه، وانتهت ثورته بدخوله في طاعة المعز(3). على أن ذلك لم ينه الاضطراب الذي ساد المغرب، فلم يكد ينتقل المعز إلى مصر حتى ثار أهالي باغاتة وناصرت، وزنانة في تلمسان، فتصدى لهم يوسف بن زيرى بن مناد وتمكن من إخماد ثوراتهم(4).

(1) حسن إبراهيم وله شرف: كتاب المعز لدين الله الفاطمي، ج27، ص 132.
(2) باغاتة، مدينة تابعة في إفريقيا وعربية. انظر: باقوت: معجم البلدان.
(3) ابن الأثير: ج8، ص 177 - 198.
(4) ابن الأثير: ج8، ص 302.
الباب الثاني

الأحوال الداخلية في مصر قبل أن يستقر فيها سلطان الفاطميين

۱ - التنظيمات الإدارية والمالية في مصر في نهاية العهد الإخشيدي.

۲ - العلاقات السياسية بين مصر والخلافة في عهد الطولونيين والإخشيدين.

(۱) الطولونيون والخلافة.

(ب) عودة مصر إلى الخلافة العباسية.

(ج) الإخشيديون والخلافة.
ا - التنظيمات الإدارية والمالية في مصر إلى نهاية العهد الإخشيذي:

لما استقر سلطان العرب في مصر سنة 260 هـ (1416 م)، أبقوا على الأنظمة القائمة بها واكتفوا بشغيل بعض المناصب الرئيسية ليشرفوا بأنفسهم على الإدارة فكان الخليفة يعين في مصر واليا يمثله يعرف بأمير مصر.

وكان الوالي يؤمن المسلمين في صلاة الجمع والأعياد بوصفه نائب عن الخليفة، ويعدله إليه في بعض الأحيان جباية الخراج، وأحيانا يعين الخليفة عامل مستقل عن الوالي للقيام بهذا العمل يعرف باعمال الخراج(1) وكذلك كان من مهام ولي مصر الإشراف على شئون الحامية المقيمة بهَا وقِيادة الجيوش لصد غارات الأعداء عنها، وتأمين حدودها، فقاد عمرو بن العاص الحملات لفتح برقة وطرابلس، كما خرج عبد الله بن سعد بن أبي سرح أثناء ولايته على مصر، على رأس الحملات التي سارت بغزو إفريقية والندوية(2).

كان الخلفاء الراشدين والاماميون يضدون ولاية مصر إلى ولاة من العرب، وقد تمنع هؤلاء الولاة في عهد الأمويين بشيء من الاستقلال، فكانوا لا يرجعون للخليفة إلا في الأمور الهامة؛ فولى معاوية بن أبي سفيان عمرو بن العاص صلاة مصر وخروجها وجعلها طمعه له بعد النفيفة على إدارتها وتوزيع العطاء على

(1) حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام السياسي، ج2، ص 362.
(2) أنظر: الكندي: كتاب "الولاية والقضاء" ص 232.
جائدها، وظل مسلمة بن مخلد واليا على مصر خمس عشرة سنة (۴۷ - ۶۲۶ هـ)، كما طالت ولاية عبد العزيز بن مروان، فاستمر بها إحدى وعشرين سنة (۶۲۶ - ۸۸۸ هـ). وكان شبه أمير مستقل في حكم البلاد المصرية.

ولما جاءت الدولة العباسية، تأثرت ولاية مصر بالسياسة العامة لهذه الدولة وذلك أن العباسيين لم يتعصبوا للعرب، بل اعتمدوا على عناصر غير عربية. وكان عنبسة بن إسحاق آخر وال عربى على مصر، فقد أستندت إليه ولايته سنة ۲۳۸ هـ، غير أنه لم يلبث أن عزل سنة ۲۴۲ هـ وخلفه ولاة من الأتراك.

ظل العرب أصحاب النفوذ في مصر إلى أن ولى الخليفة المعتصم الخلافة (۲۱۸ - ۲۷۷ هـ)، فحرمواهم من المرتبات المقررة لهم في ديوان العطاء وأحل محلهم الأتراك، وهرب السبب في استعانته بهم إلى ما اتفقوا به من شدة البأس وحب القتال، هذا إلى ضعف ثقته بالفرس.

على أن مصر لم تستفيد من وراء السياسة التي اتبعها الخلفاء العباسيون في إجلال الأتراك محلى ال الدولة من العرب، لأن هذه البلاد صارت تمنح لهم بصفة إقطاع على أن يؤدوا خراجا معيينا، كما أن الولاية من الأتراك من ناحية أخرى صاروا يؤثرون البقاء في بغداد أو سامراء، يبيعون عليهم حكمهم يديرون شؤون الولايات باسمهم، ويدعون لهم بعد الخليفة في خطة الجمعية ويرسلون إليهم الخراج. وكان من أيض هذه السياسة أن عمد بعض النواب والولاية إلى الاستقلال بمصر عن الخلافة العباسية بعد أن تطرق الضعف إليها، فحاول أحمد بن طولون الذي قدم إلى مصر سنة ۲۴۵ هـ، نالتها عن وليها التركي باكباك توطيد سلطته في هذه الولاية وما لبث أن نجح في تأسيس دولة مستقلة عرفت باسم الدولة الطولونية، ظلت نحو ثمانية وثلاثين عاما (۲۵۴ - ۲۹۶ هـ).

ولم يكن في مصر وراء في عصر الولاية، بل اكتفى الخلفاء بإرسال ولاة إلى هذه البلاد يديرونها باسمهم، فلما استقل أحمد بن طولون بولاية مصر، اتخذ

---
(1) الفريزي: خطط ج ۲، ص ۲۴۹، أبو المحاسين: النجوم الزاهرة، ج ۲، ص ۳۰۸.
(2) فتح الصحراء الإسلامية في الشرق للمؤلف، ص ۲۲.
(3) فتح المراقبة الإسلامية في مصر للمؤلف، ص ۱۹.
أحمد بن محمد الوسطى كاتبا له، وكان يقوم بأعمال الوزارة دون أن يلقب بلقب وزير، وحذاء أمراء الطولويين حذوه، فاتخذوا كتابا لهم(1)، وفي عهد محمد ابن طنوج الإخشي ولى الوزارة أبو بكر محمد بن علي المذرئي. وكان هذا الوزير من كبار الموظفين في مصر، ويراعي جانبهم أمير البلاد ويتخلى باسمه، وله يرجع الفضل في إسناد ولاية مصر إلى أنجور بن الإخشي بعد وفاة محمد الإخشي. وقد كوكف على ذلك بأن أسد إليه الإشراف على جوابة الخراج بجانب قيامه بأعمال الوزارة(2).

كان لمحمد الإخشي أعيان آخرون يقومون بأعمال الوزير دون أن يتلقوا بلقبه، ومن هؤلاء الوزير العباسي الفضل بن جعفر بن الفرات الذي عاون الإخشي في إدارة الدولة على الرغم من أن الخليفة العباسي ندمه للإشراف على جمع مال الخلافة من خراج مصر والشام، ولم توفي الفضل بن جعفر، كتب الخليفة الراغب إلى الإخشي ضرره بإرسال ابنه جعفر بن الفضل إلى بغداد ليتكلم منصب الوزارة، لكن الإخشي لم يجب إلى طله، فعيسى الخليفة ويرا يبعث بأخباره إلى الخليفة. غير أن الإخشي استطاع بحسن سياسته أن يقره إليه ويتفتق بخبرته، ولم ينزل جعفر بن الفرات يتمتع بنفوذ كبير في ولاية مصر حتى أيام كافور الإخشيدي(3).

وكان الطولويون والأخشديون يستمدون اعتمادا كبيرا في إدارة شؤون دولتهم على البريد، فعين أحمد بن طلولون أحد المقربين إليه عاملًا للبريد في سامرا التي كانت وقتذاك حاضرة الخلافة العباسي ليوافيه بما يجري في العراق وما يدبره له أعداؤه من المؤامرات التي يديرها له أبو أحمد الموفق طلحة أخو الخليفة.

---
(1) تاريخ الإسلام السياسي، ج3، ص441.
(2) انظر: المقرزي: خطط، ج1، ص249.
(3) سيدة كاعف: مصر في عصر الإخشديين، ص158، 158.
(3) حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام السياسي، ج3، ص441، ص442.
العباسي المعتمد(1). وكان لمحمد بن طنح الإخشيدي ممثل في بغداد يأتيه بأخبار الخليفة ودوائي حكومته وما يبنيه من الأمور، ويدفع عن مصالحه(2). كذلك اهتم أمراء الطولونيين والإخشيديين بالشرطة، وكان صاحب الشرطة ينوب عن الوالي في عصر الوالية في حكم البلاد ويحل محله إذا تغيب، وكثيرا ما كان الخليفة يعين صاحب الشرطة وآليا على البلاد ويحل محله إذا مات الوالي أو عزل(3). أما في العصر الطولوني والإخشيدي فاقتصرت مهمة صاحب الشرطة على المحافظة على الأمن وتنفيذ أحكام القضاة.

كان بمصر ديوان خاص، تصدر عنه الرسائل والكاتبات، يعرف بديوان الإنشاء. وقد أنشئ الطولونيون بعد أن استمتع دائرة أعمالهم، واردت نشاطه في عهدهم، ولم يعمل ولاة مصر قبل العصر الطولوني على إنشائه بل اكتفوا باتخاذ بعض الكتب لكتابة الرسائل التي يرسلونها إلى الخليفة وغيرهم، وكان أول من تولى ديوان الإنشاء في عهده أحمد بن طولون: أبو جعفر محمد بن أحمد بن مودود المعروف بابن عبد كاد(4). ومن الكتاب الذين ظهروا في عهدي الطولونيين جعفر بن عبد الغفار المصري الذي اتخذه أحمد بن طولون كاتبا له. ولم يكن لدى هذا الكاتب من الكتابة بحيث يستطيع الإضطلاع بأعمال هذا المنصب، فأشار أحمد ابن خاقان على أحمد بن طولون بعزله، فلم يجه إلى طلبه، وقال له: أنا أهتمله لأنه مصرى، فقال ابن خاقان: أراك يا الأمير تفضل الكاتب المصري على الكاتب البغدادي، قال: لأ ولله، ولكن أصلح الأشياء لم يملك لن يكون كاتبه منه(5).

وكان بعض الكتاب الذين أسندتهم إليه وظيفة الكتابة في العصر الإخشيدي يشتغلون بالشئون السياسية. وقد خطط الناس بينهم وبين الوزراء. أما الفريق الآخر من الكتاب، فاقتصر عمله على تحرير الرسائل، ولهؤلاء كانوا يؤلفون ديوان الإنشاء(6).

---

(1) أنظر: المقرئي: خطط، ج2، ص178 - 179.
(2) أنظر: ابن مهدي: المغرب في حليم الغرب، ص267.
(3) سيدة كاشفي: مصر في نهر الإسلام، ص42.
(4) محمد كامل حسين: أدبيا العربي في عصر الوالي ص95.
(5) ابن الدابة: سيرة ابن طولون ص10.
(6) سيدة كاشفي: مصر في عصر الإخشيدين ص172.
أما عن الإدارة المالية، فقد عنى وولة مصر بتنمية موارد بيت المال وتسيير مصرفه. وكانت تأتي هذه الموارد من الجزية والخراج والضرائب، فقد فرض الولاة الجزية على الذميين ولم يخف منها إلا النساء والأطفال والشيوخ وكانت تناسب مع ثروة الشخص، وتدفع نقدا بالدنانير. كذلك فرض الخراج على الأرض التي يزرعها أهل مصر. وكان هناك إلى جانب ذلك ضرائب على الصناع والأجرا وضرائب على التجارة الداخلية وأخرى على التجارة التي تمر بالموانئ والبلاد الواقعة على الحدود المصرية سواء أكانت ترد إليها أم تصدر عنها;(1) فذكر المقرزي(2) أنه كان يجىء من التجار في النفوذ المصري، وهي ديباجة وتيس ورشيد وعيذاب وأسوان والإسكندرية ضرائب مقررة تعرف بالكموس.

كان عهد الخلفاء الراشدين والأمويين بصفة عامة عهد عدل وتسامح، فلم يشتم ولاة مصر في جميع الخراج إلا في أواخر العهد الأموي. أما في العصر العباسي فقد نلحظ أن أحمد بن المدرب الذي قلد الخليفة المتوكل خراج مصر، جا إلى الشدة في جباية الخراج، كما أثار سخط المصريين بزيادته الضرائب واستعمله القسوة في جبايتها مما حمل ابن طولون على العمل للتخلص منه؛ فصرف عن ولاية مصر وحل محله أحمد بن خالد.

ولما ولي أحمد بن طولون شئون مصر كلاه (الإدارة والمالية والعسكرية) راد الخراج عما كان في أيام ابن المدرب فبلغ 300،000 دينار. ولم يعرف عنه أنه جا إلى العنف في جبايته. غير أن الخراج ما لبث أن نقص في عهد ابنه خمارويه لإسراجه وتبديره ففضل عن الأموات التي كان يرسلها كل عام إلى دار الخلافة(3).

على أن الطولونيين لم يستمروا طويلا في حكم مصر، فقد زالت دولتهم سنة 292 هـ. وعادت هذه البلاد إلى حكم العباسيين؛ فالنزم المذرائيون(4) خراج

(1) سيدت كأشف: مصر في فجر الإسلام، ص 56 - 57.
(2) المقرزي: خطط، ج1، ص 9-10.
(3) حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام السياسي، ج2، ص 487.
(4) أسرة فارسية الأصل، تنسب إلى مادرايا أو مادريبا وهي خيرة من أعمال البصرة. وقد نزع بعض أفرادها إلى مصر في عهد الطولونيين، وأسندت إلهم الوظائف الرئيسية، وكان على ابن محمد المذرائي رعيهم المذرائيون في ولاية خمارويه ابن أحمد بن طولون، إذ اختار رمزرا له، وفي سنة 272 هـ استقدم عليه.
تاريخ الدولة الفاطمية

مصر والشام، وصاروا يقومون ببġابة الخراج في هذين الإقليمين، ويرسلون سنويًا إلى بيت المال في دار الخلافة - بعد النفقه على الجيش والإدارة وما تحتاجه البلاد من ضرائب الإصلاح - مبالغ تختلف بحسب السنين وتتراوح بين مليون وسبعمائة ألف دينار (١).

أما في عهد الأخشيدين فإن خراج مصر بلغ في أيام محمد بن طهيو ملتين من الدينار في السنة (١). ولا استثمار كافور في مصر بذل قصارى جهده لتنمية موارد دولته فبلغ خراج مصر في إحدى سنى حكمه ٢٧٠٠ دينار (٢). وما يجدر ذكره أنه في أواخر عهد الدولة الأخشيدية انخفض ماء النيل انخفاضاً استمر تسع سنوات (٢٧٠ - ٣٦٧هـ)، أدى إلى اشتداد الغلاء وانتشار المجاعات والأوسمة، كما تزداد عليه اضطراب الأعمال الحكومية (٣).

١ أحمد إل محمد ولده أبا بكر محمد وأبا الطب أحمد. وتولى كل منهما خراج مصر بين سنين ١٣٠١ - ١٣٠٧هـ. (سيدة كافر: مصر في عصر الأخشيدين ص ٣٧، ٣٩) وذكر في سنة سعد (صلاة تاريخ الطبري، تاريخ الأمم والملوك ج ١ ص ٣١، ٣٢) أن أبا بكر بن محمد بن المازني تمكن بسطة كبيرة في مصر، فقلع أعمالها فضلاً عن أعمال الشام وتدبير الجيش منذ قدم إليها سنة ١٣٠٠هـ ثم عين عاملًا على خراج مصر في جمادي الأولى سنة ١٣١٨هـ.

٢ بن السامسي: خلافة الأمراء في تاريخ الأزراء ص ٢٩. (القرئي: خلط ج ١ ص ٩٧)

٣ انظر (أبو صالح الأرناني) كشتو رؤية مصر، ص ٣٠، سيدة كافر: مصر في عصر الأخشيدين، ص ٣٤٣.

٤ انظر (المفريزي) إغالة الأمة، ص ١٢ - ١٣.
العلاقات السياسية بين مصر والخلافة في عهد الطولونيين وال(Maximum).

(1) الطولونيون والخلافة:

لما تقلّد باباكوك الشركى ولاية مصر من قبل الخليفة المعتمد، استخلف عليها أحمد بن طولون سنة 264 هـ. وقصر احتسابه على مدينة العسكر دون غيرها من البلاد. وكان ولاية مصر في ذلك العهد يقسمون أعمال هذه الولاية بين عدة أشخاص حتى لا يتطلع أحدهم إلى الاستقلال بما في يده 1. ومن ذلك نرى أن أحمد بن طولون لم يكن يتمتع بنفوذ كبير في ولاية مصر، بلواجه عدة صعوبات في سبيل تثبيت مركزه وخاصة منافسه أحمد بن المدبر عامل الخراج الذي أوقع به عند الخليفة العباسي. ثم تولى المعتمد وخلفه المهتدي، فأصدر ولاية مصر إلى يارياخ 2. صهر أحمد بن طولون، فكتب إليه «تسليم من نفسك لنفسك» واستخلفه على مصر كله، وبذلك زادت سلطة ابن طولون وأصبح وعليا على جميع الديار المصرية، وأتيحته للفرصة للتخلص من ابن المدبر عامل الخراج، فطلب صرفة من خراج مصر، فأجاب طلبه، وتقلّد خراج دمشق وفلسطين والأردن سنة 257 هـ. ولم يمض جزء قليل حتى تولى يارياخ صاحب إقطاع مصر سنة 259 هـ. فأصبح أحمد بن طولون وعليا على مصر من قبل الخليفة العباسي مباشرة. ثم قلده الخليفة المعتمد سنة 667 هـ خراج مصر وولاية الثورات الشامية، وبذلك صارت البلاد كله في قبضة يده لا يزال يرفع فيها أحد 3.

على أن أحمد بن طولون لم ينعم بالأستقرار في ولايته، فقد ناصبه العداء أبو أحمد الموفق طلحة آخر الخليفة العباسي المعتمد، ذلك أنه لم يستفحل خطر ثورة الزنج 4 في بعض بلاد العراق، ندب الخليفة أخاه لمحاربته، فلم ير الموفق

---

(1) تاريخ الإسلام السياسي: ج3، ص 220.
(2) اصدار وأدلة المبارك للمبارك.
(3) الstrcpy: خيات، ج1، ص 319.
(4) تزعم هذه الثورة رجل فارسي يسمى على بن محمد من أهل الطالقان ادعى أنه من ولد على زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ويرى بعض المؤرخين أنه دعي، وأن أصله عرب من عيد نيس.

(انظر: تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق للمؤلف، ص 116).
بداً - بعد أن انقطعت عنه موارد الولايات الشرقية وتقاعد الأهالي عن دفع الخراج الذي كانوا يؤديونه كل عام (1) - من الاتجاه إلى أحمد بن طولون ليدمه بما يساعد على القضاء على زعيم هذه الثورة الذي يعرف بصاحب الزنجبيل، فبعث إليه ابن طولون مليون وثلاثمائة ألف دينار. غير أن الموقف استقل هذا البلغ وبعث إليه بكتاب أظهر له فيه التفاؤل. فاستأهله ابن طولون، وكتب إليه يقول (2): 

وصل إلى كتاب الأمير - أيده الله تعالى وفهمته - وكان - أسعد الله له - حقيقياً بحسن التخريج لملة وتصيره إياب عمدها التي يعتمد عليها وسيمه الذي يصوته، وسانيه الذي يتقى الأعداء بهدته. واحتملت الكلفة العظام والمؤن التقال باستجداب كل موصوف بجمعه واستدعاء كل منعوت بمن. ومن كانت هذه سبيله في الوالة ومهنه في المناشحة فهو حري أن يعرف له حقه؛ فعولمت بضد ذلك من الطالبة بحمل ما أمر به الجفاء في الخطابية بغير حال توجب ذلك. وإنى لا أعرف السبب الذي يوجب الوحشة ويوقعها بيني وبين الأمير، ولا ثم معاملة توجب مشاجرة، أو تحدث منافرة؛ لأن العمل الذي أنا بسبيله لغيره والمكتبة في أموره إلى من سواه، ولا أنا من قبله، فإنه والامير جعفر المفوض قد اقتسما الأعمال، وصار لكل واحد منهم قسم، انفرد به دون صاحبه. والذي عاملني به الأمير من محاولة صرفه مرة وإسقاط رسمى أخرى. ناقض لشرقه مفسد لعهده، وقد التمس أولئكي وأكثروا الطلب في إسقاط اسمه وإزالة رسمه، فأثارت الإبقاء وإن لم يؤثره، واستعملت الآناء إذ لم تستعمل معنى. والأمير أيده الله - أولى من أعاني على ما أثره من لزوم عهده... وكيف الأذى المضر، ولا يضطمر إلى ما يعلم الله - عز وجل - كرهه له أن أجعل ما قد أعدته لحياطة الدولة من الغيار المتكاثفة والمساكر المضاعفة... مصروا إلى نقضها...، والأمير يعلم... أنه لا ناصر له إلا لفهم البصرة وأوياش عامتها، فكيف من يجد ركناً منعاً وناصرًا مطيعًا، وما مثل الأمير في أصالة رأيه يصرف مائة ألف عنان عدة له فيجعلها عليه بغير ما سبب يوجب ذلك... .

(1) الفقيري: خطط، ج2، ص288
(2) الفقيري: خطط، ج2، ص179.
كان لهذا الكتاب أثر سيء في نفسه المؤقت، فحاول النيل من أحمد بن طولون عزله عن مصر، لكنه فشل في محاولته، فعاد إلى عزله عن ولاية الفوج. فأصابه الخلافة إليه ما أراد - وهو مكره - غير أنه ما لبث أن عهد إلى ابن طولون بإدارتها على أمر اضطراب الأمور بها، ورأى ابن طولون أن الفرصة سانحة للنفوذ إلى بلد الشام حين جاءه الأخبار بوفاة واليها. فسار إليها بجيشه واستطاع الاستيلاء على كثير من مدنها، ثم دعي له على منابرها (264 - 278ه). لكنه اضطر إلى العودة إلى مصر للقضاء على ثورة ابنه العباس، ثم خرج ثانية إلى الشام في جمادي الأولى سنة 278ه بعد أن وصله نباً خروج لؤلؤ والروعة عليه. والصورة إلى الموقف فاستنفف عليه مصر ابنه خمارويه. وبينما هو في دمشق جاءه كتاب الخليفة العباسي يشتهي فيه برغته في المسير إليه والاحتفاء به، فرحب ابن طولون بقدومه وأنذل إليه كتاباً جاء فيه (1):

"فقد منعنا الطعام والشراب خوفك على أمير المؤمنين - أطال الله بقائه - من مكر يلحقه. وقد اجتمع عندنا مائة ألف عمان مسلحة قلوبهم، مجتمعة آراءهم، شديد بأسهم، وأنا أرى ليسدأ أمير المؤمنين - آدم الله عزه بالنصر والتمكين - الانتحاب إلى مصر، فإن أمره يرجع بعد الاشتباك إلى نهاية العز، ولا يكين فيه ما يخفف منه كل حظة منه عليه. لكن الموقف ما لبث أن علم بما عزم عليه الخليفة المعتمد؛ فأرسل إلى ابن كنداج عامل الوصل والجزيرة بأمره برد الخليفة، فأعاده إلى سامراً (2)."

تطور الخلاف بين الموقع وابن طولون إلى عداء شديد بينهما، فأرسل ابن طولون إلى أهله مصر كتابًا تتضمن أن ابن أحمد الموقع طلحة نكت يبيع أخمه المعتمد وحجر عليه (3)، كما بث إلى عامله على دمشق كتابًا أمره فيه بأن يدعو القضاة والفقهاء والأشراف إلى مجلسه ويقرأ عليهم كتابه الذي أعلن فيه خلع الموقع من ولاية العهد لخلافته المعتمد وحرصه إياه (4)، وطلب منهم لعن الموقع.

(1) ابن التالى: كتاب سيرة أحمد بن طولون ص 196 - 197.
(2) الكاتب: كتاب الحملة والقضاء ص 224 - 225.
(3) الكاتب: كتاب الحملة والقضاء ص 226.
(4) البلوى: سيرة أحمد بن طولون ص 296.

Stanley Lane-Poole, A History of Egypt in the Middle Ages, pp. 68-69.
على منابر دمشق. ولما بلغ الموقف ما قام به ابن طولون من خلعه من ولاية السعهد وحذف اسمه من الخريطة ولعنه على المنابر، طلب من الخليفة المعتمد أن يأمر بلعنه على منابر ولايات الدولة العباسية، فجابه على كره منه، وولى ابن كنداج على ما كان يليه من البلاد.(1)

كان من أثر الدعابة السديدة التي قام بها الموقف ضد ابن طولون ولعنه على المنابر أن ضعف نفوذه في البلاد التي خضعت لسلطته، فحالت الهزيمة بجيشه في مكة(2)، كما عجز عن إخضاع أهالي طرسوس لسلطته(3)، وأخذت الهزائم تتوالي عليه، ثم أصبح مرض أودى بحياة في ذي القعدة سنة 270 هـ.

اجتمع الجند بعد وفاة أحمد بن طولون وولا مكانه ابن خمارويه ووافق الخليفة العباسي المعتمد على تعيين الوالي الجديد. غير أن سلطة الطولونيين في ولاية مصر لم تكن موزودة في ذلك الوقت، فأصبح لزاماً على خمارويه أن يتغلب على الصعاب التي تعرض له. وكان أبو أحمد الموفق طلحة أخو الخليفة المستمذ لايزال على سياسته في عهده للطولونيين، فلم يعرف بواليد خمارويه على مصر بحجة أنه لم يأخذ تفوضية شرعية من الخليفة بهذه الولاية على حين أخذ إسحق ابن كنداج عامل الوصول والجزيرة تفوضياً بحكمها من الخليفة قبل وفاة أحمد بن طولون، ومن ثم اتفق مع ابن كنداج وحلبه محمد بن أبي الساج وإبراهيمية على أن يرسلوا بعض القوات إلى الشام، كما أنتقد الموفق قوة أخرى بقيادة ابن أبي العباسي.

ولما علم خمارويه بسير هذه القوات إلى الشام، أنتقد جيشاً إليها بقيادة كاتب أبي أبي عبد الله أحمد بن محمد الواسطي وعززه بأسطول قوى من البحر(4). لكن قوات الموفق وانصاره أوقفت الهزيمة بالواسطي وتزكفت من الاستيلاء على دمشق، فلم يرب خمارويه بدأ من السير بنفسه إلى الشام سنة 271 هـ على رأس جيش كبير واشتباك في معركة على مقرية من الرجلة مع قوات الموفق انتهت

(1) تاريخ الدولة الفاطمية، ج2، ص 277.
(2) الطبري: تاريخ الأمم والمملوك، ج 8، ص 91.
(3) الكهك: كتاب الأواخر والفتوحات، ج8، الطبري: ج 10، ص 2.
(4) المقرزي: خطط ج1، ص 221.
الأخلاق الداخلية في مصر قبل أن يستقر فيها سلطان الفاطميين

بهزيمته وعودته إلى مصر (1). لكن فلول جيشه سرعان ما باختوا الجند العباسي
أثناء انشغالهم في جمع الأسلوب والغنائم وقضا عليهم قضاء تاما. وعندما
وصل إلى خماروئيه نبا هذا الانتصار تجددت في نفسه روح الأمل، فعاد إلى الشام
واستولى على مدينة دمشق في أوائل سنة 276 هـ. ثم وصل السير لملاحية ابن
كنداج إلى الموصل؛ فأوقع بجيشه الهزيمة واضطر إلى التقهقر حتى سامر (2).

وكان من أثر هذا النصر الذي أحرزه خماروئيه أن عقد الصلح بينه وبين
الموفق، وارسل إليه تفويض موقعه من الخليفة المعتمد وأخيه الموقع وابنه
المفوض، يتضمن توليتاه وأبنائه من بعد حكم مصر والشام والثغور الشامية الثلاثين
سنة (3).

على أن نفوذ خماروئيه ما لبث أن امتد إلى بعض البلاد الدولة العباسية،
فاستولى على الرقة (4)، واعترف بولايته على الموصل والجزيرة، كما قضى على
حركة ابن أبي الساحج - والئ أرمينية - الذي خرج عليه وحاول غزو الشام، فالتقت
به على مقرية من دمشق وهزمه، ثم أخذ يطارد جيشه حتى مدينة بلاد (5).
هناك أقام سيريا من الذهب جلس عليه إشارة إلى انتصاره (1).

أما عن حالة الخلافة في ذلك الوقت، فإن الخليفة المعتمد كان مسلوب
السلطة مع أخيه أبي أحمد الموفق طحنة. ولما توفي بابع كبار القواد ابنه أبا العباس
بولاية العهد ولقبه المعتمد، فتحولت إلى سلطة أبيه، وصار على سياسته في
إضعاف نفوذ الخليفة المعتمد، ولم يثبت أن خلفه بعد وفاته (6). واستطاع خماروئيه
أن يتقرب إليه بهداه، فأقره على ولاية البلاد المنتمدة بين الفرات وبرقة ثلاثين

Stanley Lane-Poole, A History of Egypt in the Middle Ages, p. 73.

(1) أبو الحسن: النجوم الزاهرة، ج 2، ص 50.
(2) المصري: خطط، ج 1، ص 221.
(3) الكنيدي: كتاب الولاية والقضاء، ص 235 – 238.
(4) تقع على نهر الفرات.
(5) تقع على نهر دجلة.
(6) انظر الكنيدي: كتاب الولاية والقضاء، ص 229.
(7) انظر: الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج 8، ص 123.
سنة، وجعلها لأولاده من بعده، وقدم رسول الخليفة على خمروه يحمل إليه اثنين عشرة خلعة وسيفًا ونتاجًا ووشاحًا. كان من أثر سياسة حسن التفاهم بين خمروه والخليفة المتضاد، أن عرض خمروه زواج ابنه أسماء التي تلقب بقطر الندى من ابن هذا الخليفة، لكنه اختيرها زوجة له.
وعلى الرغم من أن هذه المصاهرة أدت إلى توسيع العلاقات بين خمروه والخليفة العباسي، فإن ما اقترح بها من إسرايف في النفقات كان له أثر سيئ في بيت المال في مصر مما حمل بعض المؤرخين على القول بأن المتضاد كان يرمي من وراء زواجه بقطر الندى إلى نفاد خزانة مصر. بذلك يضعف شأنها ويسهل على العباسيين استعادة سلطانهم عليها.
توفي خمروه سنة 282 هـ بدمشق وتعاقب على ولاية مصر من بعده ثلاثة من آل طولون، تجلب في عهدهم انتشار الفوضى وتنازع السلطة بين المنافسين على الحكم من أفراد البيت الطولوني، وانتصار الجند لفريق دون فريق مما سهل على الخليفة العباسي المكتفى العمل على إعادة مصر إلى سلطان الخليفة. فعهد إلى محمد بن سليمان الكاتب باستدراكها من هارون بن خمروه فسار إليها على رأس أسطول بحري، والتقى الأسطولان العباسي والمصرى في نيبس، فحدث الهزيمة.

(1) أبو المحسن: النجوم الزاهرة، جدّ 3، ص 78.
(2) سرخ خمروه في تمهير ابته حتى قبل أن لم يبق ثمة من كل لون إلا حملها معها (المريزى: خطط جد 3، ص 291).
(3) ذكر أبو المحسن: النجوم الزاهرة، جدّ 3، ص 5.
(4) أن المتضاد أراد (برزواج قطر الندى) أن يفقه أباها خمروه في جهارها، وكذلك وقع. كاتب هذه المقالة تقع على جزيرة في مجموع النزلة، ولم تزل عامرة إلى سنة 177 م (انظر حاشية رقم 4 ص 132 تارخ الحضارة الإسلامية للمؤلف).
بأسطول مصر، ووقعت تنسي ودميقات في يد محمد بن سليمان الكاتب(1). واعضت هارون بن خمارويه إلى الهرب فقصد العباسي(2) حيث قتل عم شباب عدي ثم خلّفة في ولاية مصر أحدهما وهو شيبان بن أحمد بن طولون، غير أن الأمور لم تستمر له فثار عليه الجنود ولم يعترفوا بولايته، وبعثوا إلى محمد بن سليمان الكاتب يطلبون منه المسير إلى مصر، فقدم إلى الفسطاط ودعى لأسير المؤمنين المكتفي بالله وجدته بعد أن كان يدعى به للأمير الطولوني(3). ثم دخل مدينة القطائع وألقى فيها النيران، فالتهمت القصر والبيتان والدور والأسواق، ولم يبق فيها إلا الجامع، وعاش جندها نوها وفاصلا في الفسطاط، وأخرج محمد بن سليمان آل طولون وأعوانهم مكبلين في الحديدي إلى بغداد في رجب سنة 292 هـ حتى لم يبق بمصر منهم أحد(4). وبذلك قضى على الدولة الطولونية بعد أن حكمت مصر مدة ثمان وثلاثين سنة.

(ب) عودة مصر إلى الخلافة العباسي:

عادت مصر إلى سلطان العباسيين بعد أن قضى محمد بن سليمان الكاتب على حكم الطولونيين في مصر، وأسند الخلافة العباسي المكتفي ولايتها إلى عيسى ابن محمد النشرى فقدم إليها في جمادى الآخرة سنة 292 هـ. وفي أيامه ثار محمد بن على الخلنجي(5) أحد قواد الطولونيين - وكان من بين الذين خرجوا من مصر مع محمد بن سليمان الكاتب، ثم انصرف عنه بعد وصوله إلى حلب والتف حوله فريق من الجنود الذين كانوا في خدمة الطولونيين وبايعوه، واتفقت كلمتهم على إحياء الدولة الطولونية، ومضى الجميع في سيرهم إلى مدينة الرملة، فهزموا وليها وأمر ابن الخلنجي بإقامة الدعوة على متابهم للخلافة العباسي، ومن بعده لابراهيم بن خمارويه.

(1) تاريخ الإسلام البياسي، ج1، ص 324.

(2) بلدة صغيرة، تقع إلى الشمال الشرقي من مدينة بليس، سُميت بذلك نسبة إلى العباسي بنت أحمد بن طولون (انظر: باقر: معجم البلدان).

(3) الكدّي: الولاية والقضاء، ص 246-247.

(4) أبو الحسن: النجم الزاهي، ج2، ص 124، ص 137-138.

(5) أبو الحسن: النجم الزاهي، ج3، ص 145-146.
ولا علم عيسى التوشرى والى مصر بخروج ابن الخلنجي، جهز جيشاً لملاقاته، فلحقت به الهزيمة عند غزة، واضطر إلى التقهر بقاته حتى وصل الفسطاط، ثم عبر النيل إلى الجزيرة، ومهد بذلك سبيل لدخول ابن الخلنجي الفسطاط بدون مقاومة في 22 ذي القعدة سنة 292 هـ، فرحب به أهل هذه المدينة ودعى له في الخطة بعد الخليفة العباسي، وإبراهيم بن خمروش(1).

وجه ابن الخلنجي اهتمامه بعد دخوله الفسطاط إلى ضبط الأمور في البلاد والقضاء على الفوضى، كما عنى بدفع رواتب الموظفين والجند، ولم يكتف بما أحرزه من نصر في حاضرة البلاد المصرية، بل أخذ قوة بحرية أخرى بحرية إلى الإسكندرية، ولم يلبث أن تمكن من الاستيلاء عليها.

ظل ابن الخلنجي يقلق بالخلافة العباسية ما يقرب من ثمانية أشهر حتى أرسل إلى الخليفة المكتفي عدة جيوش، ومنه الأمر أخيراً بهزيمته بعد أن انضم أربعة آلاف من جنده إلى الجيش الذي أرسله الخليفة بقيادة فاطك المعتضدي، واضطر ابن الخلنجي إلى العودة إلى الفسطاط، وهناك قبض عليه في رجب سنة 293 هـ، وأرسل إلى بغداد حيث عنقه الخليفة وطيف به وبصاحبه على ظهر الإبل، ثم قتل(2).

آلت ولاية مصر بعد وفاة عيسى التوشرى في أواخر شعبان سنة 297 هـ إلى أخى منصور تكين الذي عينه الخليفة المتقدم؛ وفي عهده شرع الفاطميين يوجهون حملاتهم إلى مصر، لكنهم لم يتمكنوا من الاستيلاء عليها، بل حملتهم بهم الهزيمة واضطروا إلى العودة إلى المغرب.

وعلى الرغم من انتصار تكين على الجيش الفاطمي فإن القائد مؤسس الخادم الذي أنفذه الخليفة العباسي على رأس جيش من العراق لصد الفاطميين عن مصر عزل عن ولايته وأمر به بالرحيل عنها في ذي الحجة سنة 302 هـ، وكتب إلى الخليفة

(1) أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، ج2، ص148.
(2) سيدتا كاشف: مصر في عهد العباسيين، ص21، ص22.
(3) أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، ج2، ص152.
(4) المفرز: خطط، ج1، ص372.
العباسي بذلك (1). وظل مؤسس الخادم يتولى أمور مصر حتى أسند الخليفة المقتدر ولايته إلى ذكا الرومي في أواخر سنة 302 هـ، فوجه اهتمامه إلى وضع حد للأعمال التي قام بها أنصار الفاطميين في مصر، فقبض على كل من اتهم منهم بمراسلتهم، كما مثل بعضهم، فقطع أيدهم وأرجلهم (2). كذلك عن ذكا بتحصين مدينة الإسكندرية ودفاع عنها، فولى عليها ابنه مظفر، وصار يرسل إليها القواد خشية أن يعود الفاطميون غزوه. ولم يزل هذا الوالي يواصل جهوده في حشد الجنود لصد الحملات الفاطمية حتى توفي في ربيع الآخر سنة 370 هـ (3).

كانت الحالة الداخلية في مصر وقتذاك بسودة الاضطراب، فقد قاسي أهلها كثيرا من عبث الجنود الذين أوفدهم الخليفة العباسى لصد الفاطميين، كما ساءت الحالة المالية بسبب ما استنفده هؤلاء الجنود من نفقات؛ وفضلًا عن ذلك فإن السياسة التي اتبعت في تعين الولاة وعزل بعضهم مارأها أدت إلى عدم استقرار الأمور في البلاد؛ فعزل القائد العباسى مؤسس الخادم تكين عن ولاية مصر في ربيع الأول سنة 309 هـ، ورغم محبة أهل مصر له وتقديرهم لأعماله، وخلقه بعض ولاية ضعاف، ثار في أيامهم فريق من الجنود، واضطراب الأمن في البلاد، وعجزت الحكومة المركزية في بغداد عن إخضاع هؤلاء الثوار. واضطر الخليفة المقتدر إلى إعادة تكين وعليا على مصر سنة 312 هـ (4)، فوجه اهتمامه إلى القضاء على عوامل الاضطراب في هذه البلاد. وقد تكثفت جهوده بالنجاح؛ إذ أضعف من شوكة الجنود الثائرين ثم أخرجهم من مصر وتبص له بذلك إعادة الاستقرار والأمن إلى البلاد، وظل تكين وعليا على مصر، حتى توفي الخليفة المقتدر سنة 332 هـ، وخلفه أخوه القاهر بالله، فأمره على ولايته وبعث إليه بالخلع (5).

(1) أبو المحاسن: التوجز الزاهرة، ج 3 ص 172.
(4) الكندى: الولاة والقضاء ص 374، كتاب الفاطميين في مصر، ص 82.
(2) أبو المحاسن: التوجز الزاهرة، ج 3 ص 191.
(3) أبو المحاسن: التوجز الزاهرة ج 3 ص 201 ـ 207.
(4) أبو المحاسن: التوجز الزاهرة ج 3 ص 211، ص 272.
(5) أبو المحاسن: التوجز الزاهرة ج 3 ص 211، ص 35.
لم تنعم البلاد المصرية بهدوء والاستقرار بعد وفاة تكين سنة 321 هـ، بسبب النزاع والتنافس على حكمها؛ فولى ابنه محمد ولاية هذه البلاد دون أن يمنحه الخليفة تقليداً بذلك، ونافسه في تدير أمورها أبو بكر محمد بن على الماذري، ولم يلبث أن أرغمه على الخروج إلى الشام. وكتب ابن تكين إلى الخليفة يطلب توليه على مصر، فأجابه إلى طله، وعهد إلى الماذري بتدير أمور البلاد المالحة. غير أن الماذري لم يعترف بولاية ابن تكين ومنه من دخول البلاد.

وظل منصب الولاية شاغراً إلى أن ورد كتاب الخليفة العباسي القاهر بتولية محمد ابن طنح في شعبان سنة 321 هـ، وكان وقتئذ في دمشق، فصار يذكر اسمه بالخليفة على منابر مصر نحو اثنين وثلاثين يوماً، ثم قلد الخليفة القاهر العباسي ولاية مصر لأحمد بن كيبلغ (1) للمرة الثانية في شوال سنة 321 هـ.

اردات الحالة سوءاً في مصر بعد وفاة أحمد بن كيبلغ والياً عليها، فقد ثار الجند على أبي بكر محمد بن على الماذري مطالبين برواتبهم، كما قامت فتنة ومعارك بين طوائف الجند، وقدم محمد بن تكين من فلسطين في ربيع الأول سنة 322 هـ، وأعلن أن الخليفة العباسي الراغب بالله ولاه مصر، فأدى ذلك إلى نشوب القتال بينه وبين ابن كيبلغ، وانتهى الأمر بهزيمته. غير أن هذا النصر الذي أحرزه ابن كيبلغ لم يترتب عليه توطيد سلطته، فما لبث الخليفة العباسي أن قلد محمد بن طنح ولاية مصر للمرة الثالثة سنة 323 هـ، لبلائه في صد الجيش الفاطمي عن البلاد المصرية.

وكتب محمد بن طنح إلى أحمد بن كيبلغ كتاباً جاء فيه:

"هذا كتاب الرأيي بتقليدي، فإن سلمت ولا أنصرفت بعد أن أخذ خطتك وأشهد عليك بمنك إذا، وأسبر إلى حضرة السلطان. فرأى ابن كيبلغ أن يسلم مقاليد الأمر في مصر لابن طنح بعد أن أيقن من ضعف سلطته وعجزه عن ضبط أمورها."(5)

---

(1) الكندي: الولادة والقضية ص 281 - 282.
(2) ولاه الخليفة المتقدر إمرة مصر للمرة الأولى في ربيع الآخر سنة 321 هـ. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج 2 ص 152).
(3) المقرئي: خطط، ج 2 ص 278.
(4) ابن سعيد: المغرب في إلى الغرب ص 16.
(5) المقرئي: خطط، ج 2 ص 249، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج 2 ص 244.
(ج) الإخشيديون والخلافة:

كانت العلاقة بين الخليفة الرازي وابن محمد بن طغج تنطوي في بادئ الأمر على الصداقة والود، فقد منحت لقب إخشيدي سنة 327هـ، ثم لم تثبت أن تبادل صلة المودة بينهما حين بلغه ارتداد فدوحة محمد بن رائق المنذر أمير الأمراء ببغداد وأطامعه في ولاية الشام، فكتب إلى نائبه ببغداد يطلب إليه أن يخبر الخليفة بما وصله عن موقف ابن رائق منه وطموحه إلى مد نفوذه إلى الشام(1)؛ غير أن الخليفة لم يكن وقتذاك لديه من النفوذ بحيث يستطيع أن يتخذ قرارا يلزم أحد الفريقين باتباعه، ولذلك استقر رأي محمد الإخشيدي على إعداد العدة للمرجورة ابن رائق؛ فخرج على رأس جيشه في أوائل سنة 327هـ، ودارت بين الفريقين معركة في العريش حلت فيها الهزيمة بابن رائق، فمضى منهما إلى الرملة، ثم تداعبا إلى الصلح، واتفقا على أن تكون طبرية وما في شمالها من البلاد لابن رائق(2).

على أن ابن رائق لم يلتزم أن تقبل هذا الصلح، وسار بجيشه من دمشق في شعبان سنة 328هـ، وقصد الرملة في طريقه إلى مصر. فكتب إليه الإخشيدي رغبة في أن يصل معه إلى اتفاق ينهي الحرب بينهما، لكن محاولته السلمية باءت بالفشل، وعاد القتال بينهما سببه الأولى؛ فهزم جيش الإخشيدي في بداية الأمر عند العريش، ثم انسحب ابن رائق إلى دمشق، وأرسل الإخشيدي جيشا لطارده، لكنه لم يتمكن من التغلب عليه، وانتهى التنازع بينهما رغم ذلك بعقد الصلح، على أن يحكم ابن رائق الولايات الشمالية شمالي الرملة وعلى أن يدفع الإخشيدي إليه جزية سنوية قدرها مائة وأربعون ألف دينار(3). ومن المحتمل أن الإخشيدي اضطر إلى قبول هذا الصلح، خشية أن توجه الخلافة العباسية الحملات ضده، ورغبة في التفرغ لمواجهة الغزوة الفاطمية الذي كان يهدده من ناحية حدوت مصر الغربية(4).

---

(1) ابن سعيد: المغرب في حلب المغربي ص 26، كتاب 1 النفوذ الفاطمي في الشام للمؤلف ص 10.
(2) سمية كاشف: مصر في عصر الإخشيديين ص 82 - 83.
(3) الكندى: الدولة والقضاية ص 289، أبو المحسن: النجوم الزاهرة ج 2 ص 252 - 253.
(4) أنظر: النفوذ الفاطمي في بلاد الشام للمؤلف ص 11.
استطاع الإخضيد أن يعيد بلاد الشام إلى حوزته من غير حرب بعد وفاة ابن راقي سنة 330 هـ، وبذلك استقر حكمه في هذه البلاد، ولم يلبث أن أصبح من القوة بحيث اضطر الخليفة المتقى إلى الاستنجاد به بعد أن ساءت علاقاته بتورون التركي، فجاء الإخضيد وهو بالرقة(1)، وقال له: "يا أمير المؤمنين أنا عبد وابن عبدك، وقد عرفت الأتراك وفجورهم وغدرهم، فللهم الله في نفسي، سر معي إلى مصر، فهناك وثومن على نفسك، فأبلى الخليفة قبل دعوته - وكان قد سمع إلى مصاحبة توزون - ورحل من الرقة قاصدا بغداد في المحرم سنة 333 هـ. وقد سر الخليفة المتقى من إخلاص الإخضيد له، فقلده ولاية مصر وجعل له حق توريث إماراتها لأبناءه من بعده، مدة ثلاثين سنة، كما حصل الإخضيد على تقليد من الخليفة المتقى في جمادى الآخرة من هذه السنة، أقره فيه في ولاية مصر والشام. وقام الإخضيد بالدعاء له على المذاب في أنحاء ولايته(2)."

ظلت العلاقة بين مصر والخلافة يسودها الوفاق؛ فتأثر المطيع الذي خلف المستكفي سنة 334 هـ الإخضيد على ولايته. وكانت سلطة الإخضيد وقتذاك قد اتسعت، فاستقر له الحكم في مصر والشام، وقلده الخليفة ولاية الحرمين(3) واليمن. فيروي ابن سعد(4) أن محمد بن طنج دعا رأته همته تعلو وسعادته تعينه إلى أن ملك مصر والشام والغور وخطبه بالحجاز واليمن.

ولما توفى الإخضيد بدمشق في أواخر سنة 334 هـ خلفه بعيد منه ابنه أبو القاسم أنتجور - وكان لا يتجاوز الخامسة عشرة من عمره، فقام بتذبير أمره كافور الإخضيد الذي أخذ يطرق في بلاط الإخضيد حتى أصبح مربى لأولاده وقائداً من قواده، ثم ألّته الوصاية على ابنه أنتجور وأبي الحسن على(5). وقد توطدت سلطة أبي القاسم أنتجور بعد أن وصله كتاب الخليفة المطيع لله يقره على ولاية

(1) ابن خلدون: المردوبون المبتدا والخبر، ج1 ص 418.
(2) الكندى: الولاة والقادة ص 292.
(3) كان الخليفة الراقي قد أسلم ولاية مكة والمدينة إلى محمد بن طنج الإخضيد، وأيذ ذلك أخوه المتقى من بعد، فقسم إليه الحجاز، وصارت تقام له الخليفة مع الخليفة الباسلي على منابر مكة والمدينة.
(4) المقرب في حل الحلم، ص 44.
(5) أبو محمد: النجوم الزاهرة، ج2 ص 291.
الأخلاقيات الداخلية في مصر قبل أن يستقر فيها سلطان الفاطميين

بمصر والشام وما كان لأبيه من الولاية، ولما استأثر مع الدولة بن بويه بالسلطة في بغداد دون الخليفة العباسي، بعث إليه أنجور سنة 328 هـ يطلب منه المواجهة على أن يشترك معه أخوهم في إمرة مصر ويخلفه بعد وفاته: فجابه إلى طلبه.

أصبح كافور منذ ولي الوصاية على أبي القاسم أنجور صاحب السلطان المطلق في إدارة الدولة الإخضيدية. وبلغ من ارتباط نفوذه أنه حدد لأبى القاسم رابعا سنويا قدره أربعمائة ألف دينار، كما لم ينتبه له أي فرد لإظهار مدى كفائه للحكم، بل اتفق بتبدير أمور الدولة مع أوعيته، وصار يدعى له على المتاجر منذ سنة 420 هـ.

ولما توفى أبي القاسم أنجور في ذي القعدة سنة 429 هـ، خلفه أخوه أبو الحسن على بن الإخضيد، وأقره الخليفة المطيع على ولاية مصر والشام والهرم، وعلى الرغم من أن الأمير الجديد قد ناهز الثالثة والعشرين من عمره، فإن كافور ظل بياشر بنفسه أمور الدولة، وحال بينه وبين القيام بأي عمل يصل بشنوء الحكم، بل منهع من الاجتماع بالناس، وحدد له أربعمائة ألف دينار في كل سنة نسوة باختيا (6).

وأستمر الحال على ذلك حتى توفي الأمير أبو الحسن على بن الإخضيد سنة 550 هـ، وكان الوارث له ولدا صغيرا في السابعة من عمره يدعى أحمد; اعتزز كافور على توليه محتجبا بصغر سنه. وثبتت مصر عدة أيام بغير وال حتى ورد كتاب من الخليفة العباسي في المحرم من هذه السنة يطلب كافور ولاية مصر وما بليها من البلاد; فدفعه له على المتاجر، ومع ذلك فقد احتفظ كافور بلقبه (الاستاذ) لم يلبق بالأمير (1) يقول ابن خلكان (6) إنهما أشير على كافور بإقامة الدعوة لولد أبي الحسن على بن الإخضيد احتيج بصغر سنه، وركب بالطراد وأظهر خلصا جاءهم من العراق، وكانما بتكنيته، وركب بالحج جمعة الشير اللاذناء، لعشر خلون من صفر سنة حسنين وخمسين وثلاثمائة.

_____________________________________________________

(1) أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، جد، ص 291.
(2) أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، جد، ص 298.
(3) المقرزي: خطط جد ص 329.
(4) المقرزي: خطط، جد، ص 27.
(5) المقرزي: خطط، جد، ص 27.
(6) وفيات الأعيان جد ص 547.
لم يكن كافور من أفراد البيت الأخشيدى، ومع ذلك فقد أساند إليه الخليفة العباسي ولاية مصر لآن مقاليد الأمر في البلاد كانت بيده منذ وفاة محمد بن طغج الإخشيد، فلما توفي على بن الإخشيد، استقل بحكم مصر؛ غير أنه لم يستمر طويلة في حكمها، فقد توفي في جمادى الأولى سنة 37(1) واجتمع كبار القواد ورجال الدولة، وأسندا الولاية لأبي الفوارس أحمد بن علي بن الإخشيد - وكان في الخادمة عشرة من عمره - ودعى له على منابر مصر والشام والحرم، ثم من بعده للحسن بن عبد الله بن طغج الإخشيد على اعتبار أنه سيخلقه(2). ولم يثبت الحسن أن قدم إلى مصر منزهما من القرامطة؛ وظل يتولى تدبير أمورها نحو ثلاثة أشهر(3)، وأساء خلالها معاملة الأهلين؛ ثم اضطر أخيرا إلى العودة إلى الشام بعد أن تم جزؤه الصقول قائد الخليفة المعذب، إذن الله الفاطمی فتح مصر في شهر شعبان سنة 1258هـ(4).

(1) ابن حلكان: وفيات الأعيان ج1، ص 547.
(2) الفرخزي: خطط ج1، ص 130، أبو الحسنز: النجوم الزاهرة، ج2، ص 9.
(3) كتاب مصر في عصر الإخشيديين، ص 290.
(4) الفرخزي: خطط ج1، ص 320.
الباب الثالث

السياحة الفاطمية في مصر

1 - امتداد سلطان الفاطميين إلى مصر.
2 - اتخاذ مصر مقراً للخلافة الفاطمية.
السيادة الفاطمية في مصر

1 - امتداد سلطان الفاطميين إلى مصر:

رأي الفاطميين بعد أن امتد نفوذهم في بلاد المغرب أن هذه البلاد لا تصلح لتكون مركزاً لدولتهم، ففضلًا عن ضعف مواردها كان يسودها الاضطراب من حين لآخر. لذلك اتجهت أنظارهم إلى مصر لوفرة ثروتها وقربها من بلاد المشرق.

الأمر الذي يجعلها صالحة لإقامة دولة مستقلة تنافس العباسيين.

كان عبيد الله المهدى يطمغ في أن يتخذ مصر قاعدة يوجه منها حملاته إلى بغداد للقضاء على الخلافة العباسية المدانية، لذلك وجب نشاطه على أثر تأسيس خلافته بالمغرب إلى وضع الخطط لغزو مصر، فأسد في سنة 380 هـ (913 م) جيشاً من المغارة تحت إمرة ابنه وولي عهده أبي القاسم وقائده حساسة بن يوسف، واستولى هذا الجيش على برقة في طريقه إلى مصر؛ ثم وصل السير حتى استولى على الإسكندرية وتوغل في الره발 البحرى. وانفرد الخليفة المقتدر العباسي مؤسناً الحادم لدفع المغرين، واشتباك الفرسان في معركة ببلدة مشتول على مقربة من الجيزة، وانهزم حساسة وعاد إلى بلاد المغرب حيث قتله الخليفة عبيد الله المهدى على أثر رجوعه.

وقد كشفت هذه الحملة - رغم ما أصابها من فشل - عن ميل كثير من المصريين إلى الدعوة الفاطمية بفضل دعاة الإسماعيلية كأبي الوعلي الذي بذل مجهوداً كبيراً في دعوة أهالي مصر إلى الدخول في الذهب الإسماعيلي، وقام بمسيرة الدور الذي قام به أبو عبد الله الشيعي في بلاد المغرب.

رأى عبيد الله المهدى أن يعود الكثرة لغزو مصر؛ فأخذ في إعداد جيش لفتحها، وأوقف أبا القاسم على رأس هذا الجيش في أواخر سنة 380 هـ، فاستولى على الإسكندرية سنة 383 هـ (1919 م) دون عنا، ثم سار إلى الجيزة، وأخذ الفاطميين يتوغلون في بلاد الوجه القبلي حتى تمكنوا من الاستيلاء على الأشمونين والفيوم.

(1) عريب بن سعد: صلة تاريخ الطبري، ص 53.
على أن الخليفة المقتدر العباسي ما لبث - بعد أن بلغه نجاح الفاطميين في الزحف على مصر - أن أرسل قائده، موسى الخادم على رأس جيش إلى تلك البلاد، فانتصر على الفاطميين واستولى على سفينتهم وأحرقها (1) وذلك حلت الهزيمة بالحملة الفاطمية، وكان من أهم عوامل إخفاقها أن الخطة التي وضعها المهدي لغزو مصر لم تنفذ بدقة، ذلك أن أبا طاهر الجنابي أمير القرامطة ببلاد البحرين لم يتقدم بهجشه إلى مصر ليعاون جيش الفاطميين.

ولما اضطررت أحوال الخلافة العباسية بغزارة بعد وفاة الخليفة المقتدر وانقسم القادة الأتراك على أنفسهم؛ اتخذ عبيد الله المهدي من ذلك فرصة سانحة لمعاودة فتح مصر، فاتفقت مع أبي طاهر الجنابي على إثارة الاضطراب في بلاد المشرق في الوقت الذي تزحف فيه جيوشه إلى مصر، وأرسل حملة إلى تلك البلاد سنة 137 هـ (943 م) تحت قيادة حبيبي بن أحمد الغربيي: فحدثت مناورات بين جنود الفاطميين والمصريين، ثم عقدت هدنة في صفر سنة 137 هـ بين الطرفين المتحاربين، غير أن هذه الهدنة لم يطل أمدها، فنشبت عدة وقائع بين الغازبة والمصريين في بعض المدن كالجبيل، ونبيلاء، ثم أوقع محمد بن طفج (الخشد) الهزيمة بالفاطميين في جمادي الأولى سنة 137 هـ (944 م)، فاضطررا إلى العودة إلى بلاد المغرب، وقبل ذلك بشهرين توفى الخليفة عبيد الله المهدي مؤسس الدولة الفاطمية وأخو ابنه أبو القاسم موعته ولم يعلنه للناس إلا بعد سنة حيث استقرت أمره في المغرب وتحقق بالقائم.

تابع أبو القاسم سياسة أبي المهدي في غزو مصر، فأرسل إليها جيوشه في أواخر سنة 137 هـ، فوصلت الإسكندرية في أوائل سنة 1374، وانضم إليها بعض زعماء المصريين، مما يدلنا على مدى تأثير الدعابة الفاطمية في تلك البلاد، فأنذن إليهم الإخشد قوة كبيرة، استطاعت أن تهزم جند الفاطميين الذين ما لبثوا أن ارغموا على العودة إلى إفريقية (2).

لم تنبت تلك الهزائم التي شلقت الفاطميين من عزمهم على بذل جهودهم لبسط سيادتهم على مصر، فلما الخليفة القائم إلى المفاوضات لعده بيلغ بها ما لم

---

(1) الدكتورفي: تعام الحفنا، ص. 104.
(2) الدكتورفي: الولاية والقضاء، ص. 286، 287.
السياحة الفاطمية في مصر

تبغب الحملات السابقة، وأنقذ إلى محمد الإخشيدي رضه، ومعه كتاب يطلب فيه صداقة إثارة للمسالة. وكان يا ورد في هذا الكتاب (1) فأوجز أن تقود صحة عزيمتك وحسن رأيك إلى ما أدعوك إليه، فقد شهد الله على ميلي إليك وإثارى لك ورغبي في مشاطرك ما حته يعنى واحترى عليه ملكي، وليس يتوجه لك العذر في الخلاف عن إجابتي، لأنك قد استفرغت مجهودك في مناصحة قوم لا يردون إحسانك ولا يشكون إخلالك، يخلقون وعده ويخفرون ذمتك، لم يعتقد فيهم أحد حسن الكفاية ولا جليل المجازاة. وليس ينبغي لك أن تعديل عن منهج من صحك وإثار من أرك، إلى من يجهل موضعك ورضع حسن سعيك، وأننا أعلم أن طول العادة في طاعته قد كره إليك العدول عنهم فإن لم تجد من نفسك متعمة على اتباع الحق وزور الصدق، فإني أرضى منك المودة والأمر والطاعة حتي تقيمي مقام رئيس من أهلك ...4.

على أن الإخشيدي رأى أن تناح له فرصة التفكير في الأمر، لم يسلم رسول الخليفة الفاطمي رضه هذا الكتاب، بل (إحتج إليه بأنه لا يقرأ ولا يكتب، ولا يجوز له أن يبيع بما في نفسه إلى كتاب). ثم قال: «أنا أقدر الجواب، وأجيب عنه وسكل مع من أثق به، وأرسل من حسن المواقة ما لم يكن غير يسلكه».

ولا شك أن الإخشيدي لم تخف عليه مطام الخلافة الفاطمية التي تنطوي على دعوته للدخول في طاعته، لكنه كان يحرص على بقائه تحت لواء الخلافة العباسية؛ إذ أن ضعفها يتيح له التمتع بعض الاستقلال، وقيل أن الإخشيدي فكر في قطع صلة بالخلافة العباسية، وحلف اسم الخلافة العباسية الراضي من الخليفة، وذكر اسم الخليفة القائم الفاطمي بدله حين وصل إليه أن الخليفة العباسي قلد محمد بن راقد الحنوزي ولاية الشام سنة 238هـ، لكن بعض أخصائه نصحوه بالعدول عن ذلك.

وعلى الرغم من تمسك الإخشيدي بالآلا يكون تابعا للخليفة القائم الفاطمي فإنه سعى لتثبيت علاقته به، فبعث إليه كتابا يعرض عليه زواج ابنه من ولى عهد المنصور، وأجاب الخليفة الفاطمي على ذلك بكتاب جاء فيه (2): «وصلي كتابك ...".

---

(2) ابن سعيد: المغرب في حلي المغرب، ص 27.
وقد قبلنا ما بذلت وهي وديعة لنا عندك، وقد منحنها من بيت مالنا قبلة مائة ألف دينار، فوصل ذلك إليها.

لم يؤد هذا الكتاب إلى رواج عمارة الإخشيبد بالنصور بن السقائم، ذلك أن الخليفة الفاطمي - على ما يفهم من كتابه- عامل الإخشيبد كأحد ولاته، وأصبح يرى أن في ذاته إثارة أو مالا للحكومة الفاطمية، ومن ثم منح ابنه مائة ألف دينار من هذا المال، أما الإخشيبد، فكان يظن أن القائم سيرسل إليه من الأموال والهدايا ما يفخر به، فلما لم تتحقق أمنيته فشل مشروع الزواج (1).

ظل محمد الإخشيبد مواليًا للمخلافة العباسيّة في بغداد حتى توفي سنة 334 هـ (946 م)، ثم واجهت مصر بعد وفاته عدة صعوبات، ذلك أن سيف الدولة الحمداني أمير حلب أغَّار على دمشق ثم عول على السير إلى الرملة للاستيلاء على مصر، فنهض كافور الذي كان يقوم بالوصاية على أئمة الإخشيبد لدفع ذلك الخطر فرد الجيش الحمداني منهزما إلى حلب وحال دون مسيره إلى مصر.

أما من ناحية المغرب، فإن النصور الفاطمي الذي آلت إليه الخلافة، بعد وفاة أبيه القائم سنة 334 هـ، لم يقم بأيّة محاولة لغزو مصر، ويرجع سبب ذلك إلى اشغال هذا الخليفة بالعمل على ضبط الأمور في دولة. لكن الفاطميين رغم ذلك كانوا يرقبون الأمور في البلاد المصرية، ويأملون أن يتمكنوا من مد سلطانهم عليها.

وقد حرص كافور الذي كان وقتذاك يستأثر بالسلطة في مصر على تحسين علاقته؛ بكل من الخليفة العباسي والخليفة الفاطمي، فكان - كما قال أبو المحاسن في كتابه «النجرم الزاهية» (2) - يهادي المعز صاحب المغرب ويظهر ميله إليه، وكذا يذعن بالطاعة لبني العباس، ويداري ويخدع هؤلاء وؤلاء.

وفي عهد ولاية كافور حاول الخليفة المعز إعادة الكرة للاستيلاء على مصر فبعث جموعًا من عساكره هاجمت الواجهات المصرية؛ فهدى كافور جيشًا أجلاهم عنها، كما وجه هذا الخليفة اهتمامه إلى نشر الدعوة الفاطمية في مصر، فقدمت

---

(1) سيدة كافور: مصر في عصر الإخشيدين، ص. 312، 417.
(2) ج. 4، ص. 3.
رسله إلى كافور، تدعو إلى الاعتراف بسيادته، فرحب بهم ولم يعطهم أي رد حاسم، على حين استطاع دعاء الفاطميين أن يأخذوا البيعة للمعز من رجال بلاد كافور وكبار موظفي دولته. (1)

لم تتوفر كافور سنة 357 هـ (768 م)، اضطرت الحالة السياسية في مصر لوضع اختيار رجال البلاط على أبي الفوارس أحمد حفيد الأخشيد - ولم يكن قد تجاوز المحادية عشرة من عمره -، وله أن استقل الوزير جميل بن الفضل بن الفرات (2)، بتقدير أمور ولاية مصر وأصبحت البلاد في عهده مسرحاً للفوضى، فقبض على طائفة من كبار الموظفين وذوي الرأي وصادر أموالهم، وكان من بينهم يعقوب بن كلس (3) الذي ظل معتفلاً حتى شفيه الشريف أبو جعفر مسلم بن عبد الله الحسيني عند الوزير ابن الفرات فأطلق سراحه، ولم يطلب ابن كلس أن هرب إلى بلاد المغرب حيث التقى بالخلفية المعز وله على وجوه ضعف مصر، كما حثه على النهوض لغزوه.

على أن ابن الفرات لم يفلح في القضاء على عناصر الفوضى في أواصر عهد الأخشديين، بل ساءت في أيامه الحالة المالية، وحل بالبلاد الوباء والجفاف من جراء انخفاض النيل، وفقدات الحكومة كل هيبة واستقرار، وعلى الأخص حين عجزت عن دفع رواتب الجند وجمع الضرائب مما حمل كثيرًا من أولي الراي في مصر على الكتابة إلى المعز لدين الله يطلبون إليه القدوم إلى مصر لإنقاذها من الفوضى التي انتشرت فيها منذ أن توقف كافور. (4)

وكان الخلفية المعز بعد الاعادة لفتح مصر قبل وفاة كافور، فهى سنة 357 هـ (967 م)، أمر بإنشاء الطريق وحفر البار في طريق مصر، وأقام المنزل على رأس كل مرحلة، وله وصلته الأخبار توفاة كافور سنة 357 هـ أخذ في إعداد المال اللامزم لتجهيز حملة لفتح مصر، كما بعث إلى دعاته بالبلاد المصرية أعلامًا وأمرهم أن

(1) المرقزي: الخطيط، ج2، ص37.
(2) كان جعفر بن الفرات مندوبًا للخلافة في مصر والم ليام.
(3) كان يعقوب بن كلس يهوديًا، نشأ في بغداد، ثم سافر مع أبيه إلى الشام، ورحل منها إلى مصر حيث اتصل بكافور، فاعجب بإلزامه وعينه في ديوانه الخاص، وما أظهر إسلامه في سنة 356 هـ، زادت حظوظه عند كافور (ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج2، ص114).
(4) سيدة كافش: مصر في عصر الأخشديين، ص265.
يوزعونها على الجند الذين يؤيدون بيعته ليُنشروها إذا ما اقتربت عساكره من مصر (1).

وخرج لواءده يوم رحلته من القيوان في الرابع عشر من شهر ربيع الثاني سنة 58 هـ، فسار جوهر إلى رأس جيشه حتى وصل برقة قام له صاحبها فرض الطاعة واحتفل بلقائه، ثم قضى في سيره قاصدا الإسكندرية فدخلها من غير مقاومة ومنع جنده من التعرض للأهلين واستطاع أن يتألف عساكره بما أعددته عليهم من الأرقاء.

وأما وردت إلى الفسطاط أخبار وصول جوهر إلى الإسكندرية واستيلائه عليها، فشار الوزير جعفر بن الفرات ذوي الرأى والنفوذ من أهلها، فاستقر رأيهم على مفاوضة جوهر في شروط التسليم وطلب الأمان على أرواح المصريين وأملاكهم، واتفقوا على تأليف وفد للمفاوضة وكان على رأسه الشريف أبو جعفر مسلم الحسيني والقاضي أبو طاهر الذي، فانتهى الوفد بالفائدة الفاطمية عند روضة (2) في 18 رجب 58 هـ، واتبعت أبو جعفر مسلم لمفاوضته، وانتهت المفاوضة بكتاب الأمان (3) الذي كتبه جوهر وأعلنه للمصريين. وقد بين جوهر في هذا الكتاب الذي التمسه وفد أهل الفسطاط، أن جيوش الفاطميين إنما قامت لحمايتهم، كما عرض لبرنامج الإصلاح الذي سيقوم به كإعادة شعائر الحج وإصلاح الطرق، والعمل على استقرار الأمن وتوفر الأوقاف وإصلاح العملة، ونشر العدل، كما وعد بترميم المساجد وتأهيلها، وأن تدفع للمؤذنين فيها والأئمة رواتبهم من بيت المال. كذلك نص في كتاب الأمان على أن يظل المصريين على مذهبهم، أي لا يلزمون بالتحول إلى المذهب الشيعي وأن يجري الأذان والصلاة وصيام شهر رمضان وفطره والزكاة والحج والجهاد على ما ورد في كتاب الله وسنة رسوله، وتعهد جوهر في كتاب الأمان بتأمین المصريين على أنفسهم وأموالهم وأهاليهم وضياعهم.

---

(1) المفرد: انعاظ الحنفاء، ص 147.
(2) روضة: إحدى قرى مركز أبي الطاهر بإدارة البصرة.
(3) انظر: المفرد: انعاظ الحنفاء، ص 148 - 149.
على أن أهل الفسطاط لم يقبلوا هذا الآمن، كما تبين في الوقت نفسه أن طائفة كبيرة من الجند غير راضية عن عقد الصلح، وقالوا: "ما بيننا وبين جوهر إلا السيف"، وولوا قادئا من بينهم يسمى "تحرير الإمام"، وعمل بذلك جوهر، فقدم بجيشه إلى الجيزة واستطاعت فرقة من جنده عبر النيل عند منبجة شلقبان (شرقي القناطر الخيرية)، ودار القتال بينها وبين الجند المصريين، فقتل منهم عدد كبير، ثم استنكر رأي المصريين على مطالبته الشريف بأبي جعفر مسلم الحسيني بالكتابة إلى جوهر في إعادة الأمان، فكتب إليه يهله بالفتح ويسله الأمان من جديد، فأجاب القائد الفاطمي دعوة الشريف وأعاد الأمان، وأذاع على الجند منشورا يحرم فيه عليهم أن يقوموا بعمل من أعمال السلب والنهب، ثم خرج أبو جعفر مسلم وجمع بن الفرات وسائر الأشراط والقضاء والعلماء ووجه التجار والأعيان إلى الجيزة لاستقبال جوهر. وحدثت الحالة في الفسطاط وعادت الأعمال التجارية إلى ما كانت عليه(1) وهكذا بدأ حكم الفاطميين في مصر وزال عهد الدولة الخليفة.

تأسس مدينة القاهرة والجامع الأزهر:

رأى جوهر بعد أن تسير له ضم مصر إلى حورة الفاطميين أن يشرع في إنشاء مدينة جديدة تكون مقرا للخلافة الفاطمية ومركزًا لنشر دعوتها الدينية، وعدل عن اتخاذ كل من الفسطاط والعسكر عاصمة له.

ووضع جوهر أسس المدينة التي عزم على إنشائها شمال الفسطاط في ليلة 17 شعبان سنة 56 هـ، كما وضع في الليلة التالية أساس القصر الذي بنى لزواجه العز، وعرف هذا القصر باسم القصر الشرقي الكبير، ثم أقام حول تلك المدينة وقصر الخليفة سويرة كبيرا.

أطلق جوهر على مدينته الجديدة اسم المنسورية تقريبًا إلى خليفتته العز بإحياء ذكرى والده المنصور، وظلت تعرف بذلك حتى قدم العز لابن الله الفاطمي إلى مصر بعد أربع سنوات فسمها القاهرة(2) تفاوتا بأنها ستتصرّف الدولة العباسية

---

(1) المفرز: اتحاد الحنافين، ص 157 - 158
(2) المفرز: اتحاد الحنافين، ص 158-159
الناشبة، وعلى أثرها أنها سميت القاهرة لأنها تظهر من شبه منها وحول الخروج
على أميرها(1)، كما روى أن اسم القاهرة مأخوذ من قول العزر - وهو يعود جوهر
أمام جمع من مشايخ كثافة الذين وجههم معه - والله لو خرج جوهر هذا وحده،
لفتح مصر ... ولينزلن في خرابات ابن طولون وبنيت مدينة تسمى القاهرة، تظهر
الدنيا(2).

أنشأ جوهر بسور القاهرة(3)، أربعة أبواب وهي: باب النصر، وباب
الفتح، وبابا رويلة(4)، ويعود أحد هذين البابين الأخيرين باسم باب القوسر،
وقد مر منه المفعوم عند قدمومه إلى القاهرة، وصار الناس يبتكركون بالإلزام به، أما
الباب الثاني فقد تشامته الناس وهمروج(5).

وكانت القاهرة وقت إنشائها تحت من الشمال بموقع باب النصر، ومن الجنوب
بموقع باب رويلة وما بليه، وتحدد شرقا بموقع باب البرقية وباب المحرق المشرين
على القسم، وتعرف هذه المنطقة في أيامنا بالدراسة، وتحدد غربا بباب سعاده وما
بليه حتى شاطئ النيل.

كان بمصر قبل الفتاح النهضة ثلاثة مساجد جامعة، هي: جامع عمو بن
العاص الذي أسس سنة 216 هـ، وسمي في عهد ازدهاره تاج الجوامع، ثم عرف
بعد أن تقدم به العهد بالجامع العتيق، ويعد شمالي حصن بابليون الذي كانت تقيم
 فيه حامية الروم وقت الفتح الإسلامي، وما أصبحت مصر تابعة للخلافة العباسية،

(1) حسن إبراهيم: تاريخ الدولة الفاطمية، ص 529 - ٥29.
(2) المفرزي: نظام الجنان، ص ١٦٢.
(3) لما تقلد أمير الجيوش بدر الجمال ينصب الوزارة في عهد الخليفة المستنصر بالله الفاطمي آيد بناء السور
لمحيط القاهرة الفخمة، واستخدم الحجازة في تجديدها سنة ٢٨٠ هـ، كما يبلي باب الفتح أيضا في هذه
السنة في مكان آخر غير الذي يبلي فيه جوهر بابه، وقيدنا النقوش التي عثر عليها أخيرا بسور القاهرة، أن
هذا الباب كان يعرف باسم باب الإقبال. كذلك تقل بدر الجمال نبي القاهرة الذي بآت جوهر إلى الملك
الذى يوجد به الآن، وبنى في سنة ٢٨٤ هـ باب زويلة الكبير، وقد استعما بدر الجمال في تجديده بآت هذه
الأبواب ثلاثة إخوة من مدينة الرها، بنى كل منهم بابا (نظر المفرزي: خطط جا، ص ٣٠ - ٣٨).
Stanley Lane-Poole, A History Of Egypt in the Middle Ages, P. 152.
(4) صرفا بهذا الاسم نسبة إلى نبيلة زويلة إحدى نبيلة البربر التي جاءت مع جوهر من بلاد المغرب
(القوقاشة): صبح الأمير، ج ٣، ص ٣٢.
(5) المفرزي: خطط، جا ص ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٨٠.
السيادة الفاطمية في مصر

بني وأليها الفضل بن صالح سنة 196 هـ مسجد العسكر بجوار دار الإمارة، ثم يبني أحمد بن طولون بعد أن استقل بولاية مصر سنة 283 هـ، مسده المعروف باسمه على جبل يشكر في الجهة الجنوبية من القاهرة الحالية، والجهة الشمالية من العسكر.

وكتبت هذه المساجد الجامعة الثلاثة تعتبر رمزًا لسياسة الإسلام الروحية ومنبرًا للدين الجديد، فجامع عمرو بن العاص كان يمثل ظهور الإسلام في مصر وانضواء تلك البلاد تحت الحكم العربي، أما جامع العسكر فإن تأسيسه إلى جانب جامع عمرو بن العاص أكبر دليل على نجاح الدعوة العباسية في مصر وانضمام تلك البلاد إلى حوزة العباسيين، كذلك الحال فيما يتعلق بجامع أحمد بن طولون، فنستطيع أن نقول أن إقامته ترجع إلى الرغبة في إظهار الدولة الطولونية وسبيتها.

ما أسس جوهر مدينة القاهرة في نفس الليلة التي دخل فيها مدينة مصر، رأى أنه ينافس السنين في مساجدهم بشغائر المذهب الفاطمي خشيّة إثارة حفيظة المصريين عليه، ومن ثم عمل على بناء مسجد يكون رمزًا لسيادة الدعوة الفاطمية، كما كانت القاهرة رمزًا لسيادة الفاطميين على مصر، فشرع في بناء الجامع الأزهر في اليوم الرابع من شهير رمضان سنة 459 هـ (790 م)، حتى بناؤه في ستين تقريبًا، وأقيمت فيه الصلوات لأول مرة في اليوم السابع من شهر رمضان سنة 461هـ.

وقد سمي هذا الجامع في بادئ الأمر بجامع القاهرة) (3) نسبة إلى العاصمة الجديدة التي أنشأها جوهر. وهناك ما يدل على أن هذه التسمية هي التي كانت تغلب عليه طوال العصر الفاطمي، وذلك أن معظم مؤرخى هذا العصر يذكرون ذلك باسم جامع القاهرة، أما تسمية بالجامع الأزهر، فيظهر أنها أطلقت عليه في عصر العزيز بعد إنشاء القصور الفاطمية التي كان يطلق عليها اسم القصور الزاهرة. وقال آخرون إنما سمي بذلك لما سيكون له من الشأة العظمى والمكانة الكبرى بارزها العلوم فيه، على أنه ليس بعيد أن يكون الفاطميين الذين يشرون إلى فاطمة بنت الرسول ﷺ سموه الأزهر إشادة بذكر جدتهما فاطمة الزهراء، وقد

(1) المرقزي: خطيء، ج1، ص277.
(2) المرقزي: خطيء، ج1، ص262.
استمر هذا الجامع يعرف بهذين الاسمين حتى عصر المقرئي في أوائل القرن التاسع الهجري، ثم تقلص الاسم القديم وغلب عليه اسم الجامع الأزهر.

كان الجامع الأزهر وقت إنشائه يتوسط العاصمة الفاطمية الجديدة، ويشتمل على مكان مسقوف للصلاة يسمى المقصورة، وآخر غير مسقوف يسمى صحن، وقد بنى فيه الفائد جوهر مقصورة كبيرة، وأنشأ بها محرابا يسمى الآن القبة القديمة، وكان الخلفاء الفاطميين منذ عهد المعز يحتفلون بإقامة الصلوات يوم الجمعة والأعياد في الجامع الأزهر، وكثيرا ما كانوا يؤمن الناس في الصلاة ويخطبون فيها، وكانت تقام بهذا الجامع إلى جانب الصلوات بعض الحفلات الدينية.
3 - اتخاذ مصر مقراً للخلافة الفاطمية:

شرع جوهر الصقلي منذ أن وضع أساس مدينة القاهرة في التمهد لاتخاذها حاضرة للخلافة الفاطمية، فأمر بحذف الدعوة لخلافة بن العباس التي كانت تقام بمساجد مصر وأقامها للمخليفة المعز، وضرب السكك باسم الخليفة الفاطمي (1) بدلاً من اسم الخليفة العباسي، وعلى أحد وجهها: "دعنا الإمام معد بتوجيه الإله الصمد"، وفي السطر الثاني: "المعز لدين الله أمير المؤمنين"، وفي السطر الثالث: "فاضرب هذا الدينار بصرف سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة"، وعلى الوجه الآخر: "لا إله إلا الله، محمد رسول الله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الشرك، على هُلاء أفضل الوصين وخير المرسلين".

كذلك ومن جوهر الناس من ليس السوار شعار العباسيين، وزيد في الخطبة العبارة الآتية (2): "اللهوم صل على محمد النبي المصطفى، وعلى على المرتضي، وعلى فاطمة البيتل، وعلى الحسن والحسين بنو السريل الذين أذهب عنهم الرجس وظهرتهم تطهيراً، اللهوم صل على الأئمة الراشدين، آباؤ أمير المؤمنين الهاديين المهديين"، كما أمر جوهر بأن يؤذن في جميع المساجد بحجة على خبر العمل (3)، وهي من العبارات التي تميز بها الأذان عند الشيعيين، ولم تلبث هذه التغييرات الدينية التي أدخلها جوهر الصقلي رغبة في نشر الدعوة الفاطمية أن لقيت كثيراً من النجاح مما سر الفائد جوهر، فبعث للمعز يخبره بما لقيته دعوته من تأيد.

رأى جوهر بعد أن استقر سلطان الفاطميين في مصر أن يكتب إلى المعز يستدعيه ليتولى بنفسه زمام الحكم في البلاد، فلم يبق معز أن دعا ملكه قد توطدت في مصر على الجبل إليها، فاستخلف يوسف بلين بن زيري بن مناد الصنهاجي على إفريقية والمغرب (4)، خرج من المتصورة في شوال سنة 316 ه متجهاً إلى مصر، و począته كثيرة من أتباعه وجمع كثيرون من رجالات

(1) المصدر: تعاون الحفنا، ص 164
(2) المصدر: تعاون الحفنا، ص 162
(3) المصدر: تعاون الحفنا، ص 199
(4) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 8، ص 202
دولته، من بينهم أولاده وإخوته وأعمامه، كما أحضر ومعه رفات آبائه (1) (عبد الله المهدي، والقائم، والمنصور)، وفضلًا عن ذلك فإنك كان في ركابه خمسمائة حمل من الأموال التي أخرجها من قصور آبائه. وقد تابع المعز سبعة مارا ببرقعة حتى دخل الإسكندرية في شعبان سنة 323هـ، فأقبلت أعيان البلاد وعلى رأسهم فاضل مصر، وجلس الخليفة عند منارة الإسكندرية حيث ألقى خطبة، قال فيها: «إنه لم يدخل مصر طمعًا في زيادة ملكه ولا مال، وإنما أراد إقامة الحق وحماية الحجاز والجهاد ضد الكفار، وإن يختم حياته بالأعمال الصالحة، وأن يعمل بما أمر به جده رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم وعظ الحاضرين وخلع على الفاضل في آواخر شعبان من هذه السنة، فوصلها في يوم ثلاثاء 7 رمضان سنة 323هـ دون أن يمر على مدينة مصر - وكان أهلها قد أقاموا معالم الزينة على جانب الطريق تظهى منهم أنه سيزاروها - وسار منها إلى القصر الشرقي الذي بناه له جوهر ولم يكد يصعد إلى إحدى ردهات حتى سجد شكرا لله تعالى وصلى ركعتين. وفي اليوم التالي لوصوله خرج أشراف مصر وقضاءها وأعيانها ورجال العلم فيها لتحتهنه والاحتفاء به، ثم أخذ جوهر بعد ذلك يقدم إليه الناس طائفة بعد أخرى (2).

لفى المعز بالقاهرة كثيرًا من مظاهر الترحيب، فقدمت إليه الهدايا والتحف بعد أن استقر هو وأسرته وآبنابه بالقصر الشرقي، وقد استقبله هديه القائد جوهر التي قدمها إلى مولاه المعز على: مائة وخمسين فرساً مسرة، ملجمة، بعضها مذهب، وبعضها مرصع، والبعض الآخر معبّر، وإحدى وثلاثين قبة على نوق بختى بالديباج والمناطق والفرش، وثلاث وثلاثين بلغة، وكان منها سبعة مسرة ملجمة. تبينها مائة وثلاثون بلغة معدة للنقل. وكانت الهدية تشتمل أيضاً على أربعة صناديق مشبكة يرى ما بداخلها من أوانى الذهب والفضة، ومائة سيف محلة بالذهب والفضة وشبكية مرصعة في غلاف وتسعة أتية فيها طرائف مختلفة، انتخبها جوهر من ذخائر مصر.

(1) المقرئي: انظار الحنفى، ص 186.
(2) ابن خلكان: يقين الأعيان، ج 2، ص 134.
(3) المقرئي: انظار الحنفى، ص 176، ص 188.
كذلك قام أبو جعفر مسلم بن عبيد الله الحسيني بتقديم هدية للمعز وهي أحد عشر سفنًا من متاع تونة وتبس ودمياط، وخيل وبغال، وقال: كنت أشعر أن يلبس منها المعز لدين الله ثوبا أو ينعم بالعمامة التي فيها، فما عمل الخليفة قط مثلها.

ولما انتهى المعز من تقبل الهدايا والتحف التي أهديت إليه، أمر بإطلاق سراح المستقلين من الإخشيدي والكافرميون الذين اعتقلهم جوهر، وكانوا نحو ألف.

أصبحت ولاية مصر بعد قدم المعز إليها دار خلافة بعد أن كانت دار إمارة تابعة للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب، كما حلت القاهرة محل المصورية. وغدت عاصمة للدولة الفاطمية، على أن انتقال المعز إلى مصر كان له أثره في بلاد المغرب إذ ضعف نفوذ الفاطميين في هذه البلاد واستقل بولائها بعض الأُمراء.

ولم يأت منتصف القرن الخامس الهجري حتى تُقلص منها الحكم الفاطم، وكانت أمور ولاية مصر قد أُسندت المعز إلى جوهر بعد الفتح، فأثر الوزير جعفر ابن الفرات في منصبها، كما أبقى على الموظفين المصريين في وظائفهم وأشرك مع كل موظف مصري موظفًا آخر من المغاربة، وصار جوهر يشرف على إدارة الدواوين وجباية الخراج حتى أوائل سنة 363 هـ، حيث تسلم المعز منه دواوين مصر وجباية أموالها والنظر في أحوالها.

وهكذا استأثر المعز بالنفوذ والسلطان في مصر، ولم يشأ أن يترك جوهر من السلطة ما يساعده على الاستقرار بالحكم، بل أبقاه يدير عليه بما تطلبه أحوال البلاد، وما لبث أن صرفه عن بعض المناصب الإدارية وأسندها إلى يعقوب ابن وعلوج كلس بن الحسن، وذلك فقد جوهر ما كان يتعمل به من نفوذ.

(1) قريه قديمة كانت على مقرقة من تبس ودمياط.
(2) مدينة قديمة كانت تقع على جزيرة في بحيرة المنزلة، ولها أهمية كبيرة في تاريخ الصناعات الإسلامية
(3) المراجع: تأريخ المنارة، ص.189.
(4) المراجع: تأريخ المنارة، ص.118، كتاب المعز لدين الله، ص.16.
(5) ابن بشير: تاريخ مصر، ص.45.
وليس من شك أن المعز كان يمثل الحاكم المستدير الذي يجمع في يده جميع السلطات ويعمل في نفس الوقت على إسعاد شعبه، فبذل قصارى جهده للنهوض بدولته، واستطاع بفضل الأموال الفائيرة التي أحضرها معه من بلاد المغرب، وحسن سياسته، واهتمامه بإعداد قواته الحربية أن يقيم دولة في مصر تناهض الدولة العباسية.
الباب الرابع

الحركات السياسية والدينية في العصر الفاطمي الأول

1 - موقف الفاطميين من أهل السنة في مصر.
2 - سياسة الفاطميين مع أهل الدّمت.
3 - الحاكم بأمر الله ودعوي ألوهيته.
4 - العناصر الأجنبية وأثر التنافس بينها في حالة مصر الداخلية.
المؤرخون الذين آلفوا السنة في مصر:

تأثرت مصر بالمذاهب الإسلامية التي ظهرت في العصر العباسي وهي:
- مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت (ت 150 هـ).
- مذهب الإمام مالك بن أنس (ت 179 هـ).
- وتميز مذهب باعتقاده على الحديث أكثر من أبي حنيفة ومذهب الإمام محمد بن إدريس الشافعي القدسي (ت 402 هـ).
- ومذهب الإمام أحمد بن حنبل (ت 441 هـ).

وعلى الرغم من أن مذهب الإمام أبي حنيفة أقدم المذاهب السنة إلا أن مذهب مالك هو الذي دخل مصر أولا وانتشار لها، فإن القرظي (1) أن «أول من قدم بماليك إلى مصر عبد الرحمن بن خالد بن يزيد بن يحيى مولى جمع، وكان فقيهًا زعيمه اللدن بن سعد بن وحب ورشيد بن سعد، وتوفي بالإسكندرية سنة 163 هـ ثم نشره في مصر عبد الرحمن بن القاسم، فاشتهر مذهب مالك بصرة أكثر من مذهب أبي حنيفة لتوزع أصحاب مالك بالبصرة».

ولم يزل المصريون يتبعون مذهب الإمام مالك إلى أن قدم الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي إلى مصر سنة 198 هـ وأظهر به مذهب جديد وجعله نكماً للحياة المصرية، فمال إليه عدد كبير وصار لكل من مذهب الإمام مالك والإمام الشافعي أنباعًا في مصر، كما نسب فيها كثير من فقهاء الملكة والشافعية.

كان أهل السنة يتكونون السواج الأعظم من المصريين المسلمين في مسلسل القرن الرابع الهجري حيث شرع الفاطميين يوجهون حملاتهم إلى مصر، وقد

(1) خطيط، ج2، ص 334.
استطاع دعائهما نشر الذهب الفاطمي بين عدد قليل من المصريين كانوا خيّر عون لهم على فتح مصر، فدخل جوهر الصقلي قائد الخلافة العز لدิน الله الفاطمي الإسکندرية سنة ۳۸۰هـ دون مقاومة، وكتب أمّانه أعله للمصريين.

لم يعمل الفاطميون بعد أن انتقل الخلافة العز إلى القاهرة سنة ۳۶۲هـ بكتاب الأمام الذي التزم فيه جوهر الصقلي إطلاق الحرية للمصريين في العقائد الدينية، بل ترك الاهتمام في تحويل المصريين إلى الذهب الشیعی، واتبعت الخلافة الفاطمية لذلك عدة وسائل منها: إسقان المناصب العالية وخاصة القضاء إلى الشیعین، واتخاذ المساجد الكبيرة مراكز للدعاية الفاطمیة، وهي وقذاك مسجد عمرو بن العاص، ومسجد أحمد بن طولون، والجامع الأزهر، واهتمامهم بتعيين أحد كبار المنتفقین في مذهب الشیعی للقيام بشؤونهم، وكان يعرف بداعی الدعاء. وكانت منزلة هذا الداعی الكبير تلی قاضی القضاة وبنيا بزهی(1). وكان يعاونه أشیاً عشیقاً ونواباً في سائر البلاد، واشترطوا فيه أن يكون عالماً بجميع مذاهب أهل البيت وكثروا ما تقلد رجل واحد منصب قاضی القضاة والدعاء.

كذلك أمّن الفاطميون في إظهار شعائرهم المختلفة لشیعات السنيّین كالآذان بحی على خیر العمل والاحتفال بالأیام العاشرة من المحرم وهو اليوم الذي قتل فيه الحسن بكریلاء، وعبد الجادیر المعروف بقدیر خم(2) (وهو اليوم الثامن عشر من ذه الحججة،) وبسبب الاحتفال به ما يرويه الشیعی من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عودته من حجة الوداع في السنة العاشرة للهجرة نزل بقدیر خم في طريقه إلى المدينة، وأخذ بيد على بن طالب وقال: أتست تعلمون أن أولی بكل مسئول من نفسه؟ قالوا: بلى، فقال: من كنت مولاه، فعلى مولاه، الله واللهم وائل من والاه وعاد من عاداه(3). ويعلق الشیعیة أهمية كبيرة على هذا الحديث، إذ يعتبرونه بمشابه مبايعة علیة من الرسول لعیة بن أبي طالب(4).

---

(1) انظر: الفقیدالنی: صح الأعیشی في صناعة الإنشاء، ج1-۲، ص۴۸۲.
(2) وضع على ثلاثة أیام من الجحیة، بين مكة والمدينة، وللهجة شجیر كبير.
(3) المقریزی: حیث ج1، ص۴۸۹، أحد أمام: ظهر الإسلام ج1 ص۱۴۸.
(4) المقریزی: اتعاظ الحنیفة (ناشیة رقم، ص۱۹۶).
آثار إحياء الشعائر الشعبية في مصر استياء المصريين السنين، لما كان يقترن بها في كثير من الأحيان من اعتداءات الشعبيين والمغارة عليهم، فقد حدث عند الاحتفال بعيد غدير خم (18 ذي الحجة سنة 1366هـ) أن قام المغارة بإثارة الشغب والاضطرابات؛ فخرج جوهر لبحول دون ثقافتهم في الاعتداء على أموال الاهالي (1)، كذلك أصاب المصريين السنين كثير من الضرر، والذى بسبب إرغام الشيعيين لهم على مشاركتهم في إظهار شعائرهم؛ ففي العاشر من المحرم سنة 1363هـ، سار جماعة من المصريين الشعبيين والمغارة في موكيهم يتوهون ويكون على الحسين؛ وصاروا يعتدون على كل من لم يشاركهم في مظاهر الآسي، والحزن مما أدى إلى تعطل حركة الأسواق وقيام القلاقل (2).

رأى السنين المصريون إزااه اهتمام الشعبيين بإظهار شعائرهم أن يتخذوا مناسبة دينية يحتفلون بها مضاءة لعيد غدير خم عند الشيعة ونكايية لهم؛ فاحتفلوا في سنة 1362هـ باليوم الذي دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم غار ثور هو وأبو بكر الصديق، وقالوا إنه يوافق 26 من ذي الحجة؛ وبالنسبة في هذا اليوم في إظهار الزيات ونصب القباب وإيقاد النيران، ورأت الحكومة الفاطمية في عهد المعز إلغاء أهل السنة في مصر من إحياء هذا العيد حتى لا تثير ضرورهم.

لم ينشأ التوتر بين المصريين والمغارة الشعبيين عن إحياء الشعائر الشعبية وحدها، بل أدى انحياز الفاطميين إلى المغارة والاعتماد عليهم في إدارة شؤون دولتهم إلى استغلال نفوذهم في إلحاق الآذى بالصربين، فقاموا بهم إملاكمهم واغتصبوا الدور وأجروا السكان عنها مما حمل المصريين على رفع شكاياتهم إلى المعز؛ فاصدر أوامره إلى المغارة بإخلاء هذه الدور والانتقال إلى نواحي عين شمس (3). وخرج بنفسه وعين المواضع التي ينزلون فيها، وأقر المال المطلوب للبناء كما جعل لهم وليا وقضيا عهد إليهما بالنظر في أحوالهم (4). ولم يلبث الخليفة...

(1) المفرزي: أنعاح الحنافى، ص 195.
(2) المفرزي: أنعاح الحنافى، ص 198، حسن إبراهيم: الفاطميين في مصر، ص 187.
(3) المفرزي: أنعاح الحنافى، ص 197.
(4) ابن مسر: تاريخ مصر، ص 45.
بعد أن أنشئت الأحياء الخاصة بالمغارة - أن أمرهم بالخروج من مصر والإقامة بالقاهرة (1).

لما آلت الخلافة إلى العزيز سنة 376 هـ على كأبيه المعز بشر المذهب الشيعي وحتم على القضاة أن يصدروا أحكامهم وفق هذا المذهب، كما قصر المناصب الهمامة على الشيعيين، وأصبح لزاماً على الموظفين السنيين الذين تقلدوا بعض المناصب الصغرى أن يسيروا طبقاً لأحكامى المذهب الإسماعيلي، وإذا ما ثبت على أحدهم التقصير في مرااعاتها عزل عن وظيفته، وكان ذلك مما دفع الكثيرين من الموظفين السنيين إلى اعتناق مبادئ المذهب الفاطمي (2).

وما قضى الحاكم بأمر الله على زمام الأمور في مصر بعد تخلصه من رصبه برجوان سنة 329 هـ (939 م) عمد إلى إصدار كثير من الأوامر والقوانين المبنية على التبعض الشديد للمذهب الفاطمي؛ فأمر في سنة 390 هـ بنقض سب الصحابة على جدران المساجد وفي الأسواق والشارع والدروب، وصدرت الأوامر إلى العمال في البلاد المصرية بمراعاة ذلك (3).

ثم خطف الحاكم من مظاهر التبعض للمذهب الفاطمي إرضاء لرعاياه السنيين؛ فأبطل سنة 397 هـ بعض ما أمر به سابقاً من لعن الخلافة الثلاثة الأول وغيرهم من الصحابة، وأمر بمحو ما نقش في لعنهم، كما منع المؤذنين من إضافة عبارة "حني على خير العمل" إلى الآذان، وأجاز لهم أن يقولوا في آذان الفجر "صلاة خير من النوم"، وسمح الحاكم بإقامة صلاة الضحى وصلاة التراويح.

بعد أن بطلت بأمره بضع سنيين، وأنشأ مدرسة لتعليم المذهب السني، وأحق بها مكتبة، وعين أبا بكر الأنصاري ناظراً لها ومنحه الخلع هو وأعوانه من مدرسي هذه المدرسة.

كذلك أصدر الحاكم مرسمة سنة 398 هـ وفق فيه بين السنيين والشعيعين، وأطلق لكل فريق منهم الحرية في أداء شعائر الدينية، وذلك على أثر ما حدث

(1) المقرئ: انتعاذ الحنفي، ص 203.
(2) المقرئ: خطط، ج 6، ص 286.
(3) ابن خلكان: وفيات الأعيان: ج 2، ص 166.
(4) المقرئ: خطط، ج1، ص 242.
بينهم من خلاف على فهم الآحاد والتطبيق (1)؛ فجار في هذا المرسوم للشعبين صوم رمضان دون أن يقيدوا برؤية الهلال، وسمح للنسين بصوم شهر رمضان إذا ثبت لديهم رؤية الهلال، كما أباح للشعبين أن يكربوا في الصلاة على المت خمس مرات؛ أما السنون فجار لهم أن يكربوا في صلاة الجنازة أربع تكبيرات. وفضلًا عن ذلك فإن الحاكم بأمر الله أطلق الحرية للمؤذنين في ذكر عبارة حي على خير العمل في الآذان، ونهى عن سب الصحابة.

ظلت سياسة اللين التي سار عليها الحاكم إزارا ثلاثة سنوات غير أنها ما لبث أن تبدلت على حين غفلة؛ ففي سنة 404هـ، أمر بإقامة الآذان بحى على خير العمل، كما أبطل صلاة الضحي وصلاة التراويح، ثم اتجهت السياسة الفاطمية زمن الخليفة الظاهر بالمستنصر إلى عدم إثارة السنين فتمتعوا بطلق الحرية في أداء شعائرهم، كما أهملت بعض الظاهر الشيعة؛ فصار المؤذنين لا يحرصون على ذكر عبارة حي على خير العمل في الآذان حتى تقلد بدر الجمالي الوزارة في أواخر عهد المستنصر - وكان مغاليا في مذهب الشيعة - فاظهر روح العدو والكراهة إزارا أهل السنة سنة 784هـ، وأمر بإضافة حي على خير العمل إلى الآذان، كذلك أعاد بدر الجمالي نقش عبائر تتضمن لمن الصحابة على الجدران، وأصدر أوامره بأن يكون التكبير على الميت خمسا فقط طبقا للمذهب الشيعي (2).

وعلى الرغم من أن الخلافة:fاطمية حرصت على نشر مذهبها الشيعي بين أهالي البلاد التي ضمت إلى حوزتها سعياً وراء توطيد سلطتها، فإنها لم تنجز في أداء رسالتها الشيعية في مصر، فظل المذهب السنى محتفظا بقوته رغم تحول بعض المصريين إلى المذهب الفاطمي خوفا من تطبيق القوانين الجزائرية التي فرضها الفاطمون على مخالفتهم في المذهب، ويرجع السبب في ذلك إلى أن الفاطمون رأوا حين دخولهم مصر واستقرارهم بها، أن يتركوا الفسطاط حاضرة المصريين السنين ويتخذوا لهم حاضرة جديدة تكون مقراً لانصارهم وداعة مذهبهم، كما أنشأوا لهم مسجداً خاصاً، وأجازوا لأهل السنة في مصر إظهار شعائرهم على

---
(1) ابن خلدون: جهان، ص 62، المقرزي، خطيط، ج 2، ص 287.
(2) أبو الحسن: الوجوه الزاهرة، ج 2، ص 120، وحسن إبراهيم تاريخ الدولة الفاطمية ص 225.
اختلاف مذاهبهم؛ فصارت تعاليم مذاهب الإمام مالك والإمام الشافعي والإمام أحمد بن حنبل تدرس في دولتهم، بل إنهما صارا يراعون مذهب الإمام مالك ومن سالهم الحكم به أجابوه. أما مذهب الإمام أبي حنيفة، فلم يلق تأييداً من الفاطميين لأنه مذهب العباسيين، وظهر في العصر الفاطمي بمصر بعض علماء مذاهب أهل السنة، وكانوا يلقون دروسهم على جموع المستمعين بجامع عمرو ابن العاص.

كذلك من بين الأسباب التي جعلت أهل السنة في مصر يحفظون بذاهبهم وتقاليدهم تشريعات الوراثة التي أدخلها الفاطميين، إذ رأوا فيها ما يتنافى مع ما نص عليه القرآن وما أثر عن السنة، فيجيز قانون الشيعة للبنت أن ترث كل ما تركه أبوها إذا لم يكن لها أخ أو أخت مع وجود ذوي العصبية، وهذا يخالف مذهب السنة الذي يقضي بالآلا ترث البنت أكثر من نصف الثروة.

(1) انظر الفاطميين: صحيح الأعشى، ج2، ص720.
3 - سياسة الفاطميين مع أهل الدنيا:

رأى بعض خلفاء العصر الفاطميين الأول بعد أن جاءوا إلى مصر بذلهم
شيوع على جمهور المسلمين أنهم بحاجة إلى من يعوّلون في تثبيت
سلطانهم، ولم يبقوا أنه من التمتع عليهم الاعتماد على السنيين في مصر أنصار
الدعوة العباسيّة، قربوا إليهم أهل الدنيا وأظهروا لهم كثيرًا من التسامح
واستخدامهم في أهم شؤون الدولة، على أن هذه السياسة لم تسمك بها
الفاطميين، فكثيراً ما اضطردوا إلى العدول عنها.

استعان المعز لدين الله الفاطمي بكثير من الأطباء اليهود وما لبث أن عظم
نفوذهم في بلاده، وصار يعوقون بن كلس الذي أسند إليه المعز بعض دواوين
دولته تحيز إلى إخوانه في الدين من قبل. وارتقي بعقوب في المناصب حتى
استحق وزيراً للزعيم بن المعز، وإليه يرجع الفضل في وضع قواعد الدولة وتنظيمها،
كذلك اتسم عهد العزيز بالتسامح مع النصارى، فزاد بلاطه في إكرامهم لما كان
بينه وبينهم من صلة النسب (1)، إذ تروج من مسيحية، وكان له آخوان رفعهما
عزيز إلى أرقي مناصب الكنيسة، فعين أحدهما بطريركاً للملكانيين ببيت المقدس
سنة 375هـ، وعين الثاني مطراناً للقاهرة، ثم رقي في عهد الحاكم بطريركاً
لملكانيين بالإسكندرية سنة 390هـ (2)، وكان لهذه السيدة نفوذ عظيم على
العزيز، فقد حملته على انتهاج سياسة التسامح مع المسيحيين وإعادة بعض
الكنائس، وبلغ من عطف العزيز على المسيحيين أن احتفل بأعيادهم وواصلهم
الدينية مشاركة لهم في شعورهم.

وكان من أثر سياسة التسامح التي اتبعها العزيز نحو الذين أن ازداد نفوذتهم
في أيامه، وأصبح بدواوين الدولة كثير من كتلاهم وخاصة بعد أن عين هذا الخليفة
من شا بن إبراهيم الفغرر اليهودي واليا على بلاد الشام وولى عيسى بن نسطور
كتابته.

(1) متن الخضارة الإسلامية، ج1، ص. 90 - 91.
(2) تاريخ يحيى بن سعيد الأصفهاني، 144 - 145.
استناء المصريون المسلمين من استنثار الذين منصب الدولة؛ فقاموا للعزيز
بالتقطري الاحتجاجات على محاباتهم المسلمين واليهود؛ وتبين لل الخليفة حقيقة
استنثار الذين معظم السلطات، فأمور بالقبض على عيسى بن نسطور وزملائه
من الكتاب، كما قبض على منشا وغيرهم من الموظفين اليهود، وأعاد الكتاب
المسلمين إلى أعمالهم بالدواوين.
على أن العزيز لم يثبت أن عصا عن عيسى بن نسطور بعد أن شفت له
ابنته الخليفة الأميرة ست الملك وزوجها المسيحية؛ وولاء الوزارة بعد أن شرف عليه
أن يولي المسلمين في الدواوين(1).
أما الخليفة الحاكم بأمر الله، فلم تكد تستقر له الأمور في مصر حتى نبذ
سياسة السامح الدينى التي سار عليها كل من العزيز والعزيز؛ إذ تقدم إليه الكتاميون
وهم عصب الخليفة الفاطمى طالبين عزل ابن نسطور وتولية زعيمهم أبي محمد
الحسن بن عمران، فأجاب الحاكم طلبهم وترقد ابن عمران أمور الدولة، ثم أندل
الخليفة إلى ابن نسطور الدوائر الخاص، لكنه لم يتمتع طويلا بهذا المنصب؛ فقد
اتهم بالسبع بأموال الدولة، وأعطى بذلك سلالحا لخصمه ابن عمران فقبض عليه
وقتله(2).
بدأ الحاكم يتهم سياسة الشدة مع غير المسلمين من رعاياه سنة 369 هـ،
وقد حمله على اتباع هذه السياسة المصريون المسلمين الذين ساءهم استنثار أهل
الذمة بالسلطة وإخراجهم الثروات الكبرى، ثم تجلى عنفه في معاملتهم سنة
365 هـ، فتحت عليهم ليس أربى خاصة، ولم يمض على ذلك ثلاث سنوات حتى
اتسع نطاق اضطهاد النصارى واليهود؛ فأمر الحاكم بهدم بعض الكتاتيس في
القاهرة، وفي الوقت الذي أشتد فيه اضطهاد الذين، تقلد الوزارة منصور بن
عبد النصر، ومن الأمره الهامة التي حدثت في عهد هذا الوزير إشارة على
الخليفة الفاطمى الحاكم بوجوب هدم كنيسة القيادة أو القبر المقدس، فاصدر

(1) أبو شجاع: ذيل كتاب تجارب الأمم، ص 181 - 187.
(2) انظر: تاريخ بن سعيد انطاكى، ص 180.
مرسوما بهديهما(1). وكان لهذه الكنيسة أثر كبير في إذكاء الدعوة الصليبية التي أعلنتها البابوية للاستيلاء على بيت المقدس.

كذلك أمر الحاكم بمنع النصارى من الاحتفال بالنوروز على شاطيء النيل كما حرم الألعاب التي تقام في هذا العيد لما اقترن بها من الملاهي البذخة وخاصة على ضفاف النيل والخليج، ولم يقف اضطهاد الحاكم للذين يمنعون عند هذا الحد بل إلى ألفي جمع الأحباب المرصد على الكنيسة والأديرة بأعمال مصر وضمت إلى الديوان.

أتت سياسة الحاكم التي انطوت على اضطهاد الدينيين إلى دخول كثير من كتابهم في الإسلام وتبهم من عامة النصارى، كما هاجر بعضهم إلى بلاد الدولة الرومانية الشرقية والبحيرة والنوبة، وأجاز لهم الحاكم هذه الهجرة، وأذن للمهاجرين منهم بحمل أمواتهم.

على أن الحاكم لم يستمر على هذا الاضطهاد، فأصدر قبل اختفائه سنة 194 هـ، عدة مراسيم لإطلاق حرية الشعائر للنصارى واليهود، ورد ما أخذ من أوقاف الكنيسة والأديرة، وسمح للمسيحيين بتاجير الكنيسة، كما منحهم أمانا جاميا(2). فهذا كتاب من عبد الله وولي المصير أبي على الإمام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين بن الإمام العزيز بالله أمير المؤمنين لجماعة النصارى بصر عندما أنهوا إليه الخوف الذي لحقهم، والجزع الذي هم هلاشهم فأقبلهم... أتمت جميعا بأمان الله عز وجل، وأمام نبيه خان في النبيين وسيد المرسلين وعليه الطاهرين وأمان أمير المؤمنين على بن أبي طالب... وأمان الأئمة من آباء أمير المؤمنين هذا على نفوسكهم ودمائكم وأولادكم وأموالكم وأحوقكم وأملاكم... وما تخويا أبدكم، أمانا صرحا ثابتا وعقدا صحيحا بابيا فثقوا به واشكوا إليه، وتحفظوا أن لكم جميل رأي أمير المؤمنين وعاته ونصره تمحىكم ووعيته تقيقكم، لا يقدم عليهم شيء أحد... والله وون أمير المؤمنين على ما تعتقدون من صلاح وإصلاح لسكان أطرار ملكته، ومن له وسيلة النواة في كنت دولته... وعاهده الذي يشرفه طرفكم، وكفى بالله شهيداً.

(1) تأريخ يحيى بن سعيد الأنطاكي، ص 194.
(2) تأريخ يحيى بن سعيد الأنطاكي، ص 327.
كان الخليفة الظاهر على النقيض من أبيه الحاكم في سياسته نحو أهل الدمة، فلم يكد يتولى الخلافة حتى عمل على اكتساب عطفهم بأن أصدر بياناً، أعلن فيه أنهم أحراز في عقائدهم وشعاراتهم، وأنه لا إكراه في الدين، وأن من ذلهم الدخول في الإسلام، اختياراً من قلبه وводادته من ربه، فليدخل فيه مقبولاً مبروراً، ومن آخر البقاء على دينه من غير ارتداد، كان عليه ذمته وحياته.

أخذ الشعراء العباديين نحو الذميين يقل ويضعون منذ ذلك الوقت، ولم يظهر له أثر إلا في قرارات قصيرة وبخاصة حين يتقلد أحدهم منصب كبير من مناصب الدولة. في أوائل عهد المستنصر بالله الفاطمي، ارتفع شأن أبي سعد إبراهيم ابن سهل النصراليهودي لأن رأسه ذلك الخليفة كانت من قبل أمة في بيته، فلما وليت المستنصر الخلافة قربت التستر، ووقع له طيورها مما أدى إلى حق الوزير فخر الدولة أبي منصور صديقة بن يوسف الفلاحي عليه لأنه مسؤول السلطة، ولم يبق له من الوزارة إلا الاسم فقط، وتيزعت النصرالليهود، فتقلدوا في أيامه كثيراً من مناصب الدولة ما جعل المسلمين في مصر يظرون استياءهم منه، فاستغل الوزير صديقة بن يوسف الفلاحي هذه الفرصة للإيقاع به، ولم يلبث أن ترقص له بعض الجنود الأثناك وتخلصوا منه سنة 439 هـ.

وعلى الرغم من تذمر المسلمين في مصر من إسداء بعض مناصب الدولة إلى اليهود في عهد المستنصر، فإن هذا الخليفة أظهر عطفاً وتسامحاً نحوهم، فبعد مقتل التستر، أعيد إلى أخيه أبي نصر هارون ديوان خاصته، كما ثارت حقيقة أم المستنصر على صدقة بن يوسف الفلاحي لتأمره على قتل التستر، وانتهى الأمر بإقالته من الوزارة وقتلته في أوائل سنة 440 هـ.}

---

(1) تاريخ يحيى بن سعيد الأنصاري: ص 235.
(3) ابن منجب الصيرفي: الإشارة إلى من نال الوزارة: ص 288-289، ابن مسر تأريخ مصر، ص 2.
إلى الحاكم بأمر الله ودعوا الوهیته؛

ولي الحاكم بأمر الله الخلافة بعد وفاة أبيه سنة 386 هـ، وله من العصر إحدى عشرة سنة ونصف سنة، وقام بالوصاية عليه برجوان الظلی، وتقلد أبو محمد الحسین بن عمار رعیم الكتامین الوسیطة وهي دون الوزارة في الرتیة(1)، وكان برجوان يطمّح إلى الاستثناء بالسلطة، فأخذ يؤلم رعیم الحسن من الأطراف على ابن عمار، فاضطر ابن عمار إلى الهرب مع جماعة من أخوئه بعد أن تفاوق الوعادان بين الكتامین والأطراف سنة 387 هـ، فلجل برجوان محله(2)، واستبد بالسلطة، وعين فهد بن إبراهیم كاببا له، وعهد إليه بالنظر في ظلامات الناس ولقب بالراعی.

على أن الحاکم شعر رغم حداثته بخطورة منصب الخلافة الذي يتقدة، كما فطن إلى حرص برجوان على الاستثناء بالسلطة وخاصة عندما منعه من الاتصال المباشر برجال دولته، ولذا استدعى الحاکم الحسین بن جوهر وعهد إليه بالعمل على التخلص منه فقتله في ربيع الثاني سنة 393 هـ(3)، وبذلك استعاد الخليفة الحاکم سلطته، وقلد الحسین بن جوهر أمور الدولة ولقب فائد القواد(4).

لم يكد يقبض الحاکم على زمام الأمور في البلاد بعد تخلصه من برجوان حتى كون مجلسا يضم كبار الوفاقين لبحث شؤون الحاکم، كما حرص على التجول ليلا في المدينة للوقوف على أحوال الناس؛ لكي يتبين له تحقيق هذه الغاية وتوفید الأمور، أمر بتولي المصائب على جميع الحوائط والمحال المختلفة في جميع طرق القاهرة والقسططان(5)، وتترتب على ذلك حدوث تغيير كبير في نظم الحياة المصرية، فصارت جميع الأعمال والمعاملات التجارية تؤدي ليلا(6).

---

(1) الفقهندی: صیح الأعشی، ج۳، ص۴۸۹.
(2) ابن منجی الصیرفی: الإشارة إلى من نال الوزارة ص۲۷.
(3) المریزی: خطط ج۱، ص۴.
(4) المریزی: خطط، ج۱، ص۱۴، ۱۵، ۲۰۵.
(5) تاريخ يحیى بن سعید الامطاکی ص۷۱.
(6) Stanley Lane-Poole, A History Of Egypt in the Middle Ages, pp. 125-126.
وكانَت سياسة الحاكم تنصف في بعض الأحيان بكثر من العنف، مثل ذلك
أنه لما بلغه أن بعض العناصر استغلت إضاءة الشوارع والطرقات ليلة للعبث
والمجون، فرض قوانين شديدة فمنع النساء من الخروج ليلة منذ البناء. كما نهى
الرجال عن الجلوس في الحوانيت، ثم من الناس كاففة من التجول في الطرقات من
بعد البناء إلى مطلع الفجر، وأنبع ذلك بإصدار قوانين تحرم على الأهلين فتح
محلاتهم التجارية ليلة (1).

بما رأي الحاكم أن أوامره السابقة لم تضعة حدًا للفوضى الاجتماعية التي
سادت البلاد، عمّد سنة 395 هـ إلى إصدار قوانين جديدة، مدفوعًا في ذلك بدافع
الشعور الدينى وإصلاح الأخلاق وتطهير نفوس المجتمع من الرذائل، فمنع النساء
من الظهور سامرات ومن السير خلف الجنائات (2)، ثم أصدر في سنة 404 هـ
أمراً بمنع خروج النساء إلى الأسواق والحمامات، كما حظر عليهم التطلع من نواخذ
البيوت والوقوف فوق أسطح المنازل، وبلع من حرص الحاكم بأمر الله على تنفيذ
أوامره أن يمنع جميع الأحذية من صنع الخروج للنساء حتى يتبعز عليهم الخروج
من بيوتهن (3)، وكان من أثر هذه السياسة التي اتبعها الحاكم إزاء النساء أن اعتصام
في بيوتهن.

كذلك حرم الحاكم الاجتماعات للهو على شواطئ الخليج المصري
بالقاهرة، فأمر بابد أبواب الدور التي على الخليج والطابق المطلة عليه (4)، وفرض
قيودًا على بعض أنواع المأكل والمشرب (5). فمنع بيع الزيبوب واستيراده حتى لا
يصنع خمرًا، كما منع شراء أكثر من أربعة أرطال من العنب دفعة واحدة خشية
استعماله في صنع النبيذ، ثم أمر الخليفة كذلك بإتلاف أشجار الكركم.
أما فيما يتعلق بالأكلات، فإنه منع عجن الخبز بالأرجل، كما أمر الا
يصطاد الصيادون سمكاً بغير قرش، وآنجذر المخالفين بالعقاب الشديد، كذلك نهى

(1) المرفيزي: خطط، ج2 ص80.
(2) المرفيزي: خطط ج2 ص42.
(3) تأريخ يحيى بن سعد الاشاعري: ص3، المرفيزي: خطط، ج2 ص288.
(4) المرفيزي: خطط، ج2 ص277.
(5) Stanley Lane-Poole, A History Of Egypt in the Middle Ages, pp. 126.
الحاكم عن ذبح البقر إلا في عيد الأضحى المبارك(1) رغبة في الإكثار من نسل
الماشية، واتخذ الحاكم أيضا بعض الإجراءات لكافحة الغلاء فأمر سنة ٩٨٣ هـ
بلا يخرج أحد من المؤن أكثر من حاجته، وحدد أسعار القمح والمواد الغذائية وجعل
عقوبة من يخالف ذلك القتال.

وحرص الحاكم على الإشراف بنفسه على مصالح دولته، وزع هذه الخطة
طول حياته، ولكنه لجأ إلى إزالة العقوبات الصارمة مبنية على أوامر رغبة منه في
فرض هيئة على رعاية وتأييد حكمه، فإذا أظهر فريق من الناس تذمر، أسرع إلى
التخلص منهم(۲). وكان لهذه السياسة أكبر الأثر في توطيد سلطة الحاكم والقضاء
على عناصر الشوربة، ومع أن أوامر الحاكم كانت موجهة على الأغلب إلى أهالي
القاهرة، فإن كل البلد بوجه عام لقيت الكثير من العنت بسبب شدته وعنقه.

تعرض لفسوقة الحاكم أقرب الناس إليه من الوزراء والكتاب والعلماء، وكان
رجال الدولة وغيرهم من العمل والطوابع المختلفة يخشون ازدياد عقوباته
القاسية، فالتمسوا منه أمان سنة ٩٨۵ هـ فاجابهم، وأصدر آناما، جاء فيه(۳) «هذا
كتاب من عبد الله ووليه المنصور بي على الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين لأهل
مسجد عبد الله، إنكم من الأمينين بأمان الله الملك الحق المبين، وأمان جدنا محمد
خانم النبيين، وأبينا على خير الوضيعين، وآبائنا الذرية النبوية المهدين صلى الله
على الرسول ووصيهم عليهم أجمعين، وأمان أمير المؤمنين على النفس والمال والدم
والمال، لا خوف عليهم ولا تماد يد بسوء إليكم، إلا في حد يقام بواجه، وحق
يؤخذ يستوجب فيهANCU وذلك، وليحلول عليه إن شاء الله تعالى».

على الرغم من سياسة العنف التي سار عليها الحاكم بأمر الله، فإنه كان
متفاوتًا في حياته العامة والخاصة، فمنع الناس من ذكر عبارة سيدنا ومولانا في
المكاتبات الواردة إليه، وحتم عليهم أن يلقوه بأمر المؤمنين، كما أصدر أوامره بالإلا
يقبل أحد له الأرض ولا يقبل يده عند السلام عليه في المواكب، وكانت حجته أن
ذلك من رسوم الروم.

(1) المفريمي: خطط، ج ٢، ص ٣٤٢، ٣٤٣.
(2) المفريمي: خطط، ج ٢، ص ٢٢١.
(3) المفريمي: خطط، ج ٢، ص ٢١.
لم يقف حب الحاكم للتوتر عند هذا الحد، بل أمرًا لا يصل على أحد في الخطاب الدينية والمكتاتب والمحادثات الرسمية، وكان من المعتاد أن يصلي الخطب على الخليفة كما يصلي على النبي في خطة الجماعة، فاقتصر الخطب على ما نصه: «لله يملك على محمد المصطفى، وسلم على أمير المؤمنين على المرتضى، الله وسلم على أموء المؤمنين، يا أمير المؤمنين، الله اجعل أفضل سلامة على عبدين وخلفينك». ومنع الحاكم ضرب الطبول والأمروق حول القصر الفاطميين وكان ذلك من مظاهر سيادة الخليفاء ونهى عن إقامة الزيات في طريقه إلى المصلى الذي أنشأ بجبل المقطم وعرف بصلى العيد، وصار يدخل للصلاة في أوسط المظاهر.

وعن الحاكم عناية خاصة بتنظيم القضاء وتطهيره من الرشوة، كما وجه اهتمامه إلى مطاردة العابثين بالأمن، كذلك كان الحاكم زاهداً في مال الدولة برغم ما كتبه له من الأموال والتحف. وبلغ من تفصيله عن أموال الناس أنه إذا صادر أملاك أحد رجاءه، أضافها إلى خزائن الدولة. ومع أن الحاكم كان يؤثر مظاهر البساطة حرضاً على مال الدولة، فإنه كثيرًا ما يصرف في العطاء والهبات ما أثار اعتراض بعض وزرائه ورجال دولته.

وقد الحاكم حذو أسلافه المعز والعزيز في الاهتمام برصد النجوم ومعرفة ما وراءها من الأحداث، وصار يشيخ الفلكيين والمنجمين ويغدق عليهم المنح والعطايا، وأخذ النجومون يسيطرون على عقول الكثيرين من الناس حتى اضطر الحاكم سنة 410 هـ إلى إصدار مرسوم بتحريم مهنة التنجيم. لكنه مع ذلك ظل حريصاً على رصد النجوم، كما شغف بالتطعيم بعرفة أخبار رعاياه، ولكي يوهن الناس أنه وافق على حركاتهم، اتخذ جيوسيط يطرفون بالإسواق والدور، يرفعون إليه تقريرهم عما يقع في نواحي حاضرته من الأحداث.

(1) ابن خلكان: روايات الأعيان ج2 ص 116.
(2) المفرزي: خطبة ج2 ص 283 - 288.
(3) تاريخ يحيى بن سعد الأنصاري ص1 205، المفرزي خطبة ج2 ص 5.
(4) ابن منجج السكري: الإشارة إلى نال الوزارة ص 29.
(5) تاريخ يحيى بن سعد الأنصاري، ص 202.
(6) المفرزي: خطبة ج3 ص 289.
(7) الكين بن المعد: تاريخ المسلمين، ص 259.
وفي الوقت الذي كثر فيه شغف الحاكم بالخروج لزيارة مرصده الذي أقامه بجبيل المقطم لرصد النجوم، جاء إلى مصر بعض الفرس، واختلف هؤلاء إلى مجالس الدعوة له، وخرجوا بذلك على تعاليم المعتدلين من الإسماعيلية. وكان أعظم هؤلاء الدعوة تأثراً في السنوات الأخيرة من عهد الحاكم: حمزة بن علي الزورني، وحسن بن حيدرة الفرغاني المعروف بالأخمر، ومحمد بن إسماعيل البخاري الدرزي.

كان حمزة بن علي في بادئ أمره عاملاً يشتغل بصنع اللباد في فارس، وقدم إلى مصر سنة 540 هـ، ثم انضم إلى الدعوة الذين كانوا يتوافدون على دار الحكمة التي أنشأها الحاكم سنة 395 هـ، وأخذ ينشر سراً الدعوة إلى تأليه الحاكم، ثم جهر بهذه الدعوة سنة 544 هـ، فاجتمع إليه طائفة من متطرفى الشيعة الإسماعيلية وأولاه الحاكم رعايتة حتى إنه كثيراً ما يلتقى به في القرافة، ويرحب به وواستغلال أحسن ترحيبًا.

وكان حسن بن حيدرة الفرغاني المعروف بالأخرم من أعيان حمزة بن علي وقد شجعه على الجه بتأليه الحاكم سنة 540 هـ، واستطاع الأخرم بفضل تأليبه هذه العبيدة أن يقترب إلى الحاكم ويكتسب عطفه ورعايته، ولم أعلن حسن الأخرم بجتمع عمرو بن العاص أصول دعوة الوهبة الحاكم أحمد حديثه غضب السنين فرغموا شكاهم إلى القاضي أحمد بن محمد بن أبي العوام بالمسجد، فثار القاضي في وجه اتباع الأخرم، وفتعنف عليه حتى أنتماروا عليهم ثم استقر رأيهم على التخلص من حسن الأخرم الذي تمكن من النجاة بنفسه، فظلوا يتبعونه حتى تيبر لبعض السنين القبض عليه وقتله.

لم تضعف عزيمة أنصار حسن بن حيدرة الفرغاني من متطرفى الإسماعيلية بعد مقتله، فحل محله سنة 540 هـ الداعي محمد بن إسماعيل الدرزي - وهو أقوى رجل حمزة بن علي - وكان من القائلين بألوهة الحاكم. وشرح الدراوي دعوته وأصول مذهبه في رسالة قدمها إلى الحاكم، فقربه الحاكم إليه وأجاز له

(1) حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام السياسي، جزء 3، ص 365.
(2) أبو المعاسين: النجوم الزاهرة، جزء 4، ص 183.
الطاعه، وجعله محل رعايته وعطفه. كما ارتفعت منزلته عنه، فعهد إليه
الإشراف على شؤون الدولة وبلغ منه أعلى المراتب، بحيث إن الوزراء والقود
والعلماء كانوا يقفون على بابه ولا يتقاضى لهم شغل إلا على يده(1).

أثار إعلان محمد بن إسماعيل الذري㎏ أصول مذهبه في الجامع الأزهر
سخط المصريين السنيين والمعتدلين من الشيعيين، فأخذوا يتبعونه حتى علموا أنه
ملتجي بقصر الخليفة؛ فذهبوا إلى الحاكم بأمر الله وطالبوا بتسليمهم، فظل يماطلهم
حتى دبر له سبيل الفرار بعد أن أمده بالأموال، وقال له: اخرج إلى الشام وأنشر
الدعوة في الجبال، فإن أهلها سريعاً الانقياد. وسرعان ما رحل محمد بن
إسماعيل الذري㎏ عن مصر ونزل بعض قرى بانياس(2)، وهناك أخذ ينشر دعوة
تأليه الحاكم، وتمكن بعض قوة حجمه أن يستميل إلى جانبه كثيراً من الأنصار
الذين أصبحوا يعرفون باسم الذريجة(3).

أظهر الخليفة الحاكم استياءه من أهالي الفسطاط الذين جاهروا بتذرعم من
وقوه موقف التأيد من هؤلاء الدعاء، وعهد إلى جنوده السودانيين بالتنكيل بهم،
فأضرموا النيران في أرجاء مدينة الفسطاط. وما أشتد عسف هؤلاء الجند بأهالي
هذه المدينة، اضطر الحاكم إلى إصدار أمرهم لهم بالتنفرق ولزوم السكنية(4)، كما
اعتذر لأشراف مصر ورعيما الأوارق والمغارية عما وقع، ولم يكتف بذلك، بل
أصدر أمانًا لاهالي الفسطاط قريئة على المنابر(5).

اكتشف النموذج نهاية حياة الحاكم، فقبل أن ركب في ليلة الاثنين السابع
والعشرين من شوال سنة 514 هـ (210 م) فاصدا جيل المقطم، وأنه لم يعرف
بعد ذلك مصيره. وبينما يروى بعض المؤرخين(6) أن اختسه ست الملك دوبرت
والتارك مؤامرة لقتلته لأنه اتهمها في أخلاقها؛ نرى فريقًا آخر من المؤرخين يبرئ

---

(1) أبو المحاسن: التجم الزاهرة، ج1 ص184.
(2) أبو المحاسن: التجم الزاهرة ج2 ص184. بانياس: بلد صغيرة غرب دمشق.
(3) حسن إبراهيم. تاريخ الإسلام السياسي ج3 ص376.
(4) Stanley Lane-Poole, A History Of Egypt in the Middle Ages, pp. 133.
(5) أبو المحاسن: التجم الزاهرة ج4 ص181-182.
الحركات السياسية والدينية في العصر الفاطمي الأول

الملك من جريمة قتل أخيه الحاكم، ومن بينهم يحيى بن سعيد الأنصاري
الذي بدأ في كتابة تاريخه سنة ٣٠٤ هـ، إذ تحدث عن مصرف الحاكم دون أن يذكر
شيئاً عن صلة أخوه بهذا الحادث، ومن ذلك الفريق أيضاً المقرب (١) الذي قال إن
اتهمت الملك بقتل أخيه جاءنا من كلام المشارقة، ورد على ذلك فردى لنا
رواية تنتقص في أن رجلاً من إحدى بلاد الصعيد ظهر في سنة ٣٠٥ هـ أي بعد
اختفاء الحاكم بأربع سنوات وادعى أنه قتل الحاكم.

كان لما أظهرت الحاكم في أواخر عصره من ميل كبير إلى إحاطة نفسه بسياج
من التقيد رغبة منه في جمل رعاياه طوع إرادته أثره في موقفه من دعاة الفرس،
إذ رأى في الدعوة التي نشرها هؤلاء الدعاء ما يساعد على تحقيق هذه الامتنى
ويجعله في مقام المهدى الذي يعتبره الإسماعيلية بظهره في آخر الدنيا ليسه
الأرض عبدها وأمنا. ومن المحتمل أن يكون الحاكم هداه تفكيره إلى الاعتزال
والاختفاء عن أعين الناس ليقضي حياته بعيدا عن الأنظار، وبذلك يعتقد أنصاره
أنه سيعود في آخر الزمان في شخص الإمام أو المهدي.

ليس هناك ما يثبت أن الحاكم ذهب في تصرفاته الدينية إلى حد الخروج
على قواعد الإسلام على الرغم مما نراه إليه الدعاء في رسائلهم التي أذيع أكثرها
بعد اختفائه، وينكر ابن خلدون (٢) ما يُفهم من ذلك ويدعم السجلات بإسقاط الصلوات في
به من الكفر. وصوت السجلات جدير بالثقة ولا يقوله ذو عقل.
ولو صدر من الحاكم بعض ذلك قتل لوقته.

ولكن ما ذهب إليه الدعاء من اعتقادهم بغية الحاكم ورجعته جديداً
بالنسبة لبعض التواتف الشيعية، فقد بنوا آراءهم على عقيدتهم مترفعة في الشيعة في
المهدى، وأساسها أن العلوين كانوا في عهد الأميين والعباسيين فئة مظلمة،
مضطهدة، لذلك طمعوا في ظهور قائد مخلص يبعد إليها عهد الأمن والحرية
والإخافة، وهذا القائد في نظرهم هو المهدى المتظرر.

(١) خطط ج، ٢٨٩.
(٢) العبر وديوان المبتدأ والأخير: ج، ٤، ص ٦٠.
كذلك كانت الحال بالنسبة لعقيدة تأليه الحاكم، فقد استمتدت من معتقدات متطرفين الشيعة، فكان بعضهم يعتقد أن علياً وخلفائه من الأئمة ليسوا بشرًا عاديين، فقالت طائفة السبئة (١) برجة على بن طالب، كما رُميت أنه لم يمت، وأنه مستقر في السحاب، وسينزل بعد ذلك إلى الأرض فيملؤها عدلاً بعد أن ملئت جورًا وظلمًا (٢) وغلاء فريق من الكيسانية (٣) في اعتقادهم بأسماء محمد بن الحتفية، وإيحاطته بالعلوم كلها، وأنكرها موهته، وقالوا إنه يقيم بجيل رضوى (عثر مقرية في المدينة)، وأن عودته ستكون من هذا المكان (٤)، كما كان القرامطة والإسماعيلية ببلاد الفرس يقدمون بعض أحاديث على ويعتبرونهم حكامًا معصومين.

أعلن الخليفة الظاهر لإزاع دين الله بعد مضى ثلاثة أعوام على وفاة الحاكم براءته من دعوى الألوهة التي قيلت في أبيه وأسلافه، وكان متأثراً في ذلك برغته الصادقة في تطهير مصر من هذه الفتنة، ولا غرو فقد عرف هذا الخليفة ببذل إلى استعمال العنف في مطاردة الطريقين على الدين، فأصدر الأوامر بتجربتهم في سائر البلاد، كما جاهر بإيكات ما ادعاه بعض الناس من تاليه آباهة، وهذا إيقاع الآذى الشديد على كل من تحدثه نفسه بذلك في رسالة أذاعها على المصريين (٥).

لم يسهم المصريون في نشر دعوة الألوهة الحاكم، بل كان أغلب القائمين بنشرها من الفرس حيث حاولت بعض الطوائف إحياء حولها القديمة، واتخذت لها مبادئ كان من أهمها مناطة سلطان الإسلام السياسي وإعادة مجد الدولة الفارسية مما يحملنا على الظن أن هؤلاء الدعاة الذين وقفا على مصر وحاولوا نشر دعوة الألوهة الحاكم كانوا ينتمون إلى هذه الطوائف. وقد عمدوا من وراء دعوتهما إلى أن تأتوه إلى إثارة الفتن والفقات في القاهرة ليمهدوا بذلك للقضاء على الدولة الفاطمية، غير أن محاولتهم مسرعان ما باءت بالفشل.

١) انصرف عبد الله بن سبأ الذي كان برى أحق به على بن طالب بالخلافة منذ أيام عمرو بن عثمان بن عفان.
٢) انظر: الشهيرساني، الملل والمتصلى ٢١، ص ١١.
٣) عرفت بذلك نسبة إلى كيساني رأس مختار بن أبي عبيد القيسي، كما عرفت أيضاً بالخواني، وهي فرقة بعثة كُنها لمختار من أتباعها.
٤) البندقلي: الفرق بين الفرق، وحسن إبراهيم: الفاطميين في مصر ص ٣١، ٣٦ الحياة السياسية في الدولة العربية الإسلامية.
٥) تاريخ يحيى بن سعد الأنصاري ص ٢٣٦.
2- العناصر الأجنبيّة واثر التنافس بينها في حالة مصر الداخلة:

لما اتخذ الفاطميون مصر مقراً لخلافاتهم، وصاروا على طريقة العباسيين في الاعتماد على غير أبناء جنسهم، فصار جيشهما في عهد المعز يتألف من قبائل كتامة وزويلة وبعض طوائف البربر، ومن الصقالبة(1). ثم استخدم العزيز الديلم والأنراك. وظل الحال على ذلك إلى أن ولى الحاكم بأمر الله الخلافة، فقرر إليه الكتاميين في بداية عهده، ثم انحرف عنهم واعتمد في جيشه على الجنود المرزقة من الأراك والسودانيين. وحذو حذوه ابنه الظاهر في الاعتماد على الأراك فضعف بذلك شأن الكتاميين ثم تلاشي أمرهم في عهد المستنصر بالله الفاطمي الذي استكثر من الأراك على حين استكرت أمه من العبيد حتى بلغ عددهم خمسين ألفًا. وظهر في أيام هذا الخليفة التنافس والتشاكل بين هاتين الطائفتين كما كان له أسوأ الأثر في حالة مصر الداخلة(2).

المغربة: قامت على أكثاف الدولة الفاطمية في بلاد المغرب ثم في مصر وكانوا يديرون بعاقتين المذهب الفاطمي. وقد اعتمد الفاطميون على هؤلاء المغربة وخاصة الكتاميين منهم - وهم عصب الدولة الفاطمية وقتها في مصر - ومن زعمائهم أبو محمد الحسن بن عمر الذي ولى الحاكم بأمر الله الوساطة وخلع عليه سنة 386ه ولقب بأميم الدولة، وبلغ من نفوذه أنلزم سائر الناس بالترجل له(3).

استغل ابن عمار سلطته في تحقيق مصالح وأطامع الكتاميين، فخصصهم ببعض الوظائف وأتّفق فيهم الأموال وأعطاهم الخيل، واعتمد على أحداث المغربة(4) ليقضي بذلك على نفوذ الحزب التركي الذي استثده العزيز.

وكانت نتيجة هذه السياسة ازدياد جريئة المغربة، فعاشوا فسادًا في القاهرة ونهبوا المتاجر واشتبكوا مع الأراك في بعض المعارك، وتطورت هذه المعارك إلى

(1) الهرمي: أبا الحسن: التماسك الذهبي، ج.2، ص. 98.
(2) المقرئي: خلطت، ج.2، ص. 12.
(3) المقرئي: خلطت، ج.2، ص. 21.
(4) ابن مبرس: تاريخ مصر، ص. 55.
قالت بين الفريقين، وانتهى الأمر بهزيمة الغازية، وقد ضعف نفوذ الكتاميين منذ ذلك الوقت حتى صاروا من جملة الرعاة في عهد المستنصر بالله الفاطمي بعد أن كانوا من أكابر رجال الدولة.

(ب) السودانيون: بدأ ظهورهم في مصر منذ أيام كافور الإخشيدي، وكانوا يجلبون من الجنوب كجنود مرتزقة، ولم يعمد كل من العزاز والعزاز إلى استخدامهم في الجيش، وإنما استعان بهم الحاكم بأمر الله ضد المصريين السنيين بالفسطاط، فهاجموا أرخاء تلك المدينة واقتحموا بيوتها وحمازاتها ونهبوا أسباقها، ثم أراد فيهم على أمن الدولة في عهد الخليفة الظاهر لإعازار دين الله، فناروا سنة 215 هـ مطالبين بأراضيهم، وعاقب في البلد وسبلوا ما في خزائرها من مال، فبعث إليه الوزير الفاطمي تجييب الدولة على بن أحمد الجرجرائي من قبض على الجناة، وأخطض ثورتهم.

(ج) الأتراك: نظر أرهم في عهد العزاز بعد أن استكشر منهم، وقرعهم إليه، وأصبحوا منذ ذلك الوقت عنصرا هاما في الجيش الفاطمي. وقد ثار الجنرال الأتراك في عهد الحاكم حين أبطل ابن عمر أعطياتهم وباح في محاباة الغازية، كما حاصر هؤلاء الجنرال قصر هذا الخليفة حين بلغهم أن محمد بن إسماعيل الدرزي بجأ إليه، وطالبته بتسليم، فأطهر الحكم أن يخبره بنفسه أنه ليس موجودا بقصوره، وكان قد سهل له سبيل الفرار إلى البلاد الشام.

واجه الأتراك منافسة شديدة من السودانيين في عهد المستنصر، فنشبت بين الفريقين معارك عنيفة، وقف منها الجنرال الغازية إلى جانب الأتراك، فأوقعوا الهزيمة بالسودانيين رغم المساعدات التي قدمها لهم أم المستنصر، واستقر خمسة عشر ألفا منهم في الصعيد حيث عاروا في البلاد فسادا، وأخذوا يشنن هجمات متتالية على طريق البر والأنهر على القاهرة رغبة في الاستيلاء عليها وطرد الأتراك منها.

(1) المفرز: خطط، ج1، ص 36، 37.
(2) انظر: أبو الحسن: التاجم الزاهري، ج1، ص 181 - 182.
(3) المفرز، خطط، ج1، ص 181.
(4) Stanley Lanc-Poole, A History Of Egypt in the Middle Ages, pp. 132-133.
كان يتولى قيادة الأتراك في أوائل عهد المستنصر ناصر الدين الحسين بن حمدان التغلبي، وقد ازداد نفوذهم في القاهرة بعد طرد السودانيين إلى الصعيد، وسرعان ما استفحل أمرهم وأخذوا يطالبون الخليفة بزيادة مرتباتهم سنة 460 هـ، فزاد في أعباطهم حتى بلغت أربعمائة ألف دينار في كل شهر بعد أن كانت ثمانية وعشرين ألف دينار.

لم يقنع جند الأتراك بالمرتبات التي قررها لهم المستنصر، بل ألحوا في زيادة مخصصاتهم، وما أظهر عجزه عن تلبية طلباتهم لقلة إيرادات الدولة الزرية ببيع ذخائره، فأخرجوا إليهم وقوموها على أنفسهم بأبخش الأثمان (1).

واصل ناصر الدولة بن حمدان سياسته في محاربة العبيد، فسار على رأس جماعة من الأتراك إلى الصعيد لتحقيق هذه الغاية، واستقب ممهم في قنال عنيف قضى فيه على كثير منهم.

لم يكد يтурع ناصر الدولة بن حمدان من التغلب على السودانيين حتى كشف القناع عن غرضه الأصلي، فجأهر بالإساءة للمستنصر، واستبد بالأمور دون الأتراك، كما استأثر بأموالهم، وكان ذلك مما جعلهم يسعون إلى الخلاص منه، فرفعوا شكايتهم من تصرفاته إلى خليفة الملك ووزير المستنصر، ولم تحقق هذا الوزير من صدق قولهم لأهمهم على انضمامهم إليه أول الأمر، وحسن لهم الخروج عليه ومناهضتهم، ثم توجهوا إلى المستنصر وأظهروا له استيائهم من ناصر الدولة، كما طلبو منه أن يخرجهم من الديار المصرية، فبعث إليه المستنصر بأمره بالرحيل عن مصر ويهده بالحق الأذى به إن امتنع عن الخروج منها، فسار ناصر الدولة إلى الجيزة، ثم عاد بعد قليل إلى دار القائد تاج الملك شاذى بالقاهرة وقدم له فروض الطاعة، وطلب منه أن يعاروه على التخلص من خطر الملك والذكر - أحد أمراء الأتراك - لاعتقاده أنهما كانا السبب في حمل الأتراك على مناهضته واضطهاد المستنصر له، فوعده تاج الملك بتنفيذ رغبته، وما لبث أن تمكن من قتل الوزير خطير الملك، أما الذي فقد التجا بقصر المستنصر واستجار به، وأخذ يحرصه على

(1) ابن مبشر: تاريخ مصر، ص. 17.
قتال ناصر الدولة، فلقي هذا القول قبولاً من الخليفة، وخرج على رأس فريق كبير من جنده وألحق بناصر الدولة هزيمة ساحقة فعضى منهزماً في نفر قليل من أصحابه إلى البحيرة حيث انضم إليه فريق من الأعراب.(1)

على الرغم من أن الخليفة المستنصر أظهر بعض الجرأة خلال هذه الاضطرابات، ولكن من هزيمة ناصر الدولة بفضل مساعدة بعض الجنات الذين كانوا لا يزالون على ولائهم له، إلا أن سلطته لم تعد تتعدي في الواقع حدود عاصمته، فبينما كان الجناد السودانيون يثيرون الاضطرابات في الوجه القبلي، كان نحو من أربعين ألف فارس من قبيلة لواتة والأعراب تحت رعامة ناصر الدولة يغيزون على الوجه البحري وينهبون بلاده وبحطمون السسور والقنوات مما ترتبت عليه انقطاع الزروع والإمدادات عن القاهرة والفسطاط.(2) ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل إن ناصر الدولة بعث سنة 462 هـ إلى ألب أرسلان سلطان السلاجقة بالعراق رسولاً من قبله يسأله أن يرسل إليه عسكراً ليقوم الدعوة العباسية على أن تئول إليه السيادة على مصر ففرح ألب أرسلان بذلك، غير أنه ما لبث أن أغلق بحارة الروم عن المسير إلى دمشق ثم مصر.(3)

ولا بلغ المستنصر أن ناصر الدولة أرسل إلى ألب أرسلان يستدعى إلى الديار المصرية، جهز إليه جنداً من الأتراك لحرابته بالبحيرة، فأوقع بهم ناصر الدولة الهزيمة، وغنم منهم مغناط كثيرة، وأقام الخطة للمحاقمة القائم بأمر الله العباسي في الإسكندرية ودمياط وجميع أنحاء الوجه البحري وحال دون وصول الأقوات إلى القاهرة ومصر.(4)

وكان مما زاد الحالة سوءاً تلك المجاعة التي بدأت بانخفاض بالنيل سنة 457 هـ واستمرت سبع سنين، فقلت الأقوات بالقاهرة ومصر، وغلبت الأسعار، فبلغ ثمن الرغيف من الخبز الذي زنه رطل أربعة عشر درهماً، وأردب القمح

(1) ابن مسر: تاريخ مصر ص.19.
Stanley Lane-Poole, A History Of Egypt in the Middle Ages, pp. 146.
(2) ابن مسر: تاريخ مصر ص.19 - 20.
(3) ابن مسر: تاريخ مصر ص.20 والفرزقي: خطط جد ص.336.
(4) ابن مسر: تاريخ مصر ص.19 - 20.
ثمانين ديناراً (1) والبيضة الواحدة ديناراً، وأصبح المنزل يبلغ مقابل عشرين مكيلًا من القمح، وقد عانى الأغنياء وكبار رجال الدولة من هذه المجاعة مثل معاناة الفقراء تماماً (2)، واضطر بعض أصحاب النفوذ والآخيار إلى مغادرة مصر والرحيل إلى بلاد الشام والعراق (3).

رأى الجند الأثرك بعد ما حل بهم وبال الخليفة المستنصر من الشدائد بسبب المجاعة أن يصطلحو ابن حمدان على أن يظل مقيماً بالبحيرة ويعمل إليه مبلغ مقرر من المال، ويعكون تاج الملوك شاذى نائباً عنه، فرضي بذلك، وأرسل الغلال إلى القاهرة ومصر، مما أدى إلى توافر القواف الضروري للأهالي (4).

على أن تاج الملوك شاذى سرعان ما نقض هذا الصلح واستبد بالآمر في القاهرة وصار لا يرسل لأبن حمدان إلا القليل من الأموال. فاستاء من ذلك ابن حمدان وصار في جموع العربان إلى الجيزة حيث مكن من القبض على شاذى، كما أطلق ببني العنان في الفسطاط، فهربوا دورها وأشعوا النيران فيها، ولما استفحل أمرهم عول المستنصر على محاربتيهم، فأنفذ إليهم فريقاً من جنده، ودارت بين الفريقين عدة معارك انتهى الأمر فيها بهزيمة أتباع ابن حمدان وفرارهم إلى البحيرة.

ظل ناصر الدولة ابن حمدان - على الرغم من الهزيمة التي لحقت به - يعمل على إضعاف شأن الخليفة الفاطميين والاستنثار بالحكم، فحذف في سنة 464هـ اسم المستنصر من الخطبة في الوجه البحري، وبعث إلى الخليفة الفاطميين العباسي ببغداد يلتمس الخلع، ثم قدم إلى الفسطاط على رأس جيش كبير وتولى الحكم فيها، وأرسل إلى المستنصر يطلب منه الأموال. وكان إذ ذاك قد امتنع بقصره (5).

(1) انظر: المقرزي خطط ١ ص ١٣٨.
(2) انظر: أبو الحسن، النجوم الزاهرة، ج ١ ص ١٥ - ١٧.
(3) انظر: ميسر، تاريخ مصر، ص ٢٠.
(4) ميسر: تاريخ مصر ص ٢١.
(5) المقرزي: خطط، ج ١ ص ٣٢٧.

Stanley Lane-Poole, A History Of Egypt in the Middle Ages, pp. 146-147.
كانت حالة المستنصر حين وفد إليه رسول ناصر الدولة تنبيه بزوال أبهة
الخلافة عنه، فلما علم بذلك ناصر الدولة أطلق للخلافة مائة دينار كل شهر وتولى
الحكم في القاهرة، وأظهر ميله إلى مذهب أهل السنة، واضطر كثير من أقارب
المستنصر وأولاده إلى النزوح إلى المغرب والعراق (1).

خشى الأتراك على أنفسهم من جراء استبداد ناصر الدولة بالأمور في القاهرة
وإقامت الدعوة البابوية وعمله على إزالة خلافة الفاطميين، فاجتمع بهم إلخ.
وبلدكور وأعلامهم إن تم لناصر الدولة تحقيق ما يريده سبقئه عليهم؛ ومن
ثم اتفقوا على تدبير مؤامرة لقتله، فركب إلى داره فريق منهم ذات ليلة وانقضوا
عليه بسيوفهم، ولم يكفونوا بذلك، بل تبعوا كل أفراد أسرة بنى حمدان بصر
وتخلصوا منهم (2).

(3) الأرمن: لم تنته القوانين والأوضاع التي انتهت مصر بقتل ناصر
الدولة بن حمدان، بل سرعان ما ازداد نفوذ إلخ، وأتباعه من الأتراك واستبدوا
بالأمور دون المستنصر حتى ضاق بهم ذرعا واضطر سنة 466ه أن يبعث إلى بدر
الجمالي (3) إلى عكا يطلب منه القيام ليتولى تدبير شؤون دولة وإصلاح ما فسد
من أمور مصر، فاشترط أن يحضر معه من يختاره من عساكر بلاد الشام ليستعيض
بهم عن الجند الأتراك والمغاربة والسودانيين الموجودين بمصر فوافق المستنصر على
طلبهم.

ولما أتم بدر الجمالي إعداد عدته للرحيل إلى مصر، أبحر من عكا ومعه
جند كثير من الأرمن وغيرهم، ثم مبال بأخطار البحر في فصل الشتاء ونزل مع
جندبه بدبيا، فاقترض من التجار بعض المال، ثم تابع سيره حتى وصل قلیوب;
وهناك بعث إلى المستنصر يقول له إنه لن يدخل القاهرة إلا بعد قتل بلدكور – أحد
أمراء الأتراك – فوافقه الخلافة على مطالبته (4).

---
(1) ابن مسر: تاريخ مصر ص. 41.
(2) ابن مسر: تاريخ مصر ص. 42.
(3) كان بدر الجمالي علماً أرمنياً للأمير جمال الدولة بن عمار، ثم اخذ يترقى في المناصب لم أظهره من
كفاءة خلال الحرب التي قتلت في بلاد الشام حتى لى إذاعة دمشق من قبل المستنصر سنة 465ه، وأخذ
بحارب الأتراك في تلك البلاد ولم يثبت أن أصبح من أقوى قوادها، ثم تقلد نياة عكا سنة 480ه.
(4) المقرئي: خطط جدا ص. 81.
ولما دخل بدر الجمالي مدينة القاهرة على رأس جنده الأرمن، استقبله الجنرال الأتراك استقبالاً ودياً لأنهم لا يعلمون شيئاً عن نوايا نحوهم، وما لبث أن دبر مؤامرة للتخلص من قوادهم، فعين لكل واحد من ضباطه الأرمن أحد القواد الأتراك ليقتله خلال الليل، ولم يكد يشرق صباح اليوم التالي حتى تقدم ضباطه حاملين روس قواد الأتراك الذين عهد إليهم بقتلهم(1). وبذلك نفدت له الأمور.

رحب الخليفة المستنصر بقعود بدر الجمالي، وبلغ عن تقديره لكفاحه أنه حين شرع في العمل على توطيد الأمن وإصلاح حال البلاد خلق عليه بعث من الأحجار الكريمة وقلدته وزارة السيف والقلم، كما راد في عمقه السيد الأجل أمير الجيش كأعلى قضاء المسلمين وداعي المؤمنين(2).

كان يهبط ببدر الجمالي جنده الأرمن الذين عرفوا بالمشاركة كبيرة لهم من الأتراك والبربر والسودان(3). وقد تفاوضوا في الإخلاص له، واحتفظ الكثيرون منهم ببدائعهم المسبحة؛ وكان يراققهم "بطرس" خاص بهم، ولم يظهر هؤلاء الأرمن تذرمهم من البقاء في مصر، بل آثروا الإقامة بوطنهم الجديد على العودة إلى بلادهم لتغذ حصولهم فيها على مقومات الحياة.

اتخذ بدر الجمالي مقراً له بحارة برجوان بالقاهرة(4)، وعول على إعادة الأمن والسلامية إلى العاصمة واستعادة كل ما يمكن أن تصل إليه بيد من كنوز الخليفة التي نهبت من قصره. وعندما فرغ بدر الجمالي من إعادة الأسوار إلى نصابها في العاصمة والقسطاط بدأ يوجه عنايته إلى بقية الأقاليم، فاتجه أولا نحو الوجه البحرى، فاختضع بنى لوامة، كما توجه إلى دمياط وقتل جماعة المسلمين، ثم سار إلى الصعيد، سنة 429هـ حيث كان الجنرل السوداني وجامعه من عرب جهينة والتحالبية والجعافرة، فانقض عليهم فجأة وأفنى أكثرهم، وغنم منهم كثيرا من الغنائم(5)، وأعاد نفوذ الخليفة على جميع بلاد الوجه القبلي حتى أسوان(6).

---

Stanley Lanc-Poole, A History Of Egypt in the Middle Ages, pp. 150-151. (1)

(2) المفرز: خطط، ج1، ص472.

Stanley Lanc-Poole, A History Of Egypt in the Middle Ages, pp. 150. (3)

(4) المفرز: خطط، ج1، ص471.

(5) المفرز: خطط، ج1، ص482.

Stanley Lanc-Poole, A History Of Egypt in the Middle Ages, pp. 151. (6)
لم تكن الحالة بالإسكندرية أحسن منها في غيرها من المدن المصرية، فقد ثار بها سنة 477 هـ الوحيد على أبي بدر الجمالي، والتف حوله جماعة من الأعراب، فسائر إليه أبوه وفظ عليه، كما قتل فريقا من أتباعه، ولم يخفف بذلك، بل صادر كثيرا من أموال أهالي الإسكندرية، وأتفق منها على بناء جامع العطارين (1) الذي ظلت تقام به الخطب إلى أن استبد صلاح الدين بالأموار في مصر.

استطاع بدر الجمالي بعزمه ومهاراته أن يعيد إلى البلاد المصرية ما كانت تتمتع به من رحاء قبل الشدة العظمى التي حلت بها واستمرت سبع سنوات (457-644 هـ)، فزاد خبرًا مصري في أيامه من 10،000 دينار إلى 100،000 دينار. وعاد الفلاحون إلى الأرض يرعنها وتحسنت أحوالهم بعد أن رفع من كاهلهم بعض الإعباء المالية (2).

على أن الأمر الذي يسترعي النظر في سياسة بدر الجمالي في مصر أنه انتهز فرصة استبداده بالسلطة في أواخر عهد المستنصر بالله الفاطمي، ومهد لابنه الأفضل الاستيلاء على مقاليد الأمور في الدولة، فجعله ولي عهده، و لما توفي بدر الجمالي في جمادى الأولى سنة 487 هـ، وهو في الثمانين من عمره، خلله ابنه الأفضل شاهدًا في الوزارة، وظل المستنصر في عهد وزارته كالمжив عليه إلى أن توفي في 15 ذي الحجة سنة 488 هـ (3).

---

(1) الفريزي: خطط، ج1 ص286
Stanley Lane-Poole, A History Of Egypt in the Middle Ages, pp.151...
(2) ابن مسر: تاريخ مصر ص30.
(3) الفريزي: خطط، ج1 ص382.
(4) الفريزي: خطط، ج1 ص356.
الباب الخامس

عصر نفوذ الوزراء الفاطميين

1 - ازدياد سلطة الوزراء في العصر الفاطمي الثاني.
2 - زوال الخلافة الفاطمية.
ا- ازدياد سلطة الوزراء في العصر الفاطميين الثاني:

أخذ نفوذ الوزراء في الأزدياد منذ أواخر عهد المستنصر بالله، وبدأ ذلك باستثمار بدر الجهالة بالسلطة دون الخليفة، وتغالي ابنه الأفضل في اغتصاب حقوق هذا الخليفة، بل أقدم بعد وفاته سنة 478 هـ على إقصاء ابنه نزار ولي عهده وأكبر ابناؤه عن العرش، وبالأداء الصغير الأمير أبا القاسم أحمد الذي لقب بالمستعلي بالله في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة سنة 487 هـ وكانت أم المستعلي هذه ابنه بدر الجهالة وأخيه الأفضل، لذلك كان بدر يحب تعيينه خليفة بعد أبيه، كما حرص ابنه الأفضل على تحقيق هذه الأمانة حين أراد المستنصر قبلي وفاته أخذ البيعة لابنه نزار على رجال الدولة فتقاعد الأفضل عن ذلك ومات ومانع صندوقه.

وكان الأفضل يعتقد أن نزار إذا ولي الخلافة حاول بينه وبين مناصب الدولة، على حين كان أبو القاسم أحمد صغير السن، ففي استطاعته إذا ما وانع الخلافة أن يصبح مطلق النصر في شؤون الدولة.

أدى إقصاء نزار عن الخلافة رغم أحقيته لها إلى اضطراب الأمور في بعض البلاد المصرية وخرج أهل الإسكندرية على طاعة الخليفة الفاطمي الجديد وانحاوا إلى نزار بعد أن قدم إليهم مع أخيه عبد الله وبايعوه بالخلافة وقعبه المصطفي لدين الله، كما رجع به وأياها ناصر الدولة أفنكين.

لما وصل إلى الأفضل بن بدر الجهالة نبا هذه الاقتبس التي أثارها نزار سار إلى الإسكندرية على رأس حملة، وهاذ ذلك دارت معركة بينه وبين وليها ناصر الدولة أفنكين الذي وسع نزار بالوزارة إن ظفر هو بالخلافة، غير أن المعركة انتهت بهزيمة الأفضل وارتداده إلى القاهرة حيث أعد حملة جديدة في أوائل سنة 488 هـ، حاصر بها الإسكندرية مدة سبعة أشهر، ارتكب في أثناها كثيراً من ضروب القسوة والقتل، حتى اضطر كل من أفنكين ونزار إلى طلب الأمان؛ فأمنهما الأفضل ثم أمر بإتفاقيهما إلى القاهرة حيث نكل بهما.

(1) ابن مسر: تاريخ مصر، ص 35.
(2) ابن مسر: تاريخ المستنصر، ص 38- 37.
وثبت لنا من الرسالة التي بثها الخليفة المستلقي في صفر سنة 489 هـ إلى الملكة الحرة السيدة آروى الصليبية.. وكانت تتولى إذ ذاك شهود اليمن - الظروف التي قامت فيها ثورة نزار وتغلب الأفضل بن بدر الجمالى عليه. وقد جاء فيها (1): "من عبد الله وولي الله أحمد بن أبي القاسم الإمام المستلقي بالله أمير المؤمنين بن الإمام المستنصر بالله، أن البيعة انظما لامر المؤمنين على أجمل القضايا والأسباب، ودخل الناس فيها من كل باب، بحسن سياسته فتحا وخليله السيد الأجل الأفضل أمير الجيوش سيف الإسلام ناصر الإمام كابيل فرضة المسلمين وهداية دعاة المؤمنين. وكان الأمراء بخواص أمر المؤمنين أول من دخلوا في البيعة مسارعين وانقادوا لا يحكمون. ومن جملتهم نزار وهو الأخ الأكبر. ثم إن الشيطان استزله واستغواه. ففرق جناب أمير المؤمنين وسار منه متوغلا في الغفور، راكبا الخطر حتى وصل إلى الإسكندرية وفيها أفتكين - أهاد مايلك السيد الأجل أمير الجيوش. فقبل هذا العبادة العلاق. تعزم مواليه بالكفرب ووافق نزارا على ما سأله إليه من الفساد. فتقدم أمر المؤمنين إلى فتاه الأمين. بأن يكتبهم معاذرا وراجرا. وهم على غلائهم متمادون. إلى أن حملهم العدوان على البروز عن الإسكندرية فينص انضم إليهم من ليف الأجانب وطوطف العرابين المغاربة والسودان. فصدhem صدة تزوع من منها أراك الجبال. ولا يسر الله تعالى مفتتح هذا النصر. إذن أمر المؤمنين لفتح السيد الأجل باتباعهم. فتوجه يختص آثارهم. واختلف الطعن والضرب حتى خاضت الحيل في بحر من الدماء... وكان المخادعين في هذه الثورة قد تجمعوا من كل فج وراء، فزادت عدتهم على ثلاثين ألف فارس وراجا. فرمى الله جمعهم بالحتف العاجل. وكان الفتح إلى هذه الوقعة مثل ما تقدمه بحولات واصلها السيد الأجل بنفسه وغلمانه... فلم تزل السكوف تتحكيم فيهم إلى أن سترتهم الظلماء، وقتل واسر منهم ألواف كثيرة. وتوجه نحوهم حتى نزل على البلدة في خيامه..

(1) انظر السجلات المستنصرية رقم 43، ص 145، ص 151 - 151.
فحصرها براً وبحرًا. وحضر شهير الصوم فأخير منازجتهم حفظاً لحرمة الشهر الشريف. فلما انقضى (هذا الشهر) ولم تتقض غياثهم ورغبهم. رماهم بحجارته المتجنيين. فلم تمض إلا أيام قليلة حتى تداعى الحصن من سائر أركانه، فهتفوا الرجال مستامين وبالعفو لألفين. فأطفأ أنفسهم الليمين انقضاء مدهم. فخرج بغير عهد ولأ عقد يتعلق به، ووقف بين يدي مولاه ملتحفاً ثوب الذل والهوان. فأضرب عنه صفحاً. وتوفر على الرغم من الموتة على نزار، وحفظ التغور من عوايد النهب والأضرار. وتنزه عن معالجة ذلك الليمين بالجزاء على ذميم أفعاله، ووافق في جانب الاطرح والإذلال إلى أن يأمره أمير المؤمنين بما يرشد بامتثاله.

لم يقتصر الأثر الذي أحدثه إقصاء نزار عن الخلافة وقعته على ظهور فريق من الناس يتشييع له بقصر، بل دعا إلى إمامته بعض أهالي بلاد الفرس من الإسماعيلية الذين كانوا يدعون إلى انشقاق الإمامة من جعفر الصادق إلى ابنه إسماعيل ونبيه من بعده. وقد بدأت نشاط هذه الطائفة في بلاد الفرس منذ لجأ محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق إلى دوماند (زرب الري) بحسب ما تعرض له العلويون من اضطهاد على يد خلفاء العصر العباسي الأول مما ظهر له أتباع في بلاد الشام.

تجلت قوة طائفة الإسماعيلية في بلدة ساوة (بين الرى وهمدان) في أيام السلطان ملكشاه السلجوقي، وما زال نفوذهم في ازداد حتى استولوا على أصبهان ونشروا بها دعوتهم في عهد زعيمهم أحمد بن عبد الملك بن عطاش. وكان من تلامذته الحسن بن الصباح الذي تقلد رئاسة الدعوة الإسماعيلية في أصيبان، ثم رحل إلى مصر ليعمل في دراسة المذهب الإسلامي في دار الحكمة وفي غيرها من مجالس الدعوة بالقاهرة.

حدث في أثناء وجود الحسن بن الصباح بالقاهرة أن عين الخليفة المستنصر ابنه الأكبر نزاراً لولي عهد. وكان الحسن بن الصباح يرى أن تولية نزار الإمامة بعد أبيه المستنصر تتفق مع تعاليم الإسماعيلية التي تشتهر في الإمامة أن يكون أكبر أبناء أبيه. وهذا على خلاف ما رأى بدر الجمالي وإبنه الأفضل. ويروي بعض
الكتاب(1) أن الحسن بن الصباح سأل الخليفة المستنصر يوماً من ولى عهده بقوله:
من الإمام بعدك؟ فقال له: وليدي نزار. غير أن فريقاً آخر(2) يذكر أن الحسن بن الصباح لم يحظ في أثناء إقامته بالقاهرة بمظالية المستنصر، وأن الخليفة وليه ابنه الصغير أحمد العهد تحت تأثير بدر الجمال.

أدى الخلاف بين الحسن بن الصباح بدر الجمال إلى وليالى العهد إلى نزاع داخلي، إذ رأى بدر في وجود الخلاف بالقاهرة خطراً يهدد كيانه؛ فأخذ يكيد له ثم رجع في السجن مدينة دمياط، ولم يكتفي بدر الجمال بذلك بل خلع على إخراجه إلى بلاد المغرب؛ غير أن الريح قد فذت بالسفينة التي ابحرت عليها من الإسكندرية في رجب سنة 472هـ إلى سواحل الشام، فنزل فجر عكا، وقصد منها إلى حلب في بغداد، ثم اتجه إلى خورستان - وكانت إذ ذاك مركزاً هاماً للإسماعيلية - ثم سار الحسن بن الصباح إلى أصبهان حيث أخذ يندى بإمامة المستنصر وابنه نزار من بعيد، ولذلك عرف هو وأتباعه بالنزاوية.

وأما توقيف المستنصر سنة 487هـ، وخلفه ابنه المستولي، آذان الحسن بن الصباح بين أنصاره أن المستولي اغتصب الخلافة الإمامة من نزار، وبذل قصارى جهده في الرد على حجج طافحة المستعلي بصر، فزود مكتبات قلعة الإسماعيلية ببلاد الفرس بالمؤلفات الكثيرة التي تثبت صحة إمامة نزار وبطلان إمامة المستولي(3).

أما عن الحالة الداخلية في مصر بعد القضاء على الفتنة التي أثارها نزار فإن الأفضل بن بدر الجمال قبض على شيشون الحكم في البلاد، واستبد بالسلطة دون المستولي، ومن ثم دخلت مصر في عهد نفوذ الوزراء، وصار وزير السيف - كما يقول المؤرخ(4) - هو سلطان مصر وصاحب الخيل والعقد وإليه الحكم في كافة الأمراء والأجانب والقضاء والكتاب وسائر الرعية، وهو الذي يولى المناصب الديوانية والدينية، كما خلع عليه منذ ذلك الحين بالعقد المظاهر بالجوهر، ورئ له.

---

(1) ابن مسر: تاريخ مصر، ص 32، وابن خلدون: ج 4، ص 61.
(2) Dozy, Essai sur l'Isamisme, p. 301.
(3) طه شرف: دولة النزارية، ص 212.
(4) خطط، ج 9، ص 44.
في عهده الحكيم مع النذوة المروة والطيلسان المنور وهو زي قاضي القضاة، وغدا يتقد السيف إشارة إلى أنه كبر أرباب السيوه والأعلام.1

بلغ من نحو الأفضل أنه لما توفى المستعلي سنة 495هـ أحبض ابنه أبا علي وبايعه بالخلافة وأقامه مكان أبيه ولقبه بالامرأ بأحكام الله، وعمره وقذاك خمس سنين.2 ويتضح علو شان الوزير الأفضل ومكانته في الدولة من سجل تولية الأمير الخلافة الذي جاء فيه:3.4. وقد كان الإمام المستعلي - قدس الله روحه - عند نقلته جعل إلى عقد الخلافة من بعده، وأودعت ما حازه من أبيه عن جده، وعهد إلى أن أخلفه في العالم وأجري الكاففة في العدل والاعحاـس، وأوصائي بالعطف على البري والعمل فيهم بسيرتهم المرضية.

وكان ما ألقاه إلى ووجهه على أن أعلى محل السيد الأفضل من قبله الكريم، وما يحب له من التبجيل والتكرير، وأن الإمام المستصر بالله كان عندما عهد إليه (إلى المستعلي)، ونص بالخلافة عليه، وأوصاه أن يتخذ هذا السيد الأجل خليفة وخليلا، ويجعله للإمامية زعيمًا وكفيلا... ويفوض إليه تدبير ما وراء السرير، وأنه عمل بهذه الوصية... وأسند إليه أحوال المساكرون والرعاية، ونواة أمر الكاففة بعزمته الماضية وهمه العليلة... فأوصائي أن أجعله لي - كما كان له صفية وظهيرا، ولا استير عنه من الأمور صغيرة ولا كبيرة، وأن أقنده به في رد الأحوال إلى تكلفه، وإسند الأمور إلى تدبيره...4

استغل الأفضل بن بدر الجمالى سلطته في عهده الأمير، فلم ين بالاحتفاظ برسوم الفاطميين المدينة، بل أعطى بيعه ميل السنين، وقد تجلت هذه الظاهرة في إلغائه الاحتفال بمولد النبي ﷺ، وولد أبنه فاطمة وعلى - رضي الله عنهما - والمولد الخليفة القائم بالأمر، ولا يخفى علينا أن عمله هذا يؤدي إلى إضعاف نحو الفاطميين الذين كانوا يحرصون على الاحتفال بهذه الأعياد لتزيد انسجامهم إلى على بن أبي طالب وزوجته فاطمة بنت الرسول عليه الصلاة والسلام.

---

1. المفرز: خطط ج2، ص 349-350 - 367
2. ابن مسير: تاريخ مصر، ص 49
3. السيوطي: حسن المحاضرة، ج2، ص 12 - 17
4. انظر: مجموعة الوثائق الفاطمية، ص 183 - 186
على أن الخليفة الآخر الذي ضعفت سلطته كثيراً بداخل الأفضل لم يلبث بعد أن بلغ سن الرشد أن شعر بالحاجة إلى التخلص من وزريه، فأعترض إلى أبي عبد الله محمد بن البطائحي، أحد خوارص الوزير، بتدبير مؤامرة لاغتياله؛ فقتل الأفضل وخلفه ابن البطائحي في الوزارة سنة 515 هـ.

كذلك حرص الآخر على أن يخلفه أحد أولاده، فلم رزق طفلاً في ربيع الأولى سنة 544 هـ، سمى أبو القاسم الطيب وأحتفظ بإعلان البشري بولايته وتوليه الإمامة. من بعده(2)؛ غير أن هذا الخليفة سرعان ما تقتل بتدبير فريق من الزوارية(3) في اليوم الرابع عشر من شهر ذي القعدة من هذه السنة، فقبض على زمام السلطة بعض رجال الجيش، ووقع اختيارهم على الآخر إلى أمير ابن الميمون عبد المجيد ابن عم الآخر ليلي أمور الخلافة؛ فأخذه أمر الإمامة، وبعد تناسك بولاية العهد ولقب الحافظ لدين الله، وأقيم كفيلاً لحمل منتظراً لأن الآخر لم ياتي ترك إحدى زوجاته حاملاً(4).

على أن الأمير عبد المجيد لم يتح له الفرصة للاحتفاظ بسلطته في الدولة بسبب ثورة الجند عليه وتوليه قادماً يدعى أبا علي أحمد بن الأفضل الوزارة. فبدأ هذا الوزير عمله بمنع الحافظ من التصرف في شؤون الدولة، كما سجنه في خزانة؛ وصار لا يسمح لأحد بزيارته إلا بإذن(5)، وأمر الخطباء بحذف اسمه من الخطبة، واستولى الوزير على جميع ما في قصر الحافظ من الذخائر والأموال زاعماً أن ذلك كان لا يبه، واستأثر منذ ذلك الوقت بالسلطة والتفويف.

لم يكن الوزير أبو علي أحمد بن الأفضل إسماعيل المذهب، بل كان إماماً؛ لهذا شرع على أثر توليه الوزارة في اتخاذ إجراءات غايتها إظهار مذهب الإمامية وإضعاف مذهب الإمامية، فأمر بإسقاط اسم إسماعيل بن جعفر الصادق - الذي تنسب إليه الإمامية - من الخطبة والدعاء لحمود المنتظر الإمام.(6)

---
(1) ابن التلائي: ذي تالك دمشق، ص 303-304.
(2) ابن موسى: تاريخ مصر، ص 27.
(3) كان لا يزال للتزارة أعيان في مصر، يرون أن الآخر وإباء المستعلي ولياً الخلافة دون حق.
(4) ابن موسى: تاريخ مصر، ص 74، أبو المحاسن، النجوم الزاهية، ج 5 ص 240-241.
(5) أبو المحاسن: النجوم الزاهية، ج 5، ص 242.
الثاني عشر عند طائفة الإمامية، وضرب دراهم ودنانير جديدة باسم الإمام المنتظر ونفى عليها "الله الصمد، الإمام محمد" كما أبطل من الآثان "حسي على خير العمل"، وقولهم: "محمد وعلى خير البشر"، اختار نفسه ألقابا يفرق بها اسمه في الخلافة، وهي "سيد الأجل الأفضل"، مالك أصحاب الدول، المحامي عن حوزة الدين، نناشر جتنا العدل على المسلمين الأقراريين والأبعدين، ناصر الإمام الحق في حالتى غيتيه وحضوره، والقائم في نصرته بمضى سيفه وصائب رأيه وتدبره، أمين الله على عباده، وهادي القضاء إلى اتباع شرح الحق واعتدامه، ومدح دعاة المؤمنين بواضح بيانه وإرشاده، قول النعم، رفع الجور عن الأمم ومالك فضيلتي السيف والقلم(1).

كذلك أمعن الوزير أبو علي أحمد بن الأفضل في إضعاف المذهب الإسماعيلي بأن عين سنة 525 هـ أربعة فضامة: أثنتين من الديمه، أحدهما إمامي والآخر إسماعيلي، وأثنتين من السنيتين، أحدهما شافعي والآخر مالكي، وأعطي لكل منهم السلطة في إصدار أحكامه وفق مذهبه، وقد علق المقرزي على هذا النظام بقوله: "ولم يسمع بمثل هذا في الملة الإسلامية قبل ذلك"(2).

وعلى الرغم من أن الوزير أبا علي أحمد بن الأفضل قد استقل بحكم البلاد، فإنه كان يرى أن بقاءه في منصب مستأثرا بالسلطة يوقف إلى حد كبير على من يلي أمر الخلافة بعد أن أبعد الحافظ وشدد عليه الرقابة في سجنه. وكان أهم ما يشغله ذلك المولد الذي وضعته إحدى نساء الآمر، وقد اختفت أقوال المؤرخين في شأنه، فيما يذكر البعض (3) أن المرأة التي تركها الآمر حاملا وضعت أنثى يشير البعض الآخر (4) إلى أن المولد كان ذكرًا، وأن أمه أخفته في القران خوفا على حياتها من الطاعمين في الخلافة، وظل الوزير أبو علي أحمد يضيق الخناق على أهل القصر الفاطميين لعله يصل من وراء ذلك أن قتلهم الخليفة الآمر من إخوته ورغبته في التخلص من ورث شرعي للخلافة، غير أنه لم يتمكن من العثور عليه.

(1) ابن مسر: تاريخ مصر، ص 75.
(2) انظر: مجموعة الوثائق الفاطمية، ص 90.
(3) أبو الحسن: الجزم الزاهية، ج 5، ص 238.
(4) انظر: مجموعة الوثائق الفاطمية، ص 49 - 90.
لم يتمتع الوزير أبو علي أحمد بن الأفضل طويلا بالحكم، إذ كان لسياسته التي تطورت على مناهضة المذهب الإسماعيلي أسوأ الآثار في فلسفة الإسماعيلية، فكونوا معارضة قوية ضد بيعة الأمير أبو الفتح ناصر الجيوش يانس الأرمني، وتأمروا على اغتياله، فكمن له جماعة منهم وقتلوه سنة 526 هـ. بعد أن ظل مستأثرا بالسلطة سنة وشهرًا، وأخرجوا الحاكم من سجنهم، وبذلك قضى بالفشل على محاولة نشر مذهب الإمامية في مصر، واستعاد المذهب الإسماعيلي مكانته، واعتبر اليوم الذي ألقى فيه سراح الحاكم وأعيد إلى الحكم عيدا عرف بعيد النصر، وظل الفاطميون يحتفلون به إلى أن زالت دولتهم.

لم يكن للحاكم حق شرعى في الخلافة، ذلك أنه لم يكن ابنًا للآخر، وإنما ابن عمه، فلما أطلق سراحه بعد مقتل الوزير أبو علي أحمد بن الأفضل، رأى رجال الدولة في مصر أن يعودوا وليًا للعهد وكفيلا لولد الآخر الذي لم يعرف مقره.

على أن الحاكم كان يطمئن في الاستقلال بالخلافة، ومن ثم أمعن في البحث عن ولد الآخر، فلما اهتدى إلى محل إقامته بعد شهرين من عودته وليًا للعهد، أسرع إلى التخلص منه، ثم أعلن نفسه خليفة، وقرئ سجل بإمامته في 3 ربيع الآخر سنة 526 هـ. وأمر الحاكم بأن يدعى له من التذمر بهذه العبارة: "الله خلقت على الذي شيدت به الدين بعد أن رام الأعداء دوره، وآقرت به الإسلام بأن جعلت طولوعه على الأمة وظهوره آية لن تدير الحقائق بباطن البصيرة، مولانا وسيدنا إمام عصرنا ورمانا عبد المجيد أبي ميمون وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين صلالة دائمة إلى يوم الدين.

اتخذ الحاكم بعد أن استقرت له الخلافة الأمير يانس الأرمني وربوا له، غير أن وزارته لم يظل أمدها، فقد توفي بعد تسعة أشهر، وتولى الحاكم أمور الدولة بنفسه، فلم يستمر أحدًا، وظل منصب الوزارة شاغرا حتى طمع فيه بهرام.

(1) يانس هذا مولى أرمني، أهده إلى الوزير الأفضل بن بدر الجمالي وترقي في خدمته إلى أن أصبح أميرا.
(2) المفريزي، خطط ج2، ص 257، مجموعة الوثائق الفاطمية ص 98.
(3) ابن مسهر: تاريخ مصر، ص 74 - 75.
الأرمنى والغربيات، فقدم إلى القاهرة في شهر جمادى الثانية سنة 529 هـ، وحاصرها يوماً فاضطر الحافظ إلى توليه الوزارة على الرغم من عدم دخوله الإسلام.

لم يكثر بهرام بما أظهره الناس من السخط عليه، بل تغالى في التحدي لبني جنسه، فبعث في طلب كثير من الأرمن إلى مصر حتى بلغ عددهم ثلاثين ألفاً بعد زمن قصير. وكانت سياسة هؤلاء المسلمين في مصر لا تتوقف على شيء من الود، بل اتسمت بروح العداء فاشتد جورهم، وصادرواهم في أموالهم، وأكثرها من بناء الكنائس والأديرة حتى صار لكل رئيس منهم كنيسة بجوار داره. مما حمل المسلمين على متابعة الشكاة من أهل بهرام وأقاربه. كما بعث أمراء الجيش وقواده إلى رضوان بن وخشى والغربيات يطلبون منه القدوم إلىهم لينقذهم مما أتخذه من سطوة الأرمن، فأجاب رضوان طلبهم وقادم إلى القاهرة على رأس جيش كبير، وانضم إليه الجنود المسلمين في جيش بهرام، فزادت بذلك قوته، واضطر بهرام إلى الرحيل عن القاهرة والانسحاب إلى أخيه الباساك، والي قوص، فخلله رضوان في الوزارة سنة 530 هـ وتفقه بالسيد الأجل الملك الأفضل، وهو أول من لقب بالملك من وزراء مصر، وصار الوزراء الفاطميين الذين خلفوه يتتقبقوه بهذا اللقب.

واشتد رضوان في معاملة أعيان بهرام، فاستولى على أملاكهم وقتل الكثير منهم وهم يخالط الحافظ بحجة أنه ليس إماماً، بل هو كاذن لغبري، فاستناداً منه الحافظ، واضطر رضوان إلى الخروج إلى بلاد الشام، ثم ما لبث أن عاد إلى مصر على رأس جيش كبير سنة 543 هـ فنصده له جند الخليفة وأرغم على السير إلى الوجه القبلي حيث طارده الأمير أبو الفضائل بن مصال الذي عرض عليه عهد الأمان فاستجاب له وجاء إلى القاهرة، غير أن الحافظ لم يف بهذا العهد، فاعتقله بالقصر، ولم يزل في معتقله حتى سنة 545 هـ، حيث تمكن من الفرار وجمع أنصاره حوله، ثم دارت بينه وبين جند الخليفة السودانيين عدة معارك، انتهى الأمر فيها بهزيمته وقتله(1).

(1) ابن ميسر: تاريخ مصر، ص 82-83.
لم يتخذ الخليفة الحافظ وزيراً بعد أن اشتد الخلاف بينه وبين رضوان بن
وأخيه، فظل يحكم البلاد بلا وريث حتى توفي في جمادى الآخرة سنة 544 هـ،
فخلفه بعهد منه ابنه أبو المنسور إسماعيل ولقب بالظاهر بأمر الله، وولي الوزارة
النائب نجم الدين بن مصال ولقب بالسيد الأجل المفضل أمير الجيوش.

عاد التنافس في عهد الظاهر بين رجال الدولة على تقلد منصب الوزارة،
فثار الأمير المظهر على بن السلار وال인데درة والبحرية، وقضى القاهرة على
رأس فرقة من أعيانه، فاضطر ابن مصال إلى الفرار وحل ابن السلار محل مناصبه
في الوزارة وتلقب بالعادل، ثم جهز العساكر لمحاصرة ابن مصال، وأخذت قواته
تتبعه حتى أوقفت به الهزيمة في الوجه القبلي وقبضت عليه، وبذلك خلا الجو
لابن السلار وقام بأعيان الوزارة.

كان ابن السلار شافعي المذهب، فأنشأ سنة 546 هـ بالايندرية مدرسة
للمذاهب، وأستد ادارتها إلى الخليفة (1) الملفي الفقيه الشافعي، وذلك هيا السبيل
لرجوع المشهوب السنى إلى مصر، وقد أدى تعبصه لهذا المذهب ورغبته في إحلاله
بمصر محل المذهب الإسحاقى إلى حقد الخليفة ورجال دولته عليه، فقتل بإيار
منه سنة 548 هـ. وفي العام التالي اغتيل الخليفة بتدير من الوزير أبو الفضل
عباس الذي خلف ابن السلار في الوزارة.

أتى مقتل الخليفة الظاهر أهالي القاهرة، فنشبت المعارك في طرقات المدينة
وتعرض أتباع الوزير عباس لكركر من الضرب والآذى بسبب سخط الأهالي عليهم
حتى اضطرروا إلى الانصراف عنه، كما أن هذا الوزير ما لبث أن لقي حتفه في
أثناء محاولته الفرار إلى سورية.

بويج بالخلافة بعد مقتل الظاهر لابن عيسى وهو في الخامسة من عمره ولقب
بالفائز بنصر الله، وقد ساد الفزع القصر الفاطمي إذ ذلك وارسل نساء القصر إلى
طلائع بن رزق والآشمونيين يلبسون منه القذوم لإنقاذهم من الأخطار المحدثة
بهم (2)؛ فقدم طالع مرتدياً الصيام السوداء ومعه أعلام سود. وقد علق

(1) الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد السلاني الإبصائي.
(2) المرزبلي: خطبة، ج2 ص 293.
القريرى (1) على ذلك بقوله: «فكان فالأ عجبًا، فإنه بعد خمس عشرة سنة دخلت أعلام بنى العباس السود من بغداد إلى القاهرة لما تلقت الامام ولد صلاح الدين بملك مصر؟

تقلد طالع بن رزيق الوزارة بعد قضاءه على الاضطرابات التي حدثت بالقاهرة على أثر مقتل الخليفة الظاهر وترقب بالملك الصالح؛ غير أنه ما لبث أن استبد بالسلطة، فقد أسند إليه الخليفة جميع أمور الدولة في تقليد توليه الوزارة، وقد جاء فيه: «فقدل من ورائه وفرض إليه تدبير مالكه وكفاحته، وجعل لك إمارة جيوشه المباين وكشفة قضاء المسلمين، وتهديد دعاة المؤمنين، وتردد ما هو مmorgan إليهم من الصلاة والخطابة، وإرشاد الأولياء المستجيبين والنظر في كل ما أغدقه الله من أمور أولياته أجمعين وجنوده وعساكره المؤدين، وكاففة رعاياه بالحضره وجميع أعمال الملكة دانيها وقاصيتها وسائر أحوال الدولة باديها وخارفيها.»

ظل طالع بن رزيق قابضا على رمام الأمور في مصر حتى توفي الفائز في السابع عشر من رجب سنة 555 هـ، دون أن يوصى لأحد بولاية العهد أو الخلافة من بعده، فأقام الوزير طالع: العاقد خليفة؛ وفي ذلك يقول المقريزى: «ما مات الخليفة الفائز، ركب الصالح بن رزيق إلى القصر بباب الحزن، واستدعى رمام القصر، وسأله عن يصلح في القصر للخلافة فقال: ها هنا جماعة، فقال عرفني أكبرهم: فسلي لي واحدا فائر بإحضاره، فتقدم إليه أمير يقال له، «علي بن الزيد؟»، وقال له سرا، «لا يكن (الوزير) عباس أحمر منك بارا حيث قبل الصغير وترك الكبير، واستبد بالامير، فمال (الصالح) إلى قوله، وقال للزمام، أريد منك صغيرا، فقال، عمري وردة الامير يوسف بن الحافظ واسمه عبد الله، وهو دون البلوغ فقال (الصالح): علي به، فأحسره بعمامة لطيفة وثوب مفتوح. وكان عمره نحو إحدى عشرة سنة، ثم أمر صاحب خزانة الكسوة أن يحضر بذلة ساذجة خضراء وهي ليس ولي العهد إذا حزن عليه ما تقدمه، وقام فألببه إياها.»، وما

(1) خطط: د. س. 30.
(2) مجموعات الوثائق الفاطمية، ص: 152 - 153.
بث أن أخذ الصالح يبد عبد الله وأجلسه إلى جانبه، وأمر بأن يحمل إليه ثياب الخلافة فألبسها، وبايعه وتبعته سائر الناس في مباعته ولقب بالعاصر لدين الله في يوم الثامن عشر من رجب سنة 551(1).

يتضح لنا مما تقدم إلى أي حد زادت سلطة الوزراء في العصر الفاطمي الأخير حتى أصبحوا يتدخلون في تولية الخلفاء، بل لم يراعوا في توليتهم تعاليم الإسماعيلية، وفضلا عن ذلك فإن بعضهم انصرف عن تأيد مذهب الخليفة الفاطمي وأقبل دولته كما فعل كل من أبي علي أحمد بن الأفضل، وطلائع بن رزيق، فقد أظهرا مذهب الإمامية، وعملوا على إحلاله في مصر محل مذهب الإسماعيلية، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، فقد كان للفوزي طلائع بن رزيق مطاعم خاصة تجلب في حرصه على زواج ابنه من الخليفة العاضد، وكان يرجو من وراء هذه المظاهرة أن ترقص ابنه منه ولداً يفجري مع لبني رزيق الخلافة مع الملك.

(1) راجع مجموعة الوثائق الفاطمية في مصر، ص. 120 - 122.
الخلافة الفاطمية

تطور التنافس على الوزارة في مصر في العصر الفاطمي الأخير إلى استعانة بعض الطامعين فيها بأيام الدولة المجاورة ما زالت عليه تطلع هؤلاء الأمراء إلى بسط سلطانهم عليها، فقد انتفرد شاور الذي كان واليا على الصعيد بالسلطة بعد تخلصه من الوزير العدل بن طلائع بن ريك في المحرم من سنة 585 هـ، غير أن ضرغم - أحد قواد الجيش - ما لبث أن تأثر عليه وتقلد الوزارة، فاضطر شاور إلى الالتجاء بنور الدين محмож صاحب دمشق لمدة بقوة يسعي بها على استعادة نفسه، ووعد بأن ينزل له عن ثلاث خراج مصر إذا ما عاونه في التغلب على ضرغم وانتزاع الوزارة منه، فتردد نور الدين بائدة الأمر في إجابة طلبه، ثم ما لبث أن قوى عزمه على تحقيق رغبته، فأعاده بحملة أسد قياداته إلى أسد الدين شيركوه، فلم وصلت هذه الحملة إلى القاهرة تصدت لضرغم وتعقبت عليه، وبذلك خلا الجو لشاور، فاعيد إلى منصبه في الوزارة في رجب سنة 595 هـ.

على أن شاور سرعان ما تخلى عن حليمه بنور الدين، فلم يف بما عاهده عليه، وأرسل إلى أسد الدين شيركوه يطلب منه الرجوع إلى الشام، ولم يكتف بذلك، بل بعث إلى أمريك (Amalric) (2) ملك بيت المقدس يستعده ويخوذه من نور الدين إن ملك الديار المصرية، فسارع إلى تلبية طلبه، وأرسل جيشا أرغم شيركوه على المديدة بجذده إلى الشام، وكان لهذه السياسة أثرها في توجيه أنظار كل من نور الدين صاحب دمشق والفراغة بيت المقدس إلى غزو مصر، فأرتفع نور الدين حملة ثانية إلى مصر سنة 596 هـ بقيادة أسد الدين شيركوه وذلك حين ثبت لديه غدر شاور به ونفضه الاتفاق معه، وسير بصحته بعض الأمراء، وكان صلاح الدين يوسف بن أحمد الدين أيوب من بين الذين اشتركون في هذه الحملة.

رأى شاور أن يستنتج مرة ثانية بالفراغة، فاستقر رأيه على تحقيق رغبته خشية أن يستولي جيش نور الدين على مصر ويبذلها إلى بلاد الشام فيصبح مركزهم في بيت المقدس مهددا بالخطر. ولم وصلت عساكر الفراعنة إلى مصر.

(1) ابن راشد: مفرج الكرد في أخبار بني أيوب ج 137 ص 139.
(2) Amaury ورد اسمه في بعض المراجع.
(3) ابن راشد: مفرج الكرد، 147 ص 147.
انضمت إلى جيوش شاور والمصريين. وكان شيركوه قد تقدم بعسكره إلى الصعيد، فتتبعه الفرنجة والمصريون، والتقى الفرنكان في مكان يعرف بالبابين (على مقربة من المنيا)، فكان النصر لحلف شيركوه الذي رأى بعد ذلك أن يسير إلى الإسكندرية، فدخلها من غير مقاومة وعين ابن أخيه صالح الدين وليا عليها.

أما قوات الفرنجة والمصريين فعادت إلى القاهرة بعد واقعة البابين، ثم رحفت إلى الإسكندرية حيث قامت بحصارها، بينما كان أسطول الصليبيين يحاصرها بحرا، ولم يكن لدى صالح الدين من الجند ما يمكنه من رفع الحصار، فأسرع أسد الدين شيركوه إلى نجاحه. ولم بلتب المصريون والفرنجة أن أرسلوا إليه بطلبان الصلح، فأجاب طلبهم واشترط ألا يقيم الفرنجة في البلاد المصرية، ثم عاد إلى دمشق.

على أن جميع قوات الفرنجة لم تغادر مصر تنفيذًا لهذا الصلح، بل عقدت مع شاور معاهدة، كان من أهم شروطها: أن يكون لهم بالقاهرة شحنة (صليبية)، وتكون أبوابها بيد فرسانهم لينعمون نور الدين عن إنفاذ عسكره إليهم، كما اتفق الفرنكان على أن يكون للصليبيين سماة ألف دينار سنويا من دخل مصر (1) وقد عقب أبو شامة (2) على هذه الشروط بقوله: هذا كله يجري بين الفرنجة وشأور، وأما الغشاد - صاحب مصر - فليس له من الأمر شيء، ولا يعلم شيئا من ذلك، قد حكم عليه شاور وحنجه، وعاد الفرنجة إلى بلادهم وتركوا جمعة من فرسانهم ومشاهيرهم وأعيانهم بمصر والقاهرة على القاعدة المذكورة.

أدى دخول الفرنجة البلاد المصرية إلى اطلاعهم على ما وصلت إليه حالة هذه البلاد من الضعف والاضطراب مما جعلهم يطمئنون في الاستياء عليها، وذلك أنهم قد تحكموا في شئون أهلها دون أن يقف في وجههم أحد، وبعثوا إلى ملكهم أمريك يهونون عليه أمر امتلاك هذه البلاد، كما أن قوة من أعيان المصريين من كانوا يعانون شاور كانوا هذا الملك يحبون إليه القدوم إلى مصر، وكان قد وصل إليه من بعض أعيانه أسماء قراها ومقدار خراج كل منها، وبذلك تمهد

---

(1) ابن راشد: مفجري الكرب، ص 152.
(2) الروغتيني في أخبار الدولتين، ص 143.
السبيل لقوات الفرجة لغزو البلاد المصرية فخرج أمريك على رأس الحملة التي جهزها في أوائل سنة 514 هـ. ولما تقدم الفرجة في رفحهم صوب القاهرة، اضطر شاور إلى إخلاء الفسطاط، ثم أشعر النار فيها حتى لا يأتى إليها الصليبيون، وأمر سكانها بالنزوح إلى القاهرة، فحملوا معهم كل ما استطاعوا حمله من متعة وطعام وتركوا مدبتهم، فظلت النار مشتعلة بها أربعة وخمسين يوما.

ولما شدد الفرجة الحصار على القاهرة وضيقوا على أهلها حتى ضعفت قواهم، رأى شاور بعد أن أبقي من عجزه عن مقاومتهم وضعفه عن ردهم على أعقابهم أن يعتمد إلى إعمال الخيلة، فرسل إلى أمريك يذكره بما بينهما من صلة المودة، وبديء له خروجه من نور الدين، ويشير عليه بالصلح على أن يؤدي إلى أليف ألف دينار، فرحب أمريك بما عرضه عليه شاور واستقر الرأي بينهما على أن يعجل بدفع مائة ألف دينار لملك الفرجة، ويؤخر الباقى خشية أن يسارع نور الدين إلى الاستيلاء على البلاد المصرية.

على أن شاور ما لبث أن خدع الفرجة، فرسل إلى نور الدين يطلب النجدة، كما بعث إليه أيضا الخليفة العاضد لدين الله يستنجد به، وتعهد بأن ينزل له عن نصف بلاد مصر، وأن يأذن لأسد الدين شيركو بالإقامة عنده مع جنده، وأن يكون إقطاع هؤلاء الجنود خارجا عن نصف البلاد الذي أفرده لنور الدين(1).

لم تكد تصل هذه الرسائل إلى نور الدين حتى سارع إلى تجهيز قوة من حرسه الخاص ومن التركمان بقيادة أسد الدين شيركو، وتوجه إليهم عدد كبير من الأمراء وبعض أقاربه ومن بينهم ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن آيوب، ومضوا جميعا في سيرهم نحو مصر. فلما وصلوا إلى القاهرة كان لا يزال أمريك معسكرًا بقواته أمام أسوارها، فرحب بهم المصريون، واضطر أمريك - بعد أن اتضح له موقف المصريين منه - إلى الرحيل إلى فلسطين من غير حرب ولا قتال، ثم دخل أسد الدين شيركو القاهرة في شهر ربيع الآخر سنة 514 هـ، فرحب به أهلها، واستقبله الخليفة العاضد وخلع عليه.

(1) ابن واصلي: مفرق الكروب من 185.
أيمن شاور بعد وصول حملة شيركو الثالثة إلى القاهرة أن غايتها القضاء عليه والاستيلاء على مصر، فظل يوجس خيفة منه، وصار كل منهما يكيد خصمه. ولهذا حاول شاور تدبير مؤامرة للقبض على شيركو ومن معه من الأمراء، نهى ابنه الكامل وقال: "والله أني عزمت على هذا الأمر لأعرف أن الدين" فقال شاور: "والله أني لم أفعل هذا لقتال جماعة، فرد عليه الكامل بقوله: "صدقت ولان قتلت ونحن مسلمون والبلاد بيد المسلمين خير من أن نقتل وقد ملكتها الفرقة"، فعدل شاور عن عزمته، غير أن أسد الدين ما لبث أن اتفق مع أصحابه على التخلص منه واضطحل بعضهم بتنفيذ هذه المؤامرة، فقبضوا عليه وقتلوه، ثم نهبوا العامة دوماً. ولهذا انتهت حياة ذلك الوزير الذي استبد بالسلطة في أواخر العصر الفاطمي واستعان بالعناصر الأجنبية لتشتيت نفوذه، ولم يعد للصليبيين بعد مقتله من يحفزهم على التطلع إلى غزو مصر.

أصبح أسد الدين شيركو صاحب السلطان الفعلي في البلاد بعد أن انتهى عهد شاور، فاتخذ العاضد وزيرا له، وتبقي بالملك المنصور أمير الجيوش، وقلده جميع أمور الدولة، فقاص في سجل تعييه وزيرا: "وقدك أمير المؤمنين أمر وزارته وتدير ملكته، وحياته ما وراء سرير خلافته، وصيانتا ما اشتملت عليه دعاة إمامته، وكفالة فضاء المسلمين، وهديا دعاة المؤمنين(1)... كما أوصاه بأن يحسن معاملة رعاياه بقوله: "والرعايا قد علمت ما نالهم من إجحاف الجريبات والإسراف الجنایات، وتوالي عليهم من ضروب النكبات، فاعمر أوطانهم التي أخرجوها الجور والأذى، وانف من مواردهم الكدر والقذى، وأحسن حفظ وديعة الله منهم، وخنق الوطاة ما استطعت منهم، وbindlem من بعد خوفهم أمناً.

استطاع أسد الدين شيركو في الفترة القصيرة التي قضها في الوزارة أن يقبض على زمام الأمور في البلاد، كما وعز الإقطاعات على عساكره، وأعاد أهلية الفسطاط إلى بلدهم، وأوصى أصحابه أن يتحركوا القاهرة، ثم توفي بعد أن ظل في منصبه ما يقرب من ثلاثة أشهر، فتنازع أعراء نور الدين الذين كانوا معه في طلب الرياسة والوزارة، غير أن العاضد مال إلى تولية صالح الدين يوسف بن أيوب لصغر سن وضعه عنهم فاستدعاه وولاية الوزارة.

(1) مجموع الوثائق الفاطمية ص. 172.
شرع صلاح الدين - بعد أن ولى وزارة العاقد الفاطمي - في استملة قلوب الناس إليه. وكان لبِلَّذه الأموال عليهم أثر في اكتساب محبتهما ساعد على تقوية مركزه في مصر. بينما أخذت سلطة العاقد في الضعف، فقد أمر صلاح الدين بذكر اسم نور الدين في الخطة بعد الخليفة الفاطمي وأقطع أصحابه البلاد، وأرسل إليهم بعض المناصب، وبذلك كشف القناع عن حقيقة نوايا إزاء الخلافة الفاطمية وتجلي حرصه على القضاء عليها.

وأما تلبية صلاح الدين على أهل الفاطمي وتجلي استبداده بأمر الدولة وإضعافه جانب الخلافة، حتى عليه رجال القصر وديروا المكافئ للتخلص منه، وكان يتزعمهم جوهر مؤمن الخلافة. وقد اتفق بينهم على مكتبة الفرغة ودعوته إلى مصر، فإذا ما خرج صلاح الدين إلى لقائهم قبضوا على من بقي من أصحابه بالقاهرة وانضموا إلى الفرغة في محاربه والقضاء عليها(1).

على أن صلاح الدين ما لبث أن وقف على ما دبره له أعداؤه، فشدّد الرقابة على مؤمن الخلافة، وأرسل إليه جماعة من أصحابه تمكنوا من اغتياله في أواخر سنة 564 هـ(2)، فألقت ذلك إلى ثورة جند الخليفة وأكثرهم من السودانيين - وكانوا يزيدون على خمسين ألفا. وقد دار بينهم وبين قوات صلاح الدين قتال غنيف في المكان المتوفر بين القصيرين بالقاهرة أحرق فيه كثير من الناس، كما أحرق جموعهم المعروفة بالنصورية، وحلت بهم الهزيمة، ومنست فلولهم إلى الجزيرة(3). ورأى صلاح الدين يتبعهم في الصعيد إلى أن قضى على نفوذهم نهائيا سنة 572 هـ(4).

لم تكن الصعاب التي واجهت مصر في الفترة التي قضىها صلاح الدين وزيراً للعاصمة مقصورة على الفتن التي أثارها رجال الفاطمي وأتباعهم من الجند، بل كان الفرغة في بيت المقدس يرقبون إذ ذاك ارتداد نفوذ نور الدين المتواصل في مصر. ويرى في خطا يهدد كيانهم، ولذلك استقر رأى ملك بيت...

---

(1) المفرز: خطط ج - 2 ص.
(2) المفرز: خطط ج - 2 ص.
(3) ابن راشد: فرج الكروب ج - 1 ص. 174 - 177.
(4) حسن إبراهيم: تاريخ الدولة الفاطمية ص 197.
المقدس على الاستجابة بملوك أوربا لإحباط أطماع نور الدين، لكن دعوته لم تلق استجابة منهم لانشغال غالبيتهم بمسائل تتعلق بدولتهم، فلجأ إلى مانويل إمبراطور الدولة البيزنطية الذي رحب بطلب المعونة إليه، ومن ثم توجهت قواتهم إلى دمياط يعاونهم أسطول بيزنطي مسروب بالملايين والعتاد الحربي، فوصلوا إليها في صفر سنة 565 هـ (1268 م). وكان الإمبراطور البيزنطي يرجو أن يتحقق هذا الحلف الأطماع في توسيع رقعة البلاد الداخلية في دائرة نفوذها.

رأى صلاح الدين بعد أن بلغه خبر الحملة التي أنفدها الفرنجية إلى دمياط أنه لا بد من النهوض لصدهم، فأرسل جنده عن طريق النيل بقيادة ابن أخيه تقي الدين عمر وخاله شهاب الدين محمود، وأمدهما بالسلاح والذخائر والمالي.

واضطر صلاح الدين للبقاء بالقاهرة خشية أن يقوم رجال القصر الفاطمي وجد السوادون الناقمون عليه بتدير المؤامرات ضده. وبعث إلى نور الدين محمود يطلب منه النجدة، ويشكو إليه ما هو فيه من المخاوف، وأنه إن تخلف عن دمياط ملكها الفرنجية، وإن سار إليها دير له أعداؤه من المصريين الكائنين، وبذلك يصبح الفرنجية أمامه والمصريون خلفه. فاستجاب نور الدين لدعوة صلاح الدين وبعث إليه الإيماد، وكان كلما جهز فرقة من الجند أرسلها إليه(1)، كما حرص الخليفة العادل على إعطائه بالمال طوال سنة حصار الفرنجية لدمياط. وقد نوه صلاح الدين بمعاونة العادل له بقوله: (2) "ما رأيت أكرم من العادل، أرسل إلى مدة مقام الفرنج على دمياط ألف ألف دينار سوى ما أرسله إلى من الكبائر وغيرها.

لم ينسى للمغزبيرين على دمياط من الفرنجية وحلفائهم البيزنطيين تحقيق غرضهم، فقد تسرب القلق إلى نفوسهم من جراء ما عانوه في سبيل تقوين قواتهم، كما وضع الخلاف بين قواهم على الخطة التي يتبعونها لمحاكمة هذه المدينة، وفضلاً عن ذلك، فإنما بلغهم عن قيام نور الدين بمحاكمة حصن الكرك وغيرها من الواقعة التي في أيديهم حملهم على الإسراع في رفع الحصار عن المدينة.

---

(1) حسن حنشي: نور الدين والصلبيون، ص 134 - 136.
(2) ابن راشد: فتح الكرك، ج 1، ص 181.
(3) المقرئي: خطط، ج 1، ص 215.
الرجوع بجيوشهم إلى بلادهم في ربع الأول سنة 565 هـ. وبذلك فشلت هذه الحملة في غزو دمياط والاستيلاء على مصر.

كان لإحباط خطة الفرجبة والبزنشتين في مهاجمة دمياط ورحيلهم إلى بلادهم منزولين أثره البالغ في توطيد سلطة صلاح الدين في مصر. فقد اعتبره المصريون حامية لهم واتفقوا معه على محاولة الفرجبة أعدائهم جميعاً، كما أن صلاح الدين حرصاً عليه تدعيم مركزه، رأى أن يبحث نفسه بأهل بيته، فطلب من نور الدين أن يرسل إليه أباه وأقاربه، فوصلوا إلى مصر في جمادى الآخرة سنة 565 هـ (1170 م)، وما لبث أن أستند إليهم بعض المناصب الهامة، فجعل أباه على BIT المال وأقطع إخوته بعض الأراضي.

لم يفه صلاح الدين أن سلطانه قد استقرت، وجه اهتمامه إلى القضاء على المذهب الشيعي في مصر، فأنشأ سنة 566 هـ مدرسة لتدريس المذهب الشافعي وأخرى لتدريس المذهب المالكي، وعزل قضاة الشيعة، وعين صدر الدين عبد الملك بن درياس قاضياً للقضاء في جميع أنحاء البلاد المصرية، فتأدب عنه في سائر البلاد قضاء شافعية، فاستعداد بذلك المذهب السني قوته، واحذ المذهب الإسماعيلي في الاحتفاء تدريجياً حتى لم يبق له أنصار في مصر.

كان لسياسة صلاح الدين التي تنطوي على إضعاف المذهب الإسماعيلي أثرها في رؤى الخلافة الفاطمية، فقد انهارت منذ ذلك الوقت سلطة الخليفة العاضد، وكان القول من صلاح الدين وأصحابه في ذلك، كما أخذوا يخلو وإقامة الدعوة العباسية. لكن صلاح الدين رغم استبداها بأمور مصر لم يسارع إلى إقامة الخطبة للمستضيء بنور الله العباسي، بل أعذر في بادئ الأمر عن تنفيذ رغبة نور الدين الذي أرسل إليه بأمره بإحلال اسم الخليفة العباسي في الخطبة محل الخليفة الفاطمي، واعتد بتحريه من أن يثير هذا العمل غضب المصريين، غير أن

1) حسن حبيشي: نور الدين والصليبيون، ص 137 - 140.
2) ابن شداد: الوافدين السُلطانية والمحاسن البيروسفية، ص 125 - 130، وابن واسل: مفرج الكروب، جا 185 - 186.
3) المقرئي: خطط جدا، ص 358 - 359.
نور الدين أبي قبول هذا العذر وبعث إليه يلزم به بقطع الخطب للخليفة العادل، فرأى صلاح الدين أن يشاور الأمراء في ذكر اسم الخليفة العباسي في الخطب بدل الخليفة الفاطمى فوافقه بعضهم وأظهروا استعدادهم لمساندها تحقيق هذه الرغبة، وخشي آخر من الإقدام على ذلك، وكان قد وفد إلى القاهرة رجل فارسي يعرف بالأمير العالم، فلما رآى تردد صلاح الدين في إقامة الخطبة للخليفة العباسي، أبدى حرصه على القيام بنفسه بالدعاء لهذا الخليفة، فصعد المبر في أول جمعة من شهر المحرم سنة 567 هـ قبل الخطب، ودعا للمضي، فلم يعارضه أحد، وفي الجمعة الثانية أمر صلاح الدين الخطباء بمصر والقاهرة بإسقاط اسم العباسي من الخطبة وذكر اسم الخليفة العباسي بدلاً منه، وكان العادل إذ ذلك مرضًا فلم يعلمه أهله وأصحابه بذلك، ثم توفي في العاشر من المحرم سنة 567 هـ (1). وقيل إن علم قبل وفاته بحذف اسمه من الخطب، فاعتزل وتوفى بعد خمسة أيام (2).

وهكذا سقطت الدولة الفاطمية الشيعية، وظلت الخلافة العباسية قائمة على الرغم مما أصابها من الضعف والانحلال. ويرجع السبب في ذلك إلى رغبة المسلمين الاحتفاظ بها لاعتقادهم أنها نظام لا بد منه لصلاح العالم الإسلامي واستقامة شؤونه.

(1) ابن واصلي: مفرج الكروب، ج1 ص: 260 - 261.
(2) أبو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين ج1 ص. 191.
الباب السادس

النظم والحضارة في العصر الفاطمي بمصر

1 - نظم الحكم والإدارة.
2 - الحالة الاقتصادية.
3 - مظاهر الحياة الاجتماعية.
4 - الحياة الثقافية.
ا - نظام الحكم والإدارة:

تطلب نظام الوراثة عند الإسماعيلية وهو الذي أخذ به الفاطميين منذ نشأة دولتهم أن تنتقل الإمامة من الأب إلى الابن عن طريق التعيين بالنص. وحرص الفاطميين على اتباع هذا النظام منذ أقاموا دولتهم، ولكن بعض الأحداث حملتهم على الخروج عليه، فحاول الخليفة الحاكم بأمر الله أن يحرم ابن أبا الحسن علياء، الذي ولي الخلافة من بعده باسم الظاهر من ولاية العهد، ويعهد بها لابن عمه عبد الرحيم بن إلياس، غير أن هذه المحاولة باذ البشل وخلفه ابن الظاهر، كذلك خولف هذا النظام بعد وفاة الخليفة الأصر حين ولي الخلافة بعده عمه الحافظ، كما أنه بعد وفاة الفائز في الخلافة ابن عمه العاضد لدين الله.(1).

وكان الخليفة الفاطمي بعين ولي عهده قبل وفاته ولم يكن له الحق في أن يعهده بالإمامة من بعد لأكثر من واحد، وهذا يميز ولاية العهد عند الفاطميين عن ولاية العهد عند الأمويين والعباسيين، فكان الأمويون والعباسيون من بعدهم يعهدون بالخلافة لأكثر من واحد. وأسفر العباسيون عن تعيين ولاة العهد فعهدوا بالخلافة من بعدهم إلى ثلاثة أمراء مما أدى إلى قيام المنافسة بين أفراد البيت المالك، كما أدى إلى ضعف كل من البيتين الأموي والعباسي في النهاية.

أحاط الخلفاء الفاطميين أنفسهم بالهالة من التدقيق، ويتجلى لنا ذلك من حديث الداعي هبة الله الشيخرازي الذي وصف فيه مقابله الخليفة المستنصر بالله الفاطمي في مجلس الخلافة بالقاهرة، فقال: "فلم تتبع عيني عليه إلا وقد أخذتني الوعي، وخلبتني العيرة، وتمت في نفسي أننى بين رسول الله وأمير المؤمنين - صلى الله عليهما - ممثل، وبوجهي إلى وجههما مقابل، اجتهدت عند وقوعى إلى الأرض ساجداً لولي السيرود ومستحقه، أن يشفعه لسانى بشفاعة حسنة.

(1) انظر: مجموعة الوثائق الفاطمية، ص. 21.
تأريخ الدولة الفاطمية

بنته، فوجدته بعجينة المهابة معقولا، وعن مزية الخطابة معزولا. ومكنت بحضورته ساعة لا يبحث لساني بنطق ولا يهتدئ لقول، ولكلما استطرد الحاضرون مني كلاما ازدادت إعجابا.. وهو خلد الله ملكه - يقول: دعوة يبدأ ويستأنس، ثم قمت واتخذت بذة الكريما فترشفتها وتركتها على عيني وصدى، ووضعت وخرجت(1)...

وكان الخلفاء الفاطميون يرون في تقديس الناس لهم إعلاه لمشاهدهم واعتبروا أنفسهم هداة لهم. وكانوا يلقبون أنفسهم بالألقاب كثيرا منها: الخليفة الفاطمي أو العلوى أو أمير المؤمنين. وكان السيوين يطلقون عليهم العباديين نسبة إلى عبيد الله المهدى أول الخلفاء الفاطميين بلاد المغرب، كما أطلق عليهم الفاطميون نسبة إلى السيدة فاطمة الزهراء(2).

أما عن الوزارة في عهد الفاطميين، فإن جوهر القصلي لما فتح مصر أقر الوزير جعفر بن الفضل بن الفرات في منصبه حتى لا يحدث عزله اضطرابا في شؤون ولاية مصر، ولم يقدم على عزل أحد من الموظفين السنيين وإحلال المغاربة وغيرهم من أنصار الفاطميين محلهم لأنه لم يوجد من المغاربة في أول الأمر خبير بالشأن الإداري في مصر.

على أن جوهر ما لبث أن أشرك مع كل موظف مصري آخر مغربي حتى إذا ما تدب أن أنصار الفاطميين على الإدارة انفردوا بالوظائف. كذلك عمل جوهر على إضعاف سلطة الوزير جعفر بن الفرات بأن عين له خادما يلازم في دار ويسبر في ركابه ليكون عينا عليه(3). وساء الوزير ابن الفرات أن يرى نفسه في هذه الحال، لذا أنهز فرصة قدوم الخليفة المعز إلى مصر واعتذر له عنة البقاء في منصب الوزارة، فأظهر له الخليفة رغبته في ضرورة بقائه في البلاد المصرية بعد اعتزاله منصبه ليستأس برأيه في مهام الأمور، فأجابه إلى ذلك(4).

---

(1) سيرة المؤيد، ص 85-86.
(2) حسن إبراهيم: تاريخ الدولة الفاطمية، ص 216.
(3) المفرزوي، تعاون الحنفا، ص 168-169.
(4) انظر: كتاب "المعز لدين الله"، ص 149.
ثم عهد الخليفة المعز إلى يعقوب بن كلس وعسلوج بن الحسن المغربي في إدارة شئون الدولة الفاطمية المدينة والبحرية، وقلدهما أمير الدولة التي يضطلع بها الوزراء، على أن ابن كلس لم يشد إليه منصب الوزارة، ويلقب بلقب وزير إلا في عهد الخليفة العزيز بالله.

كانت الوزارة في العصر الفاطمي الأول (358 - 465هـ) وزارة تنفيذ لأن الخلفاء كانوا على جانب كبير من القوة بحيث استأثروا بإدارة شئون الدولة. وحرص الخلفاء الفاطميين على اختيار ورائهم من المختصين بتدبير الأمور، كما كان لكلمان الولايات وكبائر موظفي الدولة على اختلاف درجاتهم الحق في تقلد منصب الوزارة إذا توارثت عندهم الكفاية اللازمة لهذا المنصب، وبلغ من تمام الفاطميين أن عهدوا إلى بعض ذوي الشأن من أهل الدهر بولاية الوزارة.

لم تظهر تسمية الوزير ويرا يوجد إلا في أيام الخليفة المعز مع أن هذا المنصب كان معروفاً في عهد الطولونيين والأخشنايين. ومن وزرائه يعقوب بن كلس، وكان يجلس للمظالم كل يوم بعد صلاة الصبح، فيدخل عليه الناس بطلاتهم، واتخذ في قصره عدة دواوين، خص بعضها بالنظر في شئون الجيش والمالية والسجلات وما يتعلق بجباية الخراج، وعين لكل ديوان ما يحتاج إليه من الموظفين.

ضعف شأن الوزارة بعد وفاة يعقوب بن كلس وتحولت إلى ما يسمى الوساطة خشية ارتداد نفوذ الوزراء، ففي أوائل عهد الخليفة الحاكم بأمر الله عزل عيسى بن نسطورس لإسناده منصب الدولة إلى أهل منه من المسيحيين، وتقلد الحسن بن عمار زعيم الكتامين الوساطة وتلقب أمين الدولة.

ومن أشهر رجال العصر الفاطمي الذين تقلدوا الوساطة والوزارة: أبو الحسن على بن جعفر بن فلاح الذي لقب الوزير، وأبو القاسم على ابن أحمد الجرجاني الذي تقلد بعض المناصب العليا في عهد الحاكم، ثم أسند إليه الوساطة في أوائل خلافة الظاهر الفاطمي، لكنه لم يل الوزارة إلا في سنة

(1) ماجد: تقدم الفاطميين ورسومهم في مصر، ص 92.
(2) حسن إبراهيم: تاريخ الدولة الفاطمية ص 272.
128

وظل شاغلاً هذا المنصب إلى أن توفي سنة 366 هـ، خلفه في الوزارة أبو
منصور صدقة بن يوسف الفلاحي (1) غير أن هذا الوزير لم يتمتع بما تمكن به غيره
من نفوذ بسبب اتساع سلطة أبي سعد التستري اليهودي الذي تقرب من الخليفة
المستنصر بالله وعظم شأنه في عهده (2).

أصبحت الوزارة منذ أواخر عهد المستنصر بالله إلى نهاية العصر الفاطمي
وزارة تغويض تقلدها كثير من أرباب السيف بعد أن كانت وزارة تنفيذ أو وساطة
يرجع من تقلدها إلى أمر الخليفة ونهيه، وبذلك تحولت الوزارة إلى سلطة
استبدادية. ومن أشهر وزراء هذا العصر بدر الجمالي الذي كان وابناً على عكا، ثم
استدعاه المستنصر لينذق عرش خلافته ويصبح الأمير في مصر، فلما قدم إلى
القاهرة فرض إليه جميع سلطاته، فقد جاء في سجل توليه الوزارة (3)، وقد نقل
أمير المؤمنين جميع جوامع تدبيره، وناظر بك النظر في كل ما وراء سريره (4).
وبذلك أصبح بدر الجمالي صاحب الحل والعقد، له أن يولى كبار موظفي الدولة
وبعثهم.

ضعف نفوذ الخلفاء الفاطميين كثيراً في العصر الفاطمي الثاني، بينما زادت
سلطة الوزراء الذين استفحلت قوتهم وتضخمت ثروتهم، وأصبح في أيديهم أمر
تعيين الخلفاء وعزلهم. وكان بعضهم يؤثر اختيار أحد آрамه البيت الفاطمي
الضعاف حتى يكون العدوية في أيديهم. وقد نقلت هذه الظاهرة في عهد الوزير
الأفضل بن أمير الجيوش بدر الجمالي الذي كان يتمتع بسلطة مطلقة، فأصبحت في
قبضه يده موارد الدولة الواسعة. وقد نقل الدواوين إلى داره التي بناها سنة
150 هـ، كما جلب إليها كثيراً من الخسائر الفنية.

وكان من ألقاب وزراء التغويض: أمير الجيوش، وكافل قضاة المسلمين،
وهادي دعاة المؤمنين. ثم أضيف إليها لقب ملك بعد أن ولى الوزارة رضوان بن
وحسن في عهد الخليفة الحافظ، وفي ذلك يقول المقرزي (4): "وأول من لقب

(1) ابن منجع الصبرى: الإشارة إلى من نال الوزارة، ص 35-38.
(2) حسن إبراهيم: تاريخ الدولة الفاطمية ص 177.
(3) المقرزي: خطط، ج 1 ص 44.
(4) المقرزي: خطط، ج 2 ص 350.
بالملك منهم مضافًا إلى بقية الألقاب رضوان بن ولد، عندما ورث للحافظ لدين الله، فقيل له: السيد الآخر الملك الأفضل، وذلك في سنة ثلاثين وخمسين، وفعل ذلك من بعده، فتلقب طلائع بن ركاب بالملك المنصور، كما تلقب صلاح الدين بالملك الناصر.

* * *

كانت مصر تقسم في العصر الفاطمي إلى أربع ولايات أو أقاليم كبيرة وهي: ولاية قوص وبحكم مولتها جميع بلاد الصعيد، وولاية الشرقية وتشمل على وجه التقريب الأراضي الواقعة شرق فرع دمياط، وولاية الغربية وتشمل جميع البلاد الواقعة بين فرعى رشيد ودمياط من الشمال إلى الجنوب، أما الولاية الرابعة فهي ولاية الإسكندرية، ويبقى فيها البحرية. وقد منحت الحكومة الفاطمية كل وان مولاة هذه الأقاليم الأربعة الحرية في تعيين العمالة على المدن والنهائي والقرى الداخلة في نطاق ولايته، كما أجازتهم لهم العناية بمرافق إقليمهم دون الرجوع إليها.

وكان على القاهرة وال، كما تولى على الفسطاط وال، تتمتع كل منها مركز ممتاز عند الخليفة، غير أن مرتبة وواحدة القاهرة كانت أعلى من مرتبة وال الفسطاط، وكذلك كان لكل من تنبيه وعذاب وال بحكمهمهما لأهميتهم التجارية.

أما شؤون الإدارة في العصر الفاطمي بمصر، فكان يشرف عليها عدة دواوين، نذكر من بينها: ديوان الإنشاء، وديوان الإدارة المالية التي تقوم بجباية الأموال وإنفاقها، وديوان الإدارة المحلية التي تخضع الولائيات، وتقسم الدواوين الرئيسية بدورها إلى عدة دواوين، يختص كل منها بعمل معين.

كان الموظفون في العهد الفاطمي يتضامنون الرواتب الكبيرة ويمنون الملابس والهدايا المشرقة في الأعياد والعوامرس؛ وأصبحوا فضل هذه الرواتب والمكافئ في رغد من العيش مما سهل عليهم القيام بواجباتهم على أحسن وجه، فلم يألوا جهداً في العمل على تقديم مراتب البلاد الاقتصادية ودفع إغاثات الأعفاء عنها.

(1) الفلمندي: صبح الأعشى، جهات ص 497-500.
(2) نظر: كتاب الفاتحي لدiniz الله ص 161-162.
ورحص الفاطميين على أن يكون موظفو الإدارة من بين ذوي الخبرة كما
اهتموا بتدريب كتاب الدواوين على جميع الأعمال الكتابية؛ وأحسن مثل لذلك
ابن منجى الصيرفي الذي عمل قبل توليه ديوان الإنشاء في عهد الخليفة الامر
في ديوان المكتبات ودواوين الجيش والمالية. وكانت هذه الطريقة تهيمن لأرباب
الوظائف قدرا كبيرا من الثقافة الإدارية(1).

كان ديوان الإنشاء أحد دواوين الإدارة في عهد الفاطميين وهو يلي الوزارة
في الأهمية؛ وأطلق عليه ابن منجى الصيرفي (ديوان السرايئ) وغلبت عليه
التسمية الأولى، وازدادت أهمية ديوان الإنشاء في ذلك العهد لما كان عليه في
عهد الطلوفين والأنهديين، لأن مصر أصبحت مركزا للخلافة الفاطمية التي
امتد نفوذها من بلاد المغرب إلى بلاد الشام وجزيرة العرب، وصارت في حاجة
للقيم بذاعة واسعة خلفها مما يتطلب من هذا الدوين مجهودا كبيرا. وكان يتولى
шениеن هذا الدوين كاتب يقالي له صاحب ديوان الإنشاء ويطلق عليه أيضا صاحب
الدست الشريف لكتابه على الدست، ومن واجباته تسلم المكتبات الواردة ثم
عرضها على الخليفة لبحثها واعتمادها. وكان صاحب الإنشاء يتقاضى راتبا شهريا
قدره مائة وخمسون ديناراً، ويتقاضى كل كاتب من الكتاب الذين يعملون تحت
إدارة ثلاثين دينارا(2).

ويهل صاحب الإنشاء في الرتبة صاحب القلم الدقيق الذي كان يرجع على
المظام ويجلس الخليفة، وكان يتقاضى مائة دينار كل شهر، ويهل صاحب القلم
الدقيق في الرتبة صاحب القلم الجليل، وهمته تسلم رقاع المظام من صاحب
القلم الدقيق وعرضها على الخليفة(3).

وفي بعض الأحيان كان يتولى صاحب ديوان الإنشاء إدارة البريد، فيذكّر
المقريزي(4) أن الخليفة الحاكم بأمر الله فقير الدين بن جوهر البريد والإنشاء في
شوال سنة 386 هـ. واهتم الفاطميين بالبريد اهتماما كبيرا، وصار أصحابه يعرفون
في أيامهم بأصحاب الأخبار. وكانوا يوفونهم بكل ما يصل إليهم من الأحداث،
وبذلك لم يعد يخفى عليهم شيء من أمور دولتهم.

(1) ماجد: نظام الفاطميين ورسومهم في مصر، ج1 ص 59 - 96، 13.
(2) الفلكشند: صبح الأخشي، ج2 ص 32، 489.
(3) الفلكشند: صبح الأخشي، ج2 ص 491 - 492.
(4) خطي: ج2 ص 14.
وكانت الشرطة من الجهاز الإداري الفاعل، وتختص بحفظ النظام واستناب الأمن، وتولى رئيسها الذي يرفع صاحب الشرطة تنفيذ أحكام القضاء. وكان حكام الولايات المصرية يقومون بأعمال صاحب الشرطة في ولاياتهم ويعاونهم جماعة من الجنود.

وأما بخصوص ملاحظته أن الشرطة قسمت في العصر الفاطميين بصرى إلى قسمين وهما الشرطة العليا في القاهرة، والشرطة السفلى في مصر (الفساط والعسكر). وكان هذا التقسيم معمولاً به منذ العصر الطولوني، غير أن الشرطة العليا كانت في مدينة العسكر، والشرطة السفلى كانت في الفسطاط، فلما تأسست مدينة القاهرة وأصبحت العاصمة، اقتضى ذلك نقل الشرطة العليا إليها، وبيت الشرطة السفلى في الفسطاط.

* * *

كذلك كان للتنظيم العربي نصيب مؤثر من عناية الفاطميين، فقد رأوا أنهم بحاجة إلى جيش قوي يحمي دولتهم ويساعدهم على استثمار نفوذهم في أراضي الدولة الإسلامية، كما اهتموا بإنشاء أسطول لصد الأعداء الذين يغيرون على دولتهم من ناحية البحر وليكونون عوناً لقواتهم البرية.

وقد سار الفاطميين في تحقيق هذه السياسة على ما كان سائداً في ذلك الوقت، فكونوا جيشهم من عدة أجناس لم يكن بعضها معروفًا في مصر، وكان المعر من استمر له الأمر في البلاد المصرية يعتمد على المغارة - وهم ينتمون معظم جيشه - ويشملون عدة طوائف من البربر، نذكر منها: catanica والباطلية(1) والمصادر والجوردية(2).

ولا على العزيز بالله الخلافة، استخدم الأنطاك والدلم، ثم ظهر عنصر السودان في الجيش في عهد الحاكم بأمر الله، وتضاعف عدد في خلافة المستنصر بالله حتى بلغ عدد السودانيين في الجيش خمسين ألفاً، وظل هذا العنصر يكون فرقة كبيرة في الجيش الفاطميين حتى زالت الدولة الفاطمية. وقد أدى تعدد العناصر في الجيش إلى قيام التنافس والتشاحن بين طوائف الجنود، وليس أدل على ذلك ما حدث في عهد المستنصر حيث قام خلاف بين طائفيات الأنطاك والسودانيين كان له آثارًا في حالة مصر الداخلية.

---

(1) أنظر: المقرئي: خطيج، ص. 8.
(2) ماجد: نظم الفاطميين ورسبهم، ج. 5، ص. 195ـ196.
وكان في الجيش الفاطمی أيضاً عناصر أجنبية، وفدت إلى مصر مع بعض الذين تقلدوا الوزارة، منها جند الأرمن، وقد أحضرهم بدر الجمالی من بلاد الشام، كما عمل بهرام الأرمني أثناء توليه الوزارة على استجلاب عدد كبير منهم إلى مصر. كذلك أتى الأرکاد مع أسد الدين شیرکوه وصلاح الدين ویوسف بن ایوب في عهد الخليفة العاضد.

وكان من بين طوائف الجيش فرق من الجنر الوارد إلى الخلفاء أو الوزراء، فمن طوائف الخلفاء: الامراء والخافطية والطافرة والعامسة. ومن طوائف الوزراء: الوزيرية وتنسب إلى الوزير يعقوب بن کلیس. وقد سمع له الخليفة العزيز يتكوين حرس خاص به. و هناک طوائف أخرى ظهرت في العصر الفاطمی الثاني، منها الجیوشیة نسبة إلى أمیر الجیوش بدر الجمالی، والافضلیة نسبة إلى ابنه الأفضل، والبرقیة وهم جماعة من أهل برقة، وقد أنشأ الوزیر طلائع بن ریک فرقة منهم وجعل ضرغم مقدمهم (١).

لم يعمل الفاطمیون على إشراك المصرین في جيشهم، غير أنه في أواخر العصر الفاطمی حين أصبحت مصر مهددة من جانب الکلیسیین اشترک المصرین في الدفاع عن بلادهم، فأصبح الجيش الفاطمی يتكون من جنود وأمراء مصمین فضلاً عن الطوائف الفاطمیة الأخرى.

اتخذ الفاطمیون للجيش أحياء خاصة، فانزل جوبر الصقلي عسکر المعز - وكانت تتكون من عدة عناصر في مواضع بالقاهرة عرفت بالحارات، وخصوص لكل طائفة حاریة، يقيم فيها الجنر وأسرهم، وبها دکاکین وأسواق. ويرجع السبب في اتخاذ أماكن معينة لإقامة الجنر إلى منعهم من مضايكة سكان القاهرة ويتالف الجيش الفاطمی من الأمراء وهم القادة، وطوائف الجنر. ويتميز الأمراء بعضهم عن بعض بعلامات في الأعياد والمواکب الرسمیة بحسب مراتبهم، فالمأمور الكبار يحملون حول أعناقهم أطواق الذهب، ويقود كل منهم أفراد جنر، وخانک فريق آخر من الأمراء يعرفون بأصحاب القضب، يحملون في أيديهم قضب الفضة وهي رمث رفیقة، ويقود كل منهم مائة جنر (٢).

(١) انظر: خطط ج2 ص ١٢٠.
(٢) القلمشیدی: صح الأعشی، ج3، ص4٨.
وكان الفاطميون لا يأتون جهدا في سبيل تجهيز جيشهم بكل ما يحتاج إليه من أسلحة، فانشأوا خزائن السلاح. وكانت تحتوي على خوذات وسيفات ورماح وسهام ودرع وأقواق مختلفة الأشكال. وهناك خزائن تمد الجيش بمدفاتها، منها خزائن الحبيس، وبها عدة أنواع من خيوط الجندر، وخزائن لصناعة السروج اللازمة للدواب في الحرب. وذكر المقرئ (1) أن الخليفة الأموي بحكم الله الفاطمي لما فكر في الرحيل إلى الشرق ومهاجمة بغداد، أعد في هذه الخزائن سروجًا معروفة ومبطنة بصفائح قوس قزح يوضع بداخلها الماء ليشرب منها الفارس. وكان كل سرج منها يرسم سبعة أطنان ماء.

وقد أظهر الجند الفاطميين مهارة في استخدام أسلحة الحرب التي شاع استعمالها إذ ذاك كالبارص والسيف والهام العصبة والصواريخ كالمجاليق التي ترمى الأسود بالحجارة، كما زود الجيش بقرفة من النتفين (2) الذي يقومون بإعداد القوارير المخلوكة بالنفس ورميها على قوات العدو للتحول دون تقدمها.

كان هناك دواوين لإعداد الجيش وتجهيزه وتنظيم التفقة عليه، ويعمل فيها موظفون مدنيون وغيرهم: ديوان الجيش وديوان الرواتب وديوان الإقطاع، فتشرف ديوان الجلد على الجند وردعهم، ويختص ديوان الرواتب بتأسيس عطاء الجنود وجميع موظفي الدولة. وقد طرأ على العطاء عدة تغييرات في عهد الدولة الفاطمية. فكان يبلغ عطاء الجندي عشرين دينارًا في كل شهر. أما ديوان الإقطاع، فكان مختصا بما هو مقطع للأجاند، ويتولى إيلات الإقطاعات والأموال التي يدفعها المقطعون لبيت المال. ولم تكون هذه الإقطاع والأموال التي يدفعها المقطعون لبيت المال من الكثرة كما كانت في عهد الأيوبيين واله właśc. م.

أما فيما يتعلق بالقوات البحرية، فقد اتخذ الفاطميون مراكز لبناء السفن البحرية في مدينة مصر (الفسطاط والعسكر) وجزيرة الروضة التي عرفت في العصر الفاطمي باسم جزيرة مصر، والمقس التي أنشأ بها المع لذين الله دارًا لصناعة السفن، والإسكندرية ودمياط.

(1) المقرئ: خطط جا ص 471 - 470.
(2) خطط: جا ص 418.
(3) المقرئ: خطط جا ص 23.
وبذلت الحكومة الفاطمية جهدها للحصول على الخشب الذي يصلح لبناء السفن الحربية، وكان يؤدي ببعضها من مناطق الغابات المروسة في كثير من جهات الوجه القبلي. وقد احتكر الفاطميون أجور الخشب برسوم الأسطول والمراكب الديونية. على أن إنتاج البلاد من الخشب لم يكن كافيا، كما أن بعض أنواعه لا تمتار بالصلاة اللازمة؛ لذلك كانوا يستوردون الخشب من تجار البندقية، وكثيرا ما تدخل الأباطرة البيزنطيون لمنع المدن الإيطالية من تزويد مصر بما تحتاج إليه من هذه المادة.

وقد تنوعت السفن الحربية التي يتكون منها الأسطول في العصر الفاطمي فمنها: الشواري (جمع شيرني أو شوري(1) التي امتازت بأبراج الدفاع والهجمو واحتفت على أهرام خزن القمح وصهاريج خزن الماء العذب. ومن سفن الأسطول أيضا: الحراريق (جمع حرارة) وهي من المراكب الحربية الكبيرة المخصصة لمواجهة سفن العدو بالنفط الذي يرمى بالجانبي أو بالسهام. كذلك كان من سفن الأسطول الطرائد (جمع طرادة)، وتستخدم في نقل الخيول، والشللهات وهي مراكب مسطحة يستعان بها في حمل العتاد والجند، والحملات وتستخدم في حمل الدخيرة(2).

ويشرف على الأسطول عشرة قواد بحريين، يختار من بينهم رئيس يعرف بأمير الأسطول، وتحمل كل سفينة حربية عددا من المقاتلة عدا البحارة. وهناك أشخاص معروفون عند ديوان الجهاد يسمون "اللقياء" يقومون بجمع المقاتلة من أنحاء البلاد، إذا ما تأهب الأسطول للخروج. ولم يكن أحد يجر على العمل في السفن الحربية. وكان الناس يقدرون أعمال البحارة في الأسطول ويسمونهم "المجاهدين في سبيل الله والغزوة في أعداء الله"(3).

وكان للأسطول ديوان يعرف بديوان الجهاد، يقوم بالإشراف على بناء السفن وتجهيزة بالمعدات الحربية ودفع مرتبات الرجال العاملين فيها. أما عن نفقات الأسطول، فقد خصصته له الحكومة الفاطمية ميزانية ضخمة من مستخلصات

---

(1) المفريزي: خطط جد ص 488.
(2) ماجد: نظام الفاطميين ورسومهم 272 - 273.
(3) المفريزي: جد ص 194.
الإقطاعات المحوسبة. ولم يزل الأسطول محل عناية الفاطميين حتى زال حكمهم من مصر سنة 567 هـ.

وكان من ظاهرة اهتمام الفاطميين بقوافيتهم البرية والبحرية، الاحتفال بتوزيعها عند تأهيلهم للرحلة لمحاربة الأعداء، فإذا ما خرج الجيش الفاطمي جلس الخليفة بمنطقة باب الفتوح وعلى الأخص حين تكون الحملة متجهة إلى بلاد الشام، وفي هذه المنظرة كان يؤذن لقائد الحملة بالمثل بين يدي الخليفة فيخلع عليه خلماً مزركشاً بالذهب، ثم يأمر الجيش بالسير (1)، أما في حالة خروج الأسطول، فيحضر الخليفة بصورة الوزير والأعيان إلى منظار القرس حيث يكون مقدم الأسطول في انتظاره، وبعد أن يستعرض الخليفة الركاب البحرية يأذن للمقدم بالنزل بين يديه فيخلع عليه (2)، ثم يودعه ويدأ الأسطول في المسر. وعند عودة الأسطول مظفرًا يقام احتفال كالمذكور أقيم عند رحيله، فيحضر الخليفة بصورة رجال الدولة ليشهد أسطوله الذي أحرز النصر (3).

---

(1) المقرزي: خطط 181 ص 482، حسن إبراهيم: الفاطميين في مصر، ص 223.
(2) المقرزي: خطط 181 ص 484، القلميدي: صبح الأعشى، ج 13 ص 574.
(3) المقرزي: خطط 220 ص 594.
الزراعة: اهتم الفاطميين بالزراعة على اعتبار أنها من أهم مصادر الثروة في مصر، وكانت زراعة القمح تشمل الجزء الأكبر من الأراضي المصرية الخصبة الثرية. وعلى الأخص أنحاء الدلتا والوجه البحري - لأنه الغذاء الرئيسي لأهل البلاد. أما الذرة فلم تكن معرفة في مصر في ذلك العهد \(^1\).

وكان الكتان يزرع في الأراضي المنخفضة التي تظل مغمورة بالليزاء. لم تلمع الزراعة في الدلتا والفيوم. أما قصب السكر، فقد توسع المصريون في زراعته في العصر الفاطم. وليس أدل على ذلك من قول ناصر خسرو الذي زار مصر حوالي سنة 440 هـ، ونتج مصر عسل كثيراً وسكرات.

وكانت مصر تشتهر أيضاً بإنتاج أنواع مختلفة من الفواكه، ومن أهمها: الكروم، وتزوع في نواحي مربوط والجزيرة والفيوم وقليلوب، وبعض جهات الوجهين البحري والبحر. وكذلك كان شجر النخيل معرضا في مختلف أنحاء القطر. وقد ذكر الأدويه في أنه كان يقرس بالسعود أشجار النخيل على شاطئ النيل من الجانبين الشرقي والغربي، كما قال إن محصول إسما من التمر بلف في إحدى السنوات أربعين ألف أردب، وكانت أسوان أكثر نخيل من غيرها من جهات الصعيد. وقد بلغ مجموع محصولها من التمر في سنة واحدة سنة وثلاثين ألف أردب.

كذلك اهتمت الحكومة الفاطمية بفسي أشجار الغابات حتى يتسمى لها الحصول على الأخطاب اللازمة لبناء أسطولها الحربي ومراكبها التجارية ومن أشهر مناطق الغابات في العصر الفاطم: البحسا والأشمونين وأسوان وأخميم وقوص.

وعلى الرغم من اهتمام الفاطميين بالزراعة والزراعة، فلم يخل عهدهم من أحداث أكثر فيها الإنتاج الزراعي: فكثيراً ما نقص فيضان النيل عن المستوى العادي لازم لـ "الأراضي" كما حدث سنة 457 هـ في عهد الخليفة المستنصر بالله الفاطم، حيث حل بالبلاد المصرية الشدة العظمى التي استمرت سبع سنوات.

---

\(^1\) تأليف: الخضارة الإسلامية، ج2 ص 261.
\(^2\) كتاب "الطالع السعيد"، ص 111.
وكان من مظاهرها إعمال الزراعة وارتفاع أسعار الحبوب والمواد الغذائية، وانتشار الوباء. وقد انتشرت هذه الشدة بقيام الفتن والحروب الأهلية، فلما ولى بدر الجمالي الوزارة سنة 466ه قضى على الفساد ووجه اهتمامه إلى إصلاح حال البلاد، فسادت الطمانينة، وعينت الحكومة الفاطمية بالترع والجسور، فرّد خراج مصر في أينه إلى أكثر من ثلاثة ملايين دينار (1).

وبلغ من عناية الفاطميين بالزراعة أن أنشأوا إدارة خاصة تشرف على أمورها، كما قاموا بمشاريع عظيمة لتنظيم الري الأراضي، نصص بالذكر منها الخليج الذي أشرف على حفره أبو المنجا مصلى ديوان جهات الدلتا الشرقية في عهد وزارة الأفضل بن بدر الجمالي. وكان هذا الخليج يخرج من النيل لرى الأراضي الواقعة في شرق فرع دمياط (2).

وكان الفاطميين يعاملون الفلاحين معاملة تراوحا على التسامح والرعاية فلما تركوا تقدير الخراج للمقطعين (3)، بل حددوا مقداره، كما حرصوا منذ امتد تفوؤده إلى مصر على عدم انتهاز الأراضي من أيدي أصحابها، فقد جاء في عهد الإمام الذي أعطا جوهر للمصريين: «ولكم على أمان الله العام الدائم التصل؛ شامل الكامل، المتحد المتاح على الأيام وزكورة الأعداء، في أنفسكم وأموالكم وأهليكم ونعمكم وضياعكم ورباعكم» (4)، أما الأراضي التي تمتلكها الدولة، فأخذوا في توريث أجزاء منها على بعض أجلائها والخصيين بهم، وكانت هذه الأراضي إذا نزلت عنها الحكومة صارت ملكًا للمقطعين، ولكن إذا منحت الأرض لبعض الأفراد مقابل دفع مبلغ معيين من المال تصبح إقطاع استغلال، وهذا النوع من الإقطاع كان يعنى للأجانب في العصر الفاطمي.

وقد أدخل تعديل كبير على الإقطاعات في عهد وزارة الأفضل بن بدر الجمالي، ذلك أنه لما شكا صغار المقطعين من قلة دخل إقطاعاتهم، على حين زاد المتحصل من إقطاعات الأمراء، أمر الوزير الأفضل بن بدر الجمالي بحل جميع

(1) الكريزي: خطط جا، ص 100.
(2) الفلكندي: صحيح الأمشية، ج 3، ص 600، 601.
(3) انظر: المفرز: خطط جا، ص 85.
(4) المفرز: انظار الحنفي، ص 151، 152.
الإقطاعات وإعادة توزيعها، ولم يتعرض للأرض المملوكة، بل أبقها في أيدي ملاكها، ومن قوله في هذا الشأن: «إن كل من كان له ملك فهو بقّ على لا يدخل في الإقطاع وهو محكم إن شاء بائعه وإن شاء أجره»، وكان أكثر المقطعين في ذلك الوقت من الأجانب، وقد سمح لهم الأفضل بن بدر الجمالي بأن يستغلو في إقطاعاتهم مدة ثلاثين سنة، وفي ذلك يقول المرزqi (1): «وكتب السجلات بأنها بقية في أيديهم إلى مدة ثلاثين سنة لا يقبل عليهم فيها رأبهما. وكان المقطع في أواخر العصر الفاطمي يدفع ضريبة منتظمة عن كل فدان مقدارها دينار وخمسة قرارت، وإذا انتقلت مدة الإقطاع، عليه أن يرد الأرض المقطعة كما تسلمها، ولا ينقل شيئا من المشتآت التي أقيمت عليها» (2).

الصناعة: استخدمت أساليب جديدة في الصناعة في العصر الفاطم. وكان ما ساعد على تقدمها استقرار الأمور في البلاد؛ فضلًا عن حياة الرفعة والبذخ التي سادت المجتمع في بعض المدن المصرية وبخاصة القاهرة والفسطاط. وكان لهذه الحياة تأثير كبير في الإنتاج الصناعي، فأصبح عمل المصانع ليس مقصوراً على إمداد الجيش والاسطول الفاطمي بالسلاح والعتاد الحربي والملابس لطواتيف الجنود، بل تُنوعت لسد حاجة الخلفاء والوزراء ورجال الدولة وغيرهم. وكان من الصناعات التي ازدهرت في هذا العصر وتنوعت أصنافها: صناعة النسيج؛ إذ بلغت من الرقي في مصر بحيث أصبح من البس يصنع بعض الأقمشة الصوفية فامتازت بلدة القيس بعمل النسج الصوفية الرفيعة (3). وكانت بعض منسوجات الصعيد الصوفية تصدر إلى بلاد الفرس حيث عرفت هناك باسم "المصرى" (4).

وобще القاهرة في عهد الفاطميين مركزاً هاماً لصناعة النسج الصوفية. وقد أنشأ المعز لدين الله فيها دار الكسوة حيث كانت تفصل النسيج لموظف الدولة على اختلاف درجاتهم، وكان يصنع بهذه النسادر أيضاً كسوة الكعبة والخلع التي

(1) خطط، ج2 ص38.
(2) ابن مماتي: تقوين الدوايين ص 397.
(3) متر الخضارة الإسلامية، ج2 ص 391.
(4) ناصر خسرو: كتاب "سفر نامة" ص 70.
يمنحها الخلفاء للوزراء والأمراء والأشراف وكبار رجال الدولة في عيد الفطر حتى يسمى هذا العيد بعيد الحلف؛ كذلك عمل الفاطميين على النهوض بصناعة النسيج، فأنشأوا عدة مصانع لإنتاج الأنواع الفاخرة. وكانت دار الدنياج (1) منذ عهد الأفضل بن بدر الجملة تنتج نوعاً من الحرير يعرف بالحرير الدنيج. كما أن خزانة البند التي بناها الخليفة الظاهر الفاطمي كان بها ثلاثة آلاف صانع لصنع أفخر أنواع الثياب (2).

وكان لصناعة المنسوجات الكتانية شأن كبير في مصر في العصر الفاطمي، ويرجع السبب في ذلك إلى وفرة الكتان في منطقة دمياط وشرق الدلتا، ومن المراكز الرئيسية لهذه الصناعة: الفيوم وسمنود ودمياط وقنا ودبيق، وينسب إلى هذه المدينة الأخيرة أجود أنواع الأقمشة وهو المسمي بالدبيقى، وكان يصنع في دبقي قماش ثقيل جيد النسيج، والعمال الطولة التي يبلغ طول الواحدة منها مائة ذراع (3).

كذلك تقدمت صناعة الزجاج والخزف في العصر الفاطمي، وكانت الفسطاط من أكثر مراكز صناعة الزجاج. ومن البلاد التي أستهرت هذه الصناعة أيضاً الفيوم والقليوبية والإسكندرية؛ أما الخزف فقد أشاع ناصر خسرو إلى أن المصريين كانوا يصنعون أنواع مختلفة منه، وبلغ من انتشار استعماله في مصر أن البقالين وغيرهم من التجار كانوا يبيعون ما يبيعونه في أواخر العصور من الخزف بدلاً من الورق (4).

التجارة: ارداد النشاط التجاري في الفسطاط والقاهرة حيث يقيم الأعيان وأصحاب الإقطاعات، ويكمل تأكيد الناس. وكانت الفسطاط من أهم مراكز مصر التجارية لوقوعها على النيل وتوزعها بين الوجهين القبلي والبحري، واتصالها بكافة البلاد المصرية عن طريق النيل، وفاضلاً عن ذلك فإنه كان يخرج منها طرق برية تسير فيها القوافل متجهة نحو الحجاز وبلاد الشام والمغرب.

(1) المقرئي: خطط جدد، ص 615.
(2) المقرئي: خطط جدد، ص 432.
(3) المقرئي: خطط جدد، ص 221، متر: الحضارة الإسلامية، ج 2 ص 296.
(4) ركي حسن: كنوز الفاطميين، ص 10 ـ 151.
ولم يؤثر إنشاء القاهرة على مركز الفسطاط التجاري، لأن المدينة الجديدة ظلت أشبه بمعسكر يقيم فيه الجنود والموظفون، كما أن موقعها بالنسبة للنيل كان دون موقع الفسطاط مما جعل الأسعار في الفسطاط أقل منها في حاضرة الخلافة الفاطمية(1).

وكانت الفسطاط تتسم بسرعة ظهور في العصر الفاطمي، فكثفت بها التجارة والأسواق، كما كان يأتي إليها كثير من المراكب، يقول ناصر خسرو(2) في وصفه لها إنه كانت بها الأسواق التي تباع فيها جميع أنواع السلع كسوق القناديل الزاخر بالتحف النادرة، وفيا أيضا كثير من الحانات.

ومن مراكز التجارة الداخلية مدينة دمياط التي تمتاز عن غيرها من المدن بارزهده التجارة والصناعة فيها، وأصبحت المبناه المصرى الوحيد في الجزء الشرقي من البحر المتوسط، كذلك كانت مدينة قوص من مراكز التجارة الداخلية، فقامت بها الأسواق الكبيرة لوقوعها عند نهاية طريق القوافل بين البحر الأحمر والنيل، وكان لأسوان أيضا شأن كبير في التجارة الداخلية بسبب ورود تجارة النوبة والسودان إليها(3).

أما عن التجارة الخارجية، فقد انسع نطاقها مع البلاد الآسيوية والأوروبية، فكانت مصر تصدر الكثير من غلات الهند والصين، كما أن حاجتها إلى المواد الخام كالخشب والحديد حملتها على استيرادها من بعض الدول الأوروبية، وصارت الإسكندرية من المراكز الرئيسية للتجارة، فتتقبل منها البضائع الآسيوية إلى أوروبا وترد إليها السفن الأوروبية محملة بالسلع اللازمة للصناعة المصرية. ولم تكتف مصر بأن تكون طريقا لمروج الغلات الآسيوية، بل كان لديها ما تصدره إلى البلاد الأوروبية كالطرود والنسوجات على اختلاف أنواعها(4).

وقد قامت بين مصر والمدن الإيطالية وبخاصة جنوة والندفية علاقات تجارية، فأخذت سفن البندقية تنقل الخشب والحديد إلى الموانئ المصرية، كما أقدم

(1) انظر: البراوي، حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين ص 199.
(2) كتاب نوفر نامه، ص 58 - 59.
(3) حسن إبراهيم: تاريخ الدولة الفاطمية ص 601 - 602.
(4) البراوي: حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين ص 242 - 243.
تجار جنوة على التعامل مع الفاطميين في النصف الأخير من القرن الحادي عشر، وصارت سفنهم تبحر إلى الموانئ المصرية، وقد استجاب بعض الخلفاء في أواخر العصر الفاطمي لرغبة هؤلاء التجار في الحصول على أمان لهم ولسفنهم تشجيعاً لهم على الاتجار مع بلادهم(1).

وعلى الرغم من المنازعات السياسية بين مصر والدولة البيزنطية فإن العلاقات التجارية بينهما لم تنقطع، فكان البيزنطيون يستوردون المنسوجات المصرية من مصانع تنيس ودمياط(2)، كما أن مصر كانت تستورد بعض منتجات الدولة البيزنطية وخاصة الغلال، وقد ذكر الرحالة الفارسي ناصر خسرو أن كثيراً من السلع التي رآها وأعجب بها في أسواق مدينة مصر كانت من واردات بلاد الروم.

وقد أثنت الحكومة الفاطمية في مصر للتجار الإيطاليين وغيرهم من الأوربيين بإنشاء الفنادق الخاصة بهم. وكان لكل جالية أجنبية بالإسكندرية فندق وهو عبارة عن بناي يقيم فيه التجار الأوروبيون ويفحظون فيه بضائعهم إما في داخل المدينة أو خارجها. وكانوا عادة يختارون أحد أفراد الجالية للإشراف على تنظيم الإقامة في الفندق.

كذلك أقيمت في مصر في ذلك العصر الوكالات وهي كالفنادق(3)، وينزل بها التجار القادمون من بلاد الشرق الإسلامية فيذكر ابن ميسر(4) أن الوزير الأمون البطاحي أمر سنة 516 هـ ببناء وكالة بالقاهرة لمن يصل من العراق والشام من التجار.

وكان هناك بجانب هذه المناشط التي أعدت للتجار أُخرى أطلق عليها اسم القياسر(5). وكانت القياسارية كمجموعة من المبانى العامة، وبها حواسيب ومصانع ومخازن ومساكن. وكان في بعض القياسر مسجد لتجار المسلمين.

---

Heyd: Hist. du Commerce du Levant au Moyen Age, tome I, P.391. (1)
Heyd: Hist. du Commerce du Levant au Moyen Age, tome I, P.58. (2)
(3) المقرئ: خطط جد ص 94.
(4) تاريخ مصر، ص 167.
(5) المقرئ: خطط جد ص 86.
ويعلوها ربع يقيم فيها الصناع والتجار باجر. وقد أنشئ مصر في العصر الفاطمي عدد قليل من هذه القياصر.

أما عن نظام المعاملات التجارية فلم تكن موحدة في الدولة الإسلامية، ففي مصر والشام شاع استعمال الدينار الذهبية، أما في بلاد الفرس والعراق فعملتها الجارية الدراهم الضيقة، واستمر الدينار في مصر قاعدة التعامل حتى بعد الفتح الفاطمي، غير أن جوهر القائد بادر إلى سكب دنانير جديدة أطلق عليها العزية، وأبقى التعامل بالدينار الرازي (نسبة إلى الخليفة العباسي الرازي).

ولما عهد المعز لدين الله الفاطمي في أوائل سنة 363هـ إلى يعقوب بن كلس وعسلوج بن الحسن بالإشراف على الخراج، صار ابن كلس يجيب خراج الدولة بالدينار المعزى. فانتحلت بذلك قيمة الدينار الرازي. ومن ذلك يتضح لنا كيف حملت الحكومة الفاطمية أهالي البلاد المصرية على التعامل بنقودها.

ولم تكتم الحكومة الفاطمية بأن يكون الدينار المعزى وحدة للتعامل، فأصدرت دراهم جديدة في عهد الخليفة الحاكم بأمر الله، وقرر أن يكون كل ثمانية عشر درهما ديناراً. ومن المرجح أن ضرب الدراهم الضيقة في ذلك العهد إذا أريد به تيسير التعامل في السلع القليلة الثمين، وهكذا أصبحت مصر تتعامل بالدينار الذهبية والدراهم الفضية.

---
(1) المبراري: خاطف جد ص 87.
(2) البراري: حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين ص 272 - 273.
(3) الكرملاني كتاب النقد العربي، ص 58 - 59.
3. مظاهر الحياة الاجتماعية:

انتخبت الحياة الاجتماعية لمصر في العصر الفاطميين مظاهر خاصة، كما تقلبت بين ألوان من البذخ والشرف، فلا أن نجدها في عصر آخر من عصور مصر الإسلامية. وقد تجلة بذخ الخلفاء فيما أورده المقرئي (1) عن خصائص الفرس والأمتاع والجواهر والخيل والشراب، كما نستند أيضاً على تفاهم من القصور التي ينوه ليتخذهو مساكن لهم ولأفراد أسرتهم، ومن أشهرها القصر الشرقي الكبير. وكان بها عدة أبواب منها: باب الذهب وتعلوه منظورة، وباب العيد وأمامه رحبة متسعة، يقف فيها الجنود في يومي العيد، وتعرف برحبة العيد، وباب الدليم، وقد أسس الحزيز بهذا القصر قاعة الذهب التي يجتمع فيها مجلس الملك (2).

وقد كانت مؤثرة بأفخم الدخان ومزينة بالستور والطناشير الحمراء.

وليس أدل على مظاهر العظيمة وأبهة الحياة الاجتماعية عند الخلفاء في آخر العصر الفاطميين من هذا الوصف الذي كتبه غليوم رئيس أساقفة صور عن زيارة رسول ألميريك (3) ملك بيت المقدس للقصر الفاطمي في عهد الخليفة العاضد، وما جاء فيه (4). وسار السفرياء يقودهم الوزير شاور بنفسه إلى قصر له رونق وبهجة، وفيه رخافات أنيقة. وكان هؤلاء البعوضون متثرمين بما حولهم...

فوجدوا في هذا القصر حراساً عديدين، وسار الحرس في طليعة الموكب وسياحهم مسلولة، وقادوا السفرياء في ممرات طويلة، ثم وصل الموكب إلى فناء مكشوف، وتحيط به أروقة ذات أعمدة، وأرضية مرصوفة بألوان من الخراش متعددة الألوان. وكان في وسط الفناء نافورة، يجري الماء الصافي منها في أنابيب من الذهب والفضية إلى أحواض وقناوات مرصوفة بالخراش...

وفي هذا المكان حل محل الحرس المرافقين السفراء بعض العظام من الأمراء المقربين إلى الخليفة، فساروا

---

(1) خطط، جا، ص 415 - 425.
(2) المقرئي: خطط، جا، ص 385 - 386.
(3) Amourey
(4) ورد اسمه في بعض المراجع.

†Stuitley Lanc-Poole, Salah El Din and the Fall of the Kingdom Jerusalem, pp. 86-89.41

زكى حسن: كنوز الفاطميين، ص 276 - 277.
بصحبة المبعوثين من قبل الملك أمره في آفنيا جديدة أشد جمالا وإبداعا. وبعد أن عبر السفيران أبوابا عديدة وصل إلى القصر الكبير حيث قبض الخليفة، وقد فاق هذا القصر كل ما رأوه قبل ذلك، وكانت أثاثه نفيض بالملاحرين المسلمين، متقلدين أساليبهم. وأدخل المبعوثان في قاعة واسعة تقسمها ستارة كبيرة من خيوط الذهب والحرير المختلف الألوان، ولم يكن في هذه القاعة أحد، لكن شاور خارا راكعا فور دخوله. ثم ارتبت اليد فتأتى وانكشفت الستارة الحريرية الذهبية بسرعة البرق. وظهر (السلطان العاضد) لعين السفراء وكان على وجه نقاب يخفى تماما وهو جالس على عرش من الذهب مرصع بالجواهر والأحجار الشفية.

وكان الوزراء الفاطميين يعيشون عيشة الشرف، فجعل يعقوب بن كلس وزير العزيز بالله الفاطمي في قصره مطابق خاصة له ولضيافاته، وأخرى لعشرته وحاشيته وأتباعه، كما اتخذ بقشره طاقة من الحجاب يرد دون الملابس الحريرية ويتقلدون السيوف ويتمنققون بالمناطق (1).

كذلك كان الوزير الأفضل بن بدر الجمالي مترازا في حياته، فاتخذ مسكنه في دار الملك التي بناها سنة 105 هـ، وجعل فيها محل خاصة تقوم فيها الأسمطة في الأعياد، واتخذ في أحد أبهائها مجلسا يجلس فيه للعشاء، وقد وجد في هذه الدار بعد وفاته ما لا يخشى من الأدوات، وتسعون ألف ثوب عتبائي (نوع من الثياب الحريمية)، وثلاثة خزائن متصلة بالشباب الدقيقة من صنع تنس ودمياط، وخزانة للطب. أضاف إلى ذلك أربعة آلاف من البسط والمشور المصغرة من خيوط السجاد، وكان للأفضل مجلس شراب به ثمانية مائة لسان جوار متقابلات، منهن أربع بيس من كافور، وأربع سود من عمر، وكن مرتديات أفخى الشباب ومزينات بأثمان الخليل. وكان الأفضل إذا دخل من باب هذا المجلس نكس رؤوسه إجلالا له، فإذا أخذ مكانه في صدر المجلس استوين قائمات (2).

(1) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج2 ص441، حسن إبراهيم: تاريخ الدولة الفاطمية ج2 ص232.
(2) ابن مسير: تاريخ مصر، ص58.
كان الوزير الأفضل بن بدر الجمالي مولعاً بالبساتين، فبني لأحدها سورة يشبه سور القاهرة، حفر به بركة كبيرة، كما بني في وسط هذا البستان منظرة على أربعة أعمدة من الرخام، وزرع حوالياً شجر النارنج، وجلب إليه كثيراً من الطيور المسموعة وسرح فيه كثيراً من الطواويس.

اهتم الفاطميون بالاحتفال بالأعياد الدينية في شيء كثیر من الأبهية والعظمة فمنها عيد الفطر، وعيد الأضحى، ورأس السنة الهجرية، ومولد النبي محمد، ومولد أمير المؤمنين على بن أبي طالب، ومولد ولدته الحسن والحسين، ومولد السيدة فاطمة الزهراء، ويوم عاشوراء، هذا إلى مواسم أخرى، وهي ليلة أول رجب، وليلة نصفه، وليلة أول شعبان، وليلة نصفه.

وكان يقوم في ليلة عيد الفطر بالإيون الكبير الذي يواجه مجلس الخليفة سماط ضخم، يبلغ طوله نحو ثماني مترات درع في عرض ستة أذرع، وتشر عليه صنوف الفطائر والخلو الشهية، فإذا ما انتهى الخليفة من أداء صلاة الفجر عاد إلى مجلسه، وفتحت أبواب الفطر والإيون على مصارعه، وهرع الناس من جميع الطبقات إلى السماط الخليفي، وتناولوا ما عليه من الطعام، ومشهد من الخليفة ووزرائه، وحينما تبزغ الشمس يخرج الخليفة في موكب إلى الصلاة، وفي ذلك يقول المقرئ: "وفي يوم العيد ركب العزيز بالله لصلاة العيد وبين يديه الجنائز والقباب والعسكر في ربه، من الأزاك والدلم والعزية والخشيدية والكافورية، وأهل العراق بالديباج المثل والميسور والمناطق الذهب، وعلى الجانب السروع، وخرج بالضحلة الثقلة بالجاهر، وبيده قضيب جده عليه السلام، فسلى على رسامه وانصرف. وإذا ما عاد الخليفة من الصلاة، وجده سماط آخر، فيجلس أمامه مائدة من فضة، بقال بها المدرة، وكانت توضع عليها أواني الذهب والفضة الزاخرة بالألواح الطعام، وقبالها سماط ضخم يسع لحور خمس مئات مدعو، نثر عليه الأزاهر والراحين وصفت على جانبه الأطباق الحافلة بصنوف الطيور والخلو، وكان يجلس إليه رجال الدولة والعظام.

(1) المقرئ: خطط، ج2، ص39
(2) أبو المحسن: التجمو الزاهرة، ج2، ص97
أما عيد الأضحى، فيحتفل في أول يوم منه بركوب الخليفة إلى الصلاة على النحو الذي تبع في عيد الفطر، غير أنه يمتاز بخروج الخليفة إلى البحر ثلاث مرات متواليات في أيام الثلاث الأولى واستكشافه في إجراءات البحر. وكان الخليفة إذا التقى اليوم الثالث خلع على وزيره ثوبه الأحمر الذي كان يرتديه يوم العيد(1).

وكان احتفال القاطبين بعيد رأس السنة الهجرية مثل الروعة والبهاء. وقد أورد لنا المقريز(2) وصفاً لرسائل الاحتفال بهذا العيد؛ فذكر أنهم كانوا يعدون العدة للاحتفال به منذ العشر الأخيرة من شهر ذي الحجة في كل سنة، حيث يبدأ المستخدمون والعمال في إعداد آلات صوب الخلعة من الأسلحة وغيرها. وإذا ما أصبح اليوم التاسع والعشرون من هذا الشهر، تأهب الخليفة لعرض الخيل، فيخرج راكباً من قصره، وينزل مكان يقال له السد حيث يجلس في مكان محجوب بالسراير.

أما الوزير، فيركب في هذا اليوم من داره وتصبحي الأمراء، فإذا وصل إلى باب القصر ترجل الأمراء وظل راكباً حتى باب الدهاليز بقصر الخليفة حيث ينزل هناك ويبصيح بإحساسه وغمائه وأولاده وأقاربه، ثم يجلس في مكان المعد له، وحينئذ يرفع الستائر التي بجانبه فيرى الخليفة جالساً، يقف الوزير ويدل عليه؛ ثم يلتز القراء ببعض آيات مناسبة لعيد رأس السنة. وبعد أن يتناوهم، ينزع الخليفة في عرض الخيل، وإذا ما فرغ من عرضها، عاد القراء إلى تلاوته بعض آيات الذكر الحكيم إذاً بانتهاء الخيل.

وفي صباح أول المحرم يركب الوزير، مرتدية الثياب الفاخرة، ومتكلداً سيفاً من الذهب، إلى قصر الخليفة، ويبين بديع الأمراء ركاباً ومشاهدة أمامه أولاده وإخوته. فإذا وصل القصر دخل من باب راكباً إلى دهاليز يعرف بهدف العمود حيث يترجل على مصطبة هناك؛ وبعد قليل يرفع صاحب مجلس السر، فيظهر الخليفة في ثياب البيضاء متقلداً السيف، ويهدد قيصر الملك مكسواً بالذهب المرصع بالدر والجهوه، وحينئذ يشرع الأمراء في الخروج ويعدهم الوزير الذي يركب دابته، ويقف قيامة القصر بيهيتة، ثم يخرج الخليفة وحوله الأسادون.

(1) المقريز: صحيح الأهذة، ج2، ص 50 – 512.
(2) خطط، ج1 ص 446 – 450.
وبدأ المركب الخلافي في السير، يتقدمه الأمراء وطائفة من العسكري والإساتذة المحنون(1)، ثم الخليفة يحيط به مقطوع صبيان الركاب متقلدين سيوفهم ويزيد عددهم على ألف رجل. ويسير خلف دابة الخليفة فريق من صبيان الركاب لحفظ اعقابه، ثم يأتي الخليفة وفي ركابه قوم من أقوياء الأجانب، ويبلغ عدهم خمسة آلاف، خلفه الطبل والصمنح، وطوابق الجند من الرجالة والفرسان، وإذا وصل الخليفة إلى الجامع الأزهر بالقماحين، سارع الوزير إلى الوقوف بين يديه، فحييه الخليفة بإشارة خفية، ثم يعود المركب الخلافي إلى القصر.

كذلك اهتم الخلفاء الفاطميين بالاحتفال بليلة مولد النبي صلى الله عليه وسلم، حيث استقبلوا لهب مكاتبه العظيمة في نحو مسلمين. وكان الاحتفال بولد النبي بدعة في نظر المسلمين، فقد كان ي]', 'ـ، وعندما يدخل النجوم الربع الهجري، يحتفلون بولدته(2). ومن المظاهر الدينية المألوفة في هذا العيد قراءة السيرة النبوية في المساجد.

وكان ليلة الوقود - وهي التي تسبق أول منتصف شهر رجب وشعبان - من أشهر المواصفات التي اختصت بها الدولة الفاطمية، ففيها تضاءء جميع المساجد بعد غروب الشمس وتبدو القاهرة في حلم بديعة من الأنوار، ويخرج الناس إلى الجامع الأزهر الذي تضاءء حافاته بالمشاعل ويعقد في صحنه مجلس حافل من القضاة والعلماء برئاسة قاضي القضاء(3) وكان جمهور المسلمين في مصر يحتفلون بهذه الأثناء الأربعة كـما يحتفلون بشهر رمضان، واستمر الاحتفال بها إلى وقتنا الحاضر.

وكان شهر رمضان من أهم المواصفات الدينية التي لدى الفاطميين بإحيائها، فيحتفل في أول يوم منه بركوب الخليفة من القصر الشرقي الكبير ويصبح وزره، وحوله حرسه الخاص، فيخرج موكب شوارع القاهرة ومصر حتى جامع عمرو بن جعفر.

(1) جمع استاذ مهتم، وهو رجل مدرك، وكان يتلمس جهوده. ومن الأسابيع المحتكين: صاحب
(2) المقرئي: خطء، جا، ص 466 - 477.
(3) المقرئي: خطء، جا، ص 466 - 477.
العاطل الذي كان يعرف إذ ذاك بالجامع العتيق، فإذًا وصل إلى بابه وجده الخطيب
في انتظاره، وبعد الفحص المسند حتى إلى على بن طالب، فتناوله الخلفة
ويقبله عدة مرات، ثم يأمر بتوزيع بعض المنحة المالية على خطيب المسجد ومؤذنيه.
وإذا ما انتهى الخلفة من أداء الصلاة بالمسجد، استأنف سيره إلى دار الملك. وكان
ركوب الخليف في غرة رمضان يقوم عند الفاطميين مقام الاحتفال برؤية الهلال عند
أهل السنة، وكان يهدى في أول شهر رمضان للأمراء وأرباب الدولة أبطاق من
الحلى بوسط كل منها صرة من ذهب، كما كانت ترسل مثل هذه الأبطاق إلى
أفراد أسرهم.

كانت الآداب والأشكال مظروها من مظاهر الاحتفال بالمواسم والأعياد في
العصر الفاطم، فبقي على الفاطميين تنظيمها عنابة خاصة، كما بناوا في
إعدادها سواه أكان ذلك في المساجد أو في وقية الخليفة أو في دار الوزير، ففي
قصر الخليفة كانت تقوم الأسمحة في الوكان المعروف بقاعة الذهب حيث يجتمع
مجلس الملك. وكان الخليفة العز لدين الله الفاطمي أول من سن تلك السنة،
وحنا خلفناه حذوا، فكان يقيمون الأسمحة في اليوم الرابع من شهر رمضان إلى
السادس والعشرين منه، وكان يدعو إليها قاضي القضاة والأمراء وكبار رجال
الدولة من الموظفين، ويمثل الخلفة فيها الوزير، فإن تغيب ناب عنه ابنه
أوأخوه، وكانت أصناف الأكلات من الرفعة بحيث يستطيع الناس أن يأخذوا منها
ما يريدون. وبلغ ما يفق على سماز شهر رمضان ثلاثة آلاف دينار.

وكان الخلفاء الفاطميين يحرصون على الركوب في الجمع الثلاث من
رمضان إلى جوامع الحاكم بأمر الله والأزهر عمرو بن العاص على التوالي لصلاة
الجماعة. ويسيرف صاحب بيت المال في كل يوم من هذه الأيام الثلاثة على تأثير
المسجد الذي يسليه الخليفة صلاة الجماعة. وكانت توضع في المقصورة ثلاثة
طنافس دينية أو سامانية بيضاء بعضها فوق بعض، وكان ينصب على جانب المنبر
ستران، يكتب على الأيمن السلمة والفاطمة وسورة الجماعة، وعلى الآخر السلمة
والفاطمة وسورة المنافقون كتابة واضحة.
وكان الخليفة يرتدي في هذا اليوم ثوبًا من الحرير الأبيض، ويتمعن بعامة من هذا النوع من الحرير ويحمل قضيب الملك بيده، ويجيء إلى الجامع في موكب حافل يحمل بعض الأشراف وعدد كبير من حراسه الخاص ومن الجنود الآخرين (1)، يتبع هؤلاء جم غفير من الناس، ويدخل الخليفة المسجد يحيط به قراء الخضر الذين كانوا ي баشرون من القرآن وهم يرفعون أصواتهم بتلاوة القرآن بinghamات نشبيحة، ثم يستريح فليلا في قاعة الخاطبة التي كان يحررها قائد القواد وفريد من حرسه، ويظل جالسا في هذه القاعة حتى ينتهي الآذان، فيدخل إليه قاضي القضاة ويقول له: «سلام علي أمير المؤمنين، الشريف القاضي، ورحمة الله وبركاته، الصلاة برحم الله، فيصد الخليفة المير ويلقي خطبة قصيرة تعد لهذا الغرض في ديوان الإضاءة، يتلو فيها آية من القرآن، ثم يصلي على أبيه وجده (محمد صلى الله عليه وسلم) ويعظم الناس وعظما بلغبا موجزا، ويوصل بدعوات فخمة تليته به، وبختم خطبته بالدعاء للوزير وبصر الجيش وخلال النكفر والمخلافيين، وإذا ما فرغ من خطبته قال: اذكروا الله بذكركم، ثم يؤم المصنين، فتقرأ في الركعة الأولى ما هو مكتوب على السطر بين المحراب، وفي الركعة الثانية ما هو مكتوب على السطر الأيسر. وحينما يكبر، يبلغ الوزير عنه، ثم قاضي القضاة، ثم المؤذنين، فإذا ما انتهت الصلاة خلا المسجد من الناس وخرج الخليفة، يحيط به الوزير عن بعثه وقاضي القضاة وداعي الدعاء عن بعاته، وحرسه الخاص، ويشود موكبه إلى مقره على الهيئة التي اتخذها في ذهابه إلى الجامع (2). وكانت هذه الرسم تلك في صلاة الجمعتين الأخيرةن من رمضان.

وكان الشعب المصري يستقبل هذه المواسم بتوتر الفرح والسرور إلا يوم عاشوراء (3) فقد كان يعتبر يوم حزن عام، تعلو فيه الأسوأ، ويخرج المتضور إلى الجامع الأزهر ليقرأوا الانتشاد في رثاء الحسين؛ وفي نفس اليوم يقوم سماط يسمى سماط الحزين في به بسرم. وكان يقدم عليه خز الشعر والهدس والجبن؛ يحضره الخليفة ملهمًا ومرتينا اللداب القائمة (4).

(1) المفرزي: خطوط جدا، ص 431. (2) المقرزي: حسن إبراهيم: الفاطميين في مصر، ص 416.
(3) البديع: حسن إبراهيم: الفاطميين في مصر، ص 416.
كذلك أولى الخلفاء الفاطميين الاحتفال بوفاء النيل كثيراً من اهتمامهم، فكانوا يركبون إلى الميقات بالروضة إذا ما بلغ الفيضان ستة عشر ذراعاً. وقد ذكر ناصر خسرو أنه كان يحتفل بهذا العيد بحضور الخليفة وفي ركابه عشرة آلاف فارس، يمتطون الخيول المطهمة ويلبسون الدروع المحلة بالذهب والأحجار الكريمة المكسوة بديباج مطرز باسم الخليفة، ويلي هؤلاء صفوف من الجماع عليها هواجك مزركشة تقودها طاقة من الجند(1).

وكان موكب الخليفة يخترق شوارع القاهرة ومصر، يحف به أفراد الشعب حتى يأتي منظرة دار الملك بالقرب من الميقات، فركب منها في العشيرة الخاص بصحبة وزيره وكبار رجال حاشيته قاقداً الميقات، فإذا دخله صلي هو والوزير ركعتين، ثم يضع الخليفة بعده الزعفران والسلك في إهانة خاص يسممه لصاحب بيت المال الذي ينادله بدوره للموظف المختص بالإشراف على الميقات، يقوم هذا الموظف بتحليق الميقات (أي تعطيره)، بينما يتناول قراء الحضرية تلويحة القرآن، ثم يخرج الخليفة راكباً في العشيرة، فإذا ما وصل دار الملك عاد موكبه إلى القصر(2).

وكانت تقدم الحلال إلى الوزراء وبعض الأمراء والأشراف وغيرهم في عيد الفطر، كما كان الخلفاء يجذبون على كبار رجال الدولة بالخلع، في عيد رمضان وفي الجمع الثلاثين الآخرة منه وفي وفاء النيل، وكان يمنع الشعراء والكتاب والأعيان الذين يستحثون إلى القاهرة في تلك المواصفات حلاً من الحرير الخالص، بعضها مزركش بالذهب(3).

وكانت الكسوات التي تخلع على وجه الدولة ترفق برقعة من ديوان الإنشاء. وقد أورد لنا المقرئي(4) صورة منها، وقد جاء فيها: "لم يزل أمير المؤمنين منعماً بالرخَب، مولياً إحسانه كل حاضر من أولئيه وغائب. وإنك أيها

---

(1) حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام السياسي، ص 129.
(2) الفلكشند: صبح الأعشي ج2، ص 513 - 512، ماجد: نظم الفاطميين ورسومهم في مصر، ص 107.
(3) المقرئي: خطط، ج1 ص 41.
(4) المقرئي: خطط ج1 ص 127.
لدى الفطر النقد الذهبية والفضية والملابس والأطعمة، يوزع الأمرأ لولاهم من ذلك بجسدهم، وأحراهم باستنشاق نسيمهم. إذ كنت في سماء السابقة بدرًا، وفي مواطن المناصحة صدرًا، ومن أخلص في الطاعة سرا و وجهًا وحظي في خدمة أمير المؤمنين بما عطر له وصفًا وسير له ذكرًا. ولما أقبل هذا العيد السعيد، والعادة فيه أن يحسن الناس هباتهم، وياخذوا عند كل مسجد رتبهم، ومن وظائف كرم أمير المؤمنين تشرف أولياته، خذهم فيه في المواسم التي تجاريه بكسوات على حسب منزلهم، تجمع بين الشرف والجمال، ولا يبقى بعدها مطمئن للآمال، وليك من أخص الأمراء المقدمين.

كذلك كانت توزع في عيد الفطر النقد الذهبية والفضية والملابس والأطعمة على الأعيان والموظفين على اختلاف درجاتهم، هذا إلى ما كان يمنحه كبار الموظفين في غرة المحرم من النقد الذهبية التي كانت تضرب خصيصًا لهذا اليوم في العشر الأخير من ذي الحجة. وتسمى نقود الغرة، وهي دنانير رباعية ودراهم خفيفة مدورة. وكان هؤلاء الموظفون يقبلونها على سبيل البرك من الخليفة.

وقد اعتاد الخلفاء عند ركوبهم إلى المناصر أن يمنحوا رجال القصر والشعراء والمؤذنين والقراء ومن إليهم في الحاشية المنح الوفيرة، فيحمل أحد الموظفين كيسًا من الحرير فيه خمسمائة دينار لتوزع في الطريق الذي يجتمع الخليفة على الرجال والنساء والقراء الذين يقرعون القرآن على جانب الطريق.

كثر الاهتمام بالغناء والموسيقى في العصر الفاطمي ببغداد، فأتقبل وجه القوم في مجالسهم الخاصة ومأدبة على سماع المغنيين والمغنيات. وكان معظم المغنيات من الجواري، فحكي أنه استأثرت من بغداد جارية تجيد الغناء للأمير تميم من عزل الدين الله بمصر، فغنت له وجلسائه، ولم يزل غناها يزيده طربا حتى قال لها: تمنى ما شئت، فغنت ما غنت ببغداد، فلم يجد الأمير بدًا من الوفاء لها وأرسلها إلى بغداد.

(1) الفقهشي: صبح الأعشى ج2 ص150.5

151
وكانت مجالس الطرب والغناء واللهو تتقاتل على شواطيء الخليج بالقاهرة في أوائل عهد الخاكم بأمر الله، فلم يلجى الانحلال الاجتماعي من جراء هذه المجالس، أصدر الخاكم قوانين يمنع بعضها سماع الموسيقى ويحرم البعض الآخر الغناء والملاهي التي تعد خطرًا على الأخلاق العامة.

على أن هذه المجالس لما لبثت أن عادت إلى الظهور بعد وفاة الخاكم؛ فقد أولع بعض من جاء بعدة من الخلفاء بالغناء والموسيقى، فكان الخليفة المستنصر بالله يميل إلى سماع المغنيين. وقد ذكر بعض المؤرخين أنه كان من بين مظاهر الاحتفال باستيلاء البساسيري على بغداد وإقامة الخطبة باسم المستنصر على منابرها أن وصفت إحدى المغنيات تحت قصر الخليفة تشتت بعض الأبيات، فأعجب المستنصر بغنائها وأجزل لها العطاء.

وكان اللعب بالخيلاء مروفاً بمصر في العهد الفاطمي، فيخرج الناس في بعض الأعياد ويطرفون شوارع القاهرة بالخيلاء والتماثيل والسماحات، كما احترف بعضهم التكتل والمحاكاة، وبلغ من حدق بعض الناس المحاكاة أنهم كانوا يقلدون طوائف السكان على اختلاف زعاقاتهم وأجناسهم، وكان الآهالي يقبلون على سماع نواحهم.

وقد ذكر المقرئي أن هناك بعض الذين يحتفلون بمصر في ذلك العهد بعيد الخروج، ليوم يوسف بالجزيرة، وأن العامة كانوا يطلقون في هذا العيد بأسواق المدينة بالطبل والبوقات ليجمعوا من التجار ما يتقونه في خروجهم، غير أنه حدد أن اشتد الغلاء سنة 1549، فأسمع التجار عن الدفع، ولم يعلم بذلك الخليفة الظاهر الفاطمي أمرهم بدفع ما جرب به العادة وأن يطلق للمحتلين ضعف ما أطلق لهم في السنة الماضية من الهبات، فخرجوا إلى سجن يوسف بالجزيرة ومعهم التماثيل والمضاحك والخيلاء والسماحات، كما خرج الخليفة إلى الجزيرة وأقام يومين لمشاهدة فريق المحتفلين، فأعجب بهم واستطراهم.

(1) انظر: المقرئي، خطط ج. 2 ص78.
(2) ابن السهيل: التاج الزاهرة، ج. 16.
(3) المقرئي: خطط، ج. 7 ص22، ومزة، الخضرة الإسلامية، ج. 2 ص21.
(4) المقرئي: خطط، ج. 7 ص27.
(5) المقرئي: خطط، ج. 1 ص7.
وكانت المجالس الاجتماعية تعقد في قصور الخلفاء والوزراء والأعيان حيث يجتمع العلماء والأدباء للمناقشة والمناقشة. كما كانت المجالس الخاصة تعقد في داخل المنازل لسماع النوادر والأحاديث التي تجلب فيها اللباقة العقلية، لقضاء أوقات فراغهم في لعب الشطرنج والترد.(1)

(1) انظر: متز الحضارة الإسلامية، ج2، ص214، 215.
۴ - الحياة الثقافية:

اهتم الفاطميون منذ استقرار سلطانهم في مصر بالعمل على نشر الثقافة العلمية والأدبية، فضلًا عن الثقافة المهنية التي تتصل بالدعوة الإسلامية، كالفقه والتفسير. وكان للجامع الأزهر دور كبير في النهوض بالحياة الثقافية في مصر. وقد ظهرت فكرة الدراسة في أوائل عهد المعز لدين الله الفاطمي حين قام قاضى القضاء أبو الحسن على بن الونمان المغربي بشرح كتاب "الاقتصاد" الذي وضعه أبوه؛ ويشتمل على مسائل فقهية استمدها من أئمة أهل البيت، كما أن أخاه أبو عبد الله محمد بن النعمان جلس في ربيع الأول من سنة ۳۸۵ هـ بقصر الخليفة لقراءة علوم أهل البيت.

وفي أوائل عهد العزيز بالله، جلس الوزير يعقوب بن كلس بالجامع الأزهر، وقرأ على الناس رسالة ألفها في الفقه الشيعي على المذهب الإسماعيلي، تسمى الرسالة الوزيرية، تضمنت ما سمعه في ذلك من المعز لدى الله وولده العزيز. وكان يقد إلى سماعه الفقهاء والقضاة وأكابر رجال الدولة. وصار ابن كلس يعقد مجالسه العلمية تارة بالجامع الأزهر وطرا بداره، يقرأ فيها مصنفاته على الناس.

على أن الجامع الأزهر ما لبث أن فاقت شهرته جميع المساجد الجامعة في مصر منذ أن أشار الوزير يعقوب بن كلس سنة ۳۷۸ هـ على الخليفة العزيز بتحويله إلى معهد للدراسة بعد أن كان مقصورا على إقامة الدعوة الفاطمية، فاستأنف في أن يعين بالأزهر بعض الفقهاء للقراءة والدرس، على أن يعقدوا مجالسهم بهذا الجامع في كل جمعة من بعد الصلاة، حتى العصر، فرحب العزيز بذلك ورتب لهؤلاء الفقهاء أراقا شهيرة ثابتة، وأنشأ لهم دارا للسكنى بجوار الأزهر. وظل الأزهر مركز الفقه الفاطمي إلى أن بنى جامع الحاكم بأمر الله، فانتقل إليه الفقهاء لإلقاء دروسهم.

كذلك اهتم الفاطميون بإنشاء المكتبات، فحلقوا بالقصر الشرقي الكبير مكتبة رودوها بأثني عشر المؤلفات في مختلف العلوم والفنون حتى تتميز على غيرها من مكتبات العالم الإسلامي بما في خزاناتها من كتب قيمة.

(۱) انظر: تاريخ الخضرة الإسلامية في الشرق، للمؤلف ص.۳۲.
(۲) حسن إبراهيم: الفاطميون في مصر، ص.۱۲۷.
وكان تجار الكتب يعرضون على موظفي مكتبة العاصمة أندل الكتب التي يعثرون عليها. وقد روى المقرزي (1) أن رجل أحيصر إلى العزيز بالله نسخة من كتاب الطبطرس اشترتها بائعة دينار، فأمر العزيز أمين المكتبة، فأخبروا من الخزانين، ما ينفي عن عشرين نسخة من تاريخ الطبري، منها نسخة بخط يده، كما كان بخزانة العزيز ما يزيد على ثلاثين نسخة من كتاب العين للخليل بن أحمد، وعائدة نسخة من الجمهرة لأبي دين.

وذكرنا ما كان الخليفة الفاطمي يزور خزانة الكتب في القصر الشرقي فاتى راكان، ثم يترجل ويشاهد مجلسه فوق دكة منشوره، ويمثل بين يديه أمين الخزانة ويتأمل بمصباح مكتوب بألفام مشاهير الخطاطين، ويعرض عليه مما يقترح شراءه من الكتب أو ما يريد الخليفة حمله لقراءته في مجلسه الخاص (2).

وكان يكتب الكتب أربعون خزانة كتب في سائر العلوم، وتحتوي كل خزانة على عدة رفوف، والروف مقفأة بحواجز، وفيها من أصناف الكتب ما يزيد على مائة ألف مجلد في الفقه على سائر المذاهب والنحو واللغة والحديث والتاريخ وسورة الملك والملوك والكمية.

ومن المراكز الثقافية بمسرquerة الحكمة التي أسسها الحاكم بأمر الله سنة 395 هـ وأطلق عليها هذه التسمية رمزاً إلى الدعوة الشيعية لأن مجلس الدعوة كانت تسمى مجلس الحكمة. وقد رود الحاكم هذه الدار بمكتبة عرفت باسم دار العلم، حيث الكثير من الكتب في سائر العلوم والأداب، من فقه ونحو ولغة وكيمياء وبصبر، وسمح لسائر الناس على طبقاتهم بالتردد عليها. وفي ذلك يقول المقرزي (3) «وحرص في هذه الدار من خزانين أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله من الكتب إلى أمر بحملها إليها من سائر العلوم والأداب ما لم ير مثله مجتمعاً لأحد قط من الملوك، وأباح ذلك لسائر الناس على طبقاتهم، فمنهم من يحضرون لقراءة الكتب ومنهم من يحضرون للنسخ، ومنهم من يحضرون للعلم، وجعل فيها ما يحتاج الناس إليه من الحبر والاقلام والورق والمحاجر»

---

(1) المقرزي: خطأ، ج.2، ص.848.
(2) المقرزي: خطأ، ج.2، ص.940.
(3) خطأ، ج.2، ص.158.
كان الطلاب يتلقون في دار الحكمة إلى جانب علومآل البيت وفقه الشيعة الكثير من علوم اللغة والفلكل والطب والرياضيات والفلاسفة والمنطق والتنجيم. وهكذا اختلقت مناهج التعليم في هذا المعهد عن مناهج التعليم بالمساجد الفاطمية المعاصرة، إذ كانت تغلب عليها الصبغة العلمية، بينما كانت تغلب على مناهج المساجد الصبغة الدينية. وكان بين أساتذة دار الحكمة كثيرون من أساتذة الحساب والمنطق والطب والنجاه، من أمثال ابن يونس المنتم، وأبي على الحسن بن الهيثم، وعلى بن رضوان.

وقد استطاعت دار الحكمة بفضل هؤلاء الأساتذة وما كان لها من مناهج متنوعة جمعت بين الدراسات العلمية والفقهية أن تجذب كثيراً من أعلام المشرق، من أمثال الرحلانس الفارسي ناصر خسرو، والدعاي الحسن بن الصحاب اللذين وفداً إلى مصر في عهد المستنصر بالله الفاطمي.

ظلت دار العلم مفتوحة ينفع الجمهور بما فيها من الكتب إلى سنة 516 هـ حيث أمر الوزير الأفضل بن أمير الجهوش بدر الجمالي بإغلاقها بسبب ما وصل إليه من أن رجلين يعتبان عقود الطائفة المعروفة بالدبيعة التي يدين أصحابها بذاهب السنة الثلاثة وهي الشافعية والحنيفي والمالكي، يتردون على دار العلم، وأن كثيراً من الناس أصفوا إليها وأعتمروا هذا المذهب. على أن فترة إغلاق دار العلم لم يظل أبداً، فقد أعادها الخليفة الأمر إلى ما كانت عليه بعد وفاة الأفضل.

فقدت مكتبة القصر الفاطمي عداً غير قليل من الكتب القيمة التي كانت بها في غضون الشدة العظمى التي حلت بمصر في عهد المستنصر بالله، فاستولى الجند والأمراء على الكثير مما في خزانة الكتب. وعلى الرغم من ذلك كله، فقد بقي في خزانة القصر بعض كتب لم تصل إليها يد العبث، واستطاع الفاطميين فيما بعد أن يعرضوا بعض ما فقدوه، ف들은وا إلى مكتبة القصر كثيراً من الكتب الجديدة حتى أصبح في قصر العادس آخر الخلفاء الفاطميين مكتبة كبيرة.

* * *

(1) خطاب عطية: التعليم في مصر في العصر الفاطمي، ص 108.
(2) المقرئي: خطط، ج 1، ص 859.
(3) المقرئي: خطط، ج 2، ص 390.
(4) انظر كتاب «كتور الفاطميين»، ص 249، تاريخ الدولة الفاطمية، ص 249.
تحليق نشاط الحركة العقلية في مصر منذ أن اتخذ الفاطميين القاهرة حاضرة لخلافاتهم، ففتح الخليفة العز لدين الله أبواب قصره للعلماء والطلاب، وأباح لهم جميعا الأطلاع على الكتب المختلفة بكتبة القصر، و]==quel f] f قسطرهم، ويدعون إليها الفقهاء والعلماء والأدباء، فيتناظرون بحضرتهم. ولم تكن هذه المجالس تلقى في قيمتها التعليمية عن الدروس التي تلقى بالجامع الأزهر أو بدار الحكمة.

وقد أدى مجيء الفاطميين إلى مصر بمذهب شيعي له أسس ودعائم تختلف ما كان عليه أهل السنة في مصر إلى ظهور فريقين من العلماء، يعمل أولهما على تأييدهم، ويفند الفريق الآخر آراءهم (1)؛ واستمر ذلك نشاط علماء الدعوة الفاطمية في تأليف الكتب، وكان لأبي حنيفة النعمان المغربي وأبناؤه وهم جميعا من كبار رجال الفقهاء والأدب الفضل الأكبر في نشر الثقافة المذهبية التي تصل بالدعوة الإسماعيلية.

وقد عاصر أبو حنيفة الفاطميين بالمغرب. وكان ملكي المذهب كسائر أفراد أسرته، ثم تحول إلى المذهب الإسماعيلي وقدم إلى مصر هو وأبناؤه في ركب المعز. وبعد النعمان من أهم دعائم الدعوة الإسماعيلية، ولو في الفقه الإسماعيلي عدة مؤلفات منها: «دعائم الإسلام في ذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام». وقد استغل النعمان مبولة المذهبية في تأليف هذا الكتاب حتى إذا نراه يضيف إلى قواعد الإسلام الخمس الولاية وهي حب أهل البيت، والظهارة (2).

وكان دعاء الإسماعيلية يرجعون إلى كتاب دعائم الإسلام في أحكامهم، ونهج الوزير يعقوب بن كلس في كتابه «مصنف الوزير» منهج كتاب الدعائم، وأشاد بذلك هذا الكتاب جماد الدين الكرماني داعي الحاكم بأمر الله في فارس، في كتابه "راحة العقل" حتى جعله في المرتبة التي تلي القرآن والحديث (3).

---

(1) أحمد أمين: ظهر الإسلام، ج1، ص188.
(2) H. Hamdani, (J.R.A.S.), 1933, p. 369/8
(3) حسن إبراهيم: تاريخ الدولة الفاطمية، ص264.
وعلى الرغم من تعصب الفاطميين للمذهب الإسماعيلي وتشجيعهم
فقهاءه، فقد ظهر في عهدهم بعض الفقهاء الشافعي والملكي والحيفي نخص
بالذكر منهم أبا بكر محمد النعيمي الملکي التوفي سنة 838 هـ. وكانت حلقة
بجامع عمرو بن العاص، تدور على سبعة عشر عضوًا لكثرة من يحضرها(1).
وكان فقهاء المذهب السنى في مصر يستنكرون تعاليم الفاطميين ولكنهم لا
يستطيعون الجهر بذلك.
كان للتشجيع الفاطميين للعلماء والكتاب أثره في ظهور طائفة كبيرة منهم في
مصر، فأشهر من المؤرخين في العصر الفاطمي: أبو الحسن علي بن محمد
الشبيشتي؛ اتصل بخدمة الخليفة العزيز، فولاه خزينة كتبه واتخذ من جلساء
ويندماه: وتوفي سنة 398 هـ في أيام الحاكم بأمر الله. ومن مصنفاته كتاب
الديار، أورد فيه أخبارا طريفة عن أديرة العراق والجزيرة والشام ومصر، وما
قيل في كل منها من الأشعار(2). كما نجى من المؤرخين في هذا العصر الأمير
المختار عز الملك المروي السبكي الذى ولد بمصر سنة 366 هـ وتوفي سنة
420 هـ. وكان من جلساء الخليفة الحاكم بأمر الله وخاصته، وقد تولى في أيامه
بعض المناصب الهامة، وشغف بكتابة التاريخ. وألف فيه عدة كتب منها تاريخه
الكبر المسمي "تاريخ مصر، ولا يوجد منه إلا الجزء الأربعون بكتبة الأسكوريال
إسبانيا. وقد نقل عن هذا الكتاب كلف من الفقيه وأبي المحسن.
ومن أعلام المؤرخين: أبو عبد الله القاضي الذى ولد بمصر في أواخر
القرن الرابع الهجري؛ وتوفي بها سنة 454 هـ وكان من أقطاب الحديث وفقه
الشافعي. وقد ولى القضاء وغيره من مهام الدولة في عهد الخليفة المستنصر بالله
الفاطمي، وأوقفه هذا الخليفة سفيرا إلى تيوتودرا إمبراطورة الدولة البيزنطية سنة
477 هـ. ليعاول عقد صلح بينها وبين مصر، ولله عدة مصنفات في الفقه والتاريخ،
منها "الثناء الإمام الشافعي وأخباره"، وكتاب في خطط مصر سماه "المختار في

(1) أحمد أمين: ظهر الإسلام، ج1 ص197.
(2) ابن خلكان: وفيات العلاة، ج1 ص227.
ذكر الحضرة والآثار، يتضمن تاريخ مصر والقاهرة حتى عصره. وكان هذا الكتاب عونا للمقريزي على كتابه "المواعظ والاعتبار بذكر الحضرة والآثار" (1).

ومن الكتاب والمؤرخين الذين ظهروا في أواخر العصر الفاطمي أبو القاسم على بن منجج السيفري، وقد استهر ذكره وعلا شأنه في البلاغة والشعر، كما برع في الخط، وترجف في بعض الوظائف حتى ولى ديوان الإنشاء للخليفة الآخر بأحكام الله، وظل فيه إلى سنة 532 هـ. ومن تصنيفه كتاب "قانون ديوان الرسائل" والإشارة إلى من نال الوزارة الذي ألفه للمامون البطانى وزير الآخر، وتبع فيه وزراء الدولة الفاطمية منذ عهد العزيز حتى أيامه. وتوفي ابن السيفري في عهد الخليفة الحافظ سنة 542 هـ (2).

كذلك نبغ في العصر الفاطمي بعض العلماء من أمثال أبي على محمد بن الحسن بن الهيثم وأصله من البصرة، ثم أتي مصر بدعوة من الحاكم بأمر الله لما بلغه أن له نظرية هامة في توزيع مياه النيل. وكان ابن الهيثم مصدر حركة فلسفية كبيرة، وخاصة في الطبيعة والرياضيات. وقد ألف نحو مائتي كتاب في الرياضة والطبيعة والفلسفة، ولم يزل مكبا على التالي حتى توفي سنة 430 هـ (3).

واشتهر من الأطباء والفلاسفة أبو الحسن على بن رضوان وهو مصرى المولد من الجزيرة، وقد نشأ فقيرا معدما، وأصبح بفضل جده واجتهاده رئيس الأطباء في البلاط الفاطمي. وتدل الكتب التي ألفها في الطب على سعة فكره وأطلاعه. كما أن له كتاب في الفلسفة والمنطق وغيرهما من علوم الحكمة (4). وكان على بن رضوان مجددا في صناعته، فلم يعد في مؤلفاته إلى نقل وشرح كتب من كان قبله من الأطباء، بل كانت له ناحية خاصة من التفكير والابتكار، وظل طيلة حياته كفتاح وعمل متصل إلى أن توفي في حوالي سنة 460 هـ في خلافة المستنصر بالله الفاطمي (5).

(1) أحمد أمين: ظهر الإسلام ج1 ص 20.
(2) أنور: ياقوت، محج الأدباء ج1 ص 79 - 80، ابن مسیر: تاريخ مصر ص 80.
(3) أحمد أمين: ظهر الإسلام ج1 ص 20.
(4) ابن أبي أمية: رحلة الأدباء في طبقات الأدباء ج2 ص 10.
(5) ابن القطب: إخبار العلماء بأخبار الحكماء ص 443 - 444.
وقصاري القول أن الحركة العلمية في العصر الفاطمي، سارت بخطى واسعة نحو التقدم والارتفاع، فتفوقت على مثيلتها في العهد الطولوني والختيدي، كما تميّزت بنشاطها، فكان في مصر طائفة من علماء الدعوة الفاطمية والمورخين والفلسفة والأدباء أسهموا في النهضة الثقافية التي تجلت في ذلك العصر.
الإسماعيلية والاثنا عشرية:

1 - علي بن أبي طالب
   2 - الحسن
       3 - الحسين
       4 - علي زين العابدين
           5 - محمد الباقر
               6 - جعفر الصادق
                   7 - إسماعيل
                       7 - حسن
                       7 - محمد
                           8 - علي الرضا
                           9 - محمد الجواد
                               10 - علي الهادي
                                   11 - الحسن العسكري
                                       12 - محمد المنتظر

(11)
الخلفاء الفاطميون

1 - عبد الله المهدي (934 - 940م)
2 - القائم (محمد أبو القاسم) (940 - 952م)
3 - المنصور (إسماعيل أبو طاهر) (952 - 966م)
4 - المبعز لدين الله (معدل أبو تيم) (966 - 975م)
5 - العزيز بالله (نزار أبو منصور) (975 - 996م)
6 - الحاكم بأمر الله (المنصور أبو علي) (996 - 1022م)
7 - الظاهر لإعجاز بين الله (علي أبو الحسن) (1022 - 1027م)
8 - المستنصر بالله (معدل أبو تيم) (1027 - 1035م)
9 - المستعليم (أحمد أبو القاسم) (1035 - 1049م)
10 - الآمر (المنصور أبو علي) (1049 - 1064م)
11 - الحافظ (عبد المجيد أبو اليمون) (1064 - 1070م)
12 - الظاهر (إسماعيل أبو المنصور) (1070 - 1074م)
13 - الفائز (عسي أبو القاسم) (1074 - 1078م)
14 - العاضد (عبد الله أبو محمد) (1078 - 1086م)
الخلفاء الفاطميين

1 - عبد الله المهدي

2 - القائم

3 - المصير

4 - المعز

5 - العزيز

6 - الحاكم

7 - الظاهر

8 - المستنصر

عبد الله

إسماعيل

نزار - المتعلي

محمد

10 - الأمر

أبو القاسم الطيب

11 - الحافظ

بوسف

12 - الظافر

14 - العاضد

13 - الفائز
مصادر القسم الأول

1- ابن الأثير: (ت ۲۳۰ هـ، 1328 م) على بن أحمد بن أبي الكرم.
   «ال الكامل في التاريخ» (12 جزءا - القاهرة 1323–141 هـ).

2- أحمد أمين.
   «ظهر الإسلام» (الجزء الأول - القاهرة 1945).

3- الأدفو: (ت 748 هـ) كمال الدين أبو الفضل جعفر بن ثعلب بن جعفر بن
   على الأدفو الشافعي.

4- الطالع السعيد الجامع لاسمه غباء الصعيد.
   «كتاب عيون الأنباء في أخبار الأطباء» (جزءان - القاهرة 1299–1300 م).

5- أوليري دي ليسي: (O’Leary, De Lacy).

6- البغدادي: (ت ۴۲۹ هـ، 1031 م) أبو منصور عبد القاهر بن طاهر.
   «الفرق بين الفرق» (مطبعة المعارف - القاهرة 1288–1310 هـ).

7- البكرى: (ت ۴۸۷ هـ، 1041 م) أبو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز
   البكرى.
   «المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب» (طعبة دى سيلان)
   باريس سنة 1911.

8- حتي: فيليب - Hitti Philip.

9- حسن إبراهيم حسن.
   (1) الفاطميون في مصر وأعمالهم السياسية والدينية بوجه خاص
   (1932 م).
(القاهرة 1959م)

(ج) تاريخ الإسلام السياسي (الجزء الثالث - القاهرة - 1946).

1- حسن إبراهيم حسن وظف شرف.

(أ) عبد الله المهيدي إمام الشيعة الإسماعيلية ومؤسس الدولة الفاطمية في بلاد المغرب (القاهرة - 1947م)

(ب) المعز لدين الله إمام الشيعة الإسماعيلية ومؤسس الدولة الفاطمية في مصر (القاهرة - 1948م)

11- حسن حبشي:

(أ) الحرب الصليبية الأولى (القاهرة 1947م)

(ب) نور الدين والصليبيون (القاهرة 1948م)

12- الحمادي اليمني: محمد بن مالك بن أبي الفضائل الحمادي اليمني (من فقهاء السنة في أواسط القرن الخامس الهجري)

كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة

13- ابن خلدون: (ت 808 هـ، 1406 - 1407م) عبد الرحمن بن محمد العبر وديوان البكاء والخبر (7 أجزاء - بولاق 1284 هـ).

14- ابن خلكان: (ت 681 هـ، 1271م) شمس الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن أبي بكر الشافعي.

وفيات الأعيان (جزاءن - بولاق - 1283 هـ)

15- ابن الدابة: (330 هـ أو 940م) أبو جعفر أحمد بن يوسف.

قصيد أحمد بن طولون - نشر فوروز 1895م

16- دحلان: (ت 1304 هـ) أحمد زين دحلان المكي.

خالصة الكلام في أمراء البيت الحرام

17- راشد الباي:

حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين (القاهرة 1948م)
21 - سيدة إسماعيل كاشف:
(أ) مصر في فجر الإسلام (القاهرة 1947م).
(ب) مصر في عصر الأشخشيدين (القاهرة 1950م).

22 - السيوطي:
(ت) 911 هـ، 1501م: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين.
(أ) تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين القائمين بأمر الأمة (القاهرة 1251هـ).

23 - أبو شاماء:
(ت) 665 هـ، 1267م: عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان شهاب الدين الملقب بأبي شاماء.
(ب) كتاب الروضتين في أخبار الدولتين.

24 - أبو شجاع:
(ت) 488 هـ، 1090م: محمد بن الحسين بن عبد الله بن إبراهيم الوزير ظهير الدين أبو شجاع.
(أ) مذيل كتاب تجارب الأمم (طبعه H.F. Amedroz).

25 - ابن شداد:
(ت) 1324 هـ، 1901م: القاضي بهاء الدين أبو المحاسن يوسف ابن رافع بن تميم.
(النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية).
تأريخ الدولة الفاطمية

26 - الشهرستاني (854 هـ، 1151 م) أبو الفتح محمد بن عبد الكريم.

الممل والنحل (5 أجزاء - القاهرة 1317 هـ).

27 - عبد المنعم ماجد:
نظم الفاطميين ورسومهم في مصر (جزاء القاهرة 1953 م).

28 - عبيد القادر الأنصاري: الشيخ زين الدين عبد القادر بن البدرى محمد بن إبراهيم الأنصاري (من علماء القرن العاشر الهجري).

درر الفرائد المنظمة في أخبار الحجاج وطريق مكة المعظمة: مخطوط بدار الكتب المصرية بالقاهرة.

29 - ابن علداري (توفي في أواخر القرن السابع الهجري) أبو عبد الله محمد المراكشي.

30 - أبي السعد القرطبي (ت 378 هـ، 976 م - 977 م):
فصل تاريخ القرطبي (القاهرة 1302 هـ).

31 - عمارة اليمني (ت 596 هـ، 1174 م) أبو محمد عمارة بن أبي الحسن على بن ريدان بن أحمد الخميسي اليمني الملقب بنجم الدين.

التاريخ اليمني (نشر Henri Cassels Kay).

32 - ابن العميد: (ت 1672 هـ، 1272 م) الشيخ المكين جرجس ابن العميد.

تاريخ المسلمين (ليدن - 1625 م).

33 - الطبري: (ت 341 هـ) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري.

تاريخ الأمم والملوك (8 أجزاء - القاهرة 1358 هـ / 1939 م).

34 - طه شرف:
تاوية النازارية أجداد أغاخان (القاهرة 1950 م).

35 - أبو الغندا: (ت 727 هـ، 1321 م) إسماعيل بن علي عماد الدين صاحب حماة.

المحذوف في أخبار البشر (4 أجزاء - القاهرة 1365 هـ).
Wiet, G. 36 - فيت : جاستن فيت

Histoire de La Nation Egyptienne, 7 Vols., Paris, 1931-194 (أ)


Précis de L'histoire d'Egypte T. II. (L'Egypte Musulmane). (ب)

37 - ابن القفطي: (ت 146 هـ، 1348 م) جمال الدين علي بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الوهاب.

38 - إخبار العلماء بأخبار الحكماء (القاهرة - 1326 هـ).

38 - ابن القناني: (ت 555 هـ، 1160 م) أبو علي حمزة.

39 - ذيل تاريخ دمشق (بيروت سنة 1908 م).

39 - القلقشندي: (ت 821 هـ، 1418 م) أبو العباس أحمد بن صبح الأعشى في صناعة الإنشاء (14 جزء) - القاهرة 1913-1917 م).

40 - الكرمل: أنستاس ماري.

«النقد العربي وعلم النموذلات» (القاهرة - 1939 م).

41 - الكتاني: (ت 350 هـ، 961 م) أبو عمر محمد بن يوسف.

41 - كتاب الولاة وكتاب القضاة» (ليون - 1908 م).

Lane. Poole: Stanley. 44 - لينبول: ستانلي.

A history of Egypt in the Middle Ages, London, 1901 (أ)

Salah El Din and the Fall of the Kingdom of Jerusalem, (ب)

London, 1893.

Mez. Adam 42 - مزي: آدم

Die Renaissance des Islams.
تاريخ الدولة الفاطمية

(الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري) - جزءان - القاهرة 1940 - 1941.

43- ابو المحاسن: (ت 874 هـ 1471 م) جمال الدين يوسف بن تغريري

«التجوم الزاهرة في ملك مصر والقاهرة» (نشر دار الكتب المصرية بالقاهرة).

44- محمد جمال الدين سرور.

أ) «الفؤوذ الفاطمي في جزيرة العرب» (الطبعة الرابعة - القاهرة 1964).


(ج) «تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق» - (القاهرة 1965 م).

45- محمد كامل حسين:

«أدبنا العربي في عصر الوئام» (القاهرة 1961).

46- المقرزي: (845 هـ، 1441 م) تقي الدين أحمد بن علي.

أ) «المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار» (طبعة بولاق 1470 هـ).

ب) «اتخاذ الخنفبا أخبار الأئمة الخلفاء» (جمال الدين الشال. القاهرة 1948) نشر دار الفكر العربي.

47- ابن عامي: (ت 596 هـ، 1209 م) القاضي الوزير شرف الدين أبو المكارم الأسعد.

48- ابن منجد الصيريفي: (ت 542 هـ، 1147 م) زين الدين ناجج الرياسة

أبو القاسم على

«الإشارة إلى من نال الوزارة» (القاهرة 1934 م).

49- ابن ميسر: (ت 778 هـ، 1378 م) محمد بن علي بن يوسف بن جلب

«تاريخ مصر» (طبعة هنري ماسه Heuri Masaec القاهرة 1919 م).

50- النعمان: (ت 973 هـ، 1563 م) أبو حنينة الخرفي.

«المجالس والمسايرات» (3 أجزاء - مخطوط بكتبة جامعة القاهرة).
51 - النوبختي: (ت ٢٠٢ هـ، ٩١٤ م): أبو محمد الحسن بن موسى.
كتاب فرق الشيعة (إستانبول - ١٩٣٢ م).

52 - هبة الله الشيراوي: (ت ٢٠٠ م، ٤٧٧ هـ، ١٣٩٥ م) المؤد في الدين هبة الله.
سيرة المؤد في الدين داعي الدعاء (نشر د. محمد كامل حسين - القاهرة ١٩٤٩ م).

Heyd, W.: 53 - هيد.


54 - ابن واصل: (ت ١٢٩٧ هـ، ١٢٩٦ - ١٢٩٨ م) جمال الدين محمد بن.

واصل.

公فرغ الكرون في أخبار بنى أيوب.
(نشر جمال الدين الشيال - ١٩٥٣، ١٩٥٧ م).

55 - ياقوت: (ت ٢٦٦ هـ، ١٢٢٩ م) شهاب الدين أبو عبد الله الحموري.

(أ) معجم البلدان (١٠ أجزاء - القاهرة ١٩٠٦ م).

(ب) معجم الأدباء (٢٠ جزء - طبعة أحمد فريد رفاعى - ١٢٩٢ - ١٩٣٨ م).

56 - يحيى بن سعيد الانطاكي: (ت ٤٠٨ هـ، ٦٦٦ م).
صيلة كتاب سعيد بن بطريرق السمي «التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق» (جزءان - بروت ١٩٠٩ م).

57 - اليماني: محمد بن محمد.
مسيرة الحاجب جعفر بن علي وخروج المهدي من سلمية ووصوله إلى سجلماسة (نشر إيفانوف. مجلة كلية الآداب - جامعة القاهرة - ديسمبر ١٩٣٦ م).
69- السجلات المستنصرية.

سجلات وتوقيعات وكتب مولانا الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين إلى دعاء اليمن وغيرهم.

(نشر وتحقيق د. عبد المنعم ماجد سنة 1954).

66- مجموعة الوثائق الفاطمية.

(جمعها وحققها د. جمال الدين الشبل - القاهرة 1958م).

61- تاريخ كامبريدج العصور الوسطى

Cambridge Mediaeval History Vol IV.
القسم الثاني

سياسة الفاطميين الخارجية

مقدمة

الباب الأول: الدعوة الفاطمية في بلاد الحجاز.
الباب الثاني: السيادة الفاطمية في بلاد البحرين.
الباب الثالث: الدعوة الفاطمية في اليمامة وعمان.
الباب الرابع: النفوذ الفاطمي في بلاد اليمن.
الباب الخامس: سياسة الفاطميين في بسط سلطانهم على بلاد الشام.
الباب السادس: الدعوة الفاطمية في بلاد العراق.
الباب السابع: علاقات الفاطميين بالأندلس والمغرب وجزيرة صقلية.
الباب الثامن: العلاقات بين الدولة الفاطمية والدولة البيزنطية والمدن الإيطالية.
لframah من الفصول الثاني

الباب الأول
الحموة الفاطمية في بلاد الحجاز
تمهيد: بلاد الحجاز قبل أن يمتد إليها نفوذ الفاطميين
دولة بني سليمان بمكة
العلويون في المدينة المنورة

1 - السيادة الفاطمية في البلاد المقدسة بالحجاز
إقامة الخطبة بمكة والمدينة للمعز لدين الله
عدم استقرار النفوذ الفاطميين بمكة والمدينة في عهد العزيز
موقف أمير مكة من الخليفة الحاكم بأمر الله
استقلال الهواشم بإمارة مكة

2 - ضعف النفوذ الفاطميين بالحجاز
موقف أمراء الهواشم من الخلفاء الفاطميين
حرص الفاطميين على الاحتفاظ بسيادتهم على بلاد الحجاز

الباب الثاني
السياحة الفاطمية في بلاد البحرین
تمهيد: قيام دولة القرامطة ببلاد البحرین

1 - موقف أمراء القرامطة ببلاد البحرین
ولاية قرامة بلاد البحرین للخلافة الفاطمية ببلاد المغرب
تبدل صلة المودة بين الفاطميين والقرامطة
ضعف أمر القرامة بلاد البحرين

الباب الثالث

الدعوة الفاطمية في اليمامة وعُمان

دولة بنى الأخيضر الخضرة بالبَيْماَة
نشر المذهب الإسماعيلي بالبَيْماَة
إقامة الدعوة في عُمان لِعُبيد الله المهاجري
محاولة البريهيين توطيد نوعهم بِعُمان
حرص الفاطميين على نشر دعوتهم بِعُمان

الباب الرابع

النفوذ الفاطمي في بلاد اليمن

تمهيد : بلاد اليمن في أواخر عهد ولادة العباسيين
1 - جهود دعاء الإسماعيلية في نشر الدعوة الفاطمية باليمن
وقوع الخلاف بين دعاء الإسماعيلية في اليمن
ولاء بعض دعاء الإسماعيلية في اليمن لِعُبيد الله المهاجري
ارتداد بعض الدعاة عن المذهب الإسماعيلي وخروجهما على
الدعوة الفاطمية

الدعوة الفاطمية تستعين مكانتها باليمن

2 - موقف أمراء الصلحيين من الخلافاء الفاطميين
على بن محمد الصليحي يقيم الدعوة للمستنصر بالله الفاطمي
ولاية المكرم أحمد الملك باليمن، وحرصه على توطيد علاقته
بالمستنصر

الدعوة الفاطمية باليمن بعد وفاة المكرم أحمد
التواضع بين آل الصليحي والزواحي
السيدة الحرة الصليحية تُدير شؤون اليمن
تأيد السيدة الحرة خلافة المستعلي بالله
الخلفية الأمر الفاطمي يرسل بعض دعاته إلى السيدة الحرة
ولا السيدة الحرة للخلفية الأمر وإعترافها بإمامه ابنه الطيب
عدم اعتراف السيدة الحرة بخلافة الحافظ
آت زريع بعدن يقومون الدعوة للخلفية الحافظ
ضعف الدعوة الطيبة بعد وفاة السيدة الحرة
زوال النفوذ الفاطمي في اليمن

الباب الخامس
سياسة الفاطميين في بسط سلطانهم

على بلاد الشام

تمهد: الحياة السياسية في بلاد الشام قبل الفتح الفاطمي
حرص الإخشيديين على توطيد سلطانهم في ولاية الشام
تعلن الحمدانيين في حلب إلى انتزاع بلاد الشام
 تعرض بلاد الشام لغارات القرامطة

الفتح الفاطمي لبلاد الشام

حملة جعفر بن قلاب إلى فلسطين
استيلاء جعفر بن قلاب على دمشق
عدم استقرار سلطان الفاطميين بالشام

الصعوبات التي واجهت الفاطميين في الشام من ناحية القرامطة

أفتكتين التركي
مناهضة القرامطة النفوذ الفاطمي
حركة أفتكتين التركي

وقف أمراء العرب بالشام من الفاطميين

بنو الجراح في فلسطين
باب السادس

الدعوة الفاطمية في بلاد العراق

1 - سياسة الفاطميين في نشر دعوتهم بمدن العراق إلى أوائل القرن الخامس الهجري

نشاط دعاة الفاطميين في نشر دعوتهم بالعراق وبعض بلاد الدولة العباسية

 موقف البوهيين من الفاطميين

الدعوة الفاطمية في المرحل في عهد العزيز(Exceptional) والحاكم مناهضة القادر با الله العباسي الدعوة الفاطمية

انتشار النفوذ الفاطمي بالعراق، وسياسة القائم بأمر الله العباسي في مناهضته

2 - حركة البسير في العراق

حالة الخلافة العباسية في أوائل عهد القائم بأمر الله

جهود الداعي المؤذن في الدين في نشر الدعوة الفاطمية

الصحاب الداخلية التي واجهته القائم بأمر الله في منتصف القرن الخامس
ايرزؤاد نفوذ القائد التركي أبي الحارث أرسلان الباسسیري في العراق

اتصال الباسسیرى بالفاعلیین في مصر

دخول السلاجقة بغداد برئاسة السلطان طغرل系数

تأید المستنصر بالله الباسسیری فی خروجه على الخليفة العباسی

مسیر الداعی المؤید فی الدين من مصر لمؤازرة حركة الباسسیری

حرص المؤید على استمالة أمراء العرب بالعراق

وقوع الحلف بين طغرل系数 وأخي إبراهیم ينال

دخول الباسسیری بغداد وإقامة الخطبة للمستنصر بالله الفاطمی

رحیل الخليفة القائم بأمر اللہ العباسی إلى حدیث عنه

انصراف المستنصر بالله عن معاونة الباسسیری

سعى طغرل系数 لإعادة الخليفة العباسی إلى مقر خلافته ونجاهه

في ذلك السیل

345

3- روال النفوذ الفاطمی بلاد العراق

ايرزؤاد نفوذ السلاجقة بالعراق

مناهضة السلاجقة النفوذ الفاطمی

انحلال الدعوة الفاطمیة في أواخر القرن الخامس وأسبابه

العوامل التي ساعدت على روال الدعوة الفاطمیة

الباب السابع

علاقات الفاطمیین بالأندلس والمغرب وجزيرة صقلیة

353

(1) علاقة الفاطمیین بالأمویین في الأندلس

سياسة الأمویین بالأندلس في مناهضة الخلافة الفاطمیة بالمغرب

استمرار النزاع بين الفاطمیین والأمویین بالأندلس حتى نهاية

القرن الرابع الهجری
(ب) علاقة الفاطميين بالزبيريين في المغرب
أمراء بنى زبير يتولون الحكم في المغرب بعد رحيل المعز إلى مصر
خروج المعز بن باديس على الخليفة المستنصر
(ج) الفاطميين وجزيرة صقلية
السيادة الفاطمية على صقلية
ضعف النفوذ الفاطمي بصفلية في أواخر القرن الرابع
استيلاء النورماندين على صقلية

الباب الثامن
العلاقات بين الدولة الفاطمية
والدولة البيزنطية والمدن الإيطالية

(أ) الفاطميين والبيزنطيون
البيزنطيون في شمال الشام يهددون النفوذ الفاطمي بتلك البلاد
صلح بين باسيل الثاني والخليفة العزيز
معاهدة الصداقة بين مصر في أوائل عهد الحاكم، والدولة
البيزنطية
صلح بين الخليفة الظاهر وقسطنطين الثامن
تحسين العلاقات بين الفاطميين والبيزنطيين في أوائل عهد المستنصر
عودة العداء بين الدولتين الفاطمية والبيزنطية مسيرته الأولى

(ب) الفاطميين والمدن الإيطالية
مدينتا أمalfى وبيزا تصرحان على إنشاء علاقات مع مصر
والشام في العصر الفاطمي
اهتمام مدينتي جنوة والبندقية بإقامة علاقات ودية مع
الفاطميين

مصدر القسم الثاني.
قدمه

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدهنا محمد خاتم السبيين، وبعد، فهذا القسم يتعلق بإصلاح الفاطميين الخارجي، ينجم لنا من ثمانية تطورهم إلى زعامة العالم الإسلامي، التي كان العباسيون يحتفظون بها رغم ضعف سلطتهم، ومن ثم وجهوا اهتمامهم إلى توسيع نطاق دعوتهم ودم نفوذهم إلى أراضي الدولة العباسية، فلما أصبحت القاهرة مقر خلافتهم تطلعوا إلى بسط سلطانهم على بلاد الحجاز ليكسبوا خلافتهم قوة أمام العالم الإسلامي، ذلك أن السيادة على الخزرجين الشريفين بabilia والمدينة صار ينظر إليها على أنها من مستلزمات الخلافة، وأن من ينظر بها يعتبر خليفة المسلمين الحقيقي.

وعلى الرغم من أن الفاطميين واجهوا منافسة العباسيين لهم في بسط سيادتهم على البلاد القدس بالحجاز، فإنهم استطاعوا في خلال الفترات التي استمر فيها نفوذهم بتلك البلاد، أن ينشروا فيها الأمن، كما أظهروا قدرتهم على درء الخطر عنها، وتأمين الوافدين من المسلمين على أرواحهم وأموالهم.

وكانت بلاد البحرين من بين أقطار جزيرة العرب التي خضعت لسيادة الفاطميين في النصف الأول من القرن الرابع الهجري. وقد حرص أمراؤها من القرامة على استمرار العلاقات الودية بينهم وبين الخلفاء الفاطميين بالمغرب. لكن صلة المودة بين الفاطميين والقرامة ما بدت أن تبدلت في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري بسبب طموح أمير القرامة الحسن بن أحمد إلى استعادة سلطانهم على بلاد الشام، وأدى ذلك إلى قيام العداء بين هذا الأمير وبين الفاطميين. ثم ضعف أمر القرامة ببلاد البحرين بسبب الخلافات الداخلية بينهم حتى لم يبق لهم في أواخر القرن الرابع إلا ولاية صغيرة على الشاطئ الشرقي للجزيرة العربية.
ومن ولايات الجزيرة العربية التي انتشرت فيها الدعوة الفاطمية: اليمن
وعمان. وقد تولى نشر هذه الدعوة باليمن دعاة الإسماعيلية باليمن أثناء قيام دولة
الخليفة الفاطمية بها. أما ولاية عمان، فإن بعض أمراء الصليبيين باليمن
بعثوا إليها بالدعوة لنشر الدعاة الفاطمية، حتى أصبح بها عدد كبير من أنصار هذه
الدعوة في عهد الخليفة المستنصر بالله الفاطمي.
وكان بلاد اليمن موطن الدعوة الفاطمية بجزيرة العرب فاتخذها دعاء
الإسماعيلية منذ أواخر القرن الثالث الهجري مقراً لنشر دعوتهم. وحرص هؤلاء
الداعة على الاحتفاظ بعلاقات ودية مع الخلفاء الفاطميين، وظل النفوذ الفاطمي
في اليمن رغم ذلك، يترجع بين القوة والضعف حتى قام بأمر الدعوة الفاطمية
أمراء الصليبيين باليمن؛ فبذل كل منهم قصارى جهده في سبيل توقيع عرى
الصداقة مع الخلفاء الفاطميين في مصر، مما كان له أثر كبير في احتفاظ الفاطميين
بمركزهم في بلادهم، وبخاصية في عهد السيدة الحرة الصليبية.
على أن الدعوة الفاطمية في اليمن ما لبث أن أخذت في الضعف بعد وفاة
هذه السيدة، إذ لم يكن هناك بين الصليبيين شخصية قوية تستطيع أن تخلفها
وتبسر سيرتها في نشر تلك الدعوة. كما أن آل زريع بعدن الذين كانوا موالين
للمخلكة الفاطمية في مصر لم يبق لهم الاستمرار في الحكم فترة طويلة؛ فأخذت
دولادهم في الانحلال منذ منتصف القرن السادس الهجري. وأصبح النفوذ الفاطمي
في بلاد اليمن مهدداً بالزوال بعد أن ولى صلاح الدين يوسف بن أوب مقاليد
الأمور في مصر؛ إذ وجه اهتمامه إلى بسط سلطانه على تلك البلاد، واستطاع في
فترة قصيرة أن يقضي على نفوذ الفاطميين فيها.
وكانة الضرورة السياسية والحرية تفضي على الفاطميين بعد أن وطدوا
سلطتهم في مصر أن يوسعوا وجودهم شطر بلاد الشام؛ لكنهم رغم نجاحهم في مد
سلطانهم على هذه البلاد واجهوا عدة صعوبات، كان لها أثر بالغ في عدم استقرار
الحكم الفاطمي فيها؛ فإلى جانب استياء أهالي دمشق من سياسة الفاطميين القائمة
على التعرض للمذهب الشيعي، قام قراطية بلاد البحرين بدور هام في مناهضة
نفوذهم في بلاد الشام، كما أن الحركات الاستقلالية التي تزعمها أمراء العرب في
هذه البلاد أدت إلى إضعاف سلطة الفاطميين.
وكان لانطلاق سلطان الفاطميين السياسي في شمال الشام وجنوبه أثر كبير في إتاحة الفرصة أمام السلاجقة للظهور على مسرح السياسة في هذه البلاد؛ فذلما جهدهم لضبط سياساتهم عليها. غير أن الفاطميين سرعان ما تأهبا لصد غاراتهم وأصبحوا نهم والسلاجقة في أواخر القرن الخامس الهجري يتقاسمون النفوذ في بلاد الشام.

وكان بلاد العراق محطة أنظار الفاطميين على اعتبار أنها مقر الخلافة العباسية، لذلك عهد الفاطميين إلى دعاتهم بالرحيل إليها لنشر دعوتهما. وقد صادف هؤلاء الدعاء كثيرا من النجاح في هذا السبيل، كما لقيت الدعوة الفاطمية في بلاد الفرس تأييدا حتى أصبح بين صفوف جند بنى بويه من الدبلوماسيين وانهاك عدد غير قليل يصل إلى الفاطميين. وكان ذلك مما مهد السبيل لنجاد البيضاوي في إقامة الدعوة الفاطمية من مثاب بغداد في منتصف القرن الخامس الهجري. غير أن هذه الدعوة لم يكتب لها البقاء فترة طويلة؛ فشرعما ما دخل السلاجقة بغداد وأعادوا الخطبة للخليفة العباسي القائم بأمر الله.

وكان السلاجقة يدركون الخطر الذي يهددهم من وراء انتشار النفوذ الفاطمي في بلاد الشرق الإسلامي؛ ومن ثم وجهوا سياساتهم بعد أن قبضوا على زمام الأمور في بغداد إلى مناهضة هذا التفوذ، كما اضطهدوا الشعيعيين، ووقروا من دعاة الإسماعيلية الذين استطاعوا خطرهم في بلاد الدولة العباسية موقيفا ينطوي على الحزم والشدة. وكان لهذه السياسة أثرها في وقف تيار الدعوة الفاطمية. ولم تكن الظروف في مصر مهيبة للإبقاء على هذه الدعوة؛ ففاضلا عن اقتسما الإسماعيلية إلى فرق وأحزاب في أواخر القرن الخامس الهجري، شغلت الحكومة الفاطمية بالقضاء على القلاقل التي أثارها أتباع النزارية بإياع من رؤساء دعوتهما في فارس; كما انصرف فريق من وزراء العصر الفاطمي الأخير عن تأليد المذهب الإسماعيلي، بل هيا بعضهم السبيل لرجع المذهب السني إلى مصر؛ فكان ذلك مما مهد الطريق لسقوط الفاطميين، واحتفظت الخلافة العباسية رغم ما أصابها من ونحن وضع بيضتها على البلاد الإسلامية.

وكانت علاقات الفاطميين مع الأندلس يسودها التوتر منذ بداية العصر الفاطمي، فواجهت الخلافة الفاطمية في إفريقيا عداء عبد الرحمن الناصر بالأندلس. واتخذ هذا العداء مظهرا قويا في عهد المزي وخلافته.
أما عن موقف أمراء بنى زيري بالمغرب من الفاطميين بعد أن اتخذوا مصر مقراً لخلافتهم، فإنهم ظلوا مواليين لهم، واستمر النفوذ الفاطمي سائداً في تلك البلاد حتى منتصف القرن الخامس الهجري، حيث أعلن المعز بن باديس خروجه على طاعة الخليفة المستنصر بالله، وأقام الدعوة للقتام بأمر الله العباسي. وأصبح من المتذرز على الخلافة الفاطمية الاحتفاظ بنفوذها في المغرب بسبب الصعوبات التي واجهتها سواء في مصر أو الشرق الإسلامي.

وكان الفاطميين منذ أقاموا دولتهم في إفريقية يحرصون على الاحتفاظ بسيادتهم على جزيرة صقلية لاتخاذها قاعدة لاسطولهم في البحر المتوسط لصد الحملات التي قد يوجهها الروم على سواحل دولتهم، فاستمروا في إرسال ولائهم إليها. لكن هؤلاء الولاة لم تتح لهم الفرصة للبقاء طويلاً في ولائهم بسبب المنازعات بين أهلها من المسلمين، فضلاً عن خروجهم على طاعتهم. كما أن هذه الجزيرة من ناحية أخرى لم تنجح بالأستقرار من جراء تهديد البيزنطيين لها. وأخذ النفوذ الفاطمي في صقلية في الضعف بعد أن انتقل العز إلى مصر. وغدت علاقة الفاطميين بهذه الجزيرة مقصورة على إرسال الولاة إليها لإدارة شؤونها. كما ساد الاضطراب الجزيرة منذ منتصف القرن الخامس الهجري من جراء النزاع بين أمرائها المسلمين والحروب الداخلية مما مهد السبيل أمام النورمانديين للاستيلاء عليها.

كذلك كان للفاطميين علاقات مع الدولة البيزنطية، اتسمت بالتوتر في كثير من الأحيان. ويرجع السبب في ذلك إلى تهديد البيزنطيين الحدود الشمالية للشام، واستيلائهم على بعض المدن الشامية. وظل النزاع قائماً بين الدولتين الفاطمية والبيزنطية حتى عهد الخليفة الحاكم بأمر الله حيث عقدت معايدة صداقة بين هاتين الدولتين، غير أن المعاهدة لم تؤد إلى استمرار الود بين الفاطميين والبيزنطيين، وصارت العلاقات بين الدولتين الفاطمية في عهد المستنصر، وبين الدولة البيزنطية لا تستقر على حال، بل إن العداء بين الدولتين عاد سيرته الأولى في أواخر العصر الفاطمي.

وأ pretext المدن الإيطالية تحرص على إنشاء علاقات مع مصر والشام، فعملت مدينة بيزا على توثيق صلة المودة مع الخلفاء الفاطميين، كما غطت العلاقات بين
مدينة جنوة وبين مصر في النصف الأخير من القرن الحادي عشر الميلادي، وكذلك الحال بالنسبة للبندقية التي اهتمت بإقامة علاقات ودية مع الفاطميين، وصارت سفنها تنقل من موائن مصر متجات آسيا إلى أوروبا.

* * *

وقد بدأت الفاطميين بدراسة الوسائط التي اتبعها الفاطميين لنشر سلطانهم في البلاد المقدسة بالحج، وبينت كيف ناهضوا نفوذ العباسيين في كل من مكة والمدينة، وأقاموا لهم الدعوة في مساجدها. ثم تحدثت عن عوامل ضعف النفوذ الفاطميين بالحج.

كذلك تناولت بالبحث قيام دولة القرامطة ببلاد البحرين، وولاء أمرائها للفاطميين واتجاههم في سياساتهم العدائية إزاء العباسيين، ثم تحدثت عن العوامل التي بلطت صلة المودة بين الفاطميين والقرامطة في أواخر القرن الرابع الهجري، وما تع ذلك من ضعف السيادة الفاطمية ببلاد البحرين.

وما كانت بلاد اليمن من أهم مراكز الدعوة الفاطمية بجزيرة العرب، لذلك وجهت عنايتهم إلى توضيح السياسة التي اتبعها الخلفاء الفاطميين للإبقاء على نفوذهم بهذه البلاد، كما بنيت ما كان لتوسيع عرى الصدارة بين هؤلاء الخلفاء وآخرين الناس في اليمن من أمر في احتفاظ الفاطميين بمركز ممتاز في بلادهم.

وعُلِّيَت أيضًا ببحث سياسة الفاطميين في بسط سلطانهم على بلاد الشام، وشرحت الصعوبات التي واجهتهم في مستهل عهدهم تلك البلاد، كما تحدثت عن النزاع بين السلاجقة والفاطميين على نشر نفوذهم في الشام، وبيت أثر في عدم استقرار الأمور في هذه البلاد، وضعف الجبهة الإسلامية أمام الغزوات الصليبية.

كذلك تناولت بالبحث سياسة الفاطميين في نشر دعوتهم بِدن العراق؟ فكشفت النقاب عن العوامل التي حملت الفاطميين على إرسال دعواتهم إلى بلاد الشرق الإسلامي والوسائط التي اتبعها هؤلاء الدعاة لجذب المسلمين إلى الدعوة الفاطمية.

ولما كانت حركة البسّيرى في العراق تُعد من ثورات الدعوة الفاطمية في هذه البلاد، فضلاً عن أنها من مظاهر نجاح سياسة الفاطميين الخارجية، لذلك اهتمت
بتوضيح الظروف التي هيا هات السبيل لظهور البسامري والقيام بهحكمه، وينت مؤلف الخلافة الفاطمية منه.

وكان روال النفوذ الفاطمي ببلاد العراق من المسائل التي عينت بحثها، فوضحت الجهود التي بذلها السلاجقة للقضاء على حركة البسامري وإعادة الخطة للمخليفة العباسي، كما شرحت العوامل التي ساعدت على إلحاح الدعوة الفاطمية في أواخر القرن الخامس الهجري.

ومن موضوعات السياسة الخارجية التي أوليها اهتمام: علاقات الفاطميين بالأندلس والمغرب؛ فبينت كيف واجهت الدولة الفاطمية عداء الخلافة الأموية بالأندلس، كما تحدثت عن موقف الزريقين في بلاد المغرب من الفاطميين، وعوامل ضعف النفوذ الفاطمي في تلك البلاد، وتتبعت إلى جانب ذلك علاقة الفاطميين بجزيرة صقلية منذ أن انتقلت إليهم السيادة على هذه الجزيرة في أواخر القرن الثالث الهجري إلى أن استولى عليها النورماندلون في أواخر القرن الخامس الهجري.

وكان للعلاقات بين الدولة الفاطمية، والدولة البيزنطية، والمدن الإيطالية نصيب وافر من منها، فوضحت المظاهر السياسية للعلاقات بين الفاطميين والبيزنطيين، كما وضحت مدى حرص المدن الإيطالية على توإيق علاقاتها مع مصر والشام في العصر الفاطمي.

أرجو أن يصبح تعاوني بحثاً في تاريخ الدول الإسلامية.
الباب الأول

السراوة الفاطمية في بلاد الحجاز

تمهيد: بلاد الحجاز قبل أن يمد إليها نفوذ الفاطميين

1 - السيادة الفاطمية في البلاد المقدسة بالحجاز.
2 - ضعف النفوذ الفاطمي بالحجاز.
الدعوة الفاطمية في بلاد الحجاز

نغميد بِراج الحجاز قبل أن يبتعد إلَيه نفوذ الفاطميين:

كان العلويون في بلاد الحجاز كثيرًا ما يشترون الاضطرابات ضد العباسيين، ولما قضى خلفاء العصر العباسي الأول على حركاتهم ضعف أمرهم واستكانوا، وظل ولاة بنى ال�باس يتولون الحكم في بلاد الحجاز حتى شغل الخلفاء العباسيون بالفتوحات التي أثارها الأتراك في أواخر القرن الثالث الهجري، فاستغل هذه الفرصة بعض العلوتيين الطامحين إلى النفوذ والسلطان من بنى سليمان بن داود ابن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب وعملوا على الاستقلال بإمارة مكة(1). وسرعان ما تغلبوا عليها وأسسوا بها دولة السليمانيين وخلع أميرهم طاعة العباسيين وخطب لنفسه بالإمامة سنة 301 هـ في خلافة المقتدر(2)، وقال في خطبة له بمسم الحج : "الخليج الله الذي أعاد الحق إلى نظامه، وأبرز رمز الإمامة من أئمةه، وجعل دعوة خير الرجل بأسباطه لابن إمامه صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين وركف عن بركته أسباب المعتدلين وجعلها كلمة باقية في عقبه إلى يوم الدين(3)."

على أن دولة بنى سليمان بمكة لم تكن من القوة بحيث تستطيع حماية الحجاج وصد المغيرين عليها، فقد هدتها القرامطة في بلاد البحرين واستولوا عليها سنة 317 هـ، وأقاموا الخطة لعجب الله المهدى الخليفة الفاطمي بلاد المغرب.

---

(1) ابن خلدون: الة 접근، المبتدا والآخر، ج 4، ص 11.
(2) الفقهند: صحي الأشي في صناعة الإنشاء، ج 4، ص 217-218.
(3) ابن خلدون: ج 4، ص 99.
وعلى الرغم من ذلك، كان حاكم مصر يرغب في سيادة العباسيين على مكة إلا أن فترة قصيرة من الزمن، فقد شغل القرامطة شعبها الم片段ة عنها بالعمل على تحقيق أطماعهم في بلاد الشرقحا، مما ساعد على عودة قوى العباسيين إلى مكة. فألقت الخطة فيها للرضاي ابن المقداد سنة 277 هـ (1)، بل إن هذا الخليفة أُسس ولاية مكة والمدينة إلى محمد ابن طفج الإخضيدي ولادي مصر من قبله، وأيثر ذلك أقوى من مقدمه، فضم الحجاز إلى محمد الإخضيدي (2)، وصارت تقام له الخطة مع الخليفة العباسي على منابر مكة والمدينة.

فقد نظر محمد الإخضيدي بتفقد مكة والمدينة في الكتاب الذي أرسله إلى رومانوس كيريانوس الروم. وكان هذا الإمبراطور قد بعث إليه كتاباً قال فيه: أنه لم تكن عادته أن يكاتب إلا الخليفة والنسم تبادل الأسرى. فكتب إليه محمد الإخضيدي كتاباً أشار فيه إلى الملكية السامية التي يتمتع بها مملكة، على ذلك بالبلاد التي في حوزته، وبعد أن ذكر أن منها مصر وبلاد الشام، قال: هذا ما تقبلته من أمر مكة المحضوفة بالآيات الباهرة والدلالات الظاهرة، فإن لو لم تقبله غيرها كانت بشرفها وعظيم قدرها وما حدث من الفضيل يغلفها كل مملكة لأنها محفزة آدم ومحفح إبراهيم وإبراهيم ومحفح سائر الأنبياء وقبلت وقبلتهم على السلام. ومنها مدينة رسول الله ﷺ المقدسة بترته وأنها مهبط الوحي، وبضعة هذا الدين المستقيم الذي انتظره على البر والبحر والسهل والوادي والغراب وصحارى العرب على بعد أطرافها وتتازج أقطارها وكم mẽاهم في حاضرها وبديهم، تعالىها في وفودها، وشدتها وصدقت بالمساكين ومجدتها، وأكبر أحلامها وبعد مراميها، وانعقاد النصر من عند الله وبراءتها، وإن الله تعالى أبلاء خضراء كسرى وشرف قصير من داره ورحل عزته وجعله بفتحة منها(3).

ظلت سيادة العباسيين قائمة بعبة بعد أن تقلد ولايتها الإخضيديون في مصر، فلا استولى بنو بويه على بغداد سنة 374 هـ شارعهم هذه السيادة.

---

(1) ابن خلدون: ج، ص 100.
(2) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج 3، ص 104، أبو للمحاسن: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والمدينة، ج 12، ص 23.
(3) الفلقشدي: ج 7، ص 14.
فتاقيمت الخلافة بمكة للمطيع العباسي مع معز الدولة بن بوبه، ثم عمل البهويون على أنه لا يكون للإخشيديين نفوذ في الأراضي المقدسة بلاد الحجاز، وقام الخلاف سنة 342 هـ بين أمير الحج المصري وأمير الحج العراقي على الخلافة لابن بوبه أو ابن الإخشيدي، وتطور النزاع إلى نشوب الحرب بين أنصار كل منهما، فلم أنهزم المصريون أقيمت الخلافة لمعز الدولة بن بوبه(1). على أن ذلك لم يقض نهائياً على نفوذ الإخشيديين بمكة، فقد ولى الخليفة المطع كافور الإخشيدي بلاد الحجاز بالإضافة إلى مصر والشام، وصار يدعى له بقبضته هذه التولي على ممارسة هذه البلاد مع الخليفة العباسي(2). ثم دعي بعد وفاته للحسن بن عبيد الله بن طغج الإخشيدي(3).

لم يكن اهتمام العباسيين بسط سلطانهم على المدينة المنورة أقل من حرصهم على الاحتفاظ بسيادتهم على مكة. وكان العلويون قد أتخذوا المدينة مركزاً لإثارة الفتنة في وجه الخلافة العباسية مما حمل بعض الخلفاء على إسناد ولايتهم إلى والمستقل عن ولي الحجاز حتى يتفرغ للعمل على استقلال الأمويين فيها والقضاء على ثورات العلويين، ولا تقبل الإخشيديون بلاد الحجاز دخلت المدينة في حوزتهم، فأقبلوا للعباسيين سيدتتهم عليها.

كان يقيم بالمدينة بعض أفراد من بنى الحسين بن علي بن أبي طالب، أخذوا يíchتيعون الفرص للاستقلال بولايتهم كما فعل بنو سليمان بمكة، لكنهم لم تكن لديهم القوة التي تستعدهم على فهم أغراءهم، فلما قدم عليهم من مصر طاهر ابن مسلم(4) من أفرواد الحسين وله أميرا عليهم، وما لبث طاهر أن استقل بإمارة المدينة سنة 360 هـ(5). ولم تقم الخلافة العباسية بأي محاولة للوقوف في وجههم بسبب ما أصابها من ضعف.

---

(1) ابن خلدون: جـ 4، ص 100، المقرئي: خطط جـ 1، ص 220.
(2) أبو الفداء: جـ 2، ص 17.
(3) أبو المحسن: جـ 4، ص 9-10.
(4) كان ابن مسلم يدير أمر مصر إبام كافور، رضي الله عنه، بن عبد الله بن طاهر بن يحيى المحدث بن مسلم بن جعفر بن عبد الله بن علي بن الحسين بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب (إبنة حزم: جمهور.
(5) ابن خلدون: جـ 4، ص 12.
ا - السيادة الفاطمية في البلاد المقدسة بالحجاز:

ظهر العباسيون يتمتعون بالسيادة على كل من مكة والمدينة لا يتنازعون فيها منازع. حتى أقام الفاطميون خلافتهم في إفريقية وأخذوا يعملون على توعية رقعة دولتهم وذلك باستيلالهم على مصر والشام، فلما تم لهم فتح هذه البلاد وأصبحت القاهرة مقر خلافتهم تعلموا إلى بسط نفوذهم على الأراضي المقدسة بالحجاز ليكسبوا خلافتهم قوة أمام العالم الإسلامي ويضعوا من شأن الخلافة العباسية. ولم يدر بخاطر العباسيين بعد أن تقلدوا زمام الحكم أن الاحتفاظ بالسيادة على مكة والمدينة سيكون له أثر في وثوق رعايهم من المسلمين بأحقيتهم في الخلافة، فلمما طمع الفاطميون في السيطرة على هاتين المدينتين ظهرت من ثنايا النزاع بينهم وبين العباسيين على امتلاك الأراضي المقدسة بالحجاز نظرة جديدة تنتمى أن أمير المؤمنين الحقيقي هو من استطاع بسط نفوذه على الحرمين الملكي والمدني.

وكان العلويون في هذا النزاع على الأراضي المقدسة هم الخصم الثالث الذي يأتي أخيرا فيما يسمى بالخليفة، فاستقل أمراء الأشراف من بنى الحسن بعكة، كما استقل بالمدينة أمراء الأشراف من بنى الحسن وأصبح هؤلاء الأمراء سادة الحرمين(1).

بدأ اهتمام الفاطميين ببلاد الحجاز منذ خلافة العزيز لدين الله الفاطمي. فقد رأى هذا الخليفة على أثر ما بلغه من وقوع نزاع بين بنى الحسن وبنى جعفر بن أبي طالب أن يعمل على حسم الخلاف بينهم، فأنفذه إليهم سرا مالا ووجالا سعوا بين هذين الأشرافين حتى عقدوا بينهم صلحًا في المسجد الحرام، وقام رسل الخليفة الفاطمي بأداء ديا فتلى بنى الحسن سنة 348 هـ وما كان له أحسن الأثر في نفوذهم. ولم ثم تجرس الفاطميين فتح مصر سنة 368 هـ، بادر حسن بن جعفر الحسن في مستولى على مكة ودعا للمعزز على منابرها، فبعث إليه المعز من المغرب بتأليه الحرم وأعماله(2).

(1) متر: الخلافة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج 2، ص 5- 6
(2) المقرئي: تحاول الخلافة ص 145- 146
الدعوة النافذة في بلاد الحجاز

كذلك أقيمت الخطبة للمعمر بالمدينة المنورة وحذف اسم الخليفة العباسي من الخطبة في كل من مكة والمدينة (1)، وعمل المعز على تثبيت سلطته على هاتين المدينتين بالآمال التي صار يرسلها إليها، فقد أتفق سنة 359 هـ - كما قال المقرزي (2) - 15 سنة وأعمال مالها عشرون حمل للحرميين. وممتاع 2 وثبلغ تسير له نشر نفوذ الفاطميين في بلاد الحجاز.

ظلت الخطبة تقام للمعمر في كل من مكة والمدينة حتى توفي سنة 369 هـ، وخلفه ابنه العزيز، فانقطعت الخطبة له في بلاد الحجاز، فبعث إليها سنة 377 هـ، بإ฿ريس بن ربيعة الصهراوي أميرا على الحج، فاستولى على الحرميين واقام له الخطبة (3). على أن نفوذ الفاطميين رغم ذلك لم يكن مستقرًا في مكة والمدينة.

طوال عهد عبد العزيز، فقد دعا أمير حج العراق لعبد الدولة بن بويه، واضطر العزيز سنة 380 هـ إلى إرسال حملة إلى بلاد الحجاز ضمت الحصار على أهلها، وانتهى الأمر بإعادة الخطبة للعزيز على مباير مكة والمدينة، وانقطعت الدعوة للعباسيين بهاتين المدينتين (4).

ظل طاهر بن مسلم - الذي يعد أول أمير من بنى الحسن استقل بالمدائن مواليا للفاطميين حتى توفي سنة 381 هـ، فخلفه في إمارتها ابنه الحسن بن طاهر ويلقب مهني (5)، فصار على نهج أبيه في اعترافه بسيادة الفاطميين على المدينة. أما إمارة مكة فكان يليها في ذلك الوقت عيسى بن جعفر من بنى الحسن، وله توفي سنة 384 هـ خلفه أخوه أبو الفتح الحسن بن جعفر. وقد أقام كل منهما الخطبة الفاطميين اعتراضا بما تم من نفوذ على مكة.

وكان الأمير أبو الفتح الحسن بن جعفر في بداية عهده مخلصًا في ولائه للفاطميين، فقد طلب منه الخليفة القادر بالله العباسي الدخول في طاعته وأغراء المال والخلع التي بهبها إليه، كما وعده بالعمل على إبقاء الحكم في مكة وراثاً.

(1) عبد القادر الأنصاري: درر الفرائد النظرة، ص 101.
(2) اتبع الهناخ: ص 172.
(3) ابن خلدون: ج 4، ص 420.
(4) ابن خلدون: ج 4، ص 410، 101.
(5) ابن خلدون: ج 4، ص 109.
ليبى من بعد، لكنه رغم ذلك أبقى تحققين رغبة الخليفة العباسي وبعث إليه بأن الخبطية في مكة تقام للأميرة الخديجة بنت حرب رضي الله عنها، كما أبى للفاطميين سيادتهم على المدينة يعوض عنها سنة 130. أرسل عنها إمرة بني مهني حين بلغه طعنهم في نسب الفاطميين، لكنه لم يحتفظ طويلا بإمارة المدينة، فقد استدعاهان بو مهنى بعد عودته إلى مكة ودخلوا منذ ذلك الوقت في طاعة الفاطميين.

على أن الفتح أمير مكة لم يستمر على ولاية الخليفة بالله الفاطميين، فقد خرج عليه سنة 304 هـ، بعد أن أغرى الوزير أبو القاسم حسنين بن حسن بن المغيرة بانتحال لقب الخلافة. وكان هذا الوزير ناقشًا على الخلافة بأمر الله لغذره بابه وأعماهم، لذل ذلك عثر على إضعاف شائه، ففر من مصر إلى حسان بن مفرج بن الجراح أمير طيب بالرملة، وحسنهه خلع طاعة الحاكم، فاستجاب له وعهد إليه بالتحوجه إلى أبي الفتح أمير مكة ليفسده على الخليفة ويدعوه إلى الخلافة، فلمما قدم الوزير أبو القاسم بن المغيرة مكة اطماعه، قبض يوجد على الشورى وترحيبه، ففر من مصر إلى الخلافة. ثم سار إلى الرياسة وأقام الخليفة نفسه وتبلى بالراشد بالله، وأخذ ابن المغيرة يدعو القبائل العربية من سليم وللحال وعوف بن عامر ومعاوية أبي الفتح، ثم سار من مكة فاصدان للرملة وصبحه أبو الفتح ولفت огрاء وعوف بن عامر وعوف بن عامر ومعاوية بعثه، فلمما أقرب أبو الفتح من الرملة تلقاه حسان بن مفرج بن الجراح وأولاءه وسائر وجه العرب بالترحاب وترجية له وابيعوه بالخلافة، ثم ساروا في ركابه، ونزل أبو الفتح في دار حسان ونادى في الناس بالأمن وأنقشته في الخطبية في كثير من بلاد الشام.

ولما وصل إلى الحاكم بأمر الله الفاطميين نباً خروج أبي الفتح عليه وانتحاول لقب الخلافة وانحياز حسان بن مفرج بن الجراح والوزير أبو القاسم بن المغيرة

--
(1) عبد القادر الأنصاري: دور الفرائد النظمية، ص 240-245.
(2) المقرئي: خططه، ج 2، ص 157.
(3) عبد القادر الأنصاري: دور الفرائد النظمية، ج 1، ص 207-208.
إليه استاء من ذلك وعول على إعادة نفوذه في بلاد الحجاز وإضعاف شأن أبي الفتح، فكتب إلى أبي الطيب ابن عم أبي الفتح بتوليته الحرمين وأنفذ له ولشيوخ بنى الحسن مالا خذلان أبي الفتح، كما تعهد بأن يدفع له خمسين ألف دينار عينا ولكل فرد من إخوته سوى الهدايا والثياب التي بعثها إليهم، فانصرفوا عن أبي الفتح ودخلوا في طاعة الحاكم.

ذلك عمل الخليفة الفاطمي على استناده حسان وابنه مفرج بن الجراح وغيرهما بالآمال التي بذلها لهم، فانحرفوا عن أبي الفتح، وله أحسن أبي الفتح بخذلان بنى الجراح إياه وعدل لهم عن رأيهم في العمل على تقوية نفوذه، ركب إلى الوزير أبي القاسم بن المغريبي وقال له: أنتم أوقعتي وأخراجتي من بلدئي وجعلتني في أيدى هؤلاء ينتقرون سوءهم بي عند الحاكم ويععونوني بيعة بالدراهم، فيجب عليه أن يخلصني كما أوقعتني، وتسهل طرقه بالعودة إلى الحجاز، فإن رأسي من الغنيمة بالإياب، ثم ذهب إلى مفرج بن الجراح وأخبره بخبر أولاده وموقفهم إزاءه وقال له: أريد أن تبعث معي من يوصلني إلى مكة ولا تخرجني، فبعث معه جماعة من طوئ ولم يزالوا معه حتى بلغ مكة سنة 43، فلقيت أتباعه، وكان الحاكم واعتذر إليه، فقبل عذره وعفا عنه وأعاده إلى إمارته بمكة (1). وعمل أبو الفتح منذ عودته إلى مكة على إقامة الدعوة للمحاكم، كما نقش اسمه على السكة (2).

لم يحاول الأمير أبو الفتح الحسن بن جعفر بعد عودته إلى إمارة مكة الخروج على طاعة الفاطميين بل احتفظ بسيادتهم في هذا البلد المقدس، وصار يقيم الخطب للحاكم بأمر الله الخليفة الفاطمي، فلما توفي هذا الخليفة خطابه الظاهر، كما خطب من بعده للمسندر سنة 427 هـ، وظل أبو الفتح موالياً للفاطميين حتى توفي سنة 430 هـ، وخلفه ابنه شكر الذي تمكن من بسط نفوذه على المدينة وأقام الدعوة للمسندر في الحرمين واستمر الحال على ذلك حتى توفي سنة 453 هـ (3).

(1) ابن خلدون: ج. 4، ص 373. عبد الفتاح الأنصاري: دور الفوائد المنظمة، ص 308.
(2) الفرعي: خطاب، ج. 2، ص 288.
(3) دحلان: خلافة الكلام في أمراء الباطنة، ص 18. ابن خلدون: ج. 4، ص 102.
للم ينجب شكر بن أبي الفتح الحسن أولادا يتنزلون إمارة مكة من بعده، فزال بوفاته نفوذ بنى سليمان بمكة وتقيد الحكم فيها رئيس الهواشم إذ ذاك محمد ابن جعفر بن أبي هاشم محمد الذي عظم ذكره بين بنى قومه، فحارب بنى سليمان بمكة سنة 454 هـ وأوقع بهم الهزيمة، وأخرجهم من الحجاز، فساروا إلى اليمن واستقل بإمارة مكة وأقام الخطة للمستنصر بالله الفاطمي (1).

لم يعمل الأمير محمد بن جعفر على الاحتفاظ بسيادة الفاطميين على مكة، فبدأ عهده بإقامة الخطة للخليفة المستنصر بالله الفاطمي، ثم ما لبث أن انحرف عنه وأمر بذكرا اسم الخليفة القائم بأمر الله العباسي (2). فلما علم بذلك المستنصر عهد إلى على بن محمد الصليحي داعيه باليمن سنة 505 هـ بإرسال حملة إلى مكة لاستعادة نفوذها عليها وللقضاء على الدعوة العباسية فيها (3). فسار الصليحي إلى مكة وعمل على استمالته أهلها إلى جانبها بما كان معه من الأموال (4)، وتعاون مع أمير مكة في نشر الأمن والطمأنينة في هذا البلد المقدس؛ فطابت قلوب الناس ورخصت الأسعار، وكما الصليحي البيت الحرام بثبب بيض (5).

---
(1) ابن خلدون: ج 4، ص 172.
(2) الفلاشنتدي: صبح الأخي، ج 4 ص 270.
(3) ابن خلدون: ج 4، ص 216.
(4) أبو القدا: المختصر في أخبار البشر، أبو الحسن: ج 5، ص 72.

Bulletin School of Oriental Studies
(Letters of Al-Mustansir Billab, Part VII. 1934 p. 324)
селوك الفاطميين بالجهاز

تأثرت السيادة الفاطمية على مكة بالأهداف الداخلية التي أصابت مصر في عهد المستنصر بالله الفاطميين، ذلك أنه لما انتقل ما كان يرد إلى محمد بن جعفر من مصر من الأموال بسبب الشدة العظمى التي حلت بالبلاد المصرية وأصبح في حاجة إلى المال، أخذ قناديل الكعبة وسوتها وصفائح بابها والميزاب وصدر أموال أهل مكة وأمر بحذف اسم المستنصر من الخطبة، وخطب للخليفة الفاتم بأمر الله العباسي (1)، وبعث إلى السلطان آل أرسلان السلجوقي حاكم بغداد رسولا سنة 462 هـ يخبره بإقامة الخلافة للخليفة العباسي والسلطان بمعة وإسقاط اسم الخليفة الفاطميين من الخطبة وتركه الأذان بحى على خير العمل. فبعث إليه السلطان ثلاثين ألف دينار وتحلها نفيته وأجري له كل سنة عشرة آلاف دينار. وقال: إذا فعل أمير المدينة مهني كذلك أعطته عشرين ألف دينار وكل سنة خمسة آلاف دينار (2).

على أنه يظهر لنا ما ذكره أبو المحاسن (3) أن أمير مكة رغم قيامه بالدعوة للخليفة العباسي بقي الأذان بحى على خير العمل وهو يعد من مظاهر المذهب الشيعي التي كانت سائدة إذ ذاك في الأراضي الخاضعة للفتوحات العباسيين. فقد أرسل إليه الخليفة الفاتم بأمر الله سنة 464 هـ الشريف أبي طالب الحسن بالوجع وطلب منه هذا الرسول أن يلغي الأذان الشيعي في مكة، فناظره الأمير منظمة طويلة وقال له: هذا أذان أمير المؤمنين على بن أبي طالب، فقال له آخر الشريف أبو طالب: سما صبح عنه، وإذا عبد الله بن عمر بن الخطاب روى أنه أذن به في بعض أسفاره وما أنت على عمر، فاستحق من الأذان؟

كان الأمير محمد بن جعفر يطلع إلى ضم المدينة المنورة إلى حوزته ليكون صاحب السيادة على الأراضي المقدسة ببلاد الحجاز، فلما أمن على جانب الخليفة العباسي والسلطان السلجوقي بعد أن أقام لهما الخطبة في مكة، وشغل عنه الخليفة الفاطم باعماله استقر في الأمور في مصر، أعد جيشاً

(1) سلطان بن الجزري: شهادة الزمان في تاريخ الأعيان. القسم الثاني المجلد الأول ورقة 121 ب.
(2) ابن الأثير: ج 10 ص 21، أبو المحاسن: ج 5 ص 84.
(3) النجوم الزاهرة: ج 5 ص 89.
من الأتراك ورحب به إلى المدينة، فانتقل على بني مهني من بني الحسين الذين كانت إليهم الرعاية بها وأخرجهم منها وازال بذلك إمارتهم بالمدينة وجميع بين الحرمين (1).

وأما لا شك فيه أن الأمير محمد بن جعفر كان يرمي من وراء انحياره إلى الخليفة العباسي أو الخليفة الفاطمي العمل على توطيد سلطانه في بلاد الحجاز، فيقيم الدعوة للخليفة الذي يبعد بالأموات، لذلك نراه بعد أن انقطع ما كان يصل إليه من المال على أثر وفاة الخليفة القائم بأمر الله سنة 274 هـ يبطل الخطبة للعباسيين وقيمها للخليفة المستنصر بالله الفاطمي (2). فلما أرسل إليه المقدّر بباي الله العباسي الأموال أحل اسمه في الختامة محل اسم الخليفة الفاطمي. وظلت الخطبة تقام للعباسيين في مكة والمدينة إلى أن توفى الخليفة المستنصر سنة 487 هـ (3).

لم يعمل محمد بن جعفر أمير مكة طيلة عهده إمارته على تنظيم الأمور في الأراضي المقدسة وإقرار الأنس بها على الرغم من المساعدات المالية التي كانت ترد إليه من الخليفة العباسي أحيانا ومن الخليفة الفاطمي أحيانا أخرى، بل أمّا السيرة فيها وأصبح الحجاج في أواخر أيامه غير أمين على أنفسهم (4).

كذلك لم يبد من هذا الأمير ما يشعر برغبته في الاستقلال عن الخليفة العباسي أو الفاطمي، بل كان للكل منها بالطاعة في فترات متقاربة حتى وصنه أبو المحاسن (5) بأنه كان دائماً تارة مع الخفافيش العباسيين ونارة مع المصريين (الفاطميين).

ظهر العباسيون بحذف وأثر من السيادة على مكة في عهد إمارته محمد بن جعفر بخلاف الفاطميين الذين شغلوا إذ ذلك بالعمل على توطيد سلطانهم في مصر عن الاحتفاظ بسيادتهم في الأراضي المقدسة بلاد الحجاز، وبذلك ظلّت الدعوة العباسيه قيامة في مكة حتى توفى الأمير محمد بن جعفر سنة 487 هـ، وخلفه

(1) الفلاخندي: ص 68، ص 72
(2) أبو المحاسن: التاج الزاهرة، ج 4، ص 97
(3) ابن خلدون: ج، ص 27، الفلاخندي: ص 68، ص 72
(4) ابن الأثير: ج 1، ص 148
(5) التاج الزاهرة: أ 5، ص 68
ابن الأمير قاسم الذي حاول أبيه في إقامة الخلافة للعباسيين، وأرسل إليه الخليفة المستظهر وابنه المسترشد العباسي الخالع والأموات (1).

لم تعم مكة في عهد الأمير قاسم بالهدوء والاستقرار، بل كانت الأحوال فيها مضطربة طوال المدة التي قضىها أميرا عليها وتبلغ ثلاثين سنة (2)، مما يثبت لنا عجز هذا الأمير عن إقرار الأمن والعمل على إصلاح شئون إمارته.

لم توفي الأمير قاسم بن محمد بن جعفر الحسين سنة 518 هـ، وخلفه ابنه فاليه، افتتح عهده، بإقامة الخطة للخليفة العباسي المسترشد، وعمل على نشر العدل بين أهل إمارته مما كان له أحسن الأثر في نفوسهم؛ فأثناه عليه وتمتعوا في عهده بالرخاء والطمأنينة، كما حرص هذا الأمير على إظهار ولياته للخليفة العباسي المسترشد حتى توفي سنة 527 هـ، وولى إمارة مكة من بعده ابنه هاشم (3)، فلم يعمل على استمرار ذكر اسم الخليفة العباسي في الخطة، بل أقام الخطة للخليفة الحافظ الفاطمى، مما أثار السيدة الحرية الصليبية صاحبة اليمن - وكانت إذ ذلك تقيم الدعوة للإمام الطيب بن الخليفة الأمر الفاطمى - ولم تطرأ بخلافة الحافظ الذي لم يكن يتمتع بصفة الإمامية التي يجب توافرها في الخلفاء الفاطميين (4)، فأرسلت إلى هاشم أمير مكة تتوعده إن لم يعمل على قطع الخطة للحافظ، لكنها ما لبثت أن توفي سنة 532 هـ فكفار الله شرها (5).

على أن الدعوة لبني العباسي لم تقطع نهائياً في عهد الأمير هاشم، بل أقيمت في أيامه الخلافة للخليفة المستى. كما أن ابنه قاسم الذي آلت إليه إمارة

---

(1) ابن خلدون: ج 4 ص 140.
(2) ابن خلدون: ج 4 ص 140.
(3) راجع ما ورد عن ولاة مكة من الهواشم العلوية في: (Zambaur, Manuel de Généalogie et de Chronologie pour L'Histoire de L'Islam p. 21.
(4) كان الخليفة الأصر الفاطمى قد أ<Student, قد أُ책 ولد سماه ابنه العباسي الطيب وجعله على إمارة، فلمما تقل الخليفة بعد ذلك بضعة أشهر سنة 524 هـ أُخفى الأمير عبد المجد بن محمد بن المستنصر الذي لقب بالحافظ لدين الله أمر الإمام الطيب، ووابتع الناس]*(بِلَاءُ) العهد على أن يكون كفيلة لتفليه مرتقب؛ غير أن الوزير ابن أفاضل ما لبث أن استغل، فظل في سجنه إلى أن تأمر الإسماعيلية على اعتقال هذا الوزير في المحرم سنة 526 هـ، وأخرجوا المحافظ من سجنه.
(5) ابن ميسر: تاريخ مصر ص 72، ابن للمحسن: العقود الزاهرة ج 5 ص 239، مجموعة الوثائق الفاطمية ص 88 - 89.
مكة سنة هـ 549 حرص على ذكر اسم الخليفة المستنجد بالله العباسي في الخطة وحاول في نفس الوقت التقرب إلى الخليفة في مصر، فأوّل الشاعر عمرة اليمني برسالة إلى القاهرة سنة 50 هـ وكان الخليفة الفاطمي إذ ذاك الفائز ووزيره الصالح طلائع بن رزى فآداء عمارة الرسالة ونظم قصيدة في مدح الخليفة والوزير، نوته فيها بقدومه سفيرا من مكة المكرمة إلى القاهرة. ومن هذه القصيدة نقل الأدبات الآتية(1):

الحمد لله نعمة الفضل والهبة
على رأست إمام العصر من أمم
ورحنا من كعبة القدح والحلم
وقد دام من عصف ونصم

(1) ابن خلكان: روايات الأعيان، ج 1، ص 476 ـ 477.
(2) زياد: مدينة من تهامة اليمن، القلشنتي: ص 206.
(3) علي بن أحمد بدر في إخبار الوصاية المصرية، ص 181.
(4) عمار شعبان: الفاطميين في مصر (توضيح رقم 1، ص 174).
الدعوة الفاطمية في بلاد الحجاز

الذي ضعف في عهده شأن الفاطميين في مصر، واتخذت دولتهم بخطى واسعة نحو الزوال (1).

وما لا شك فيه أن عدم استقرار الأمور في مصر في العصر الفاطمي الثاني الذي تجلى في ارتداد نفوذ الوزراء واستشارتهم بالسلطة دون الخلفاء شجع الخلافة العباسية في ذلك الوقت رغم ما كانت تعانيه من جراء ارتداد نفوذ السلاجقة على نشر نفوذهم في كل من مكة والمدينة.

على أن الخلفاء الفاطميين ووزراءهم في العصر الفاطمي الثاني لم ينصروا انصرافاً تاماً على نشر الدعوة في بلاد الحجاز، بل إنهم رغم انكماش دولتهم في هذا العصر حتى لم يبق في حوزتهم غير مصر، فإنهم احتفظوا بعض النفوذ في الجزيرة العربية، ويرجع الفضل في ذلك إلى الدعوة الشيعية التي استمرت دون توقف على يد الدعاة الفاطميين (2).

وعلى الرغم من أن ولاة مكة والمدينة أقاموا في فترات مختلفة الدعوة لبني العباس، فإنهم لم ينجحوا إلى الخلافة العباسيين في مناهضة الخلافة الفاطمية بل حرصوا على إظهار ولائهم للخلافة الفاطميين كلما أمكنهم الفرص، وما ذلك إلا بتأثير الدعوة الشيعية التي بذل الدعاة الفاطميين في نشرها عناية كبيرة، كما أن الخلفاء الفاطميين من ناحيتهم كانوا يبذلون قصارى جهدهم في نشر الأمن والطمأنينة في الأراضي المقدسة بالحجاز لتسير سبل المشيئة على أهلها بما كانوا يرسلونه إليهم من الحساب والأموال. لذلك لا نعجب إذا علمنا أن إقامة الخطة للخلافة الفاطميين لم تلق اعتراضاً من هؤلاء الأهل الذين عرفهم بجيلهم إلى المذهب السنى، كما أن أمراءهم احتفظوا في كل من مكة والمدينة بكثير من مظهر المذهب الشيعي التي كانت سائدة في مصر في العصر الفاطمي، وفضلما عن ذلك فإن اتمام أمراء مكة والمدينة إلى البيت العلوي كان له أثر كبير في حرص هؤلاء الأمراء على التقرب إلى الخلفاء الفاطميين وانكباب رضائهم رغم المحاولات التي بذلها الخلفاء العباسيون لاستمالةهم إليهم وصرفهم عن الخلافة الفاطمية في مصر.

(1) القاضيendi: صبح الأعشى جدا 4 ص 271.

Stanley Lane - Poole. A History of Egypt in the middle ages pp. 117 - 118, 123. (2)
وبالرغم من حرص الخلفاء العباسيين والفاطميين على بسط سيادتهم على الأراضي المقدسة بالحجاز، فإن التنافس بينهم لتحقيق هذه الغاية لم يقرر بظاهرة العنف، بل وجه كل منهم اهتمامه إلى إقامة الدعوة له في تلك الأراضي بالطرق السلمية، وله السبب في ذلك يرجع إلى أن العباسيين والفاطميين رأوا الذين يتغذوا من الأراضي المقدسة بالحجاز ميدانًا لإظهار ما بينهم من عودة وبغضاء.

وقد اقتصر اهتمام الخلفاء الفاطميين تحت تأثير الصعوبات التي واجهوها في دولتهم على نشر سلطتهم الدينية في بلاد الحجاز التي كانت تتمثل في إقامة الخلفية لهم على منابرها. وكانوا يرجون من وراء تمشيعهم بهذه السلطة توطيد أركان خلافتهم واستمالة العالم الإسلامي إلى جانبهم بعد أن أصبح المسلمون ينظرون نظرة إجلاء وتقدير إلى الخلفاء الذين يحظون بسيادتهم على الأراضي المقدسة بلاد الحجاز.

ولاشك أن حرص الفاطميين على نشر نفوذهم في بلاد الحجاز وتجاهلهم في هذا السبيل وإن جر عليهم منافسة العباسيين لهم، فإنهم جروا من وراه احترام العالم الإسلامي وتقديره، فقد برهنوا على قدرتهم على دره الأخطار عن تلك البلاد بعد أن صدوا القرامطة عن مكة ووجهوا اهتمامهم إلى العمل على حماية الأراضي المقدسة وتأمين الوافدين إليها من المسلمين على أرواحهم وأموالهم.

ولم يكن لدى أمراء مكة والمدينة القوة التي تمكنهم من دره الأخطار عن بلاد الحجاز، كما أن موارد تلك البلاد كانت لا تكفي لسد حاجة أهلها؛ لذلك رأوا أنه من الخير لهم اكتساب صداقية الفاطميين والتقرب إليهم ما داموا يعون حقوقهم في الإمارة، وهم بدونهم ما يحتاجون إليه من الأموال والخيلان؛ غير أنه يؤخذ على هؤلاء الأمراء أنهم كانوا يؤثرون مصلحتهم الخاصة على مصلحة البلاد التي يتولون الإمارة عليها، فاستغلوا التنافس بين العباسيين والفاطميين على السيادة على بلاد الحجاز لإشباع مطالبهم وصاروا يقيمون الخطبة للخلفاء الذين يواصلون
الدعوة الفاطمية في بلاد الحجاز

إمدادهم بالأموال، ولا يعنون بإدخال ضروب الإصلاح في بلادهم بما أدى إلى إضعاف شأنها وتأخيرها مادياً وعلاهماً حتى أن المقدس(1) لما زار بلاد الحجاز في القرن الرابع الهجري وصفها بالفقر وقلة العلم(2) ، كما أن الرحلة الفارسي ناصر خسرو لاحظ حين زيارته مكة في القرن الخامس الهجري قلة سكانها، وقدر عددهم بالفدين، وقال إن فريقاً من أهلها اضطرروا إلى الرحيل عنها فراراً من المجاعات(3).

(1) أحسن النقادم في معرفة الأقاليم ص 362.
(2) أحمد أمين : ظهر الإسلام ص 313.
(3) الخضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ج 2 ص 226-277.
أمور فعكة الأشراف(1)
السليمانيون والهواشم
(من منتصف القرن الرابع إلى نهاية القرن السابع الهجري)

أبو جعفر بن محمد بن حسين بن محمد الثائر
356 ه.

حسن بن جعفر الحسنی(2)
358 ه.

عيسى بن أبي محمد جعفر
370 ه.

أبو الفتوح الحسن بن أبي محمد جعفر
380 ه.

أبو الطيب داود بن عبد الرحمن بن عبد الله داود
401 ه.

أبو الفتوح الحسن (المرة الثانية)
403 ه.

محمد شكر بن أبي الفتوح الحسن
430 ه.

حمزة بن وحاش بن أبي الطيب داود
453 ه.

أبو هاشم محمد محمد بن جعفر بن محمد (تاج المولى)
461 ه.

أبو فلیته القاسم بن محمد بن جعفر
487 ه.

فلیته بن القاسم بن محمد بن جعفر
518 ه.

هاشم بن فلیته بن القاسم
527 ه.

القاسم بن هاشم بن فلیته
549 ه.

عيسى بن فلیته بن القاسم
556 ه.

داود بن عيسى بن فلیته
570 ه.

مکرم بن عيسى بن فلیته
571 ه.

داود بن عيسى (المرة الثانية)
572 ه.

---

(1) Zamhaur, Manuel de Généalogie et de Chronologie pour L'Histoire de L'Islam p. 21
(2) دعا للعمر سنة 358 هـ: انظر المراجع: انظ الخانص 1461.
الباب الثاني

السيادة الفاطمية في بلاد البحرين

تمهيد: قيام دولة القرامطة في بلاد البحرين.
موقف أمراء القرامطة من الخلفاء.
نصيح: قيام دولة القرامطة ببلاد البحرين:
كان نفوذ العباسيين في جزيرة العرب مهداً من ناحية القرامطة (1) الذين
نفروا في اقتحام بلاد البحرين حيث كان أبو سعيد الحسن بن بحرام الجنابي
أحد قراهم يعمل على نشر دعاتهم بهذا الإقليم منذ سنة 283 هـ. وقد وجدت
تعاليمهم مرفوعة خصيصاً لدى الأهالي وعلى الأخص الأعراب الذين كانوا دائماً على
استعداد للانضمام إلى أي حركة ثورية ضد العرب أو غيروهم ما دامت تتيح لهم
فرصة للسلب والنهب (2).
وقد تمكن أبو سعيد الجنابي من الاستيلاء على مدينة هجر عاصمة بلاد
البحرين بعد حصار دام سنتين واتخذ مدينة الأحساء (3) عاصمة لدولة القرامطة
الجديدة التي أسسها سنة 286 هـ وكان لهذه الدولة شأن كبير في جزيرة العرب.

(1) القرامطة: طبقة سياسية اتخذت الدعوة إلى إمامة إسماعيل بن جعفر الصادق وسيلة لتحقيق أطوارها
وصلاحاً لوصولاً إلى ما تصب إليه؛ وقد عرفت بذلك نسبة إلى اخذ ذاتها حمدان بن الأشعث الملقب
بقرطوش ويلقال أنه سمي قرطوش لقصر قامته ورقه.
(2) النوبي: نهاية الأدب في فرن الأدب بعد 19 وقعة.
(3) أكرهات كلمة معرفة عند أهالي بلاد
(4) عرفت بهذا الاسم وسمى أتباعه باسمه.
(5) (The Rise of the Fatimids p. 69) واريخ
(6) في كتابه (Ivanow)
(7) الطريقي: دراسات في العصر العباسي الثاني ص 128.
(8) الجنابي: نسبة إلى جنابة وهي بلدة على ساحل الخليج الفارسي.
(9) ياقوت: معجم البلدان ج 3 ص 142 - 143.
(10) De La cy O’Leary. A short History of the Fatimid Khalifate

| 91 |
فقد استطاعت أن تبسط نفوذها على كثير من أرجلها، كما قامت بها حكومة ملكية وراثية في بيت أبي سعيد يعاونها مجلس يتكون من أثنا عشر عضواً. وكان الحاكم هو القائد الأعلى للجيش وبيده كافة مقاليد الأمور، وله سلطة مطلقة. وكان العبيد يقومون بفلاحية أراضيها، أما سكانها من العرب فلم يكن لهم عمل سوى الخدمة في الجيش (1).

وقد وضع أبو سعيد نظاماً حربياً دقيقاً يستطيع بمقتضاء إعداد جيش قوى من رعاياه فصار يجمع الأطفال في دور خاصة وعين لهم قوماً يشرفون على مصالحهم وأجرى عليهم ما يحتاجون إليه، وأخذ يدرهم على ركوب الخيل واستخدام الأسلحة الحربية، فنشروا نشأة عسكرية (2).

كان أبو سعيد يطمئن في بسط سيادته على جزيرة العرب وسلحها عن الدولة العباسية، وقد أثارت مطامعه مخاوف الخليفة العباسي المعتضد فارسل إليه جيشاً بقيادة العباسي بمن عمو الغنوة بعد أن وبر على اليمامة والبحرين سنة 289 ه، فقطر هذا الجيش هزيمة فادحة ووقع العباسي في الأسر، وما لبث أن أطلق سعيد سراحه وطلب منه أن يبلغ المعتضد هذه الرسالة، وما جاء فيها: «هذا بلد خرج عن يدك غلبت عليه وقمت به وكان في من الفضل ما أخذ من غيره، فما عرضت لما كان في يدك، ولا همت به، ولا أخفت لك سبيل، ولا نلت أحداً من روثك بسوا؛ فتوجهه كذلك إلى الجيوش لاي سبب؟ اعلم أنني لا أخرج عن هذا البلد ولا توصل إليه، وفي هذه العصابة التي معي روح، فأخذت نفسي ولا تتعرض لما ليس لك فيه فائدة، ولا تصل إلى مرادك إلا ببلغ القلب الخناجر (3).»

فلمما وقف المعتضد على ما تضمنه حديث أبي سعيد قال: «صدق، ما أخذ شيئاً كان في أيدينا»، ثم أطرق مفكراً وقال: «كذب عدو الله الكافر، المسلمون رعى حتى كانوا من بلاد الله، والله لنن طال بى العمر لاشخصن...»

Encyclopaedia of Religion & Ethics, Vol III p. 225

(1) المقرزي: تعاون الخلفاء ص 216.
(2) المقرزي: تعاون الخلفاء ص 218.
(3) المقرزي: تعاون الخلفاء ص 218.
يتحلل لنا من حديث الخليفة العباسي أنه مدرك حقيقة الحال في الدولة العباسية، وأن بعض ولاياتها ومن بينها بلاد البحرين خرجت عن سلطانها، وأن واجبه كخليفة أن يظل نفوذه سائداً في جميع البلاد الإسلامية. وقد بلغ من حتمه المتضداد على أبي سعيد ورغبته في القضاء عليه أنه كان يذكره خلال مرضه ويلطف ويدل: حسرة يسني، كنت أحب أن أبلغها قبل موتى، والله لقد كنت وضعت عند نفسي أن أركب ثم أخرج نحو البحرين، ثم لا ألقى أحداً أطول من سيفي إلا ضربت عنقه، وإن أخوف أن يكون من هناك حوادث عظيمة.

استطاع أبو سعيد بإقراره النظام في بلاد البحرين وتدريبها أهلها على الأعمال الحريرية أن يقيم دولة مستودة الأركان فيها، استند نفوذها على هجر والأخسان والقطيف وسائر بلاد البحرين والطائف. ولو طالت حياته ليستمر له مد سلطانه على جزيرة العرب بأكملها، ولكنه اغتيل سنة 306 هـ على يد خادمه، فكان قد أخذه من الجيش العباسي، فخخلفه ابنه سعيد الذي كان يدير أمور الدولة حتى ثار عليه أخوه الأصغر أبو طاهر سليمان وقتله وتقلد زمام الحكم في دولة القرامطة.

(1) المقرئي: اتعاظ الحنفا ص 219.
(2) ابن الأثير: الكامل في التاريخ جذور 8 ص 27.
موقف إمراء القرامطة من الخلافة الفاطمية

قامت العلاقات الودية بين القرامطة في بلاد البحرین والفاطميين في بلاد المغرب منذ أن أرسل عبد الله المهدي إلى أبي طاهر سليمان أمير القرامطة كتاباً بثولته. وقد ترتب على ذلك اتخاذهم في سياستهم العدائية إزاء العباسيين، فطلب أبو القاسم بن المهدي سنة 306 هـ من أبي طاهر أن يحضر إلى مصر على رأس حملة ليعاونه على فتحها. لكن الجيش العباسي بقيادة مؤسس الخدما ما لبث أن أوقع الهزيمة بجيش أبي القاسم قبل أن تصل إلى النجدة من بني طاهر (1).

كان أبو طاهر رجلاً طموحاً إلى المجد والعظمة، فقضى السنوات الأولى من حكمه يتنظم شتات دولةه ويدفع العدة للسيطرة على جزيرة العرب، كما وجه سياسته إلى تأييد عبد الله المهدي في عدائه للعباسيين (2). فعل على إشغالهم في الشرق بحملاتهما التي وجهها إلى بلادهم حتى يتح للمهدي توطيد نفوذه في المغرب، فترحف على البصرة والكوفة، وعند أن غنم منها مغامرة كبيرة عاد إلى هجرة (3).

وفي سنة 316 هـ تقدم أبو طاهر إلى بغداد وكادت تقع في يده لولا دعوة مؤسس الخادم قائد الخليفة المقتدر الذي بعث بزوراً ملأى بافاهة مستمومة، فلم يأكل منها جند القرامطة منهم عدد كبير، وارتدى جيش أبي طاهر بعد أن تكون خسائر فادحة (4)، لكن هذه الهزيمة لم تمت في عضده، فقام في العام التالي بحملة اضطراب من أجلها العالم الإسلامي، فكان أنه يغمر على مكة في ذي الحجة سنة 317 هـ (يناير 933 م) في عدد قليل، إذ كان معه ستمائة فارس وسبعمائة راجل، ونهب هو وأصحابه الحجاج وقتلهم في المسجد الحرام، وقعقع باب البيت وقية زمزم والحجر الأسود، وأخذ كسوة الكعبة ففرقها بين أصحابه، ونهب دور أهل مكة، وأقام الخطب في مكة لسيد الله المهدي بدلاً من الخليفة العباسي المقتدر ثم عاد إلى الإحساء حاملاً معه الحجر الأسود (5).

(1) ابن خلدون: ج 4 ص 88-89.
(2) حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام السياسي ج 3 ص 339.
(3) ج 8 ص 45 و49.
(4) المقرئي: تعган الحفنا ص 242.
(5) ابن الأثير: ج 8 ص 81 وعبد القادر الأنصاري: دور الفرقان المنظمة ج 1 ص 195-196.
لم يقم أبو طاهر بهذه الفعلة الشنعاء - كما زعم أولياءٍ (1) - بناءً على تعاليم
سرية أرسلت إليه من الفيروان الغرمني الذي يُعذم من أهل مكة لأنهم لم يخطبوا
عبد الله المهدي، ودليلاً على ذلك أن استماع هذا الخليفة بإجابة الخطبة له لم
يتجه إلا بعد أن فتح أبو طاهر مكة، كما أن عبد الله المهدي أظهر استياءه من
الأحداث التي ارتكبها أبو طاهر في هذا البلد المقدس وكتب إليه ما نصه (2):
والعجب من كتب إليه ممتننا علينا بما ارتكبته واجتنته باسمنا من حرم الله وجريانه
بالأمام التي لم تزل الجاهلية تحرم إ趵ته الدماء فيها وإهانة أهلها، ثم تعيدت ذلك
وقلعت الحجر... وحملته إلى أرضك ورجوت أن نشترك، فلمكنك الله ثم لنكن
والسلام على من سلم المؤمنون من سلاته وبدله وفعلك في يوم ما عمل فيه حساب
غنه (3)، فبعث إليه أبو طاهر رداً على كتابه وعده في بأنه سيعمل على إعادة
الحجر الأسود إلى بيت الله الحرام (4).

لم يكتف أبو طاهر بمهاجمة ملك إجابة الخطبة فيما للخليفة الفاطمي بل
بسط سلطته عليها وفرض على الحجاج سنة 323 هـ إثارة يعودونها إليه مقابل
حماتهم والمحافظة على أرواحهم (5). وبذلك أصبحت الخلافة العباسي عاجزة عن
حماية رعاياها من المسلمين وتأمين طريقهم إلى بلاد الحجاج. ولا شك أن ظهورها
بإذا المظهر يضعف هيبة أمام العالم الإسلامي، وهو ما كان يرجوه ويعلم من
أجله أبو طاهر ليمهد السبيل أمام أنصاره الفاطميين، ولا غرو فقد أعلن في
إحدى قضااته، ولاء للمهدي وأنه عول على القضاء على العباسيين وإعادة النفوذ
إلى العلويين (6).

A Short History of the Fatimid Caliphate. p. 86

(1) عبد القادر الأنصاري: دور الغرائز المتصدرة ـ ج. 1 ص 196.
(2) إبراهيم بن الجاهلي: تاريخ الإسلام السياسي ـ ج. 3 ص 339.
(3) يرى أولياء في كتابه 85 A Short History of the Fatimid Caliphate. p.
(4) أرسل هذا الخطاب لأبي طاهر ليتهب عن نفسه الأمة مسترية من جراء استحوان الفراشة على الحجر الأسود
(5) العزيز: انتظار الفرصة ـ ج. 4 ص 89.
(6) الفتري: انتظار الفرصة ـ ج. 4 ص 244.
اغركم منى رجوعي إلى هجر
فهما قليل سوف يأتيكم الخبر
وقارنه كيوان فالبحر الخضر
فمن مبلغ أهل العراق رسالة
ومنها
تباعون سوق الشاة للذبح والبقر
إلى قيروان الترك والروم والخزر
ومنها
فنا ويلهم من وقعة بعد وقعة
سألصر خيلى نحو مصر وبرقة
ومنها
أکيلهم بالسيف حتى أبيعهم
فلا أبق منهم نسل أثي ولا ذكر
أنا الداع للمهدي لا شك غيره

حرض القرامطة طوال النصف الأول من القرن الرابع الهجري على
الاحتفاظ بعلاقاته الودية مع الفاطميين بلاد المغرب، كما سمحوا لهم بالتدخل
في تعيين أمرائهم، ذلك أنه لا توفي أبو طاهر سنة 332 هـ عارض بعض رجال
دولته في تولية أخيه الأكبر أحمد بن أبي سعيد الحسن - وكان أبو طاهر قد أوصى
أن يخلفه في الحكم - ومالوا إلى تولية سابور بن أبي طاهر وكتابوا الخليفة
الفاطمي القائم في ذلك، فجاءهم كتابه بولاية أحمد وأن يكون سابور ولى
عهده 1؛ فنفذت رغبته وتقلد أحمد زمام الحكم في دولة القرامطة في بلاد
البحرين وقلب بأي المنصور، وها حذو أخوه في ولاية الفاطميين؛ فأعاد الحجر
الأسود من الأحساء إلى مكانة بالكعبة سنة 339 هـ إجابة لطلب المنصور الفاطمي
بعد أن ذهبت مجهودات الخلافة العباسيه مع أبي طاهر بشأن استرداده هباء، فقد
رفض رده مقابل خمسين ألف دينار من الذهب 2، وفي هذا دليل واضح على
مدى خضوع القرامطة في بلاد البحرين لسلطان الفاطميين.

1) أبو الحسن: النجوم للثأرة جـ 3 ص 225، 226.
2) ذكر أن المنصور بن القائم Memoire sur Les Carmathes du Bahrain p. 146 De Goeje.
3) هو الذي أصدر قرار تعيين أحمد بن الحسن بدلاً من سابور.
4) ابن خلدون : جـ 4 ص 89 - 90.
وما لا شك فيه أن قيام دولة القرامطة في بلاد البهرين أثار في وجه الخلافة العباسية كثيرا من المتاعب والمشاكل بجانب ما كانت تعانيه من ازدياد نفوذ الأتراك واستبداد البرهينيين بالسلطة في بغداد، وقد أدى انشغالها بصد غارات القرامطة عن أراضيها إلى ازدياد قوة الفاطميين في بلاد المغرب، كما سهد السبيل لفتح مصر، فقد كانت غارات قرامة البهرين على أراضي الدولة العباسية بالشرق تتفق دائما مع الحملات التي وجهها عبيد الله المهدي إلى مصر.

وكان لاتحاد القرامطة مع الفاطميين في نشر آراء الذهب الإسماعيلي أكبر الأثر في صعود نجم العلوم في القرن الرابع الهجري على حين بدأ أمر العباسيين في الضعف، فبسط الفاطميين الذين يمثلون الخلافة العلوية سلطانهم على مصر وبلاد الشام و كثير من أرجاء جزيرة العرب. وكانت كل هذه البلاد تدين بالطاعة للعباسيين.

لم تتمتع دولة القرامطة في بلاد البهرين بالهدوء والاستقرار في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري، فقد حدث نزاع بين أمراء أسرة أبي طاهر على العرش، فقبض سماور بن أبي طاهر على عمه أحمد بن أبي سعيد الملقب بأبي المنصور سنة 358 هـ - وكان إذ ذاك يلي الحكم في دولة القرامطة - غير أنه ما لبث أن خرج من اعتقاله وقتل سماور ونفي إخوته وأشياعه إلى جزيرة أورال، وانتقسم القرامطة بسبب ذلك إلى فرقتين: أحدهما بزعامة بيت أبي طاهر، وثانيهما بزعامة بيت أحمد بن أبي سعيد وعلى رأسه ابن الحسن الملقب بالأعصم الذي آت إليه إمارة بلاد البهرين بعد وفاة أبيه سنة 369 هـ.

ابتع الحسن بن أحمد سياسة جديدة إزاء الفاطميين تخالف سياسة من سبقه من أمراء القرامطة الذين كانوا يحرون على استمرار العلاقات الودية بينهم وبين الخلفاء الفاطميين في بلاد المغرب وسمحوا لهم بالتدخل في تعيين أمرائهم;

(1) جزيرة بناية البهرين: ياتوت، معجم البلدان ج4 ص ۳۲۵.  
(2) حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام السياسي ج3 ص ۳۴۵.
فانتهت فرصة الخلاف الذي وضع بين أفراد أسرته بسبب التنافس على تقلد إمارة القرامطة وأبدى إخوة سابور بن أبي طاهر وأشياعهم - وهم الفريق الذي عرف بولائه للفاطميين - إلى جزيرة أول (1)، حتى يبلغ ما اجتمع بها منهم نحو 300 عائلة، كما لم يعترض أثناء وجوده بركة على إقامة الخانقة للخليفة العباسي المطيع (2) مما يدل على انحرافه عنهم. ولم يلبث أن أصبح محاربا لهم، بل راغباً في القضاء عليهم، فذك أنه بعد أن تم للجيش الفاطمي بقيادة جعفر بن فلاح الكتامي فتح دمشق سنة 39 هـ طالب الحسن بن أحمد بالإثارة التي كان يدفعها الإخشيديون للقرامطة (3) فرفض القائد الفاطمي أداءها إليه، فأدى ذلك إلى عداء سافر بين الحسن بن أحمد القرمطي والفاطميين. ويعتقد جاستون فيت (4) أن قطع الإثارة كان عذراً وهما لقطع العلاقات بين القرامطة والفاطميين، ويقول إنه من المحتمل أن يكون ذلك راجعا إلى أن الفاطميين الذين ملكوا بلاد غنية أرادوا القضاء على القرامطة حتى لا يذيعوا بين الناس أن الفاطميين من نسلهم، وحتى لا يطمموا في سلب ما استحوذ عليه الفاطميون.

رأى الفاطميون - بعد أن تبدلت صلة المودة بينهم وبين قرامة بلاد البحرین بتأثير السياسة التي سار عليها الحسن بن أحمد - أن يعملوا على إضعاف شأنهم بإثارة النزاع بينهم؛ فارسل المعز لدين الله الفاطمي إلى أبي طاهر وبنيه الذين أبدعوا إلى جزيرة أول بخيرهم بآية ولد أبي طاهر في إمارة القرامطة. فلما علم بذلك الحسن بن أحمد أمر بحذف اسم المعز من الخثنة في بلاد البحرین وإقامة الدعوة للخليفة العباسي المطيع (5).

---

(1) أولا: جزيرة بناحية بلاد البحرین. ياقوت، معجم البلدان. ج2 ص ٢٧٥.
(2) ابن خليدون: العبر وديوان اللبد والخير. ج2 ص ٢٧٥.
(3) أثار القرامطة على بلاد الشام سنة ٣٩ هـ. وعجز الإخشيدي عن صدهم، واضطر الحسن بن عبد الله بن طننج الإخشيدي واله هذه البلاد إلى الاعتقاد معهم على أن يؤدّى إليهم إثارة سنة قدرها ثلاثمائة ألف دينار.
---

Histoire de La Nation Egyptienne, Vol IV p. 100 - 102

(4) ابن خليدون: ج4 ص ٩٠.
(5)
وكان الحسن بن أحمد يرى ضرورة استعادة سلطة القيامة على بلاد الشام، فبعث إلى كل من الخليفة العباسي وأمير بني بويه بغداد أن يعود بالأموال والرجال لمحاولة طالب ان يزحف إلى بلاد الشام، فاستثنا على دمشق سنة 362 هـ وما زال يواصل فتوحه حتى تمكن من بسط سلطته على كثير من مدن الشام. ولم يكتشف بذلك، بل ولي وجهه شتر مصر حتى لا يعود الفاطميون مهاجمته من هذه الناحية، لكنه فشل في المحاولتين اللتين قام بهما للاستيلاء على البلاد المصرية: الأولى في ربيع الأول سنة 361 هـ، والثانية في سنة 363 هـ. واضطر بعد عجزه عن الاستيلاء على القاهرة إلى التقهقر بجبروه إلى دمشق، ثم رحل مع بعض رجاله إلى الأحساء (1) وأخذ الفاطميون يعملون على استرداد بلاد الشام - على ما سبق -.

* * *

قامت الخلافات الداخلية بين قرامة بلاد البحرين بعد وفاة الحسن بن أحمد سنة 367 هـ، كما أنهم أنكروا سياسة العدائية إزاء الفاطميين ومبادئ الخليفة العباسي، وعمل أتباع أبي طاهر على إقصاء ولد أبي سعيد عن الإمارة، ثم استمر الرأي على أن يتولى الحكم في بلاد البحرين اثنان من سادتهم، وهما جعفر وإسحاق (2)؛ فثاروا على السياسة التي تبعها أمراء القرامة قبل تولية الحسن بن أحمد من إقامة الدعوة الفاطمية ومحاربة بني العباسي (3).

عاد قرامة بلاد البحرين بعد وفاة الحسن بن أحمد إلى القيام بحملات على أراضي الدولة العباسية، فأغاروا على الكويت سنة 375 هـ وأبدى ذلك إلى إزعاج أهلها لما عرف به القرامة من شدة البأس وقوة الشكيمة حتى هابهم الناس، فبعث إليهم صمصم الدولة أمير بني بويه جيشا أوقع بهم الهزيمة على نهر

(1) أنظر المقرئي قلعة الفتوحات، ص 250، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 8 ص 211.
(2) ذكر (ابن الأثير ج 8 ص 228) أنه تولى أمر القرامة بعد وفاة الحسن بن أحمد سنة نفر اشتركوا جميعا في الحكم وسوا السادة.
(3) ابن خلدون: ج 4 ص 91.
(4) ابن الأثير: ج 9 ص 14 - 15.
الفُرَات وَتَعَظُّبُهُم إِلَى الْقَادِسَةِ (1)، وَبَعْدَهُ تَيْسُرُ لِلْبَوْيِهِنَّ إِخْرَاجُهُمْ نَهَائِيًا مِن بَلَادِ الْعَراقِ.

* * *

ضعف أمِر الْقُرَامَطَةِ مِنْذَ أُوْلَىِّ الْفَرُوضِ الْرَّابِعِ الْهَجرِيِّ حَتَّى لَمْ يَرْبَعْهُمْ إِلَّا يَوْمَيْنِ ضَعْفًا صَغِيرَةً عَلَى الْشَّاطِئِ الْشَرْقِيِّ لِلْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ لَا تَسْتَطِيعُ قَطْعُ الَّطِيْرِ عَلَى الْمَحْجَاجِ، وَلِكَانَ لِكَلِّ يَوْمٍ عَلِيِّ بَابِ الْبُصَرَةِ دِيوْانٌ صَغِيرٌ لَّا حَفْظُ الْضَّرَابِّ (2).

كَذَلْكَ أُدِّىَ الْتَنَافُسُ عَلَى الْسَرِّيَّةِ بِشَكُورٍ وَإِسْحَاقُ إِلَى الْتَسْمِيلِ بِبَضْمَحِلَاءِ دُوَالْهُمْ فِي بَلَادِ الْبَحْرِينِ وَزُوُارُهُمْ فِي نَهَائِيِّ الْفَرُوضِ الْرَّابِعِ الْهَجرِيِّ (3) يَقُولُ ابْنُ خَلْدُوْنُ (4) وَفَانْتَفَرَقَ أَمْرُهُمْ وَتَلَامِثَ دُوَالْهُمْ إِلَى أَنْ أَسْتَوِلِي الْأَصْغَرُ بِأَبِيِّ الْحَسَنِ الْثَّلَاثِيَّةِ سَنَةٌ ۲۹۸ هـ عَلَيْهِمْ وَمَلِكَ الْأَحْسَاءِ مِنْ أَيْدِيهِمْ وَأَذْهَبَ دُوَالْهُمْ وَخَطَّبَ لِلْطَّائِفِ وَأَسْتَقَرَّتِ الدُّوَالِ حَيْثُ، هُنِئِهِ.

كَانَ يَقِيمُ بَلَادُ الْبَحْرِينِ بَجَنْبِ الْقُرَامَطَةِ كَثِيرًا مِنْ قَبَائِلِ الْعَرَبِ وَمِنْ أَشْهُرِهِمْ بَنُو تَعْلَبُ وَبَنُو عَقْيِلٍ وَبَنُو سَلِيمٍ وَكَثِيرًا مَا أَسْتَنْجَدْ بِهِمْ الْقُرَامَطَةَ مِنْ أَعْدَادِهِمْ وَأَسْتَمْنِعَوا بِهِمْ فِي حَرْوِهِمْ وَقَدْ حَدَّثَ بَينَهُمْ وَبَيْنَ هَؤَلاءِ الْعَرَبِ عَدَدًا مُنْازِعَاتٍ أَدَتُ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ إِلَى اِسْتِعْبَالُ نَارِ الْحَرْبِ بَيْنِ الْفَرِيقِينَ.

كَانَ بَنُو تَعْلَبُ أَكْثَرُ الْعَرَبِ الْقُرَامَطَةِ مِنْ بَلَادِ الْبَحْرِينِ عَدَا، وَأَظَهَرُوهُ عَزَا، فَأَسْتَوَى زُعَيْمُهُمْ الْأَصْغَرُ بِأَبِيِّ الْحَسَنِ الْثَّلَاثِيَّةِ عَلَى تَلَكَ الْبَلَادَ بعْدَ أَنْ أَنْجَلَ أَمْرُ الْقُرَامَطَةَ وَانْقَضَرَّ الْمَلِكُ مِنْ أَسْرَأِيْلِ الْجَنَابِيِّ، وَلَكِنَّ الْأَمْوَرَ لَمْ تُسْتَقَرْ فِي بَلَادِ الْبَحْرِينِ بَسْبُ الْمَنْازِعَاتِ الَّتِي قَامَتْ بَيْنَ الْقَبَائِلِ الْعَرَبِيَّةِ، فَقَدْ اسْتَعْتَانَ بَنُو تَعْلَبُ بِبَنِي عَقْيِلٍ عَلَى بَنِي سَلِيمٍ وَطَرِدُوهُمْ مِنْ تَلَكَ الْبَلَادَ، فَسَارُوا إِلَى مَصْرَ وَمَنْهَا رَحَلُوا إِلَى إِفْرَيقَةٍ ثُمَّ حَدَّثَ خَلَافُ بَنِي عَقْيِلٍ وَبَنِي عَقْيِلٌ أَنْ تَنْهَى الْأَمْرُ فِي بَخْرُوجِ بَنِي عَقْيِلٍ إِلَى الْعَراقِ فَأَقْامُوا لِهِمْ دُوَالَةً بِإِقْلِيمِ الْجَزِيرَةِ.

(1) المقدمة: أَحْسَنُ التَّقَسِيمِ فِي مَعْرِفةِ الأَكَالِيمِ، ص: ۱۳۴، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج: ۲ ص: ۵۵.
(2) العبر وديوان المبتدا والخبر: ج: ۴ ص: ۹۱.
وقد نائح الأصغر رعيم بن ثعلب في جعل الحكم وراثيا في بنية من بنيه من بعده بلاد البحرين، فظروا يتولون الأمور فيها حتى ضعف أمرهم وانقرضوا وخلفهم في حكم هذه البلاد بنو عقيل الذين عادوا إلى ديارهم بعد أن تغلب عليهم السراجقة في الجزيرة(1). وقد ذكر أبو سعيد صاحب كتاب المغرب في حلب المغرب أنه سأل أهل البحرين الذين قابلهم بالمدينة المنورة سنة 151 هـ عن بلادهم، فقالوا: الملك فيها بنى عامر بن عوف بن عامر بن عقيل، أما بنو ثعلب فاصبحوا من جملة رعاهم.

(1) ابن خلدون: جـ 4 ص 91-92.
الباب الثالث

السياحة الفاطمية في اليمامة وعمان

(أ) اليمامة
(ب) عمان.
(1) اليمامة: كانت هي الامامة من بين ولايات جزيرة العرب التي تدين بالطاعة للعباسين حتى منتصف القرن الثالث الهجري حيث استولى عليها في أيام المستعين بالله العباسي محمد الأخيضر بن يوسف بن إبراهيم بن موسى الجون بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب، واتخذ الحضرة حاضرة له(2). فأقام باليمامة دولة علوية عرفت باسم دولة بني الأخيضر، استقل بها عن الخلافة العباسية التي بدأت مظاهر الضعف والانحلال تظهر عليها منذ ذلك الوقت بسبب ازدياد نفوذ الأثراك واستشراهم بالسلطة دون الخلفاء.

لم يلق محمد الأخيضر عنااءً كبيراً في إقامة دولةه باليمامة، واستطاع أن يوطد نفوذه فيها ويجعل الحكم وراثياً في أبنائه من بعده، وكان له من الأولاد محمد وإبراهيم وعبد الله ويوسف، ولما توفي خلفه يوسف الذي أشرك معه ابنه إسماعيل في إدارة شؤون اليمامة طيلة حياته، ثُم انفرد إسماعيل بولاية اليمامة بعد وفاة أبيه.

وقد وجد كل من رستم بن الحسين بن حوشب وعلى بن فضل وهم من دعاة الإسماعيلية في اليمن أنظراهم إلى اليمامة بسبب قيام دولة بني الأخيضر العلوية بها، واعتقد أن أهليها سيزدادون بالدعوة الفاطمية، لذلك بعثا إليها بالدعوة.

(1) يحدها من جهة الشرق بلاد البحرين ومن الغرب أطراف اليمن والحجاز، ومن الجنوب نجران، ومن الشمال نجد والحجاز. (ال_factors: صحيح الأعشي ج 5 ص 58).
(2) ابن حزم الأندلسي: جمهورة أسباب العرب ص 41.
لنشر الذهب الإسماعيلي(1)، كما بُعِثت دعاء آخران لِنفس هذه الغرض إلى بلاد
البحرين والسند والهند و مصر والمغرب(2).

لم يزل بنو الأخضر يتولون الملك باليِمامة حتى طمع قرَامطة بلاد البحرين
في بسط سلطانهم على جزيرة العرب، فغلبوا على اليمامة في أوراث القرن الرابع
الهجري، كما أحضروا مكة وعُمان لسلطانهم، وبذلك رالت دولة بنى
الأخضر(3).

على أن نفوذ القرَامطة في اليمامة ما لبث أن ضعف بعد روال دولتهم في
بلاد البحرين، ولم يبدِل خلفاء بنى العباس أي محاولة لاستعادة سلطانهم عليها،
فاستقل بإدارتها زعماء العرب المقيمون بها وعلى الأخص من قيس عيلان(4).

(ب) عمان: كانت عمان من بين الولايات الإسلامية بجزيرة العرب التي
تدين بالطاعة للعباسين في أواخر القرن الثالث الهجري. وقد تزعم الحكم فيها في
عهد الخليفة المعتصم بن شامة بن لوى بن غالب، ففتح محمد بن القاسم الشامي
عمان بعاونة هذا الخليفة ثم وليها من قبله، وأقام الخُطبة فيها لبني العباس، ومُحَج
في جعل الحكم وارزاح في أبنائه من بعده. على أن الضعف والانحلال ما لبث أن
أصاب إمارتهم بسبب الخلاف الذي قام بينهم سنة 305 هـ، فُلِحَ بعضهم
بالقرَامطة في بلاد البحرين وظل الاضطراب سائداً في ولايتهم حتى تغلب عليها
سنة 317 أبو طاهر القرمطي، وخطب بها لعبد الله المهدى الخليفة الفاطمي بلاد
المغرب(5)، وبذلك دخلت عمان في حوزة دولة القرَامطة بِبلاد البحرين وصار
ولاتها يعينون من قبلها.

(1) هُرِف بذلك نبأ إلى إسماعيل بن جعفر الصادق، وكان أتباعه يعرفون بالإسماعيلية وهم فرقة من الشيعة
(2) تقضي أن الإمامة انتقلت بعد النفي إلى على بن أبي طالب رضي الله عنه، ثم إلى ابن الحسن ثم إلى
أخيه الحسن ثم أنتقلت إلى بنى الحسن إلى جعفر الصادق، ويعدون أن الإمامة انتقلت من جعفر الصادق
إلى ابن إسماعيل ثم تقلت في بنية (القلشندی: صحيح الأئمة ج1 ص1 119-120).
(3) المقدسي: معاذ الحُفِزا ص18.
(4) ابن خلدون: ج4 ص98-99.
(5) القلشندی: صحيح الأئمة ج5 ص6.
لا يمكن نفوذ القدامة صفودا في عمان، فقد استقل بالحكم فيها يوسف ابن وجه، وحاول توسيع رقعة إمارته، فسار على رأس حملة بحرية يزيد البصرة، وكاد يستولي عليها لولا ما حل بسفنه من جراء الحريق الذي دبره بعض أعوان بني الريدي الذين استقلوا البصرة والأهوار وواسط في عهد الخليفة المتقى. ومنى يوسف ابن وجه صاحب عمان هاريا في أوائل سنة 327(1). ولم يمتع طويلًا بالحكم بعده هذه الهزيمة، فقد ثار في وجهه مولاه نافع وغلب عليه ثم تقلد زمام الأمور بدلاً منه، ودخل في طاعة معز الدولة بن يوهي وخطب له على المنابر وضرب اسمه على الدينار والدرهم (2).

انتهت القرامة فرضة عدم استقرار الأمور في عمان فتغلبوا عليها سنة 54 وهراب نافع منها بعد أن وطبه أهل عمان، لكنهم لم يستأثروا بالنفوذ فيها، فقد استقر رأى أهلها على أن يولوا عليهم عبد الوهاب بن أحمد بن مروان، فولى إمارة عمان بعد أن كان متمتعاً عن تقلدها، واتخذ على بن أحمد كاتباً - وكان يكتب للقراءة من قبل.

بدأ الأمير عبد الوهاب عمله بمنح الجناد أرواقهم، وكانوا طائفتيين إحداهما من البيض والثانية من الزنج، فلما فرغ كاتبه على بن أحمد من توزيع المراتب على البيض قال للزنج - وكانوا ستة آلاف رجل - إن الأمير عبد الوهاب أمر لكم بنصف ما ورع على البيض، فامتعضوا لذلك وثاروا ضده، لكنه ما لبث أن استمالهم إليه بقوله: «هل لكم أن تابعوني فأعطينكم مثل سائر الاجنحة؟ فأجابوه إلى ذلك وابعونه؛ فسوهم في العطاء مع البيض مما أدى إلى تدمير البيض وقيام الحرب بينهم وبين الزنج. فلما كانت الغزاة للزنج هدأت الفكمة في عمان واستقر على بن أحمد في إمارته بعد عزل الأمير عبد الوهاب (3).

رأى معز الدولة بن يوهي أن الفرصة سانحة له للاستيلاء على عمان بعد ما وصل إليه من أبناء الفتن والاضطرابات التي ثارت فيها، فسار من واسط إلى الأبلة (4).

(1) ابن الأثير : جـ 8 ص 130.
(2) ابن الأثير : جـ 8 ص 181.
(3) ابن الأثير : جـ 8 ص 187ـ 188، ابن خلدون : جـ 4 ص 443ـ 444.
وهناك أعد حملة بحرية لفتحها سنة ٣٥٥ هـ، وأستند قيادتها إلى أبي الفتح محمد بن العباس، وطلب من عضد الدولة بفارس أن يمدد بالعساكر فوافهم المدد بسيراف(١)، ثم سارت المراكب حاملة الجند إلى عمان، فغضبوا عليها وأقيمت الخطة فيها لمعز الدولة، وتولى حكمها أبو الفرج بن العباس نائبا عنه(٢).

لم توفي معز الدولة غادر عمان إلى بغداد نائبا أبو الفرج بن العباس، وبحث إلى عضد الدولة يطلب منه أن يسلمها، فترلى أمرها عمار بن نهبان الطائي، وأقام الدعوة لعضو الدولة، غير أن الزنج ما لبثوا أن تغبوا على عمان، وقتلوا ابن نهبان وولوا عليهم رجلا يعرف بابن حلاج، فلم علم بذلك عضد الدولة ارسل إليهم جيشا بقيادة أبي حرب طعان، ودارت بينه وبين الزنج معركة حامية بصحار، قصفة عمان - انتهى الأمر فيها بعثية أبي حرب على هذه البلدة وانهزم أهلها سنة ٣٧٢ هـ.

على أن نفوذ عضد الدولة لم يتوقف رغم ذلك في عمان، فقد اجتمع بجبالها كثير من الخوارج وولوا ورد بن زيد أميرا عليهم، كما جعلوا حفص بن راشد خليفة لهم، وأشتدت شروطهم، فبعث إليهم عضد الدولة حملة بقيادة المطراب ابن عبد الله الذي تمكن - بعد أن نزلت جنوده أرض عمان - من التغلب على الثائرين وأسر كثيرا من رؤسائهم، وظل يتجمع حتى أوقع بهم وقعة أنت على بقاياهم واضطر خليفهم إلى مغادرة عمان والإقامة ببلاد اليمن، وبذلك استقرت الأمور لعضد الدولة بعمان ودانت له بلادها بالطاعة(٣).

كانت بنو مكرم من وجوه عمان الذين استعان بهم البويهيون في إدارة شئون دولتهم، وتولى بعضهم الإمارة على عمان وأقاموا الخطة لبني العباس. ولم ضعفت دولة بنو بويه بغداد استبد بنو مكرم بالسلطة في عمان وتوارثوا الحكم فيها. وكان منهم مؤيد الدولة أبو القاسم على بن ناصر الدولة الحسين بن مكرم الذي ولى

(١) سيراف : تقع على ساحل الخليج الفارسي (يانوت : معجم البلدان).
(٢) ابن خلدون : ج. ٣ ص ٤٤٥، ٤٤٣، ٤٥٠.
(٣) ابن الإيبي : ج. ٨ ص ٢١٣، ٢١٤، ابن خلدون : ج. ٤ ص ٤٠٠.
الإمارة سنة ٤١٨ ه واستطاع بحسن إدارته، وجوده وكرمه أن يجعل الحكم وراثياً في أبنائه من بعده (١).

ولما توفي الأمير أبو القاسم سنة ١٧٧ ه خلفه ابنه أبو الجيش، فاستغل ضعفه قائد جنده على بن هطال، وآستأثر بكثير من النفوذ وأوقع الفرقة بينه وبين أخيه المهدب الذي أتهى أمره باعتقاله وقتله؛ ثم توفي بعد ذلك بقليل أبو الجيش.

فحاول على بن هطال أن يولي أخاه أبو محمد، فأخفته أمه حتى لا تبكي له فرصة التخلص منه، وطلب إليه أن ينولي بنفسه إدارته عمان، فرحب بذلك؛ غير أنه ما لبث أن استبد بالسلطة وصار التجار واستولى على كثير من أموال الأهلاء.

ولما وصل إلى أبي كاليجار أمير بنى بويه في العراق ما قام به على بن هطال من الأعمال التي سببت تذمر أهالي عمان، غرر على إقصائه عن الإمارة، وأمر وزير العدل أبو منصور أن يكاتب المرتضى الذي كان نائباً لابن القاسم بن مكرم بجبال عمان ويطلب إليه محاربة ابن هطال، كما جهز المساكر من البصيرة لمساعده؛ ف�درك المرتضى إلى عمان وحاصرها وتمكن من الاستيلاء على أكبر أعمالها ودس لابن هطال من اغتاله؛ ثم بعث الوزير العادل أبو منصور رسولًا من قبله إلى عمان وعلي أبو محمد بن مكرم الإمارة سنة ١٧١ ه (٢).

على أن أسرة بنى مكرم ما لبث أن ضعفت وزال ملكها بعمان وتولى أبو المظفر بن أبي كاليجار البيهي إمارة هذه البلاد، لكنه عجز عن إدارة شؤونها بنفسه واستأثر بالسلطة خادم له، وأساء النصرف في الأموال مما أثار كراهية الأهالي وتدميرهم. ولما وقف ابن راشد - وكان من زعماء الخوارج المقيمين بجبال عمان - على ما وصلت إليه الحال في البلاد من جراء ضعف الأمير أبو المظفر واستبداد خادمه بالأمور دونه، دعا أتباعه وسار على رأسهم لمحاربة أبي المظفر؛ غير أن الهزيمة حلت على راشد والخوارج، فعادوا إلى محل إقامتهم. وأخذ ابن راشد بعد الغدة يهتشد الجموع للتخلص من إمارة أبي المظفر، ولما تهيئة محاربته سار إليه وأعانه أهل البلاد بسبب كراهيتهم للفيلم. وبذلك تسر له الانتصار على أبي

(١) ابن خلدون: ج ٨ ص ٢١٣ - ٢١٤.
(٢) ابن الأثير: ج ٩ ص ١٨١ - ١٨٢.
المظهر سنة 442 هـ، وقبض على زمام الأمور في البلاد، فبدأ حكمه بالعمل على
إقامة العدل، كما أسقط المكوس على جباهة عشر ما يرد إلى الأهالي، وأمر بذكر
اسمه في الخطة وتلقب بالراشد بالله (1).

لم تستقر الأمور في عمان بعد أن ولّى حكمها الخوارج، كما تفككت عرى
وحدث، فقد اتت في بعض بلادها الراعقة على الخليفة العباسي إمارة مستقلة تقلد
زمام الحكم فيها زكريا بن عبد الملك الأردي سنة 448 هـ، وكان الخوارج بدينون
لأسرته بالطاعة (2). ومن ذلك يتبين انحلال الفوضى العباسي في عمان وعجز بني
بوه عن الاحتفاظ بسيادتهم على هذه الإمارة، كما أن السلاجقة الذين استبدوا
بسلطة في بغداد في متصف القرن الخامس الهجري شغلوا عنها بالعمل على
توطيد وقوتهما في العراق ومد سلطانهم على بلاد الشرق.

كانت الدولة الفاطمية في مصر تراقب الاضطراب السائد في عمان وتحرص
على الإبقاء على دعوتها التي قام دعاتها بشرو في هذا القدر منذ أواخر القرن
الثالث الهجري، فلما وصل إلى المستنصر بأمر الله الفاطمي ضعف النفوذ العباسي في
عمان وتورث رجالها ضد الهيئة المحكمة فيها، بعث إلى الكرم أحمد الذي ولى
الملك في اليمن بعد وفاة أبيه على بن محمد الصليحي خطابا في ربيع الثاني سنة
469 هـ طلب إليه فيه القيام بإدارة شئون ولاية عمان والعمل على استثمار الامن
فيها رغم أنها لا تدخل في نطاق دولته (3).

وأما فيما يلي بعض ما جاء فيه (4): «من عبد الله ووليّه معد أبي ثيم، الإمام
المستنصر بأمر المؤمنين إلى الملك الأجل، والأوحد، المنصور العادل الكرم،
عمادة الخلافة... عظيم العرب، سلطان أمير المؤمنين... أبي الحسن
أحمد...، أما بعد: فإن أمير المؤمنين لما يعلمه من خلوع طاعتك وضمرك،
بحسن الطريقة في سياستك وتدبرك...، فإن أثارك فيما إليك من الأعمال

(1) ابن الأثير: ج. 9 ص 161 - 162.
(2) ابن خلدون: ج. 4 ص 93.
(3) السجلات المستنصرية: رقم 54 ص 176 - 179.

الدعوة العاطفية في بلاد اليمنة وعمان

ماثورات، ومقدامات في نسرين الدين والإصلاح بالدعوة العلوية معروفة مشهورة... ولقد جدد السيد الأجل، أمير الجيوش سيف الإسلام، ناصر الإمام، أبو النجم المستنصر، في هذا الحين ذكر بالحضرة، وشيد مالك لديها من الاصطفاء والأثراء... وما أنتهى إلى حضرة أمير المؤمنين حال (مدينة عمان) وما جرى فيها من الغلاء والفساد... والرقو عن أحكام اللة الدينية... وقد كان غدق أمر الحرم المحروض وأعماله بولايتكم، ووكله إلى تدبيركم وسياستكم، بحكم كون الأعمال اليمنية والخليجية واحدة في الاهتمام بأحوالها، وقرب أعمالكم من أعمالها... رأي أمير المؤمنين... أن يضيف إلى ذلك وما يجري في نظرك وراية مدينة عمان، لكونها أيضا لأعمالكم مجاورة... وخذ كافة الرجال والمستخدمين بوظائف الخدمة، والمسارعة إلى كل مهمة، وصيانة الأعمال الدانية والقصاصية، وتشبب قانون الخدمة، فإن أمير المؤمنين باستطاعته يدرك في جميعهم لتنبئ من ترتضي طرفيه، وتسنبل من ترى الصواب الاستبدال به، وأمير المؤمنين يشترك ما طالع به حضرة الأمير مستخلص الدولة العلوية وعدتها: عبد الله بن علي العلوى المستقر بالأحشاء... وأنه اعتمد إقامة الدعوة العلوية، وناضل كافة الأعداء من الخوارج... وأصاب بالدعوة المستنصرية في أرجائها... وقضى ذلك نفوذ السجل من حضرة أمير المؤمنين مضمنا إحسان خدمته... 4.

وكان بلاد اليمن إذ ذاك تبعث إلى عمان والهند بالدعوة لنشر الدعوة الفاطمية، كما أنه كان فيذين القطرين أنصار كثيرون يؤيدون المذهب الإسماعيلي الذي تحرص الدولة الفاطمية على نشره، فلما ورد إلى المستنصر عدة خطابات منهم تتضمن وفاة دعاتها ورغبتهم في أن يزود بلادهم بدعاء غيرهم، بعث إلى المكرم أحمد كتابا في ربع الأول سنة 476 هـ أخبره بموافقته على تعينين مرزبان بن إسحق داعيا بالهند، وإسماعيل بن إبراهيم بن جابر داعيا بعمان.

ويتجلى لنا حرص الخليفة الفاطمي على تعيين الدعاة بهذين القطرين من قوله(1): 5. فأما ما ذكرته من أمر الدعوة الهادية بالهند وجزيرةها، وعمان

(1) السجلات المستنصرية: رقم 13، ص 205.
وعملها، وفقد المتولين لها ... ووردت مكاتبات إلى أمير المؤمنين من هناك
أطلقوا استخراً من يجمع شملهم ويشقون به - بعد من فدوهم - رفعهم
وعزلوا تقديم الرئيس: مرباظ بن إسحاق بن مرباظ الهند وجزائرها، وإسماعيل
ابن إبراهيم بن جابر عمان ومليها، لما وصفته من دينهما وحميد أثرهما
ومذهبهما؛ فقد وقف أمير المؤمنين على ما شرحته، وتقدم بإصدار ملظم عن
حضرته إلى المكروين بتقليدهما، من مجلس السيد الأجل، أمير الجيوش،
وجميع ذلك واصلاً بإذن الله بوصول هذه الإجابة ...

كما أرسل المستنصر في أواخر سنة 481 هـ خطاباً إلى السيدة الخيرة التي آل
إليها الملك بلاد اليمن أخبارها بموافقة على تعيين أحمد بن مرباظ داعياً بسماحة
 велиمة للعبد والده، وأبدى ارتهاصه لاختيارها حمازة بن سبط حميد الدين ليعاون
الداعي أحمد في نشر الدعوة الفاطمية بلاد الهند ونوه المستنصر في خطابه بثقته
في الجهود التي تقوم بها السيدة الخيرة في سبيل نشر الدعوة له في كل من بلاد
اليمن وعمان والهند.

وعما ورد فيه: 1) من عبد الله ووليه: معز أبى تميم الإمام المستنصر بالله،
أمير المؤمنين إلى الخيرة الملكة. السيدة. السيدة. المصدرية. الكحلاصة. ولية أمير
المؤمنين. أرس الله تكريمها ونعمتها ... أما بعد: فإنه عرض بثورة أمير المؤمنين
كتب ذلك المضمن وفاء داعية بالهند: غرس الدين، ولوي أمير المؤمنين، مرباظ،
وهذه خلق ولدين ذوي دين وثقة واستسلام للخدمة. وأن موأ أليه منهما
أحمد الأكبر لتمييزه وحميد طريقته ... ثم شفعت ذلك بما اعتضده إسماعيل
ابن إبراهيم الداعي بعمران من اللحلى عن الخدمة ... وان سبتم حميد الدين
خلق ولداً يسمى حمزة يصبح للأستخدام على عرض المكروين ... وأحمد الله تبهك
على هذا المصالح وتساعد أحوال الدعوة والدعاء في (تلك) الأطراف والنواحي
 ... وأوجب أمير المؤمنين إلى فتح السيد الأجل، أمير جيوشه ... بإصدار التقليلين
عن مجلس نظره باسم كل من الداعيين المكروين ... رأيت قد جعل إليك أمير


1) السجلات المستصرة : رقم 50 ص 167 - 169.
المؤمنين النظر في تلك البلاد والأعمال ومراعاة دعاتها وانتظام حال الدعوة فيها.

يتضح لنا ما تقدم إلى أي حد عنيت الخلافة الفاطمية بنشر دعوتها في عمان وكيف أصبح لهذه الدعوة انصار كثيرون بتلك الولاية. ولا شك أن الدولة الفاطمية كانت ترمى من وراء بث الدعوة بعمان إلى تحقيق سياستها في بسط سلطاتها على أقطار جزيرة العرب ليتيسر لها بذلك إضعاف الخلافة العباسية والقضاء عليها.
الباب الرابع

النفوذ الفاطمي في بلاد اليمن

تمهيد: بلاد اليمن في أواخر عهد ولاة العباسيين.
1- جهود دعوة الإسماعيلية في نشر الدعوة الفاطمية باليمن.
2- موقف أمراء الصليحيين من الخلفاء الفاطميين.
دخلت بلاد اليمن في خزوة العباسيين بعد أن انتقلت إليهم الخلافة وصار الولاة يتعاقبون عليها من قبلهم، وتاركوا صناعة حاضرة لهم ؛ غير أن الأمور لم تستقر استقرّا تماماً في هذه البلاد؛ فلما بلغ المأمون اضطراب الأمن فيها وذيع الدعوة الشيخية بين أهلها، عزل على أن يختار لولائه رجلاً يستطيع أن يقضي على عواقل الفساد فيها؛ فأشار عليه الخنسان بن سهل بأن يسند إلى محمد بن إبراهيم الزيادي ولاية اليمن؛ فولاه عليها سنة ٢٠٢ هـ، ولم يمض عام واحد على هذا الوالي حتى اخْتُطت مدينة زبيد واتخذها حاضرة له (١)؛ وأخذ من ذلك الوقت يوطد نفوذه في جميع أرجاء بلاد اليمن؛ فدخلت في طاعته حضرموت والشحر ودير كندة واللحج والتهامة (٢)؛ وما زال نفوذه في ارديب حتى أصبح في مقام الملوك المستقلين، لكنه مع ذلك احتفظ بولائه للخلافة العباسية وصار يقيم الخطبة لبني العباس ويرسل إليهم الخراج والهدايا كل عام (٣).

تحت محمد بن إبراهيم الزيادي في جعل ولاية اليمن وراثية في أبنائه تدرين بالطاعة للعباسيين، فلما توفي سنة ٢٤٥ هـ خلفه ابنه إبراهيم، ثم تولى بعده ابنه زياد؛ غير أن هذا الوالي لم يملك طويلاً في الحكم وأعقبه في ولاية اليمن ابنه أبو الجييش إسحاق، فظل يتأمرها حتى بلغ الثمانين من عمره.

---

(١) عمارة اليمن : تاريخ اليمن ص ٣٣.
(٢) ابن خلدون : ج ٤ ص ٢١٢.
(٣) عمارة اليمن : تاريخ اليمن ص ٤.
أخذت الدولة الزيادية في بلاد اليمن في الانحلال، في أواخر عهد الأمير أبي الجيش إبراهيم، فخرج بصنعاء أسعد بن أبي إفرام، وثار بصعدة يحيى بن القاسم الرسلي الملقب باللهادى (1)، وكان يدعو للزيدية - أتباع زيد بن علی زين العابدين - وله أنعم نفوذه وكثير أنصاره رحف على صنعاء، فاستولى عليها من يد أسعد بن بعثر، غير أن بنى أسعد ما لبثوا أن استرجوها منه، فعاد إلى صعدة وأسس فيها دولة بنى الرسلي. وهكذا أصبح في بلاد اليمن ثلاث دويلات: إحداهما في زبيد، والثانية في صنعاء، والثالثة في صعدة (2).

(1) ورد نسبه في جمهرة أنساب العرب لأبي حزم ص 38 على الوجه الآتي: يحيى بن الحسن بن القاسم الرسلي بن إبراهيم طباعا بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن علي بن


(2) صعدة: بلدة على ستين فرسخا من صنعاء القلنشدة: صبح الأعشى ج 5 ص 442.
ا - جهود دعاة الإسماعيلية في نشر الدعوة الفاطمية باليمن:

كان لضعف الدولة الزيادية أثر كبير في نجاح الدعوة الفاطمية في بلاد اليمن، ففي الوقت الذي تفككت فيه عري وحدة هذه الدولة بعث محمد الحبيب إمام الإسماعيلية بسممياً (1) كلا من علي بن الفضل اليمنى وأبي القاسم رستم الحسين بن فرج بن حوشب الكوفي إلى تلك البلاد ليشر الدعوة للمهدى من آل محمد، فلما وصلا إلى اليمن سنة 218 هـ (2) أخذا في بث دعوتهم. ثم بني ابن حوشب حصنًا بجبل لاعة وأعد جيشًا رحف به على صنعاء وأخرج منها بنى يعفر، كما بعث الدعاة إلى جميع أرجاء اليمن فنشروا الدعوة الإسماعيلية بين أهلها، وتمكن ببعوثهم من التغلب على كثير من بلادها (3).

لم رأى ابن حوشب الذي عرف بمنصور اليمن أن دعوته إلى المهدى لقت قبولاً لدى كثير من أهل اليمن كتب إلى محمد الحبيب وابنه عبد الله بسممياً يخبرهما بما فتح من البلاد، كما بعث إليهما بالأموال والهدايا، فسرتهما ذلك (4).

على أن محمد الحبيب لم يكتم بنجاح تلك الدعوة في بلاد اليمن بل حرص أيضًا على نشرها في بلاد المغرب، فأرسل أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا المعروف بالشيخي إلى ابن حوشب وأمره بالدخول في طاعته والاقتصاد بسيرته، على أن يرحل بعد ذلك إلى المغرب ليشر بها الدعوة الإسماعيلية. فقدم أبو عبد الله إلى ابن حوشب وصار من كبار أصحابه، ولما اتصل ابن حوشب بأبي سفيان والحلواني في بلاد المغرب، عهد إلى أبي عبد الله الشيخي بالقيام بالدعوة إلى المهدى في تلك البلاد، فخرج أبو عبد الله إلى مكة ثم رحل منها قاصداً بلاد المغرب، وأخذ يبشر بين أهلها الدعوة الإسماعيلية ويشدد إليهم عن قرب ظهور المهدى من آل على بن أبي طالب، وظل أبو عبد الله مواليًاً للإمام محمد الحبيب يرسل إليه رسالته وهدياته (5).

---

(1) بناء من أعمال حمزة وكانت تعد من أعمال حمص. نقول: معجم البلدان.
(2) بناء عواد: ج 4 ص 30 - 31، المغيري: ائتمان الحفنا ص 16 - 18.
(3) الحمادي اليمني: أسرار الباطنية وأخبار الفراعنة ص 27 - 28.
(4) بناء الأثير: ج 8 ص 11 - 12، المغيري: ائتمان الحفنا ص 68 - 69، 74 - 77.
كان محمد الحبيب قد عهد لابنه عبيد الله بالإمامة من بهده وقال له: "إني ستهاجر بعدد هجرة وتلقى محلة شديدة، فلما توفو خليفه في إمامة الإسماعيلية، فواصل القيام بنشر الدعوة لنفسه، وبدل الأموال الكثيرة في سبيل نجاحها.

كان دعوة الإسماعيلية في اليمن إذ ذاك يعتقدون أن دولة المهدى ستظهر في بلادهم، كما حرص رساؤلهم على أن يكون قيامها في أيديهم، وكذلك كانت الحال بالنسبة لدعوة الإسماعيلية في بلاد المغرب، فكانوا يرجون قدوم المهدى إليهم لإقامة دولة المشودة. فأرسل كبرهم أبو عبد الله الشیعی إلى عبيد الله وهو جیلم للهifo ۱) من رجال كاتمة يدعوه للقدوم إلى بلاد المغرب. يقول المقریزی (۵): "وسیر أبو عبد الله إلى عبيد الله بن محمد رجالا من كاتمة ليخبره بما فتح له وأنه ينتظره، فوافقه عبيد الله بسلمية من أرض حمص".

كان الخليفة المكتفى العباسي في ذلك الوقت قد وصله خبر ذيع الدعوة الإسماعیلیة في بلاد اليمن والمغرب فعهد إلى بعض رجاله بتقیم حرکات عید الله والقضایا (۶)، فخرج عید الله هاربا من سلمیة بعد مقابلته وفد كتامة ووقع فيه على مدى نجاح دعوته في بلاد المغرب، وأخبر بعض أتباعه أنه سيقعد اليمن. يقول جعفر الحاجب الذي صحبه عید الله من سلمیة "وأمرنا المهدى بالأخذ في أهیة السفر والخروج معه وأظهر لنا أنه يريد اليمن" (۷).

على أن عید الله المهدی لم يكن راغبا رغبة أکيدة في إقامة دولة بلاد اليمن، بل أمر الرحیل إلى بلاد المغرب من خرج من سلمیة تلبیة للدعوة التي وجهها إليه داعیه أبو عبد الله الشیعی. يؤید ذلك ما قاله ابن الاثیر (۸) "وشع خیزه عند الناس أيام المکتفی، فطلب وهرب هو وولده أبو القاسم نزار، وخیز معه خاصته وصولاه يريد المغرب". وفضلًا عن ذلك فإن عید الله المهدی كان حريصا على تحقيق رغبة أبيه في إقامة دولة بالمغرب، فقال له حين بلغه نجاح

---

۱) ابن خلدون: جزء ۴ ص ۳۳.
۲) البیماری: سيرة جعفر الحاجب من ۱۱۰ دمجلة الأدباء دیسمبر ۱۹۳۶.
۳) الكامل في التاريخ: جزء ۸ ص ۱۲.
ابن حوشب في نشر الدعوة إلى المهدى في اليمن: هذه دولته قد قامت، لكن لا أحب ظهورها إلا من المغرب.

ورما لا شك فيه أن عبيد الله المهدى كان يحرص ألا يقع في قبضة العباسيين الذين بوا رجالهم لاستقصاء أخباره، لذلك عول على إخفاء حقيقة الجهة التي سيقصدها، وقال لبعض أتباعه إنه سيذهب إلى اليمن رغبة منه في الالتصال بأخباره إلى العباسيين الذين كانوا إذ ذلك يبذلون قصارى جهدهم للقضاء عليه.

أما ما ذكره ابن خلدون(1) والفرزية(2) عن توجه عبيد الله المهدى إلى المغرب وعدله عن إقامة دولته في بلاد اليمن بسبله بلغه عن انحراف على ابن الفضل عن الدعوة الإسماعيلية وإساءة السيرة في بلاد اليمن بما نشره من آراء أفسدت عقول فريق من أهلها، فلا يُنتد إلى أداة صحيحة، لأن المستبع لرحلة المهدى من سلخية إلى مصر ثم إلى بلاد المغرب يتضح له أنه لم يفكر في الذهب إلى بلاد اليمن، كما أن مناهضة على ابن الفضل للدعوة الإسماعيلية لم تظهر إلا بعد أن استقر الأمر لعبد الله المهدى في بلاد المغرب، ولو أن عبيد الله المهدى كان حريصاً على إقامة دولته في بلاد اليمن لما أثناء عن ذلك خروج على ابن الفضل على دعوته لأن داعيه ابن حوشب ظلم مواليا له وصار له أنصار كثيرون بين أهالي بلاد اليمن يرغبون بقدوم المهدى إليهم ويعتقدون بصحبة إمامته، فإذا ما قصد بلادهم دخل الجميع في طاعته وانتقوا حوله.

كان عبيد الله المهدى يصحب عند خروجه من سلخية داعية دعائه فيوورد، فلما وصل إلى مصر وشرع في الرحل منها إلى المغرب شق ذلك على فيور، وتغلب على السير معه، ومضى إلى اليمن حيث استقبله ابن حوشب بظاهر الحفاوة والاحترام، لما كان يتمتع به من مكانة خاصة عند المهدى. وقد تحدث فيور عن مهمته في بلاد اليمن؛ فقال: إن الإمام بعث به مشرفا عليه إلى أن يقوم من المغرب بجندته إلى مصر ويكتب إليه ليتم بالعساكر من أهل اليمن.

---

(1) البيهاء الجندلي: آخبار القرآئطة بالميمเน المتقل من كتاب السلوك في طبقات الموالي والملوك ص 42.
(2) ج 1. ص 19.
(3)attività 6.
(4) اليماني: سيرة جعفر الحاجب هيئة كلية الآداب - ديسمبر 1936 ص 114 - 115.
على أن ابن حوشب ما لبث أن وقف على الأسباب التي حملت فيروز على
القدوم إلى اليمن حين وصله كتاب من المهدي مقرنا بكتاب الداعي أبي على -
صهر فيروز - الذي كان إذ ذاك يقوم بنشر الدعوة الفاطمية في مصر. وقد تضمن
هذان الكتابان كيف انصرف فيروز عن المهدي ورحل إلى اليمن من مغاضبته. وكان
المهدي يخشى عاقبة خروج فيروز عليه، لذلك أمر ابن حوشب في كتابه بالعمل
على التخلص منه.

ما وصل فيروز ما تضمنته الكتاب الذي بعثه المهدي إلى ابن حوشب ولى
هاربا. ولم يزل ابن حوشب يتابع البحث عنه حتى بلغه خبر اتصاله بعلي بن
الفضل، وأنه فتح عن الدعوة الإسماعيلية ودعاه إلى نفسه، فخرج إليههما
وحاربهما مدة طويلة (1).

كانت الدعوة الإسماعيلية في بلاد اليمن في حاجة إلى توحيد جهود كل من
ابن حوشب وعلى بن الفضل في سبيل نشرها، لكن على بن الفضل لم يتعاون
مع ابن حوشب تعاونا صادقا لتحقيق هذه الغاية، بل كثيرا ما استقل عنه في نشر
تلك الدعوة.

كذلك لم يكن على بن الفضل مخلصا في ولائه لعبد الله المهدي، فوقع
تحت تأثير فيروز الذي أغراه بقبول دعوته، كما تطم في الاستقلال بلاد اليمن
بعد أن استقرت له الأمور في كثير من أرجائها، وخلع طاعة عبد الله المهدي
الخليفة الفاطمي في بلاد المغرب، فبعث إليه ابن حوشب رسالة يعاته فيها ويدركه
بما كان من رعاية محمد الحبيب لهما، وقيامه بأمرهما وقال له: كيف تخلع طاعة
من لم تل خيرا إلا به، وترك الدعاء له؟ أوما تذكر ما بينك وبينه من الوثائق
والعهود (2)؛ فلم يعمأ ابن الفضل بقوله وكتب إليه: إنما هذه الدنيا شاة ومن
ظهر بها أنيسها (3).

لم يكتف ابن الفضل بخروجه على عبد الله المهدي. بل ثار أيضا على ابن
حوشب طعنا في استخلاص بلاد اليمن لنفسه، فأعد جيشا كبيرا لمحاربته؛ ودار
بين الفريقين تقاتل عنيف. وما اشتدت وطاته على ابن حوشب، أرسل إلى على

(1) اليمني: سيرة جعفر الحاج ص 115.
(2) ابن المؤيد اليمني: أنباء الزمن في أخبار اليمن ورقة 31.
(3) المحمدي اليمني: أسرار الباطنية وأنباء القرامة ص 33.
ابن الفضل في طلب الصلح، فاشترط أن يبعث إليه أحد أبنائه ليكون ذلك دليلا على دخوله في طاعته. فاتجه ابن حوشب إلى طلبه وأرسل إليه ولده، فأبقى ابن الفضل عنده سنة ثم رده إليه (1).

لم يؤد هذا الصلح إلى عودة الوفاق بين ابن حوشب وعلي بن الفضل سيرته الأولى، بل ظل كل منهما يعمل مستقلًا عن الآخر، مما ساعد على إضعاف الدعوة الإسماعيلية في بلاد اليمن، كما أن عبد الله المهدى رغم حرصه على بسط سيادته على تلك البلاد لم يوجه اهتمامه إلى وضع حد لهذا النزاع الذي قام بين ابن حوشب وعلي بن الفضل، بل تركهما وشأنهما. ولعل انشغاله بتوطيد دعائم خلافته في بلاد المغرب هو الذي حمله على الانصراف عنهما.

ظل ابن حوشب حريصا على ولائه لعبد الله المهدى حتى توفي سنة 230 هـ. أما على بن الفضل فإنه منذ خلع طاعة عبد الله المهدى لم يعد عن خطته في العمل على الاستثمار بالنفوذ في بلاد اليمن مما أثار ضده السنيين وانصار المهدى، ولم يتمكن في النهاية من التغلب على هؤلاء الفرسين والانفراد بالزعام في بلاد اليمن؛ وبذلك لم تتحقق مطامعه، بل نشل في تكوين حزب قوى يكون عونا له على نشر دعوته. فلما توفي سنة 233 هـ لم يجد ابنه الذي ولي الأمور من بعده أنصارا قويين يدعمون عهده السنيين في بلاد اليمن، فنوعض لههم، ووقع إخوته أسرى في أيديهم، وما زالوا يتبعون أعوانه حتى قضوا عليهم (2).

ظل للدعوة الإسماعيلية في بلاد اليمن أنصار كثيرون بفضل ما بدله ابن حوشب من مجهود في سبيل نشرها، وبلغ من اهتمامه بآرها أن أوصى قبيل وفاته سنة 230 هـ كلا من ابن أبي الحسن وتابعه عبد الله بن عباس الشاوري بأن يستمروا في إقامة الدعوة لعبد الله المهدى وأهل بيه؛ وقال في وصيته: أقدم ويستمروا في إقامة الدعوة لعبد الله المهدى وأهل بيه؛ وقال في وصيته: أقدم

(1) الحمادي اليمني: أسرار الباطنية وأخبار الفارامة، ص 36-37.
(2) الحمادي اليمني: أسرار الباطنية وأخبار الفارامة، ص 36-39.
وأوصيكم باطعية المهدي ... حتى يرد أمره بولاية أحدكم بما يكون كل واحد منكم عونًا لصاحبه(1).)

كان عبد الله بن عباس الشاوري يطبع في الاستقلال بأمر الدعوة في بلاد اليمن، فكتب إلى عبد الله المهدي الخليفة الفاطمي بلاد المغرب يخبره بوفاة ابن حوشب، كما أبلغه أنه يقوم بأمر الدعوة له، وسأله الولاية وعزل ولد ابن حوشب(2). ولا كان أبو الحسن ولد ابن حوشب يرى أحقته في أن يخلف أباه في القيام بأمر تلك الدعوة، لذلك رحل إلى بلاد المغرب، حيث قابل المهدي وطلب منه أن يقلده محل أبيه، ورجاءً ألا ينزع هذا الأمر من إخوته؛ غير أن المهدي لم يجبه إلى طله لأنه أقر قبل قدمه عليه عبد الله بن عباس الشاوري في القيام بأمر دعوته، فعاد أبو الحسن إلى بلاد اليمن دون أن تتحقق رغبته(3).

وليس من شك في أن عبد الله المهدي أثت بتدخيله في تولية عبد الله بن عباس الشاوري أمر الدعوة الفاطمية في بلاد اليمن وإقطاعاته أولاد ابن حوشب عنها ما كان يتمتع به من تفوؤد في بلاد اليمن، كما أنه حرص على اختيار من يثق به ليكون عوناً له على نشر دعوته في تلك البلاد، وخاصة بعد أن ضعف أمرها من جراء الإزاع الذي قام بين كل من على بن الفضل وابن حوشب.

على أن تولية عبد الله بن عباس الشاوري أمر الدعوة الفاطمية في اليمن لم تلق ارتياحاً من نفس أبي الحسن ولد ابن حوشب على الرغم ما أظهره ابن عباس الشاوري من شعور طيب نحوه ونحو أخوته جعفر وأبي الفضل وإكرامه إياهم وترحيه بمقابلتهم في أي وقت شاءوا دون أن يتعرضوا حجابه(4).

وقد أدى حرمان أبي الحسن من رعاية الدعوة الفاطمية في بلاد اليمن إلى إضماره السوء والعدارة لابن عباس الشاوري الذي تمح رأبه وزجره وقال له: «أنت تعلم أنه غرس أبينا وأنه لا يقدم علينا سواناً في هذا الأمر» فأجابه بقوله:

(1) الخماسى البغدادى: أسرار الباطنية وأخبار الفاطمية ص 39.
(2) البحار البغدادى: أخبار الفاطمية باليمن المقبول عن كتاب السلاطين في طبقات الموالي والملوك ص 150.
(3) الخماسى البغدادى: أسرار الباطنية وأخبار الفاطمية ص 4.
(4) البحار البغدادى: أخبار الفاطمية باليمن المقبول عن كتاب السلاطين وطبقات الموالي والملوك ص 151.
والله لا تتركه يتنعم في ملك عنى به غيره، ونحن أحق به منه. فقال له أخوه جعفر: إن أمرنا إذن يتلاشي ويزول ملكنا وتفترق هذه الدعوة ويذهب الناموس الذي نمسناه(1) على الناس، فلا تحدث نفسك بهلاك فنهاك، فلم يبلغت أبو الحسن إلى قول أخي جعفر وعول على التخلص من ابن عباس، وما لبث أن قتله غدرًا وولي الأمر من بعده(2).

لم يعمل أبو الحسن بعد أن تقلد ما كان يلبيه أبوه ابن حوشب على نشر الدعوة الفاطمية، بل انقلب معايدا لها، حريصا على القضاء عليها بعد أن كان من أنصارها، فارتدى من المذهب الإسماعيلي واعتنى مذهب أهل السنة، وجمع العشائر وأشهدهم أنه رجع عما كان عليه أبوه، فأخذه الناس ودانا له بالطاعة(3).

كان خروج أبي الحسن على الدعوة الفاطمية أسوأ الأثر في نفس أخيه جعفر الذي عارضه في سياسته وقية رأيه وقال له: «قطعته بذك ميك»، فلم يكن له بقولة، وخرج جعفر من بلاد اليمن مغاضبا له وقصد بلاد المغرب رغبة منه في الاتصال بعبد الله المهدي وإخباره بناهضته أخيه للدعوة الفاطمية، فوجد قد توفي وخلفه ابنه القائم سنة 226 هـ، فأقام عنده.

مضى أبو الحسن في سياسته التي اختطها لنفسه والتي كان من أثرها أن فروقت بينه وبين أخيه جعفر، دون أن ينظر إلى عاقبة الوخيمة عليه؛ فأخذ يتبين أنصار أبيه من الإسماعيلية تبناها مقرنا بالشدة والنصف، أدى إلى تفرقهم وقتل الكثيرين منهم؛ غير أن بعض الإسماعيلية في اليمن استطاعوا النجاة من اضطهادهما كما حرصوا على كتمان أمرهم حتى لا يتعرضوا لإباحته وأنفسهم - وكان لا يستطيع عن مكانته الخليفة الفاطمية بلاد المغرب - (4) مما يثبت لنا أن الدعوة الفاطمية لم يضيق عليها في بلاد اليمن، وأنه لم يزل لها أنصار يزجرون سياستها على الرغم ما لا قومن من عنت واضطهاد.

---

(1) من السير: كتبه، وقس بين القوم: أسد وأخرى (حسن إبراهيم روطه شرف: كتاب عبد الله المهدي حافز رقم 2 ص 328).
(2) الحمادي اليمني: أمور الخلافة وأخبار القرامطة ص 40.
(3) إيلهاء الجند: أخبار القرامطة باليمن المكتوبة من كتاب السلك في الطبقات الموال والمملوك ص 151.
(4) الحمادي اليمني: أمور الباشائش وأخبار القرامطة ص 40.
لم يجن أبو الحسن نسرا مناهضة الدعوة الإسماعيلية وخروجه على طاعة الخلافة الفاطمية، فإنه فضلا عن انقسام أهل بيته وما ترتبت عليه من انسحاب كثير من أنصاره عنه، لم يلق من أصغره الجدد من السنين تأييدا يكون عاما على نجاح هذا الانقلاب الذي أحدثه، بل شكا في إخلاصه رغم ارتداده عن المذهب الإسماعيلي، وتأمره عليه، وقتيته، وتبع السنين من أهالي بلاد اليمن السعودية، أولاده ورجاله، فقتلوا الصغير منهم والكبير وسبوا حريمة، وذل تلك قضوا على أسرة ابن حوشب.

لما توفي أبو الحسن، طمع إبراهيم بن عبد الحميد الشيعي - وكان من كبار الإسماعيلية في بلاد اليمن - في أن يتقلد ما كان يليه من البلاد، فأعلن ارتداده عن المذهب الإسماعيلي وأقام الخطبية لبيه العباس. ولم يزل يتعين الإسماعيلية وقالتهم حتى قضى على الكثير منهم، وما لبث أن استمع شمل الفريق الذي نجا من هذا الاضطهاد بناحية جبل مسور جنوبي صنعاء تحت رعامة ابن الطفيل.

ولما وصل إلى إبراهيم بن عبد الحميد الشيعي نبا تزعمه الإسماعيلية باليمن خرج إليه وقته، فتركق من بقية من أصحابه وقصد جماعة منهم نواحي عمان.

اتخذت طائفة الإسماعيلية باليمن بعد وفاة ابن الطفيل، ابن رحيم رئياس لها وعرف أيضًا بالشام، لا يستقر في موضع واحد خوفا من تعقب السنيين له - ولم يصرفه ذلك عن مكاتب الخليفة المعز لدين الله الفاطمي منذ قدم من بلاد المغرب إلى مصر، واتخذ القاهرة حاضرة له، وأظهر له في كتبه دخوله في طاعته، كما نقص على أن ينهي إليه وإلى الخليفة العزيز بالله الفاطمي من بعدها أحبته أهل اليمن. ولم يزل على ولائه لهذا الخليفة حتى شعر بذئو أبله، فاستخفف على أنباهه من الإسماعيلية رجلا منهم يقال له يوسف بن الأسد.

(1) الدكتور عبد الحكيم المغربي: أسرار الباطنية وأحكام القرامة من الإب ياءجنة، ص 16.
(2) الدكتور عبد الحكيم المغربي: أحكام القرامة باليمن المقرط من كتاب السلوك في طبقات الوالي والمملوك، ص 152.
(3) الدكتور عبد الحكيم المغربي: رجل معمل في شرح مسلك الحكم، ص 24.
(4) الدكتور عبد الحكيم المغربي: إ хочу الصغير من الإب ياءجنة، ص 41.
(5) الدكتور عبد الحكيم المغربي: أحكام القرامة باليمن المقرط من كتاب السلوك في طبقات الوالي والمملوك، ص 152.
لم يكن دعاء الإسماعيلية في بلاد اليمن هم الذين أقاموا الدعوة وحدهم
للخليفة العزيز بالله تعالى، بل أقامها أيضًا أمير صنعاء عبد الله بن حطان بن
أبي يعفر سنة 379 هـ. وكان أمراء بن يعفر قد استعدوا هذه المدينة بعد وفاة
علي بن الفضل سنة 303 هـ، وضموا إلى حورته بعض البلاد المجاورة لها،
وأقاموا فيها الخطة للخليفة العباسي، فلما استقرت الأمور لعبد الله بن حطان في
صنعاء، تجهز لفتح تهامة وأوقع الهزيمة بأميراً أبي الجبش إسحق بن إبراهيم بن
زياد، ثم دخل ربه حاضرة بني زيد واستولى عليها وأمر بقطع الخطة للخليفة
العباسي في جميع البلاد التي تحت سيطرته وإقامتها للخليفة العزيز بالله تعالى،
واستمر الحال على ذلك حتى توفي سنة 387 هـ (1).

وهكذا أتيح للدعوة الفاطمية أن تستعيد مكانها في بلاد اليمن بعد أن لاقت
دعتها كثيراً من المسود والاضطهاد على يد السنيين، كما أخذت الدعوة العباسية
في تلك البلاد في الضعف والانحلال تبعاً لنشاط دعاء الإسماعيلية وانصراً لمصر أمراء
اليمن - الذين كانوا يدينون بالطاعة لبني العباس - إلى التنافس والتناحر فيما بينهم
ما أدى ببعضهم إلى إحلال اسم الخليفة الفاطمي في الخطة محل الخليفة
العباسي. وليس من شك في أن هذا العمل مهد السبيل لازدياد الدعوة الفاطمی
بناء اليمن.

كان دعاء الإسماعيلية في بلاد اليمن لا يالون جهداً في القيام بشر الدعوة
للخليفة الفاطميين، فظل يوسف بن الأسد يدعو سراً للخليفة الحاكم بأمر الله
حتى توفي، فخلقه داع جرى، يدعى عامر بن عبد الله الزواحي - كان كحيل المال
وجاهة، وقد استغل ماله ونفوذه في سبيل نشر الدعوة الفاطمية، واستمر عدداً
كبيراً من أهالي اليمن إلى المذهب الإسماعيلي، وظل يدعو للفاطميين طيلة عهد
الحاكم والظاهر وأوائل أيام المستنصر (2). ولا حضرته الوفاة استلمع في بن
محمد الصليبي (3)، الذي نشأ فقهاً صاحباً، وصار دليلاً لحج اليمن عدة سنين،
واما لبت أن عظمت شهرته وذاع بين الناس أنه سيمتلك اليمن بأكمله. وما حج

(1) الدبيش الشقاني: قرة العيون في تاريخ اليمن المموم ورقعة 17.
(2) البيهاء الجندي: أخبار القرامة باليمن التقول من كتاب السلوك في طبقات الموالي والملوك ص 152.
(3) عرف بالصليبي نسبة إلى الإصلاح من بلاد حرار باليمن. العريشي: بلغ المرام في تحرير مسك الخاتم
ص 24.
سنة ۴۲۸ هـ، اجتمع بفريق من قومه همدان ودعاهم إلى نصرته ومؤازرتهم في دعوته، فاجابوه وابعوه، وكانوا ستين رجلاً من رجالات عشيرته (۱). وجه على بن محمد الصليبي اهتمامه بعد عودته من بلاد الحجاز إلى اليمن سنة ۴۲۹ هـ إلى إحياء الدعوة الإسماعيلية القديمة التي قلدها عمار بن عبد الله الزوادي زمامها، فأخذ في إظهارها واتخاذ حصان مسار بجل حرام مقره له وما زال يستميل الناس حتى اجتمع إليه من سنحان وهمدان وحمير خلق كبير (۲).

لم تكن الأمور معدة لعلى بن محمد الصليبي ليقوم بنشر دعوته في جميع أرجاء اليمن؛ فعلى الرغم من روال دولة بنى زياد سنة ۴۰۴ هـ، فقد ورث ملكهم موالين الذين ساروا على سياساتهم في إقامة الخلافة بنى العباس، وكان من بين هؤلاء الموالي لم يتجاوز إلى إقامة دولة بنى زياد، فقد خُففت دولة بنى زياد بعد خروجه من السلاطين ويسك العملة باسمه. وبلغ من ارتداد نفوذها أن فوض إليه الخليفة العباسي تقويض القضاء له هو أهل له، كما عهد إليه بالنظر في شؤون البلاد اليمنية ولقب بالمؤيد نصر الدين (۳).

كانت دولة نجاح السنية تعمل على قمع أي محاولة يقوم بها دعوة الإسماعيلية لنشر دعوته في بلاد اليمن، لهذا لم يستطع على بن الصليبي رغم تأييد خلافة المستنصر بالله القاطعي أن يجهز بالدعوة له، يقول بابخورة (۴): «وكان الصليبي يدعو للمستنصر بن معد بن الظاهر العبدى سراً ويخف نجاحه».

وقد عمد الصليبي إلى مذاعرة نجاح وأظهر له أنه يدين بالطاعة له كما اخذ يتورث إليه ليأمن جانبه، ثم دَر رؤيا للتخلص منه، فأدى إلى جارية سنة ۴۵۲ هـ، دَسَت له السم فنات (۵)، وخلفه من أولاده سعيد الأحول وجياش، غير أنهما لم يستطيعا أن يقفا في وجه الصليبي طوياً وهرباً إلى دلهك (۶)، وبذلك قضى الصليبي على دولة نجاح وضم ربيه إلى حوزته.

---

(۱) عمار بن اليمن، ص ۱۸.
(۲) العروشى: "المرام في شرح مسك الخاتم"، ص ۲۴.
(۳) عمار بن اليمن، ص ۱۱ – ۱۲، ابن الجزار: تاريخ ابن المجار ورقة ۸۶.
(۴) المختار في تاريخ تغل عنده ورقة ۱۷۲.
(۵) ابن خلدون: "جهد ص ۴۱۴.

O. Leaiey De Lucy. A Short History of the Fatimid Khalifate p. 202
2 - موقف أمراء الصليبيين من الخلافة الفاطمية

 لما قوى أمر على بن محمد الصليبي وتولى نفوذه في بلاد اليمن التي استولى عليها، كتب إلى المستنصر بالله الفاطمي سنة 455 هـ، يستأذن في إظهار دعوته، كما بعث إليه هدية ثمينة، تشمل سبعين سيفًا، مكافحًا من عقيق، وخمسة أترباب وشي وفصوص عقيق ومسمك وعنب، فقبل المستنصر هديته وأمر له بريات، كتب عليها الألقاب وأعد إليه بالولاية، وأذن له في نشر الدعوة.

علت مكانة الصليبي في بلاد اليمن بفضل تأييد المستنصر له، واخذ يوجه اهتمامه إلى توسيع رقعة بلاده، فسار إلى التهامة فافتتحها، ولم تتسم سنة 455 هـ إلا وقد بسط سلطانه على بلاد اليمن واتخذ صنعاء مقرا له.

وفي ذلك يقول العرشى: "ولم يقع أحد فيمن ملك اليمن ما وقع لعلي بن محمد الصليبي، فإنه استولى على اليمن، سهله وجلبه، وشماله وجنوبه، وغربه وشرقه، في المدة اليسيرة، وقهر ملوكه".

استطاع الصليبي بعد أن اتسعت رقعة دولته وقضى على ملوكه أن يعود للدعوة الإسماعيلية مكانتها في بلاد اليمن. وكانت قد وضعت بعد وفاة ابن حوشب وانقسام أبنائه على أنفسهم، وصارت الخلافة تقام على منابر تلك البلاد للمستنصر والصليبي وزوجهه السيدة أسماء بنت شهاب، وزال بذلك نفوذ العباسيين في بلاد اليمن.

ما استقرت الأمور للصليبي في صنعاء دعا إليه أمراء اليمن الذين أزال ملكهم وأسكنهم معه وولى صهره أسعد بن شهاب زيد وعائلته تهامة - وكان قد أقسم لا يولاه إلا من قدم إلى مائة ألف دينار - ثم ندم على يمينه، فلم

حملت إليه زوجته أسماء هذا المبلغ ليوافق على تعيين أخيها أسعد، قال لها الصليبي: "بأسلوبنا: أي لك هذا؟ قالت هو من عند الله: "إن الله يرثى من يشاء بيغير حساب؟" فنسب وهو موفق أنه من خزانته. وبعد أن أعيد إليه المبلغ؛
قال: هذه بضاعتنا ردنا إليها. فقالت: وخير أهلكنا ونحفظ أختنا. فأثار الصليبي
أسعد بن شهاب على ولاية ريد سنة ۴۵۶ هـ. وكان حسن السيرة، فلم يسّى إلى
رعاية وعلى الأخص السنين، وبلغ من تسامحه معهم أن أجار لهم إظهار
مذاهبهم.(1)

كان الصليبي يحكم بلد اليمن على اعتبار أنه نائب عن الخليفة المستنصر
بالله الفاطمي، وحرص هو وخلفاؤه من بعده على إظهار ولائهم للأئمة الفاطميين
في مصر. وقد تبودت بين الصليبي والمستنصر بالله الفاطمي عدة مراحلين تبين
لنا ما كان بينهما من صلة وثيقة؛ ففي شهر صفر سنة ۴۵۲ هـ أرسل المستنصر إلى
الصليبي خطاباً أرسله في مولد ابنه أحمد الملقب بـ "القاسم وطلب منه إذاعة
هذا النبأ في جميع أنحاء دولته(2)، كما بعث إله خطاباً آخر في رمضان سنة
۴۵۵ هـ(3) وصف فيه ثورة ابن باديس بإفريقية وكيف تمكن من القضاء عليها وأعاد
بلادها إلى حزرتها. وتبين لنا من هذا الخلاف الأكبر مدى اهتمام المستنصر بإخبار
الصليبي ناؤه وداعيه في بلد اليمن بالأحداث التي تقع في دولته.

كان المستنصر يثق بالصليبي ويطمئن إليه في نشر دعوته ليس فقط في بلد
اليمن، بل أيضا في بلاد الحجاز، فعهد إليه بإقرار الأمور في مكة وأبدى له في
رسالة بعثها إليه سنة ۴۵۶ هـ. ارتاحه للخدمات الجليلة التي قام بها في سبيل
إقامة الدعوة له وتوطيد نفوذه في بلد اليمن والحجاز، وأنعم عليه بلقب عمدة
الخلافة(4).

كان الصليبي يريد السفر إلى مصر لحظي بمقابلة الخليفة المستنصر بالله
الفاطمي؛ فبعث إليه رسالة مع مبعوثه لك بن مالك ليأخذ له بالقدوم عليه فاذن له
الخليفة في خطاب أرسله إليه في جماد آخرب سنة ۴۵۹ هـ(5) غير أن الصليبي رأى
أن يذهب أولا إلى مكة لاداء فرضية الحج، واستخلف ابنه المكرم أحمد بصنعاء
واستصحب معه أمراء اليمن خوفا من تأمرهم على ولده وإقصائه عن الملك، كما

(1) عمارة اليمن: تاريخ اليمن ص ۱۹.
أخذ بصحبته زوجته اسماء بنت شهاب وبعض أفراد أسرته. وبينما هو في طريقه إلى مكة اغتاله سعيد الأحول بن نجاح في أواخر سنة 59 هـ (1)

ولي الكرم أحمد الملك بعد وفاته، ألقى على بن محمد الصليحي وبعث إلى الخليفة المستنصر بالله رسالة في شهر شعبان سنة 104 هـ عبر فيها عن اسمه لوفاة والده، وعهد إليه بشؤون الدعوة (2).

عوَّل الكرم بعد أن تقلد زمام الأمور في بلاد اليمن على التخلص من سعيد الأحول بن نجاح الذي كان إذ ذاك قد استولى على زيده، فسار على رأس جيش كبير. ولم تزل المعركة دائرة بين الفريقين حتى هرب سعيد ومن معه إلى دهلش. واستعاد بذلك الكرم سلطانه على زيده وولي عليها خاله أسعد بن شهاب. على أن بني نجاح ما لبثوا أن عادوا إلى زيده فوقع بهم الكرم الهزيمة وأخرجهم منها. وقتل سعيد بن نجاح، وبعد أن تغلب الكرم على الصعوبات التي واجهته، أمر بضرب الدينار الملكي ونقش عليه هذه العبارة: "الملك السيد الكرم عظيم العرب سلطان أمير المؤمنين" (3).

لم وصل إلى الخليفة المستنصر بالله الفاطمي نبا الهزيمة التي حلت بسعيد الأحول بن نجاح وقتله، أرسل إلى الكرم خطاباً نوه فيه عن سروره لهزيمة العدو وأخذت الشأر لأبيه، وقال له: "قل لي ريك ما هو الأجل، لقد ركى غرسك وطاب، وحق ألم أمير المؤمنين في تقديم قدماً وما خاب، فأعلم أنك خليفته في بلاد اليمن وعماداه، وعدت وسماه، وقر عينا ما أعطيك الله من الرتبة السنية والدرجة العليَّة". وأبلغه في نهاية خطبه أنه أنعم عليه بلقب أمير الأمير (4).

لم يكن لدى الكرم الصفات التي تؤهله ليخلف آباه في إدارة شؤون بلاد اليمن، لذلك نراه بعد أن استعاد زييد من سعيد الأحول وعاد إلى صنعاء يقلد روجته السيدة الحرة بنت أحمد بن محمد بن جعفر بن موسى الصليحي زمام...


(B. O. S.)1934, Vol VII Part 2, p. 323
الأمور في اليمن، وبعدها بالقيام بأمر الدعوة الإسماعيلية، أما هو فقد انصرف إلى التمتع بسلامة الحياة(1).

على أن المكرم رغم ذلك حرص على توظيف علاقته بالمستنصر بالله الفاطمي، فظل مواليا له، وعبر عن ذلك في كتبه التي بعثها إليه، كما أشار أن الخليفة الراحل لم يشمل شأنه وأولى رونجه السيدة الحرة كل ثقته لإخلاصها للدعوة الإسماعيلية وظلت كتبه للاقتداع عنهما، فبعث إلى المكرم كتابا في 9 من ذي القعدة سنة 470 هـ يضمن وصاية المركز السامي الذي تقلده بدر الجمالي في دولته الخادمة العظيمة التي أداها له اعتباره إماماً، وكيف وطد نفوذ خلافته، فقال: "وقد نشر الله تعالى به دعوة أمير المؤمنين بعد أن أصحت رمياً، ونضّر به خلافة أمير المؤمنين بعد أن أصحت هشيماً، لم يكن لأمير المؤمنين بد من أن يرقي في الرفع والإعلاء فوق الفراقد، ويحمل منه محل الوالد، ويجعل له مقام الملك وينزله في عقد خلافة الإمام ملك السرك، فنص عليه في كفالة قضت المسلمين وبداية دعوة المؤمنين، نص حي ونفقها منه إلى مستحق إذا كان المرءا في ميدانها، ناطقة بلسانها عالمًا بإحكامها (2)، وطلب المستنصر من المكرم يمهد بها كتابه أن يطبع أورامه وسائر إضافاته، فقال: "فول وجهك نحو هذا السيد الأجل واجعله قبلة دينك في مصادرك ومؤامدرك، وأرجع إليه فيما عررك من مشكلات الدين، واعتشبه عليك من فتاوى المؤمنين، ليرسل إليك من علمه شهاباً قبيساً، ويبضب لك في بحر ما اشتهى عليك طريفاً يسا..، وأعلم أن الدولة الفاطمية بخدامت وجدها واجتهاده أطلع الله شمسها فأصبحت من سماء العز في الكبد، وشق في نصرتها غياب الظلمات بعد ضعف الناصر وقلة العدد (2).

وأما لا شك فيه أن بدر الجمالي الذي قاده الخليفة المستنصر بالله الفاطمي وزارة السيف والقلم كان يتمتع إذ ذاك بنهوض كبير في مصر، فقد عهد إليه الخليفة بإدارة كافة شؤون دولته وزاد في ألقابه: السيد الأجل، أمير الجيوش، كامل قضية المسلمين. ها هي دعاء المؤمنين! ومن ثم صارت كلمته نافذة على القضية والدعاة وسائر موظفي الدولة (3). ولما كانت سلطة بدر الجمالي قد امتدت تبعا لذلك إلى

---
(1) مماراة اليمن: تاريخ اليمن ص 26 - 27.


(2) ظاهر السجلات المستنصرية رقم 10 ص 196 - 199 - 196. 232 - 282.

(3) الدير : خطط ص 1. 196.
الولايات الخاضعة للفتوى الخلافية الفاطمية، لذلك رأى المستنصر أن يبعث إلى القائمين بأمر الدعوة الفاطمية في بلاد اليمن يخبرهم بتقلد بدر الجمالي زمام دعوته. فأرسل إلى السيدة الحرة خطابًا أشار فيه بذكر هذا الوزير وقال: ۚ فله خليفتنا وباب دعوتنا، الحال منا محلة لم يحل له أحد قبله، القائم من أمورنا مقام الأساس لمشكلات الالتباس، وهو عليك شفيف ولصاحب حاكم في كل طريق، وخمص خطابه بقوله: ۚ فاعملوا ذلك وسارعوا إليه إن شاء الله تعالىۗ۱.

كان الكرم قبل وفاته قد أوصى أن يخلفه في الدعوة ابن عمه أبو حمیر سبأ ابن أحمد المظفر بن على الصليحي، فكما توفى سنة ۴۸۴ هـ، أرسلت السيدة الحرة خطابًا إلى المستنصر بالله الفاطمی تخبره بوفاة زوجها الكرم وترجوه أن يوافق على تعيين ابنها عبد المستنصر مكانه ی، وكان يزال طفلا ۗ فاؤثر الخليفة تعيينه خلفاً لأبيه وعهد إليه بالقيام بشؤون الدعوة، وأمر أن تعلن جميع المراسلات الصادرة منه إلى بلاد اليمن باسم عبد المستنصر۲، كما أرسل خطابات أخرى مع رسوله عضد الذين أبى الحسن جهر المستنصر، إحداها إلى السيدة الحرة يعزيها في وفاة زوجها الكرم ويضن على وفاتها للدعوة.

على أن تولية عبد المستنصر أمر الدعوة لم تلق قبولًا لدى أمراء اليمن بسبب صغر سنه، يؤيد ذلك هذا الخطاب الذي أرسله الخليفة الفاطمي إلى عبد المستنصر وقد وصف فيه بأنه «سيل الدعوة وليلجها»، ونوه بما لاسلافه من فضل السابقة في التعلّق بها وحسن الأثر في نشرها، وقال إنه قلده الدعوة الهادئة في سائر أعمال اليمن وما بليها سهلا ووعرا وبرا وبحرًا، وتحدث في نهاية خطابه عما وصله عن اعتراض البعض على تلقين الدعوة بسبب صغر سنه، بقوله: ۚ وبعد هذا، فقد كان أمير المؤمنين عرف بما أمده الله به من التأليث الخفي، والنظر الألمع، أنه إذا شهد ما خلص إليه من شريف هذا الاهتمام والتقاليد والكمال والإع남 ۗ شارمك العيون وتجول في عظام لما خصصته به الظنون، إذا وليت هذا الأمر العالي قدره وأنت في سن الصبا، فذكر أمير المؤمنين ذلك عليهم ۗ ووجد

(B. O. S.), Vol VII Part 2, p. 312
(B. O. S.), Vol VII Part 2, p. 366
تاريخ الدولة الفاطمية

على من ظن ذلك موجوده على من قدح في الدين ...، لأن الله تعالى فوض إلى أمير المؤمنين الخلافة وسعه دون الشمان سنين، وقد جاز هذا في الإمامة وهي الدرجة التي تلى النبوة، فكيف الدعوة التي لأمير المؤمنين أن يصرف فيها على اختياره ويفوضها إلى من يرتضيه ويختاره؟

كان الخليفة المستنصر بالله الفاطمي يحرص على استقرار الأمور في بلاد اليمن ليضمن بذلك الابتعاد بسيادته على تلك البلاد؛ فلما قام النزاع بين الداعي أبي حمیر سیبأ بن أحمد الصليحي وأبي ربيع سليمان بن الأمير الزواحي على أثر تولیة عبد المستنصر رئاسة الدعوة بعث رسوله إلى السيدة الخيرة قال فيها إنه ينظر إلى هذا النزاع بشيء من القلق وطلب إليها أن تسعى في الصلح بينهما.

كذلك أرسل المستنصر كتابا في ربيع الأول سنة 480 هـ إلى الصليحيين وأول الزواحي رجاهم فيه أن ينهوا ما بينهم من خلاف وأن يطيعوا السيدة الخيرة وابنها عبد المستنصر، وناشذهم مناشدة قوية لكي يتحوا في سبيل نشر الدعوة، وعبر في خطابه عن ارتياحة للخدمات التي قام بها كل من الصليحي والمكرم والسيدة الخيرة لنجاح دعوته.

وقد جاء فيه: «من عبد الله ووليه، معد أبي تقييم، الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين إلى كافة السلاطين الصليحيين والزواحيين، والمشاهين الحجازيين، وطواقم الميامين ... أما بعد، فإن الله شرف أمير المؤمنين بفضل الخلافة على بريته، وأنفه به محل الدعوة الهادية ومرتبته ... ولم يف أمير المؤمنين ما كان منكم من النصرة من حميد المساعي ومثير موقفكم من حماية الدعوة ... شكر لكم هذه المناقشة، وآمرو مواقفهم من حماية الدعوة ... وأن تعتدوا الراضف، والتحذير من عواقب المقاطعة والاختلاف (وأمير المؤمنين) يفرض عليكم التدین بطاعة داعيكم الملك الأوحد، المنصر، العادل، المكرم، عمدة الخلافة ... سلطان أمير المؤمنين وعميد جيوشه عبد المستنصر ...، ويأمر أن

(B. O. S.), Vol VII Part 2, p. 318 - 319

(1) انظر السجلات المستنصرية رقم 37 ص 122 - 128.

(2) انظر السجلات المستنصرية: رقم 38 ص 128 - 134.
تعتمدوا الجد والتشمير في متابعته ومناصرته ... والجهاد تحت رايه ...، وأن تخلصوا النبات في موافقة وطاعة والهده الحرة، الملكة، السيدة السديدة، ... وليمة أمير المؤمنين وكافلته أوليائه الميامين ... التي استكفاها أمير المؤمنين في تدير أمره.

لقيت الدعوة التي وجهها المستنصر إلى آل الصليحي وأآل الزواحي لفض النزاع بينههم قبولًا. وقد وافته بهذا النبأ السيدة الحرة في خطاب أرسلته إليه، فبعث إليها الخليفة ردا أعلن فيه سروره لزوال الخلاف الذي قام بين سبا بن أحمد الصليحي وسليمان بن الأمير الزواحي وعقد الصلح بينهما(1).

لم يعمر عبد المستنصر طويلا، فقد وافته المنية وقام بعد وفاته نزاع بين الداعي سبا بن أحمد المظفر وبين السيدة الحرة بسبب طموحه إلى الاستحواذ على رياض الدعوة وحكم بلاد اليمن ورغبته في التزوج منها، لكن السيدة الحرة كرهت ذلك وأنكرته، وتهبى كل منهما للقتال. وبعد أن دارت الحرب بينهما أرسل سليمان بن عمار الزواحي إلى الداعي سبا بن أحمد يقول له : "ولله لا أبتكي إلى مرادك إلا بأمر المستنصر بالله(2)". فبعث سبا بن أحمد إلى المستنصر بالله رسولين هما: الفاضي حسين بن إسماعيل الأصبهاني وابو عبد الله الطيب ومعهما رسالة يرتجى فيها الخليفة أن يطلب من السيدة الحرة التزوج منه(3). فكتب إليها المستنصر خطاباً أرضاً فيه التزوج من الداعي سبا بن أحمد، وسير إليها أستاذًا من قبل يلقب بعين الدعوة ليتحدث معهما في هذا الشأن(4).

لما حظى رسول المستنصر بمقابلة السيدة الحرة وقف بين ورائهما وكتابها ورجال دولته، وقال موجها الكلام إليها : "أمير المؤمنين يرد السلام على الحرة الملكة السيدة الرضيحة الزكية، وحيدة الزمن، سيدة ملوك اليمن، عمة الإسلام، ذهيرة الدين، عصمة المسترشدين، كهف المستنجدن، ولية أمير المؤمنين، وكافلة أوليائه الميامين، ويوقل فيها : "وما كان لمؤمن ولا مؤممن إذا قضى الله ورسوله.

(B. O. S.), Vol VII Part 2, p. 321

(1) (2) الدبيش الشياني : قرة العين في تاريخ اليمن الميمن ورقة 25.
(2) عمارية اليمن : تاريخ اليمن ص 23.
(3) ابن المؤيد اليمني : أحياء الزمن في أخبار اليمن ص 43.
(4)
أمرًا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم، ومن بعض الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً. وقد روجك مولانا أمير المؤمنين من الداعي الأول المنصور المظهر عمة الخلافة، أمير الأمراء أبي حمیر بن أحمد بن المظهر على الصليحي على ما حضر من المال وهو مائة ألف دينار عينًا وخمسون ألفًا أصابعًا من نحى والطاف وطيب وكساوى. فقالت السيدة الحرة (أنا كتب مولائي فأقول فيه إلى ألقى كتاب كريم): (إنه من سليمان وإنه سبحانه الرحمن الرحيم لا تعلوا على واثوني مسلمين) : (يا أيها اللات أقتنى في أمرى، ما كنت قاطعة أمرًا حتى تشهدون)، وأما أنت يا ابن الأصبهاني (1) فإني ما جئت إلى مولانا بناء يقيقين. ولقد حررفتم القول عن موضعه وسولت لكم أنفسكم أمرًا، فصر فجمله والله المستعان على ما تصفون (2). ثم تقدم إليها وشيرها ربيع بن أبي الفتح والقاضي الحسن بن إسماعيل الأصبهاني وبعض رجال دولتها وأخذوا يحسنون لها التزوج من الداعي سبأ بن أحمد، وما زالوا يلحون عليها في الرجاء حتى قلبت عقد الزواج تحقيقاً لرغبة الخليفة (3).

يتبين لنا من تدخلا المستنصر بالله الفاطمي في مسألة زواج الداعي سبأ بن أحمد من السيدة الحرة إلى أي حد ظلت مكانة هذا الخليفة بين أمراء اليمن ودعاتها حتى أصبحت كلمته نافذة عليهم، ليس فقط في المسائل السياسية والدينية بل في المسائل الخاصة. وقد سبق له أن أبدى رغبته في وضع حد للنزاع بين آل الصليحي والزواحي، وها هو يأمر السيدة الحرة بالزواج من الداعي سبأ بن أحمد. ولا شك أنه كان يرجو من وراء هذا الزواج توثيق الصلة بين أمراء العين ودعاتها وعدم إثارة عواصف الخلاف بينهم حتى لا تعرض الدعوة للضعف من جراء تفرق كلمتهم وانشغالهم بالمنازعات التي قد تؤدي في النهاية إلى زوال نفوذهم.

على أن السيدة الحرة لم تمكن زوجها الداعي سبأ بن أحمد من السيطرة على شؤون بلاد اليمن، بل استحوذت عليها واستأثرت بالسلطة دونه، وظلت مولية للمستنصر والخروج، وتوثقت عرى الصداقة بينهما، وأكبر دليل على ذلك

(1) وهو أحد الرسولين اللذين يعدها الداعي سبأ بن أحمد إلى الخليفة المستنصر.
(2) عمارة اليمن ص 22 - 23.
(3) الدبيح الشباني : قصة العيون في تاريخ اليمن الميمون ورقة 25.
الرسائل التي تبودلت بين السيدة الحرة والمستنصر، وبينها وبين والدة هذا الخليفة وأخته، لم تثبت لنا ثقتهم بقدرتهما على إقرار الأمور في بلاد اليمن وإداعة الدعوة بين ربعها. بل بلغ من ثقة المستنصر بكافتهما لقيام بشتون الدعوة الفاطمية أن عهد إليها أمر تنظيمها في بلاد الهند وعمان. كما أجاز لها أن تعين من يقع اختيارها عليه من الدعاة لنشر الدعوة في تلك البلاد(1).

لم يكن لظاهرة الضعف التي أصابت الخلافة الفاطمية في أواخر عهد المستنصر أي أثر في بلاد اليمن، فظلت السيدة الحرة مخلصة في ولاتها لهذا الخليفة رغم ما بلغها من تقلص نفوذه.

لم توفي المستنصر بالله الفاطمي سنة 487 هـ وخلفه ابنه أبو القاسم أحمد الملقب بالمستعلي بالله أيذت السيدة الحرة خلافته، كما أبدىها دعاء اليمن رغم أن الإسماعيلية في مصر لم يجمعوا على احتيائه في تقلد عرش الخلافة بعد أبيه، ذلك أن الأفضل بن بدر الدين الجمالي وزير المستنصر أقدم بعد وفاة هذا الخليفة على إقصاء ابنه نزار ولي عهده وأكبر أبنائه من الخلافة، وبابع آخاه الصغير أبو القاسم أحمد بعد أن اجتمع بالأمراء وخوفهم مما يصيبهم من نزار إذا ما ولى الحكم في الدولة الفاطمية، وقد ترتبت على إقصاء نزار من الخلافة رغم احتيائه لها خروج أهالي الإسكندرية على طاعة الخليفة الجديد وانحيازهم إلى نزار. غير أن الأفضل ما بُعث أن يُمكن من القضاء عليه وعلى من آزره في ثورته(2).

أرسل المستعلي إلى السيدة الحرة رسالة مؤرخة في 8 صفر سنة 489 هـ تضمنت وصفاً لثورة نزار وتغليب وزيره الأفضل بن بدر الدين الجمالي عليها نهائيًا(3). وما ورد فيها(4) : "من عبد الله ووليه أحمد أبي القاسم الإمام المستعلي بالله أمير المؤمنين ابن الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين إلى السيدة، الملكة، السيدة، السيدة، ولية أمير المؤمنين. قد علمت ما كان صدر إليك من حضرة أمير المؤمنين".

---

(1) (B. O. S.), Vol VII Part 2, p. 321
(2) ابن مير : تاريخ ص 35 - 37.
(3) (B. O. S.), Vol VII Part 2, p. 218
(4) السجلات المستنصرية رقم 43 ص 145 - 151.
عندما أصدر الله تعالى إليه من إرث خلافته. وذلك بالنص الذي كان من مولانا الإمام المستنصر بالله. وإن البيعة انتظمت لأمير المؤمنين على أجل القضايا والأسباب، ودخل الناس فيها من كل باب، بحسن سياسة فتحت وخليله، السيد الأجل، الأفضل، أمير الجيوش، سيف الإسلام، ناصر الإمام، كافل قضاة المسلمين، وهادي دعاء المؤمنين. وكان الأمراء إخوة أمير المؤمنين أول من دخل في البيعة مسارعًا وانقاد لاحكامها طائفة. ومن جملتهم نزار وهو الأخ الأكبر. سنا. ثم إن الشيطان استزله واستغواء، ففرق جناب أمير المؤمنين.، وسار منه متولغا في القفار، راكبا الأخطار، حتى وصل إلى الإسكندرية، وفيها أتى. مأخذ السيد الأجل، أمير الجيوش.، فغالب هذا العبد العاق. نعم مواله بالكبرى، وأظهر ما كان كامناً في نفسه من الحياء والغدر، ووافق نزاراً على ما سعى إليه من الفساد. فتقدم أمير المؤمنين إلى فتاة الأعيان.، لأن يكتبهم معذرا وراجا.، وهم على غُلائاتهم متعمدون. إلى أن حملهم العدوان على البرون عن الإسكندرية فيمن انضم إليهم من لجيف من الأجناد وطواقم العرب والمغاربة والسودان...، وأمير المؤمنين يمدب يصاب الأراء...، فصمهم صدمة تزعزع منها أركان الجبال، وأجل بجميع قواه الشتات والتكال..، ولا يسر الله تعالى مفتيت هذا النصر أدن أمير المؤمنين لفترة السيد الأجل باتباعهم.، فتوجه يقتض آثارهم.، وحصى بين الفريقين وطيس الهياجاء...، وكان المخاديل في هذه النوبة قد تجمعوا من كل قُر وراد. فزادة عدتهم على ثلاثين ألف فارس وراجل. فرغم الله جمعهم بالحلف العاجل...، وطار نزار وأتى. على رسمهم في القرار..، وكان الفتاح في هذه الواقعة مثل ما تقدمه بحملات واصلاً السيد الأجل نفسه وغمانه..، فلم تزل السيف تستحكم فيهم إلى أن ستتهم الظلماء. وقت وأسر منهم ألوى كثيرة...، وتوجه نحوهم. حتى نزل على البلدة... فحصرها بما..، وحضير شهر الصوم، فأخير منازجتهم يحفظا لحمرة الشهر الشريف...، فلمما انقضى (هذا الشهر) ولم تتقض غوايثهم وغيهم.. رماهم بحجازة المنيئين. فلم يمض إلا أيام حتى تداعى الحصن من سائر أركانه. فتهى الرجال مستأنفين، والعنف لائدين، فخرج (أتكيمن) بغير عهد ولا عقد، يتعلبه، ووقف بين يدي مولاه متحفها ثوب الذل والهوان..، فأضرب عنه.
النفوذ الفاطمي في بلاد اليمن

صفحة...، وتتوفر على المهم من الحوطة على نزار وحفظ الثغر من عوادي النهب والاضرار...».

كذلك حاولت والدة الخليفة المتطلع جذب الدعاة في اليمن إليه، فبعثت إلى السيدة الحرة رسالة، تحدث فيها عن عهد المستنصر لولدها أبي القاسم أحمد نصرة نزار وألفكن بالإسكندرية على خلافته(1). وقد جاء فيها:

«من السيدة الملكة المحترمة الكريمة...، والدة الإمام المستعلي بالله أمير المؤمنين ابن الإمام المستنصر بالله...، إلى الحرمة الملكة، السيدة، السيدة...، وقد اشتهر بين كافة المؤمنين، وأولياء الدين، ورعايا الدولة، اسم الإمام المستنصر بالله...، كان يشير (بالإمامة) إلى ولده الإمام المستعلي بالله، ثم أفضح...، وأنه تولى نفسه الشرطة الكريمة توظيفه وتفهيمه، واختيصه دون الأولياء بنية الله وانسه، ثم انتقل إلى دار الكرامة، ومحل الإقامة، بعد أن أظهر النصر عليه، وأعلن بنقل الأمر إليه...، وجعل خليله وزوراه، السيد الأفضل، أمير الجيوش، سيف الإسلام...، وليا أعلى الله همه في ارتياض الصلاح وانتزاعه، فقام بأمير المؤمنين بأمر البيعة...، ومدبراً جريه بأمر المملكة على اطراها وانتظامها، فقام لأمير المؤمنين بأمر البيعة...، ومن جملتهم نزار أخوه الأكبر سنن، فإنه عرف الحق فعاهد وبايع. ثم أدرك الحسن...، فانسل ذيلاً تحت نجح الليل...، ومن ضياء إلى الإسكندرية وبها أفتكي، واشتغلا معاً على الفتنة...، واستغلوه طوائف من المناطقين، وكان أمير المؤمنين مما أتاه الله تعالى من شرف العلم، وحب إليه من الفضل والحلم، موعزاً إلى فتاه وخليله السيد الأجل الأفضل، بمواصلتهم بالكاتبات المشتملة على الإذان والإحذاء...، وهم متفاقمون على غلائاتهم في البغي والعناصر...، فعند ذلك أذن له مولانا في لقائتهم...».

لم يتأثر دعوة الإسماعيلية في بلاد اليمن بهذا النزاع الذي حدث في مصر حول الخلافة والذال ترغب عليه ظهور فرقتين، عرفت الأولى بالنزارية، وكانت

(B. O. S.), Vol VII Part 2, p. 218

(1) السجلات المستنصرية رقم 35 ص 109 - 117.
تدعو أن المستنصر أوسي لابنه الأخيرة نزار بالخلافة من بعده. أما الفرقة الثانية، فادعت أنه أوسي بها لابنه المستعلي. وقد انحاز دعاء الإسماعيلية فيه إلى هذه الفرقة وظلوا على ولائهم للخليفة المستعلي.

كذلك لم تلق فرقة النزارية التي اتخذت من بلاد المشرق مركزا لها تزاعما.

الحسن بن الصباح (1) الذي مال إلى القول بإمامة نزار وأنكر إمامة المستعلي – أنصروا في بلاد اليمن، بل لقد أصبح اسم نزار مبضاً عند أهالي هذه البلاد كما هي الحال عند غالبية الإسماعيلية في مصر.

كان النزارية في مصر لا يعترفون بإمامة المستعلي ويعملون على التخلص منه ومن وزيره الأفضل. ولم يمد شؤمهم إلى البلاد الواقعة في دائرة النفوذ القطامي؛ أما فرقة المستعلية التي اتخذت مصر مقرا لها فنشطت في بث الدعوة لإمامة المستعلي وظهر أثر نشاطها جليا في بلاد اليمن حيث قام الدعاء بنشر الدعوة لهذه الخلافة، ولم تنصرف بلاد اليمن التي كانت تتبع إذذ بنفوذ كبير في بلاد اليمن، في الخليفة الذي ظهر بين الإسماعيلية في مصر عقب وفاة المستنصر بشأن أحقية المستعلي في الإمامة ما يجعلها تنتفض لنفسها سياسة مستقلة عن الدولة الفاطمية، بل دخلت في طاعة هذا الخليفة بعد أن وقفت على عوامل ثورة نزار ونفيج الأفضل بن بدر الجمالي في القضاء عليها.

ولاحظ أن تأيد السيدة الحرة ودعاتها للخليفة المستعلي ساعد على عدم تسرب النزارية إلى بلاد اليمن، وبذلك لم تفرق كلمة الإسماعيلية في تلك البلاد كما تفرقت في مصر.

ظلت السيدة الحرة تعمل جاهدة على شد أزر الدعوة الفاطمية في اليمن، فلم ما ز وجها الداعي سبأ بن أحمد سنة 494 هـ. وللفضل بن أبي البركات ابن الويلد الحميري داعيا مكاني (2) كما عهدت إليه بتعاونها في القيام بأمور الدولة. وقد ثار في عهد هذه جماعة من الفقهاء بحث هم التفكير (3) وابتعزوا رجلا منهم يعرف بإبراهيم بن زيدان على الدعوة الإسماعيلية وانحارت إليهم قبيلة.

1 (1) ابن ميسر: تاريخ مصر ص 55.
2 (2) نيدي الشياشي: قصة العين في تاريخ اليمن اليمن ورقة 25.
3 (3) قلمة باليمن من مخلاف جماعة مطلة على ذي جبل (بقولات: معجم البلدان).
خولان، غير أن المفضل ما لبث أن حاصرهم وانتهى الأمر بالقضاء عليه ثورتهم.

كان من أثر انضمام الخولانيين إلى الخارجين على الدعوة الإسماعيلية في بلاد اليمن سنة 540 هـ قيام النزاع بينهم وبين السيدة الحرة أن وجهت الخلافة الفاطمية بالقاهرة اهتمامها إلى معاونة السيدة الحرة، فأوجب إليها الخليفة الأموي بأحكام الله الفاطمي الداعي على بن إبراهيم بن نجيب الدولة سنة 513 هـ ليكون عونا لها ضد أعدائها ومنانسيها(1) - وكان ذلك دليلا كبيرة بمذهب الشيعة - فلما وصل إلى جزيرة دحلان في طريقه إلى بلاد اليمن قابله أحد الدعاة وأدلي إليه بأخبار تلك البلاد وأحوال أهلها وتواريخ ميلادهم وأسمائهم وما يميزهم من علامات فكان إذا ما تحدث معهم عن غواصات الأميين التي تصل بهم اعتقدوا أنه يعلم الغيب(2).

اشترك ابن نجيب الدولة مع السيدة الحرة في إدارة اليمن. وصار من كبار الدعاة في تلك البلاد، كما ظل مخلصا للسيدة الحرة ومنذنا في الوقت نفسه لسياسة الخليفة الفاطمي بالقاهرة، وذل جهد مشكورا في العمل على استقرار الأمور في بلاد اليمن. ولما ولى الأمير البطاحي الوزارة في مصر في عهد الخليفة الأموي، أمده بالمال والرجال لضعف من شوكة أمراء اليمن الذين حاروا الاستقلال ببعض البلاد(3).

أثارت الحملات التي شنها ابن نجيب الدولة على بعض أمراء اليمن والتي انتهت الأمر فيها بهزيمتهم حقدهم عليه، وصاروا يتشاورون الفرس للخروج منه، فلما بعث الأمير البطاحي وزير الخليفة الأموي الفاطمي رسولا من قبله إلى اليمن سنة 540 هـ لم يحل بدنه ابن نجيب الدولة وعول على الغضب من شأنه، فاستغل أعداؤه من أمراء اليمين ضده ومحاباة المصريين في على اليمن، فاستمروا هذا الرسول إلهم بهدايا واتضموا إليه في عهده لابن نجيب الدولة.

(1) ابن خلدون: ج 4 ص 216 - 222
Enc of Islam, V 4, p 517
(2) عمارة اليمن: تاريخ اليمن ص 42
(3) عمارة اليمن: تاريخ اليمن ص 22، 44، 277. للديع الشيشاني: قرة العيون في تاريخ اليمن الميمن ورقة 27.
فأوسع إليه بتدبير أمين للتخلص منه: أما عن أولهما فقال: «اكتبا على يدي إلى مولانا الأثر كنبوا تذكرون فيها أنه دعاكم إلىنزار وراكدكم على ذلك فامتعبتم»، وقال عن ثانيهما: «اضربوا سكة نازارية وأنتما اتصلنا إلى مولانا الأثر بأحكام الله»، فأجابوه إلى طله، وبعث بكتبهم وبالسكة إلى الخليفة الأثر.

ولا وصل إلى الأثر النافثي الكتب والرسالة فيها ما يدل على انصراب ابن نجيب الدولة عن الدعوة له وانحيازه إلى طائفة النازارية (1) عهد إلى الأمير الموفق ابن الخياط بالقبض عليه رسالته إلى مصر، فقدم ابن الخياط على السيدة الحرة وطلب منها أن تسلم إليه ابن نجيب الدولة تحقيقًا لرغبة الخليفة فامتنعت أول الأمر وقالت له: «أنت حامل كتاب مولانا فخذ جوابه»، وبعثت إلى الأثر بأحكام الله هدية وكتابًا مع رسولها محمد بن الأردي شفعت فيه لأبي نجيب الدولة، غير أن شفاعة السيدة الحرة لم تصل إلى مسامع الخليفة الفاطمي، فقد أحاط أعداء ابن نجيب الدولة (2) به واعتقلوا وأرسلوه إلى مصر، وأخبروا رسول السيدة الحرة.

(1) عمارة اليمن: تاريخ اليمن ص 46.
(2) كان النازاريون أتباع في مصر لا ينخرعون بإمام الأثر ويتوقفون التقليل ضد بإيمارية من رؤساء دعوتهم في قلعة الموت الذين كانوا يعذبونهم بالذبح، فأمر الخليفة الفاطمي أن يرسل إلى رؤساءهم الحسن بن الباشا يبقي في حجيته فوقه التي تقول ب باحقيتها نزار في الإمامة، وها إلى قصره قبل أن يرسل كتابه، القضاء من الإعساقيلة الإمامة، وقال لهم وزيره الأمون الطاشم: ما لم يقم من الحجة في الرد على هؤلاء الخارجين على الإعساقيلة، فقال كل منهم: لم يكن نزار إمامة، ومن اعتقد هذا فقد خرج عن الذهب وفصل.

وكانت أخ ذا نزار إذ ذاك يتلف في شعاعة صغيرة بجبل الأيوان بالقصر وعلى الباب ستر، ولما فرغ نضجه الإعساقيلة من الإدالة، يراهنون في أوقات الخارجين على الخليفة قالت: أشهد على يا جمعة الخاضعين وبلغوا على إجماع المسلمين أن أخ ذا نزار لم يكن له إمامة وإلزامي (برية) من إمانته باحجة لها لائحة لم يتلقواها إن كان.

ولا فتح المجلس، بعث الأثر النافثي بكتابه رسالة إلى ابن الصيرفي بكتابه رسالة إلى ابن السباح يدح فيها آراء النازارية في الإمامة، غير أن هذه الرسالة لم تلق بها أن تصل إلى ابن السباح لصدى رسول الخليفة عن مواصلة السفر بسبب الأئمة التي وصلت إلى مصر عن ارتداده، وانضمام طائفة النازارية ببلاد المشرق، واتصالها بباحثتها في مصر لتبديد مؤامرة قتل الأثر ورؤوسه الأموي. لذلك لا يجب إذا رأى الأثر يتع حركاتهم في جميع البلاد الخاضعة لغفران، ويحمل على السباح أن تؤخذ الشهادات حول انحيازه إليه، لكن رغم اتخاذ الخليفة لهناء خطرهم عنه اغتنام فريق منهم.

ابن ميسر: تاريخ مصر ص 86، المزجى، خطط عدد 1 ص 177.
(3) ابن المؤذن: أئمة الزمن في تاريخ اليمن ص 47.
خمسة عشر يومًا حتى لا يعلم الخليفة بحقيقة موقف ابن نجيب الدولة مته. ولم يكتشفوا بذلك، بل أوعزوا إلى ربان المركب الذي أبحر عليه هذا الرسول أن يغرقه في الماء، فلبغتهم وطاع محمد بن الأردن غرقاء قبل أن يواصل سفره إلى مصر. فقذفت السيدة الحرة على وفاته، كما انصفت على فقدان ابن نجيب الدولة - وكان نصيرًا لها ومن أكبر دعاة اليمن - وقد قتل بأمر الخليفة الأمير، على أثر قدومه إلى القاهرة سنة ٥٢١هـ (1)، فأقامت مكانة الداعية إبراهيم بن الحسن الحامدي (2).

كانت السيدة الحرة على اتصال وثيق بالخليفة الأمير، فتبتذلت بشنها الكتب والرسول، وقد أظهرت ولاها لهذا الخليفة، فاعترفت بإمانته كما اعترفت من قبل بإمامة أبيه، وأقامت الدعوة لهما مما ساعد على احتفاظ الفاطميين بسيادتهم على بلاد اليمن.

وكان الخليفة الآمر ينظر إلى السيدة الحرة نظرًا تقدير وإجلال وبري أنها من خيرة أعوانه بعد أن تبين له إخلاصها في نشر دعوته؛ لذلك حرص على أن تظل موالية لأبنائها من بعده، فلما رزق ابنه أبو القاسم الطيب في ربيع الأول سنة ٥٢٤هـ وجعله وليًا عنه، كتب إلى السيدة الحرة يبشرها بولد ولده الإمام أبو القاسم الطيب وعرفها أنه وليه، وأمرها أن تذيع هذا الخبر بين أهالي بلاد اليمن (3)، وفيما يلي نص السجل الذي أرسله الخليفة الأمير بأحكام الله الفاطمي إلى الملكة الحرة الصليبية في هذا الشأن (4) (بسم الله الرحمن الرحيم): من عبد الله ولية المنصور أبي على الآمر بآتيه أمير المؤمنين إلى الحرة الملكة السيدة

(1) عمارة اليمن: تاريخ اليمن ص ٤٨، ابن مسر تاريخ مصر ص ١٠٧
(2) Kay, Yaman, Its Farly Mediaeval History p. 298
(3) ذكر (ابن مسر: تاريخ مصر ص ٢٧) كيف احتفل الخليفة الأمير بإلان بالشرى بولاية ابن أبي القاسم الطيب وتبليته الإسمة من بعد فصل: ذكرت مسر الفاهية عملت لله في الأسواق وباباب العصر، ولبيت المالكية وربت القصور، وأخرج الأمر من خزائنه وذخائره فأتمت الحال كذلك أربعة عشر يومًا واحضر الكبش الذي يلبس في الساحة وعلى جبل ديناج مع علامة قرية وثناء نغمة وحجرة الأسرة وأحسر الملوك، نشر فاضي القضاء ابن مسير بحمله وترتر الدينار على رأس الناس وعملت الأسمة، وكتب إلى الفوهم والشرقي والภาคين بإحضار الفوؤاد، فأحضرت وملأ القصر من الفوؤد وغيرها وامتلا الجر
(4) عمارة اليمن: تاريخ اليمن ص ١٠٠، ١٠١
الرضية الظاهرية الزكية، وحيدة الزمن وسيدة ملوك اليمن، عمة الإسلام، خاصية الإمام، ذهير الدين، عمة المؤمنين، كهف المستندين، عصمة المسترشدين وولية أمير المؤمنين وكافة أوليائه اليامين أدات الله تمكنها وتعمنها وأحسن توفيقها ومعوتها سلام عليك، فإن أمير المؤمنين يحمد الله الذي لا إله إلا هو ويسائل أن يصلى على جده محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين (ص) وعلى أمير الظاهرين الأثرة المحتدين وسلم تسليماً، أما بعد، فإن نعم الله عند أمير المؤمنين لابحثي لها عند، ولاتفتق عند أمد ولا حد، ولانتهي إلى الإباحة بها الطين لكونها كالسحاب الذي كلما انقضى أعقبه سحاب، فهي كالشمس النعومة الإشراق الدائمة الانتظام والانساق، والغيوه المتتابعة الانتصاق الموالية بالغد والأسال، ومن أشرفها لديه قدرة واعظمها صبرًا وذكراً، وأسنانه جلالا وفخرًا الموهبة بما جددت الآن بأن رقه مولودًا زكا مرضيًا برًا قصيًا، وذلك في الليلة المصبحياة يوم الأحد الرابع من شهر ربيع الأول سنة 544 هـ؛ ارتاحت إلى طيب ذكره أسرة المنابر وطلعت إلى مواهب أملا كل باد وحاضرة، وأضاءت بألوان عزتها وبهجة طلعته ظلم الدباج، ولانشطت به الدولة الظاهرية الفاطمية عقود المفاصل والفاخر، استخرجها من سلالة النبوة كما يستخرج النور من النور، ومنح المؤمنين منه بما قدح زناد السرور، وسماء الطيب لطيب عصره، وكتابه بأنام كنية جده نبي الهدي المستخرج جوهره من جوهره؛ وأمير المؤمنين يشكر الله تعالى على مأمنه به من إطلاعه وكوبه منه في سماء دوثه وشواهد القصي في تلك جلالة ورفعته، تشكره يقضي باستدامة نعمته .. ويسائل أن يبلغه في كنه الأمال ويصل به حل الإمامة ما اتصلت الأماه بالليالي، ويجعله عصمة للمسترشدين وحجة على المجاهدين وعونا للمستجيبين وسعة العارفين، لتنال الدنيا بتعبد أوفى حظورها وقصمها .. ولancias مهن حضرة أمير المؤمنين المكين ومحلل الذي امتلك عن الممثل والقرين؛ أدرك هذه البشريات الجليل قدرتها، العظيم فخرا، المنتشر صيتها وذكرها، لتأخذ من النور بها يتغطي نصيب وتذويها ومن قبلن من الأولياء والمستجيبين إذاعة يشاؤوا في المرفعة بها كل بعيد منها وقرب، ليتظم بها عقد السرور، فاعلمي هذا واعملني به إن شاء الله تعالى وصل الله على رسوله سيدنا محمد وعلى آل والثورة الطاهرين وسلم وشرف وكرم إلى يوم الدين.
لم تقتل الخليفة الآخر في أواخر سنة ٢٤٤ هـ، انتقلت السلطة إلى الأمير عبد المجيد بن محمد بن المستنصر فأخفى أمر الإمام الطيب وبايعه الناس بولاية العهد على أن يكون كفيلة لحمل منتظرٍ (١)، ولقب المحافظ للدين الله، لكن سرعان ما خيل بينه وبين التصرف في شؤون الدولة، فقد سجنه الوزير أبو علي أحمد بن الأفضل، وظل في سجنه إلى أن قتل هذا الوزير، فأعاد رجال الدولة ولياً للمعهد (٢)، ثم استقرت له الخلافة وقرئ في ٢٤٦ هـ سجل بإمامته، وأمر بأن يدعو له على المناور بهذه العبارة: اللهم صل على الذي شيدت به الدين بعد أن رام الأعداء ثورته وأقررت به الإسلام بأن جعلت طلوعه على الأمة وظهوره آية لمن تبدو الحقائق بباطن البصيرة مولانا وسيدنا وإمام عصرنا ورمانا عبد المجيد أبي ميمون وعلى آبائه الطهرين وأبنائه الأكرين صلاة دائمة إلى يوم الدين (٣).

لم تنظر السيدة الحرة إلى الوسيلة التي اتبعها الخليفة المحافظ للوصول إلى عرش الخلافة بعين الرضا، فقد اعتبرت إمامته باطلة على الرغم من الكتب التي أرسلها إليها؛ فقد بعث إليها على أثر توليه الحكم سجلاً بدأه بعبارة "من ولى عهد أمير المؤمنين"، ثم أرسل إليها سجلاً آخر في السنة التالية مبتدئاً بعبارة "من أمير المؤمنين"، وقد حاول المحافظ في كتبه التي بعثها إلى السيدة الحرة أن يستميلها إليه، لكنه أخفق في ذلك لأنها كانت على علم بمولد الإمام الطيب، وأخذت على نفسها العهد بنشر الدعوة له؛ ولهذا تغلبت عن الدعوة للخليفة المحافظ وقالت: "حسب بنى الصليحي ما علموه من أمر مولانا الإمام الطيب" (٤).

ظلت السيدة الحرة تعمل جاهدة على أن يكون للدعوة الطيبة في بلاد اليمن النفوذ الأساسي، وامتَدّت نشاطها في سبيل الإبقاء على تلك الدعوة إلى بلاد

(١) يتضح ما أورده كل من ابن ميسر: تاريخ مصر ص ٢٤٤، وأبو المنصور ناجم الزاهري ج ٥ ص ٢٤٠ - ٢٤١ أن الأمر لم يأت ترك إحدى نساء حاملة، فأتيم المحافظ ولا للمعهد وكيفلا لطفل مرتقب.
(٢) المقرئ: خطط، ج ٢ ص ٣٥٧.
(٣) ابن ميسر: تاريخ مصر ص ٢٧٤ - ٢٧٥.
(٤) عمارة اليمن: تاريخ اليمن ص ١٠٢.
الحجار، ذلك أنها حين وصل إليها أن أمير مكة هاشم بن قلیه بن القاسم (527-549 هـ) يقيم الخطبة للخليفة الحافظ، بعث إليه تتوعده إن لم يعمل على قطع الخطبة لهذا الخليفة (3); ولا شك أنها كانت تأمل من وراء ذلك أن يحذو الأمير حذوها في إقامة الدعوة للإمام الطيب.

لقي عدم اعتراف السيدة الحرة بإمام الخلافة الحافظ ارتيحاً من فرقة المستعلیة بصر إلى ترى وجوب انحصر الإمامة في أولاد المستعلي، بل إن هذه الفرقة نظرت إلى السيدة الحرة على أنها المثلة الحقيقية للمنذهب الإسماعیلی في بلاد الیمن.

على أن الخليفة الحافظ لم يفقد الأمل في نشر الدعوة له في بعض مدن الیمن؛ فقد استعان بالزیع بعدن في بث دعوته. وكان لجده معبد بن المکرم (3) مأثرة طيبة في نشر الدعوة للمستنصر بالله القاضی مع الداعی على بن محمد الصنحی، ثم مع ابنه أحمد المکرم (6).

ولى المعبد بن المکرم وأخوه مسعود ولاية عدن من قبل السيدة الحرة، وظاهراً بأجهزتهم إلى كل سنة مائة ألف دینار، ولم توفي المعبد انطلق عمله إلى ابنه زیع، وخلف مسعود ابنه أبو الغارات. وقد خرج كل من زیع وأبی الغارات على طاعة السيدة الحرة، فحاربهما وزیرها الفضیل بن أبي البرکات، ثم تصالحا معه على أن يؤدیا للسيدة الحرة نصف خراج عدن; غير أن هذا الصلح لم يدم طويلاً. وظل آل زیع ينضرون السيدة الحرة حتى تخلصوا من نفوذها في عدن (5).

على دعاء آل زیع بإقامة الدعوة للمخلیفة الحافظ، كما حرص هذا الخليفة على تقلیله أمر دعوته، فبعث في سنة 535 هـ رسالة مع أحد رسله تتضمن:


(1) صحيح هذا الاسم طیقاً لما أوردته.
(2) ابن خلدون جزء 4 ص 104.
(3) كان أبو ممیز بن زید، قد ملكوا عدن أيام الخلافة المأمون العباسی، ورفضوا الدخول في طاعة بن بدر بزید واكتفوا بإقامة الخلافة للفیضین العباسي، وباشتول المPASSAU على بن محمّد الصنحی على بلاد الیمن رعاهم حتى الموتیة، وبأنهم ضیاء سنة، ولم يزالوا بها حتى أخرجوا منها ابنه المکرم، وأحمد وولی عليه المعبد و📚أخيه المکرم الهمداني.
(4) تاريخ ابن الماجور: القسم الأول ورقة 99، المرشی: بلغ العربی، فی شرح مکل الحکام ص 27.
(5) علاء الدین: تاريخ الیمن ص 48، تاريخ ابن الماجور: القسم الأول ورقة 98.
(6) تاريخ ابن الماجور: القسم الأول ورقة 99.
تقليد على بن سبأ بن أبي السعد بن زريع الدعوة، ولما علم الرسول أن هذا الرجل قد توفي قلدها آخاه محمد بن سبأ، ولقب بالداعي المعتصم أشهر المتنج المكنى بسيف أمير المؤمنين (1). وقد بلغ من اهتمام الخليفة الحافظ بإقامة الدعوة له أن أرسل في سنة 539 هـ رسولًا من قبل إلى بلاد اليمن يدعى أحمد بن علي بن إبراهيم بن الزبير الغسائي الأصوات ليقوم بنشر دعوته (2).

كان من أثر قيام السيدة الحرة بالدعوة للإمام الطيب دون الخليفة الحافظ والانفراد آل زريع بالدعوة لهذا الخليفة أن أنقسمت إمامة اليمن تبعا لذلك إلى طائفتين: إحداهما تؤيد الدعوة الطيبة وعلى رأسها السيدة الحرة، والأخرى تناصر الخليفة الحافظ يتزعمها آل زريع.

على أن الدعوة الطيبة ما لبث أن ضعفت أثرها بعد وفاة السيدة الحرة سنة 547 هـ. ويرجع السبب في ذلك إلى أنه لم يكن هناك بين الصليحيين شخصية قوية تستطيع أن تخلف هذه السيدة وتسير سيرتها في نشر الدعوة للإمام الطيب؛ فقد زال ملكهم وألّت الحصون والذخائر والأموال التي كانت تحت السيدة الحرة إلى منصور بن المفضل بن أبي البركات الذي عجز عن الاحتفاظ بما انتقل إليه من ملك.

تطلع آل زريع بعد أن توقفت السيدة الحرة إلى سلطانهم على قلاع الصليحيين الذين زالت دولتهم؛ فاستغل الداعي محمد بن سبأ الزريع ضعف المنصور بن المفضل بن أبي البركات الذي آلّت إليه هذه القلاع وابتاعها منه مئات ألف دينار في سنة 547 هـ (4). فقوى نفوذهم تبعا لذلك، وظلوا موالين للخلافة الفاطمية في مصر، يؤدون إليها في كل سنة مبلغًا معينا من المال للإفقار منه على المذهب الإسماعيلي (5).

---
(1) ابن المؤيد اليمني: أئمة الزمن في تاريخ اليمن ص 47.
(2) ابن خلدون: ج 4 ص 219.
(3) الدفوي: الطالع السعيد الجامع لمساء الصعيد ص 5.
(4) المقرزي: خطط 2 ص 174.
(5) تاريخ ابن الجزار: القسم الثاني ورقة 102.
أخذت دولة بني زريع بعدن في الانحلال بعد وفاة محمد بن سبا الزريعي سنة 548؛ وتجلى ضعفها في عهد ابنه عمران الذي استعان بیاسر بن بلال في تدبير أمور دولته، واستمر على ولائه للقواطعین إلى أن توفي سنة 560 هـ، فاستقل بیاسر بالسلطة وزال بذلك ملك بني زريع.

رواية النفوذ القاطعی في اليمن: أصبح النفوذ القطافي في بلاد اليمن مهدداً بالزواو من الذي صالح الدين يوسف بن أيوب مقاليد الأمور في مصر بعد قضاءه على الخليفة القاطعی سنة 577 هـ، فقد تطب في بسط سلطته على البلاد التي كانت تحت السيادة القاطعیة وولي وجهه في بادئ الأمر نحو اليمن، فبعث إليها أخاه الأمير شمس الدولة توران شاه على رأس حملة سنة 569 هـ، وما وصل توران شاه إلى تلك البلاد بدأ عمله بالقضاء على دولة بني مهدی زبيد التي كانت تناصر القاطعین بمصر (1)، فقبض على أمیرها عبد النبی بن مهدی لقطعة الخطبیة العبابیة واستولى على زبيد، ثم فتح صنعاء، وسار إلى عدن حيث أوقع الهزيمة بواليها بیاسر بن بلال وضمها إلى حوزته. وما فغ من أمرها عاد إلى زبيد واستلم قلعة تعز وهى من أحسن القلاع. ولم يزل يتقدم في فتوحه حتى بسط سلطته على معظم بلاد اليمن (2) وتلقب بالملك المعلم، وخطب له بذلك بعد الخليفة المستضيء بأمیر الله العباسي في جميع البلاد التي فتحها (3) وولى سيف الدولة مبارك بن منفذ على زبيد، وعمر الدين عثمان بن الزجبيجل على عدن، كما عين في كل قلعة من قلاع اليمن التي دخلت في حوزته نابیاً من أصحابه، ثم عاد إلى مصر سنة 571 هـ.

وهي كا قاضی على الدعوة القاطعیة ببلاد اليمن، كما رال نفوذ القاطعیومنها، وانتقلت السيادة في تلك البلاد إلى الأیوبیوين الذين حرصوا على إظهار ولائهم للخلفاء العباسيين وأقاموا الخطبیة لهم في جميع البلاد التي تحت سيطرتهم.

---

(1) ابن خلدون: الجزم في الفقهическое في شبه الجزيرة العربية، ص 249.
(2) ذكر المقرزی: السلك لعرفة دول الملوك، ج 1 القسم الأول، ص 53، أن وفاة الملك محمود أن صلحت الدين على فتح بلاد اليمن، رفته في إقامة دولة بها بلغا إلى أنها ما حاول نور الدين محمود أن ينزل مع مصر.
(3) أبو الولدين: النجوم الزاهرة، ج 1، ص 19.
(4) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 11، ص 148-149، المقرزي خطط ج 2، ص 173.
(5) المقرزی: السلك لعرفة دول الملوك، ج 1 القسم الأول، ص 53.
(6) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 11، ص 149.
(7) المرعشی: البلغ المراحم في شرح ملك الخلتم، ص 41.
سياسة الفاطميين في بسط سلطانهم على بلاد الشام

تمهد: الحياة السياسية في بلاد الشام قبل الفتح الفاطمي.

1 - الفتح الفاطمي لبلاد الشام.
2 - الصعوبات التي واجهت الفاطميين في بلاد الشام من ناحيتى القرامطة وأنتكين التركي.
3 - موقف أمراء العرب بالشام من الفاطميين.
   (1) بنو الجراح في فلسطين.
   (ب) الحمدانيون والمراديون في شمال الشام.
4 - ضعف النفوذ الفاطمي في بلاد الشام في أواخر القرن الخامس الهجري.
NYSEH:

الحالة السياسية في بلاد الشام قبل الفتح الغاطسي:

حرص الأخشيديين أثناء ولائهم على مصر على توطيد نفوذهم بولاية
الشام التي تقلدوا حكمها؛ فلما علم MongoDB بن طغج الإخشيدي أن محمد بن
رائق الخرظي، أمير الأمراء في بغداد يطمغ في ولاية الشام، كتب إلى ناهبه ببغداد
يطلب إليه أن يستطلع رأي الخليفة في هذا الأمر. غير أن الخليفة العباسي لم يكن
إذ ذلك لديه من النفوذ بحيث يستطيع أن يتخذ قرارًا يلزم أحد الفريقين باتباعه،
لذلك استقر رأي الإخشيدي على إعداد العدة لممارسة MongoDB بن رائق (1) ، فخرج
على رأس جيشه في أولئك سنة 368 هـ، ودارت بينه وبين ابن رائق معركة في
الرشي؛ فمضى ابن رائق منزهًا إلى الرملة، ثم عقد الصلح بين الفريقين واتفقا
على أن تكون تبرية وما في شمالها من البلاد لمحمد بن رائق (2).

على أن ابن رائق ما لبث أن نقض هذا الصلح، وقصد الرملة في طريقه إلى
مصر. واستنوني القتال بينه وبين الإخشيدي، فلتحقت الهزيمة في بداية الأمر
بالإخشيدي عند الرشي، ثم أرسل الإخشيدي جيشًا لمطاردة ابن رائق؛ غير أنه لم
يتمكن من إجراز النصر عليه. ورأى MongoDB بن رائق رغم ذلك أن يسعى
لمصلحته (3). وانتهى النزاع بينهما بعد أن الصلح على أن يحكم ابن رائق الولايات
الشامية شمالي الرملة، وعلى أن يدفع الإخشيدي إليه جزية سنوية قدرها مائة
أربعون ألف دينار (4). ومن المحتمل أن الإخشيدي اضطر إلى قبول الصلح على

(1) الكندى، الدولة، والقضاء، ص 289.
(2) سيدة كاشف، مصر في عهد الإخشيديين، ص 82. 83.
(3) الزنجر، مصر في عهد الإخشيديين، ص 33.
(4) المعرفي، المواضيع والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج 1، ص 279.
هذه الصورة رغم ما أحرره من نصر خشبة أن تواصل الخلافة العباسية الحملات عليه، ورغبة لإعداد نفسه لدرء الخطر الفاطمي الذي كان يهدده من ناحية حدود مصر الغربية (1).

استطاع الإخضدي أن يبعد بلاد الشام إلى حوزته من غير حرب بعد وفاة ابن راقي؛ وبذلك استقر حكمه في هذه البلاد وأصبح من القوة بحيث استطاع أن يحصل على تقليد في بداية سنة 336 هـ من الخليفة المتقدم بولاية مصر وحق توريث إمارته لأبنائه من بعده، كما أخذ تقليداً من الخليفة المستكفي في جمادى الآخرة من هذه السنة، أقره فيه على ولاية مصر والشام (2).

لم يحتفظ الإخضدي فترة طويلة بسلطاته على جميع بلاد الشام، ويرجع السبب في ذلك إلى تطلع الحمدانيين (3) إلى انتزاع هذه البلاد من أيدي الإخضديين. فلما استبدت ولاية حلب إلى أبي الفتح عثمان بن سعيد الكلابي حقده عليه أهل بيته من الكلابين، وراسلوا سيف الدولة بن حمدان لتسليمها إلى حلب. وكان سيف الدولة قد طلب من أخيه ناصر الدولة أن يولي له إحدى الولايات، فقال له ناصر الدولة: الشام آمامل وما فيه أحد يمنع منه. فلما وقف...

(1) حسن إبراهيم: كتاب تاريخ الإسلام السياسي ص. 88.
(2) الكبدي: الدولة والقضاء ص. 192، سيده الكافش: مصرف في عصر الإخضديين ص 86.
(3) ينسب الحمدانيون إلى حمدان بن حمدان من قبلة تغلب وموتها ديار ربيعة في الجزيرة بالقرب من سنجر ونسبيه. وكان حمدان سنة أرداد هم: إبراهيم والمدينين وأبو الرضا وأبو اليهودية عبد الله، وأبو العلاء عبد، ودوار. وقد ظهر فروض الحمدانيين في الموصل منذ أن تغللت ولاية عبد بن حمدان من قبله الخليفة المستكفي، ونفس السنة، جاء، ص 175. وفيا ولي المقدر الخليفة أردا، فأذلها، فذهب إلى دير السيدة العذراء بديرة الجلجلة، حيث ائتها في المأزق التي ديرت في خلع المقدر، فكان مصيره الفخور (أبو الحسن: النجوم الزاهرة، ج 2 ص 233).

على أن الخليفة المتنور رغم حرص على الاستماع بالحمديان وعلى الأعضاء في إقليم الجلالة لاعتقاد أنه يعتقدون إخراج حركات الطالب من المشهد، وفرج إلى الحسن بن عبد الله بن حمدان ولاية الموصل، وافق استطاع هذا الأمير أن يحتفظ بنفسه في الموصل سنة 317 هـ. كما نحن من بسط سلطاته على جميع أرجاء ديار بكر وديار ربيعة (ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 17، ص 8).

ولما استولى الطريقين على بغداد ودعاها دار الخلافة ضرطر الخليفة المتقى إلى الحرب منها وسار مع فريق من جيشه إلى الموصل، فقذف بها ما يقرب من أربعة أشهر، ثم عاد إلى بغداد في شوال سنة 330، ركلاً منذ ذلك الوقت شاؤ بن حمدان، وخلع المتقى على الحسن بن عبد الله وليبه ناصر الدولة كما خلع على أخيه على بن عبد الله وليبه سيف الدولة (مكوكبة: تجارب الإمام، ج 2، ص 28).
سيف الدولة على الخلافة القائمة بين الكلايين وأيقن من عجز أبي الفتح والي حلب عن مقاومته، سار في جيشه الصغير قاصداً حلب، فقابلته إخوة أبي الفتح الكلايين عند نهر الفرات وأعلنوا ولادهم له، كما أن أبي الفتح نفسه ما لبث أن نقي سيف الدولة ودخل في طاعته، وبذلك تسير سيف الدولة الاستيلاء على حلب وأصبح أميراً عليها منذ سنة 132 هـ، وبدأ عمله بإقامة الخطة للخليفة العباسي المستكفي ولأائه ناصر الدولة ولنفسه.

لما وصل إلى محمد بن طغج الإخشيد نباً دخول سيف الدولة حلب وإقامته الخطة للمخالفة العباسي، كتب إلى الخليفة بذلك، فارسل إليه إلى إبنه أونوجور خلعاً دليلاً على تأييده له. على أن سيف الدولة ما لبث أن كشف عن نواياه بعد أن استقرت له الأمور في حلب، فسار إلى حمص يريد دمشق، وباً بلغ الإخشيد أن سيف الدولة عزم على بسط سلطانه على دمشق، أرسل إلى الشام جيشاً نقيّ بسيف الدولة عند بلدة الرستن؛ فكان النصر لحلف السياسيين، وتقهقر الجيش الإخشيدي إلى دمشق، ثم خرج منها قاصداً الرحلة في طريق عودته إلى مصر، وسار سيف الدولة في أثر الجند المصريين يزيد دمشق، وكتب إلى أهلها كتبان، قرئ على منبر المسجد الأموي. وقد تضمن هذا الكتاب حرصه على صيانة أرواحهم والمحافظة على أموالهم.

استقر رأي محمد بن طغج الإخشيد بعد أن وصلته نسخة من كتاب سيف الدولة على أن يسير بنفسه لمحارته، فاستخلف على مصر إبنه أونوجور وسار على رأس جيش كبير إلى دمشق، وتقى الفريقان في قسنين، وكان النصر في البداية حليف سيف الدولة، غير أن هذا النصر ما لبث أن انقلب إلى هزيمة، فدخل الإخشيد حلب حاضرة الخليفيين واسترد دمشق.

وعلى الرغم من انتصار الإخشيد، فإنه رأى أن يصالح الخليفيين، وتم الصلح بين الأمنيين في ربيع الأول سنة 134 هـ، على أن يكون لسيف الدولة

---
(1) ابن العبد الجليل، ريبة الخليل في تاريخ حلب، ص 365 - 367.
(2) تقع على نهر العاصي الذي يمر بالقرب من حماة.
(3) ابن سعد: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والغرب، ص 41 - 42، مسند كاشف: مصر في عصر الإخشيديين، ص 350.
حبل وما يليها من بلاد الشام شمالاً، وأن يكون للإخشيدي دمشق وأعمالها، كما تضمن الصلح أن يدفع الإخشيدي لسيف الدولة جزية سنوية(1).

ومن المرجح أن الإخشيدي سعى إلى عقد الصلح مع سيف الدولة لأنه كان يعتقد أن انتصاره عليه لم يكن حاسمًا وأن الحرب بينهما ستظل قائمة إلى أن يتم النصر لسيف الدولة، كما أنه كان على يقين من أن النزاع بينه وبين الحمدانيين على الشام سينتهي بانتصارهما عليه، لأن هذا الإقليم يعد المجال الحيوي لاستغلال سلطانهم، وفضلًا على ذلك فإن الإخشيدي كان يرمى من إبرام الصلح مع سيف الدولة على هذه الصورة أن يبقى الدولة الحمدانية حصناً ميعًا بينه وبين البيزنطيين يكفيه مؤونة التعرض لهجومهم من وقت لآخر(2).

لم تلت دمشق من حامية قوية ترد غارة الحمدانيين على أثر وفاة محمد بن طنح الإخشيدي وعدم جنده من الشام إلى مصر، اتنهز هذه الفرصة سيف الدولة الحمداني وأنجح إليها بجيشه، فسقطت في يده بعد أن استسلم إليه حاكمها الإخشيدي، ولم يكف بذلك، بل امتد إلى مطالبة أهلها بدفع الإخشيدي، فكاتبوا كافرون يستدعونه من مصر، فقام به الصليبيون بصدمة سيده أونوجور(3). ثم دار القتال بين الفرنجة، فكان النصر لسيف الصليبيين واتهمهم الفرسان بسف الدولة إلى دمشق فحكم حيث أعاد تنظيم صفوفه، وجمع جيشًا كبيرًا من الأعراب هاجم به الجنود الصليبيين شمالي دمشق، فلحقت به الهزيمة وطارده الإخشيديين إلى حلب، فهرب إلى الرقة، ثم بدأت المفاوضات بين الحمدانيين والإخشيديين، وانتهت إلى عقد معاهدة الصلح بنفس الشروط التي كانت بين محمد الإخشيدي وسيف الدولة(4) ما عدا الجزية، فإن الإخشيديين لم يقبلوا دفعها(5) وكان من نتائج هذا الصلح أن ساد الصفاء بين الحمدانيين والإخشيديين(6).

---

(1) أبو المعاسن: النجوم الزاهرة، ج2 ص 278، 282 - 283.
(2) حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام السياسي، ج1 ص 211.
(3) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج8 ص 151، ابن العبد: زيدة الحلب في تأريخ حلب، ص 371 - 372.
(4) أبو المعاسن: النجوم الزاهرة، ج2 ص 291 - 292.
(5) ابن العبد: زيدة الحلب في تاريخ حلب، ص 373 - 374.
(6) سيده كاشف: مصر في عصر الإخشيديين، ص 354.
لم يكن الحمدانيون هم الذين حاولوا وحدهم إضعاف نفوذ الإخشيديين في بلاد الشام، بل تعرضت هذه البلاد أيضًا لغارات قرامة بلاد البحرين(1)، فقامت في عهد أميرهم أحمد بن أبي سعيد(323-359 هـ) حملتان لغزو بلاد الشام: الأولى في سنة 353 هـ(2) وتعرف بحملة طبرية، وقد تمكن هذه الحملة بمعارنة الحمدانيين من إحراز النصر على الحسن بن عبيد الله بن طهوج الإخشيدي الذي كان يلي هذه البلاد من قبل الإخشيديين(3). أما الحملة الثانية، فأغارت على بلاد الشام سنة 357 هـ وعجز الإخشيديون عن صدها، فسقطت الرملة في أيدى القرامطة، واضطر الحسن بن عبيد الله بن طهوج الإخشيدي إلى الاتفاق معهم على أن يدفع لهم ثلاثمائة ألف دينار كل سنة(4)، وكذلك امتد نفوذ دولة القرامطة إلى بلاد الشام في أواخر عهد الإخشيديين.

---

(1) أسس أبو سعيد الحسن بن بهرام الجلابي دولة القرامطة بلاد البحرين سنة 287. وقد استطاعت هذه الدولة أن تبط نفوذها على كثير من أرجاء جزيرة العرب، كما قامت بها حكومة ملكية وراثية في بيت أبي سعيد (راجع كتاب النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب للمؤلف، ص 21 – 39)

(2) الفرزي، خطط، ج1 ص 329

(3) حسن إبراهيم، طه شرف: كتاب المعر مدين الله الفاطمي، ص 100

(4) الفرزي: احترام الحلف بأعجاب الأئمة الخلفاء، ص 247 – 248

De Coeje: Les cermathes du Bahrian P. 186.
ا- الفتح الفاطمي لبلاد الشام

حرص الفاطميين منذ أقاموا خلافتهم في بلاد المغرب في أواخر القرن الثالث الهجري على تقويض دعائم الخلافة العباسية وانتزاع زعامة الإسلام منها؛ فأرسَل المعز لدين الله الفاطمي إلى قائد جوهر الصقلي قيادة الحملة التي أرسلها إلى مصر سنة 328هـ وَقَد تَكْلَّفت مجهودات جوهر الصقلي في فتح مصر بالنجاح، فَقَأَنِمَت الخطفة للخليفة الفاطمي على منابرها بِدَلاً من الخليفة العباسي، وأصبحت القاهرة بعد أن اتخذها المعز لدين الله حاضرة خلافته سنة 373م مركزًا للدعوة السلمية التي ظل العباسيون يقاومونها زهاء قرنين.

كانت الضرورة السياسية والحرية تقضي على الفاطميين بعد أن تم لهم فتح مصر أن يمروا ووجههم شتر الشام. ولم تخف عن جوهر الصقلي تلك الحقيقة، فعمل على فتح هذه البلاد رغبة في تأمين حدود مصر من ناحية الشمال الشرقي والوقوف في وجه الروم والقرواطة.

وقد تضمن كتاب الأمان الذي أعلنه جوهر للعثمانيين (في شعبان سنة 358هـ) إشراف ظاهرة إلى خطر القرطبة الذين اجتاحت لوادي الشام وَأَوْقَعُوا الْهُزَيْة بِقَوَاتِ الإفْطَائِيْيْنِ سنة 377هـ، وأخذوا يهددون مصر; فقال فيه (1): "وَهُوَ أَنَّهُ صِنَّاعَاتِ الله عَلَيْهِمْ يَمْكُرُونَ حُيْوَضَ مُقَلَّدَةً، كُلَّمَا وَرَدَّ فِي هَذِهِ الأَمَانِ يَوْمَيْنَاءَ، وَلكَمْ عَلَى أَمَانِ اللهِ النَّامِمِ لَهُمْ، الْمَلْكِ الْمُصْلِحُ الْخَالِمُ أَنْ يَقْلِبُوا عَلَى الْأَيَامِ، وَوَكَوْرُ الْأُعَوْمِ يَأْتِيَنَّهُمْ اَلْغَاذِرُ، وَأَسْوَلُوكَمْ وَأَهْلِيُكَمَ. . .وَلَنْ يَأْتِيَ عَلَيْكُمْ مَعْطَرُ، وَلَا يَجْنَبَ عَلَيْكُمْ مَتَجَنِّبٌ، وَلَا يَتَعَلَّبَ عَلَيْكُمْ مَتَعَلَّبٌ، وَلَا يَنْكَحُ تَصَانُوْنَ وَتُطَفَّرُونَ وَيَبْدُ عَنْكُمْ وَيَنْبِعَ منْكُمْ، فَلَا يَتَخَرَّسَ إِلَى أَذَاكَمْ، وَلَا يَسَلَعَ أَحَدٌ فِي الْاَعْتِدَاءِ عَلَيْكُمْ."

لما تم جوهر الصقلي فتح مصر وأيقن أن الفتوح الفاطمي قد توطد فيها، أرسل حملة إلى فلسطين أسند قيادتها إلى جعفر بن فلاح الكتامي في أواخر سنة 359هـ (2)، فرأى الإفطائيون في الشام بعد أن وصلتهم أنباء هذه الحملة أن

(1) المفرقى: انظار الحفاظ، ص 148، 151 - 152
(2) المفرقى: انظار الحفاظ، ص 168
يعدوا أنفسهم لصددها، فخرج الحسن بن عبيد الله بن طنق الإخشيدي الذي كان ينزل بلاد الشام. إذ ذاك من مدينة دمشق قاصداً الرملة واستخفف شمولاً الإخشيدي على دمشق؛ على أن هذا الوالي لم يكن مخلصاً للحسن بن عبيد الله، فتقاعد عن نصرته.

لما وصل جعفر بن فلاح إلى الرملة، دعا وأتاه الشام إلى طاعة المغز لدين الله الخليفة الفاطمي بلاد المغرب فأجاب دعوته فريق منهم. أما الحسن بن عبيد الله بن طنق الإخشيدي فإنه استنجد بعماله على دمشق وطبرية فلم يستعمر أحد منهم إلى نجدته، وانتهت الحرب التي دارت بين جعفر بن فلاح والحسن بن عبيد الله في الرملة بهزيمة الحسن وأسره مع كثير من جنده؛ ثم سبق إلى الفسطاط حيث أرسل إلى بلاد المغرب، فظل بها حتى توفي سنة 371 هـ في خلافة العزيز بالله.

استنف جعفر بن فلاح السير إلى طرفة بعد انتصاره في الرملة فبنى قصرًا على الجسر الذي يشرف على المدينة ليحارب فاتك - غلام ملهم، وكان بلي أمرها من قبل كافور الإخشيدي، فخافه كل من فاتاك وملهم ولم يتعرض له؛ وبذلك تيسر لجعفر دخول طبرية دون أن يلقى مقاومة تذكر من أهلها.

لما وصل إلى أهل دمشق نبا استيلاء جعفر على طبرية خشواً به، وأرسلوا إليه جماعة من كبار رجالهم، يطلبون الأمان، لكنه لم يحسن استقبالهم، فأعادوا إلى دمشق ودارت رحى الحرب بين جنود جعفر وأهالي هذه المدينة في أواخر سنة 359 هـ. وعلى الرغم من أن أهالي دمشق استعمروا بمعارضته جنود الإخشيدين الوقوف بضعة أيام في وجه جعفر بن فلاح وجنده من الخوارج والقبائل العربية بالشام التي انتسبت إليه، فإن الهزيمة حلت بهم واستولى جعفر على دمشق.

لما رآى أهالي دمشق ما حل بجندهم من الهزيمة وعجزهم عن الوقوف في وجه الفاطميين، نبوا بعض رجالهم للقاء جعفر، وطلبوا إليه إصلاح حال مديتهم، وإعادتها إلى ما كانت عليه، فقبض عليهم بعض جنده من الخوارج وسلبهما ثيابهم، وكان لهذا العمل أسوأ الأثر في نفوس أهالي دمشق.

(1) المفرز: اتعاظ الحنفية، ص 171، حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام السياسي ج3 ص 254.
(2) المفرز: اتعاظ الحنفية، ص 172 - 175.
على أن جعفر لم يلبث أن أخذ هذه الفتنة واضطر أهالي دمشق إلى مقابلته لطلب الأمان، وما زالوا يتضرعون إليه حتى قال: ما أعفو عنكم حتى تخرجوا إلى ومعكم نساوكم مكتوفين الشعر، فيتمغرن في التراب بين بدى لطلب العفو، قالوا له: َتفعل ما يقول القائد، وأخذوا يلبون عليه بالرجاء لعله يعفو عنهم، فهذا ثائرتهم وابتسم معهم في الكلام، واستقررت الرأي بينه وبينهم على أن يصلي هو ورجاله يوم الجمعة في مسجد دمشق، فدخل المسجد هو وأصحابه، وأقيمت في هذا اليوم الخطبة للخليفة الفاطمي المعز لدين الله، وحذف اسم الخليفة العباسي المطيع. وكان ذلك في المحرم سنة 130 هـ.

لم تكد تستقر الأمور في دمشق حتى عاد جنود جعفر إلى العبث بالنظام فانهتموا قرحة بعض المنازل وسلبوا ما فيها. وكان ذلك مما حمل أهل دمشق على مقاتلتهم، واضطر شيوع هذه المدينة إلى مقابلة جعفر لطلب الأمان من جديد، فقال لهم: َدخل رجال أمير المؤمنين للصلاة فقتلوهم، ثم هددهم باستعمال العنف، فأخذوا يهددون من روعة حتى وسعوا بالعنف إذا دفعوا دين من من قتل من جنوده، فأجابوه إلى طلب وقدموا له الأموال الكثيرة.

ما رأى جعفر بن فلاح أنه لن يستطيع توطيد سلطان الفاطميين في دمشق إلا بالقضاء على زعماء الفتنة من أهلها، أرسل جنده في طلبهم، وعندما تمكنوا من القبض عليهم، أمر جعفر بضرب أعناقهم. وكان من بينهم إسحاق بن عصودا، ولم ينج منهم إلا أبو القاسم بن أبي يعلى العباسي ومحمد بن عصودا. وقد حاول ابن أبي يعلى الهرب من بغداد، فقبض عليه عند تمر، وسقى إلى جعفر ابن فلاح حيث شره به ثم أرسل إلى مصر. أما محمد بن عصودا وظلام بن موهوب العقلي والى حوران من قبل الإخشيديين فلحقا بالقرومات في الأحساء.

على الرغم من أن جعفر بن فلاح خالفه النصر في بلاد الشام، فإن سياسة العنف التي اتبعها في دمشق وإساءة جنده معاملة الأهلين، واستهترهم بأرواحهم، أثارت سخط الناس عليه، فذكر أهل دمشق المؤمرات لإقصاء هذا القائد والقضاء عليه والتخلص من حكم الفاطميين الذين يخلفونهم في المذهب الديني.

(1) المفرزي: اتعاظ الخلفاء، ص 176.
(2) المفرزي: اتعاظ الخلفاء، ص 176 - 177.
لم يؤد استيلاء قوات جعفر بن فلاح على دمشق إلى بسط سلطان الفاطميين على جميع أرجاء بلاد الشام. فكان هناك الحمدانيون في حلب - وقد بدأ إليه كثير من أنصار الحسن البصيري - كما أن الروم كانوا يهودون من حين لآخر المدن الشمالية والساحلية بلاد الشام، كذلك كان لقرامطة بلاد البحرين بعض النفوذ في هذه البلاد منذ أغاروا عليها سنة 357 هـ.

على أن الحمدانيين لم يكونوا في ذلك الوقت من القوة بحيث يستطيعون متناولة الفاطميين والوقوف في وجههم، فقد أخذت دولتهم في الضعف منذ وفاة سيف الدولة سنة 356 هـ. أما الروم. فقد تمكن الحمدانيون في النصف الأول من القرن الرابع الهجري بصد غاراتهم، ولولا الجهد الذي بذله في هذا السبيل لاستولوا على بلاد الشام في غفلة العباسيين.

ولما اعتهل نيقفور فوكاس (Nicephorus Phocas) (963 - 969 م) تقدم الروم إلى حدود سوريا الشمالية، فاستولى جيشه سنة 358 هـ (969 م) على أنطاكية التي كان يطمغ إليها زمن طويل لأنها كانت مدينة البطراء والقصيسين. لذلك اعتبرت منافسة لبيزنطة من الناحية الدينية. وبعد احتلال أنطاكية بمدة وجيزة حاصر قائد نيقفور مدينة حلب واضطر قرعويه الذي كان إذ ذاك قد ثار على سعد الدولة من سيف الدولة الحمداني إلى عقد صلح مهين مع البيزنطيين (1) سنة 359 هـ (970 م).

رأى جعفر بن فلاح بعد أن استقرت له الأمور بلاد الشام، أن استيلاء الروم على أنطاكية يهدد الحكم الفاطمي في هذه البلاد، ومن ثم أخذ في تهيئ جيش كبير ضم إليه جنودًا من أعمال دمشق وفلسطين؛ وصار يرسل الحملة بعد الحملة إلى أنطاكية لإجلاء الروم عنها، لكن هذه الحملات منيت بالفشل (2).

كذلك واجه جعفر بن فلاح خطر قرامة بلاد البحرين الذي بعد من أشد الأخطار التي هددت الحكم الفاطمي في بلاد الشام. وكان هؤلاء القرامطة يرمون

---

(1) حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام السياسي، ج1، ص 213
(2) المرزي: اتعاظ الحفاف، ص 177 – 178
(3) Hitti. History of the Arabs p. 460
إلى بسط نفوذهم على هذه البلاد، وتجلت أطماعهم فيها في عهد أميرهم أحمد
ابن أبي سعيد حيث فرضوا منذ سنة 37 هـ على الإخشديبين الذين كانوا يلون
بعض مدن الشام إتاوة يؤدونها إلى حكومتهم كل سنة(1). وإذا أمعنا النظر في
الظروف التي فرضت فيها هذه الإتاوة لاتضح لنا مدى حرص القرامطة على
الاحتفاظ بسيادتهم على بلاد الشام.

(1) المرزوق. تعاون الخنافس، ص 247.
الصعوبات التي واجهت الفاطميين في بلاد الشام

(1) قرامة بلاد البحرين: بدأ النزاع بين قرامة بلاد البحرين والفاطميين منذ استولى الجيش الفاطميت بقيادة جعفر بن فلاح على دمشق؛ فقد طالب الحسن بن أحمد بن أبي سعيد الملقب بالأعصم الذي ولى إمارة القرامة سنة 259 هـ بالإثارة التي كان يدفعها الإخشيديون لحكمته. لكن جعفر بن فلاح رفض أداء هذه الإثارة إليه (1). وكان لهذه السياسة أسوأ الأثر في نفس الحسن بن أحمد الذي رأى أن سيادة دولة قد قضى عليها الفاطميين، هذا بالإضافة إلى حرم حكومته من ضربة كبيرة كانت تؤدي إليها; ومن ثم بدأ يناسبهم العداء، واتبع سياسة جديدة إزاء الفاطميين تخالف سياسة من سبقه من أمراء القرامة.

استقر رأى الحسن بن أحمد على أن يعد نفسه محاربًا للقوات الفاطمية بلاد الشام وإجلائها عن هذه البلاد، فبعث إلى المطع العمالي وعزم الدولة بختيار أمير بني بويه في العراق سنة 360 هـ، يطلب منهم أن يبدأوا بالمال والرجال ليتسنى له استرداد بلاد الشام ومصر من الفاطميين على أن يتولى حكم هذه البلاد من قبل العباسيين (2).

ولا كان البويهيون يستأثرون إذ ذاك بالسلطة في بغداد دون الخليفة العباسي، لذلك رأوا في امتداد نفوذ الفاطميين إلى بلاد الشام ما يعرض سلطاتهم في العراق للضعف والزوال، ومن ثم رحب عز الدولة بختيار بدد القرامة بالسلاح والمال لمانعهم على الوقوف في وجه الفاطميين، فأرسل إليهم - كما قال ابنفلانس (3) - "ألف ألف درهم، وألف جوسن، وألف سيف، وألف رمح، وألف قوس، وألف جعبة، وقال: إذا وصل الحسن أبو علي الجنبى إلى الكوفة حمل إليه جميع ذلك.

(1) ابن خلدون: الغبر وديوان البندق والخرب، ج1، ص 90.
(2) أبو المحاسن: التحرج الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج1، ص 74.
(3) ذي تاریخ دمشق، ص 1.
لذلك طلب عز الدولة بختيار إلى الحمدانيين بالموصل إمداد الحسن بن أحمد زعيم القرامطة بالأموال، فلقي هذا الطلب قبولًا منهم رغبة في وقف الزحف القرامطة. وبلغ من اهتمام عز الدولة بختياره إلى المساعدة إلى القرامطة أن أرسل إلى أبي تغلب بن ناصر الدولة بن حمدان، يطلب منه أن يؤدى إلى الحسن بن أحمد مبلغًا قدره أربعمائة ألف درهم. وفي ذلك يقول النويري(١):

"دكتب له على أبي تغلب بن ناصر الدولة بن حمدان أربعمائة ألف درهم، فرحل الحسن (ابن أحمد) من الكوفة حتى أتى الرحبة، وعليها أبو تغلب بن حمدان، فحمل إليه المال المسبب له، وحمل إليه العلوفة." 

لم تقتصر معاونة أبي تغلب بن ناصر الدولة للحسن بن أحمد على مدة بالأموال، بل أمده أيضا بقوة من الرجال قوامها الإخشيدي الذين وفدوا إليه فاراً مما حط بهم في مصر وفلسطين على يد جند النفاطمة من المغاربة(٢). وكان لانضواء فريق من العقليين برعاية ظالم بن موهوب تحت لواء الحسن بن أحمد أكثر كبير في ازدحام قوات وإحراره النصر على خصمه(٣).

لمأت الحسن بن أحمد إعداد جيهشه، وسار متجها إلى دمشق سنة ٥٥٢ هـ ليقضي على نفوذ الفاطميين في بلاد الشام، وكان جنوده يحملون الأعلام السود وقد كتب عليها اسم المطيع عبد الكريم، وتحت "السادة الراجون إلى الحق(٤)" مما يثبت لنا انخيار القرامطة إلى العباسيين وانصرفهم عن الدعوة الإسماعيلية التي كانت من أهم دعائم دولتهم في بلاد البحرين.

أما جعفر بن فلاح فإنه بعث في طلب الحملة التي أرسلها إلى أنطاكية لإجلاء الروم عنها(٥)، وأخذ في التأهب لصد قوات الحسن بن أحمد، لكنه رغم ذلك لم يكن يتوقع أن يهاجمه القرامطة بقوات ضخمة، وسرعان ما اشتبكت هذه القوات مع جعفر بن فلاح في ناحية الدكة على مقرة من دمشق، حيث دارت

---

(١) المقرئي: اتصال الحفاظ، ص ١٧٨.
(٢) المقرئي: اتصال الحفاظ، ص ١٦٨.
(٣) حسن إبراهيم وله شرف: كتاب المز للدين الله، ص ٩٠.
(٤) أبو العباس: التحور الجزيرة. ج ٤، ص ٧٤.
(٥) المقرئي: اتصال الحفاظ، ص ١٧٨.
معركة انتهى الأمر فيها بهزيمة جعفر وقتله هو و كثير من أتباعه سنة 36 هـ.
و بذلك تم انتهاء الحسن بن أحمد من الاستيلاء على دمشق.

على أن هذه الهزيمة التي حلت بالجيش الفاطمی في بلاد الشام، ترجع على الأغلب إلى عدم إعداد جعفر بن فلاح القوات الكافية لصد القرامطة الذين عولما على غزو هذه البلاد لاستعادة سلطانهم عليها. وكان يحسن وجعفر بن فلاح أن يبعث إلى جوهر الصقلي في مصر ليرسل إليه نجدة تعاونه في توطيد الحكم الفاطمي في بلاد الشام. يقول المقرئي (1): "فلما صارت الشام له (جعفر بن فلاح) شمعت نفسه عن مكتبة جوهر، فأنذر كتبه من دمشق إلى المعز وهو بالغرب سراً من جوهر، يذكر فيها طاعته، ويقع في جوهر، ويصف ما فتح الله للمعز على يده، فغضب المعز لذلك، ورد كتبه كما هي مختومة. وكتب إليه: قد اخطأت الرأى لنفسك، كأن وقفنا جوهر، فاكتبه إلى، فما وصل منك إلى يده قرأها ولا تتجاوز بعد، فلستا نفعل لك ذلك على الرجاء الذي أردته، وإن كنت أهله عندنا، ولكنك تستفسد جوهرًا مع طاعته لنا. فزارد غضب جعفر بن فلاح، وانتكشف ذلك جوهر، فلم يبعث ابن فلاح بشيء من أمره إلى أن قدم عليه الحسن بن أحمد القرمطي.

رأى الحسن بن أحمد بعد أن دخلت قواته بلاد الشام أن ينهي سياسة تنطوي على الرغبة في التوادد إلى أهل هذه البلاد، واكتساب ولائهم، فأمان أهالي دمشق بعد أن تم له فتحها، كما أقام الدعوة في مسامحة للخلفية العباسي، وأمر بحذف اسم الخلفية الفاطمية من الخطب. وقد لقي عمله هذا ترحيبًا من أهالي هذه المدينة، ويرجع السبب في ذلك إلى أنه كان أحد من السنين المتطورين في عداتهم للشيعة والعلويين.

واصل الحسن بن أحمد سيرته إلى الرملة بعد فتحه دمشق ليقضي عليه ما بقي للجيش الفاطمي من سلطان بلاد الشام، وكان يرى هذه المدينة سعادة بن حيán المجري، فلم يعلم بسيير القرامطة إليها اضطر إلى الرحل عنها والفرار إلى يافا فتم تم بذلك السبيل لدخولهم الرملة (2)، وأصبحت معظم بلاد الشام في يدهم.

(1) خطط، ج1 ص 378.
(2) اتحاف الخيفة، ص 179.
وأقيمت فيها الدعوة للخليفة العباسي، يقول القرطبي: »وأقام القرامطة الدعوة للمطاعم بالله العباسي في كل بلد فتحوه وسودوا أعلامهم، وأظهروا أنهم كأمراء النواحي الذين من قبل الخليفة العباسي«.

ولما تم للحسن بن أحمد الاستيلاء على كثير من مدن الشام، رحفت جيوشه إلى مصر في أواخر سنة 360 هـ، فهاجمت مدينة القاهرة وتمكن من دخولها وأسر واليها الإخشيدي عبد العزيز بن يوسف، ولم تثبت أن تابعت سيرها في الأراضي المصرية في أواخر سنة 361 هـ، فاستولت على عين شمس، ثم تقدمت إلى القاهرة.

تأهب القائد الفاطمي جوهر الصقلي لصد رحف القرامطة منذ أربعما المسر إلى مصر، فأعد جيشاً قوامه المغارية والصبريون، كما حصن القاهرة بحلف من حفره حولها(1). فلما هدد القرامطة هذه المدينة في ربيع الأول سنة 361 هـ، أبدى الجنود الصبريون الذين انضموا إلى جيش جوهر شجاعة فائقة استعمرت أتباع المؤرخين(2)، فتمكنوا من الوقوف في وجههم، وتقهقر الحسن بن أحمد بجنده ورحل إلى الأحساء(3)، وقد علق المقرئي(4) على هذه الهزيمة التي حلت بالقرامطة بقوله: »ولم يتفق على القرامطة منذ ابتداء أمرهم كسرة أتتبع من هذه الكسرة، وفيها فارقهم من كان قد اجتمع إليهم من الكافوري والنخشيدية، فقضى جوهر على نحو الألف منهم«.

ظل القرامطة قوة يخشى بأسها رغم انسحاب قواتهم في مصر في ربيع الأول سنة 361 هـ، وقد انتهى جوهر الصقلي فرصة رحيل الحسن بن أحمد إلى الأحساء، فأعاد جيشاً إلى يافا تمكّن من إعادته إلى حوراء الفاطميين. على أن الحسن بن أحمد لم يبت بعد عودته إلى دمشق أن وجه اهتمامه إلى استرداد نفوذه ببلاد الشام، ثم أخذ في التأهب للسفر إلى مصر، فأعد حملة بحرية أرسلها إلى تنيس وسواحل مصر، كما جهّز جيشاً ضم إليه عدداً كبيراً من العرب(5).

---

(1) المقرئي: خطط، جـ 2 ص 127 - 128.
Stanley Lane-Poole, A History of Egypt in the Middle Ages. p.107.
(2) المقرئي: الفتحات، ص 25.
(3) المقرئي: خطط، جـ 1 ص 128.
(4) خطط، جـ 1 ص 128.
(5) المقرئي: الفتحات، ص 25.
لما قدم العز لedin الله الفاطمي من المغرب إلى مصر سنة 362ه واتخذ القاهرة حاضرة خلافته، وجه سياسته إلى مناهضة نفوذ القرامطة حتى يتيش له توطيد أركان دولته في مصر والشام، فرأى أن يبعث إلى الحسن بن أحمد بكتاب قبل أن يشتبك معه في الحرب على أنه ينفع في إثارة الساخطين من القرامطة عليه، وحمله على العدول عن موقفه العدواني من الفاطميين.

وقد أشار المعز في هذا الكتاب(1) إلى ما عرف عن القرامطة من حرص على التوأد إلى الفاطميين، كما أخذ على الحسن بن أحمد خروجه على هذه السياسة التي اتبعتها أسلافه من أمراء القرامطة ببلاد البحرين، فقال: ؛فأما أنت الغادر الحائط، الناكث البائس، على مدى بائسه وأجداده، المسلمون من ذمة أسلافه وأجداده، والموقد لغار الفتنة، والخارج عن الجماعة والناس، فلم أدع أمرك، ولا خفف عن خبرك. أما كان لك بجدرن أبي سعيد أسوة، وجعله على طائر قوة؟! اما نظرت في كتبهم وأخرجوا لهم، ولا قرأت وصاياه وأشعارهم؟ أنت غالبًا على ديارهم وما كان من مأثورهم؟ ألم تعلم أنهم كانوا عبادًا لنا واسله وعزم شديد وأمر رشيد وفعل حميد، يفيض إليهم موادنا، وينشر على بركاتنا، حتى ظهروا على الأعمال ودان لهم كل أمر ووال، ولقبنا بالسادة فسادوا، مرة منا واسمه من أسمايتنا، فعلت أسماؤهم واستعملت همهم، ورأست عزمهم، فسارت إليهم وقود الآفاق وامتدت نحوهم الأهداف، وخطبت لهبتمر الأعناق، وخففت منهم الفساد والعناد، وأن يكون لنا العباسي أضداد؛ فبعثت الجيوش وسائرهم كل خمسة بالرجال المتخبز، والعدد المهذبة، والمساكن المركبة، فلم يلقهم خشة إلا كسروا، ولا رئيسي إلا أرسلوا، ولا عسكر إلا كسروا، وأخذنا ترقمهم، ونصرنا يحقهم، كما قال الله عز وجل (إنانا لنتصني رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا)، (وإن جندا لهم الغاليون)، (وإن حزنين لهم المنصورون).

فلم يزل ذلك دأبهم، وعين الله ترميهم، إلى أن اختار لهم ما اختاروه من نقلهم من دار القباء إلى دار البقاء، ومن نعيم يزول إلى نعيم لا يزول، فعاشوا محمودين، وانتقلوا مفوقين، إلى روح وريحان وجنات النعم، فطوبى لهم وحسن مآب.

(1) المقرر: اتباع الحنفية، ص 268 ـ 265.
وقد وضح المعز أيضاً في كتابه مدى انتشار الدعوة الفاطمية في كثير من أرجاء العالم الإسلامي، واعاد على الحسن بن أحمد انصرافه عنها؛ فقال: "ومن هذا، فإما من جزيرة في الأرض ولا إقليم إلا ولنا فيه حجج ودعات يدعون إليها، ويدلون علينا، ويأخذون بيعتنا، ويذرون رجعتنا، ويتضرون علمنا، ويندرون بآينا، ويبشرون بآمينا، بتصاريف اللغات واختلاف الألسن، وفي كل جزيرة وإقليم رجال منهم يفقهون، وعثمان يأخذون، وهو يقول الله عز وجل: (وأرسلنا من رسول إلا سباع من قومه ليبيهم ولهم). وأثبت عارف بذلك، فيا أيها الناس الحانت ما الذي أردنا وصدروا؟ أشيء شككت فيه، أم أمر استبرت به، أم كنت خليا من الحكمه، وخارجا عن الكلمة، فأراكم وصديق، وعن السبيل رداك؟ إن هى إلا فتنة لكم ومتمايع إلى حين، وأبي الله لقد كان الأعلى جدك، والأفع لقدرك، والأفضل لمجدك، والأروع لونفك، والانفر لعودك، والأنس لعذرك، الكشف عن أحوال سلكك. وإن خفيت عليك، والقفو لأثارهم، وإن عمت لديرك، لتجرى على سنهم وتدخل في زمهم، وتسلك في مذهبهم.

كذلك أظهر المعز في كتابه استياءه من إقامة الحسن بن أحمد الدعوة لبني العباس، مع ما أصابها من وهن وضعف. فقال: "لم تقفع في انتكاسك، وترديتك في انتكاسك، وارتباكك وانتعاسك، من خلافات الآباء وميشيك الفقهرى، والنكوص على الأعقاب، والتمسية بالألباب، بين الاسم الفسوق بعد الإيمان، وعصبانك مولاك، وجدوك ولاك، حتى اقنعت على الأديان، وتحملت عظيم الأوزار، لتقيق دعوة قد درست، ودولة قد طمست، إنك لم فين الغارين، وإنك ليخ ضلال مبين. أم تريد أن ترد القرون السالفة، والأشخاص الغازرة. أما علمت أن المطبع آخر ولد العباس، وأخر المتناسق في الناس، أم تراهم (كانهم أبصار نخل خاوية، فهل ترى لهم من باقيا) ختم والله الحساب. وطوى الكتاب. وعاد الأمر إلى أهله، والزمان إلى أوله. وأرتفت الأزفة، ووقعت الواقعة، وفرعت القارعة، وطلعت الشمس من مغربها، والآية من وطتها. وجيء بالملاكاة والنبيين، وخسر هنالك البطلون، هنالك الولاية لله الحق، والملك لله الواحد القهار، فله الأمر من قبل ومن بعد".
للمعز في كتابه أن يلزم الخمس بن أحمد على حشده القوى لغزو بلاد الشام، وقتله جعفر بن فلاح قائد الجيش الفاطمي و كثيرا من جنده. كما عدد له الأحداث التي ارتكبها أثناء هجومه على هذه البلاد من استباحته الأموات وسبيه النساء. فقال: "لم يكسب ذلك - بثلاثة وترابط شقيق - حتى جمعت أرجاسك وأجساحك، وحشدت أواباشك وأقلاصك(1)، وسرت قاصداً إلى دمشق، وبها جعفر بن فلاحة في فئة قليلة من كتامة وزويلة، فقتلهن وقتلتهما جزاء على الله ورداً لأمره - واستباحتهم أموالهم، وسببت نساءهم وليس بينك ولا بينهم تره ولا ثائر، ولا حقد ولا أضرار، فعل بين الأصفر والتك والخزر. ثم سرت أمامك ولم ترجع، يقتضى على كفرك ولم تقع، حتى أتبت الرملة وفيها سعادته بن حيان في زرعة بليلة وفقراء بيسرة، فاعتززك عنكم إلى يافاً، مستقيناً شرك، وتاركا حربك. فلما نزول ما كنت على تكاثك واصبحنا، وغادروا وراحنا. تقمع لهم بكل مغعد، وتأخذ عليهم بكل مرصد، وتقصدهم بكل مقصد، كأنهم ترك وروم وخرد. لا ينهاك عن سفك الدماء دين ولا يردعك عهد ولا يقيك.

وفي نهاية الكتبة عرف المصلى على الحسن بن أحمد ثلاث خصال ليختار منها واحدة يعمل على تحقيقها، وهدهد بسوء العاقبة. فقال: فنحن موضعون ثلاث خصال والرابعة أردي لك. وأنتي ليلاك. وما أحبك تحصل إلا عليها - فاختر: إما قدنت نفسك جعفر بن فلاح وأتباعك بأنفس المستشدهين معه بدمشق والرملة من رجال سعادته بن حيان. ورد جميع ما كان لهم من رجال وكرام ومعت إلى آخر حبة من عسال ناقة وخطم بيعر - وهي أسهل ما يرد عليك - وأما أن تردهم أحياء في صورهم واعيانهم وأموالهم وأحوالهم - ولا سبيل لك إلى ذلك ولا اعتبار - وإما سرت ومن معك بغير ذام ولا أمان فأحكم فليك وفيهم بما حكمت، وأجربيك على إحدى ثلاث: إما قصاص، وإما لنا يعد، وإما فداء؟ فعسى أن يكون تحصيماً لذنبك وإقالة لعشرتك - وإن أبنت إلا فعل الله: (فأخروج منها فين فائق جرم، وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين). أخرج منها فما يكون لك أن تترب فيها، وقيل احتسبوا فيها ولا تكلمون، فما أنت إلا كشجرة

(1) مما خرج من الخلق وما الفجر (حاشية رقم 314 - كتاب المعز لدين الله).
خيبة اجتذب من فوق الأرض ما لها من قرار. فلا سماه تطلوك ولا أرض تقللك، ولا ليل ينجل، ولا نهار يكش، ولا علم يسترك ولا فئة تنصرف.

لم يعد الحسن بن أحمد - بعد أن وصل كتاب العز - عن سياسته التي تنور على مناهضة النفوذ الفاطميين، بل أظهر عدم اكتشائه بتهديد العز له، وأساء في ردته، فكتب إليه: "وصول كتابك الذي قل تفصيله وكثر تقسيمه ونحن سائرن إليك على الرهط السلام (1)). ثم رحف إلى مصر سنة 362 هـ (974 م) وتوقفت جنوده في الأراضي المصرية، كما تقدمت القوة الرئيسية نحو القاهرة وعسكرت بالقرب من الخندق الذي حفره جوهر، و لما علم العز بن بيا وصوله، فهاك كثرة قواته، فاعتبر على أهل الرأي من نصحائه بالمسى في تفريق كلاهم، فعمد إلى استعمال حسان بن الجراح الطائي رئيس جند الحرب الذين بدون أقوى عناصر جيش الحسن بن أحمد. واتفق معه على أن يدفع إليه مائة ألف دينار على أن يظهر بهزيمة أمام جند الفاطميين (2). وكان هذا المبلغ كافياً لحمل بني طيء على الانسحاب من حليفهم الحسن بن أحمد، فلا دارت الحرب بين الفريقين، تقهقر حسان بن الجراح أمام قوات العز، فاذا ذلك إلى هزيمة الحسن بن أحمد وارتداده إلى الشام (3). وأسر الفاطميون نحو ألف وخمسمائة من القرامطة.

وقد رأى العز رغم نجاح قواته في قد هجمات القرامطة عن مصر أن ينفذ حملته بقيادة أبي محمود بن جعفر بن فلاح لمطاردة جيش القرامطة في الشام، حتى لا يعاود المسير إلى مصر، فلحقت بهم في أذرعات (4). أما الحسن بن أحمد فإنه بعد أن وصل إلى دمشق، ترك بها أبا المنجا القرمطي واليا عليها من قبله ورحل مع بعض رجائه إلى الأحساء (5).

اتهمت سياسة المعز بعد أن عجز الحسن بن أحمد عن الاستيلاء على مدينة القاهرة للسمرة الثانية واضطراره إلى التقهقر بجيوشه إلى القضاء على ما بقي

(1) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج8، ص211.
(2) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج8، ص211.
(3) التبريزي: نهاية الأرب، ج3، 970، ورقة 97.
(4) أذرعات: مدينة بأطراف الشام قبل الهجر.
(5) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج8، ص211.
للقرامطة من نفوذ بلاد الشام، وتحقيقاً لهذا الغرض، رأى أن يستعين ببني الجراح من بني طيئ على استرداد هذه البلاد، كما قرب إليه ظالم بن موهوب العقيلي بعد انصرفه عن تأييد الحسن بن أحمد، وأسند إلى ولاية دمشق (رمضان سنة 332 هـ)؛ فقبض على وإليها أبي المنجا القرمطي وعلى كثير من أتباعه القرامطة، وبذلك تم استعادة سلطان الفاطميين على بلاد الشام (1).

لم تستقر الأمور في دمشق بتقلد ظالم بن موهوب العقيلي ولايتها؛ فقد أرسل المعز جيشاً من المغارة بقيادة أبي محمود بن جعفر لياوئه في المحافظة على الأمن، ولصد القرامطة إذا ما حاولوا العودة إلى بلاد الشام، ولكن هؤلاء المغارة ما لبثوا أن انصرفوا إلى البصرة، وقطع الطريق، مما أدى إلى تدمر أهالي دمشق واشتباقهم مع جند الفاطميين في بعض المعارك. ولا شك أن هذه الأحداث تعد من أكبر الصعاب التي واجهت ظالم بن موهوب، فاضطر إلى الخروج بنفسه لإخماد حركات المغارة. يقول ابن القلاسي (2): "فقلما شاهد (ظالم بن موهوب) انهزام الناس والمغارة في أثرهم، استدعى رميه وعبر الجسر ومعه فرقة من أصحابه وحمل على أوائل المغارة، فردهم عن أحداث البلدة. أمر أن يدفع إلى موهوب لم يحظ برضاء أي فريق من الفيروز المتنازعين بدمشق، وما لبث أن عزل في ربيع الآخر سنة 342 هـ وخلفه جيش بن الصمصامة الذي اشترك مع ابن أخيه القائد أبي محمود بن جعفر في إدارة أمور دمشق (3).

لم تتمتع دمشق طولاً بالهدوء مما ساعد على عدم استقرار الحكم الفاطمي فيها، فقامت الفتنة من جديد بين أهل هذه المدينة وجنده المغارة، ونتج عنها إثارة الاضطراب بين الناس، وتخريب المنازل وإغلاق الطرق ووقف حركة البيع والشراء، كما توقف كثير من القراء على قارعة الطريق بسبب الجوع والبرد. لما وصل إلى المعز لدين الله نباً الاضطراب الذي حدث بدمشق، ثبت لديه أن هناك صعوبات تواجه حكمه في بلاد الشام، ومن ثم عول على إقرار النظام

(1) ابن خلدون: ج1، ص90.
(2) ذيال تاريخ دمشق: ص 109.
(3) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج8، ص 211 - 212.
فيها، فبعث في طلب ريان الخادم وإليه على طرابلس وعهد إليه بدراسة الحالة في دمشق، وقع الفن إلى ثارت بين أهالي هذه المدينة وبين جند المغارة، كما قلده ولائتها بعد عزل القائد أبي محمد بن جعفر الذي سار في جماعة قليلاً من العسكر إلى الرملة(1). وقد ذل ريان الخادم جهده في تهدئة الحالة في دمشق والتوافق بين أهلها وجدل المغارة.

(ب) حركة أفتكين الكرجي: أدت الاضطرابات التي سادت مدينة دمشق في أواخر عهد المعز إلى إضعاف الحكم الفاطمي فيها. وقد مهدت هذه الحالة السبيل لدخول فريق من الأتراك بزعامة أفتكين(2) بلاد الشام واستقرارهم بها. وبذلك واجه الفاطميين عناصرًا جديدة لعب دوراً هاماً في مناهضة نفوذهم في هذه البلاد.

سأر أفتكين الكرجي من بغداد قد قادا بلاد الشام مع فريق من جنده بعد انهزامه في المعركة التي دارت بين الأتراك والمسلمين، فخرج إليه ظالم بن موهوب العقيلين من بعلبك ليحول دون تقدمه في هذه البلاد، وأرسل إلى القائد أبي محمد بن جعفر أمير دمشق يخبره بقدوم أفتكين الكرجي وأنه يزعم السيير إلى دمشق لإقامة الخليفة الخليفة العباسي، وحذره منه، فانتفد إليه جيشا ليعاونه في محاربه.

على أن أفتكين ما لبث أن استنجد بالحمداويين في حلب، فأعده سعد الدولة أبو العلا بن سيف الدولة الحمداني (637-687هـ) بجند كسير، واستقبله في حمص بالحفاوة والتكريم؛ واضطر ظالم بن موهوب إلى العودة إلى بعلبك دون أن يشترك في حرب.

وقد انتهز بعض المناصرة الثائرة فرصة قدم أفتكين إلى بلاد الشام، فبعثوا يستدعونه من حمص ووعدوه بمعاونته في إخراج الحامية الفاطمية في دمشق؛ كما أن شيوخ هذه المدينة وأشرافها رحبوا بقدوم أفتكين حين بلغهم أنه في

(1) ابن الأثير، ج8 ص122.
(2) بدأ أفتكين (أبو مصهر الكركي الشرايين) مهده في عدة موز الدولة أحمد بن بويه، وما زال ترقى في المناصب حتى ولى فرادة جند الأتراك في بغداد في أيام عز الدولة بختيار أمير بن بويه بالعراق (656-687هـ)، المفرز: خطط، ج2، ص9.
 طريقه إليها، وخرجوا لمقابلته، وطلبوا منه أن يتولى الحكم في بلدهم لينقذهم من الفاطميين الذين يخافونهم في المذهب الدينى؛ فظهر استعداده إجابة طلبهم؛ وعهد له شيوخ دمشق بمعاونته وأن يكونوا في طاعته. أما الفاطميين فتعهد بحمايةهم وکف الأذى عنهم، ثم دخل دمشق في شعبان سنة 343 هـ، وأخرج منها ولائها ربيان الخادم، وأمر بذكر اسم الخليفة العباسي الطائع في الخطة بدلاً من المعز لدين الله الفاطمي(1).

رأى الفاطميين رغم نجاحه في الاستيلاء على دمشق وقضائه على نفوذ الفاطميين فيها أن يستلم المعز لدين الله لاعتقاده أن قواته ستعود الهجوم على بلاد الشام لتتوشيد سلطانه عليها; فكتب إليه رسالة على سبيل التحية والانضمام له والطاعة لأوامر; فبعث إليه العزى يدعو للحضور إليه ليخلع عليه ويقره على ولايته; لكن الفاطميين لم يجه إلى طلبه لعدم وثوقه بما وعد به(2)، خشية تعرضه لمكيدة يدبرها الخليفة الفاطمي، وخاصة أنه حارب ولاية الفاطميين في حمص وانتصر عليهم، كما طرد وليهم على دمشق.

لم يكتف الفاطميين باستيلائهم على دمشق، بل رأى أن يسيط نفوذه على مدن الشام، فتوجه إلى صيدا حيث اشتكى مع وليها من قبيل المعز في معركة انتهى الأمر فيها بهزيمة هذا الوالي، ثم قصد عكا، ومنها توجه إلى طبرية وعاد إلى دمشق بعد تغلبه على قوات الفاطميين بهذه المدن.

ففر العزيز بالله الفاطمي من توطيد سلطنته بمصر بعد أن آلت إليها الخلافة في ربع الآخر سنة 365 هـ، وجه اهتمامه إلى استرداد بلاد الشام، واستشار وزيره يعقوب بن كلس فيما يفعل لتحقيق هذه الغاية. فتأثير عليه بأن يعود إلى جوهر الصقلية بقيادة جميل يزحف به إلى دمشق. فلما علم الفاطميين بمسى، خشى من الاخطار الذي قد تصدًا بأهل دمشق من جراء هجوم الجيش الفاطمي على بلدهم. فاجتمع بهم وأظهر لهم استعداده للرحيل عن دمشق حتى لا يلقفهم أي أذى بسببه. فأخذوا له حرصهم على التمسك بThan بهم يقولون: لا تمكن من

(1) ابن الأثير: ج8، ص 217، 218.
(2) ابن الغلاتشي: ذيل تاريخ دمشق، ص 12.
فراقنا ونحن نبذل الأموال في حواك وننصرك! فعدل أفتكين عن مغادرة دمشق. واعد العدة لمواجهة قوات الفاطميين؛ فلما وصل جوهر إلى دمشق على رأس هذه القوات في ذي القعدة سنة 265 هـ، حاصر المدينة، وأبدى أفتكين شجاعة فائقة في محاربته؛ غير أن جند الفاطميين من المغاربة ظلوا فترة طويلة يحاصرون دمشق مما أدى إلى تدمر أهلها، فأشاروا على أفتكين بكتابة الحسن بن أحمد رعيم القرامطة ببلاد البحرين. فكتب إليه يستنجد، فسار إليه من الأحساء.

رأى جوهر الصقلي بعد أن وصله خبر قدمه القرامطة أنه لا قبل له بمواجهة عدوين، لذلك اضطر إلى رفع الحصار عن دمشق وقصد الرملة؛ غير أنه لم يكد يصل إليها حتى سار في أثر الحسن بن أحمد وأفتكين. وكان ذلك لما حمله على الرحل إلى عسفان. وها اشتدت به الخائلا وندر وصول الأشراف والمؤن إليه، أرسل إلى أفتكين يطلب منه المانعة، كما أبدى رغبته في مقابلته، فرحب بلقائه. وها اجتمع به جوهر قال له: لقد عرفت ما يجمعا من عصمة الإسلام وحرمة الدين، وقد طالت هذه الفترة وأريقت فيها الدماء ونهبت الأموال ونحن المؤخذون بها عند الله تعالى، وقد دعوتك إلى الصلح والطاعة والموافقة، وبذلت لك الرغائب فأبنت إلا القبول من يشبة نار الفشة، فرقاء الله تعالى وراجع نفسك، وغلب رأيك على هو غيرك، فأجابه أفتكين بقوله: إننا والله واثق لك في صحة الرأى والمشورة منك، لكنني غير متمكن مما تدعوني إليه بسبب القرمطي الذي أحوجتي آنت إلى مداراته والقبول منه.

ظل جوهر يلحظ على أفتكين في طلب التصالح، حتى أجابه إلى طلبه على أن يؤدي إليه مالا معينا، ويخبر من تحت سيفه ورحح الحسن بن أحمد، فعلم جوهر من تحتهما وهم معدلان على باب عسفان وسار قاصدا القاهرة، وهو على يقين من أنه قد تعرض للإهانة والمذل بسبب هذا التصالح الذي سعى إليه مضطراً. وكان يأمل أن نتاح له الفرصة ليعود مرة ثانية إلى بلاد الشام في قضى على أفتكين وحلفائه القرامطة.

(1) ابن الأثير: ج2، ص 218.
(2) ابن الأثير: ج8، ص 218.
(3) ابن القلاف: ذيل تاريخ دمشق، ص 17، المقرز خطي ج2، ص 10.
لما وصل جوهر إلى مصر أوضح للخلفية العزيز حقيقة الحال في بلاد الشام وما أصاب سلطان الفاطميين فيها من ضعف وانحلال، فاستقر رأي الخلفية الفاطميين على الخروج بنفسه لاستعادة نفوذه على هذه البلاد، وسار على رأس جيش كبير، وجعل جوهر على مقدمته (1).

أعد كل من أنفسهم والحسن بن أحمد القرمطي المعدة لمواجهة رحف الجيش الفاطميين على بلاد الشام، فحشدوا جموعا كثيرة من العرب وغيرهم. وعادا إلى الرملة حيث دار القتال بين الفريقين في المحرم سنة 370ه. وقد شاهد العزيز في هذه الحرب من شجاعة أنفسهم ما أعجبه، فأرسل إليه يدعوه إلى طاعته، وبعد بان بقليده الولايات وجعله مقدم عسكره ومستشاره في دولة، كما طلب منه أن يحضر لمقابلته، فقال أنفسهم لرسول العزيز: «قل لامير المؤمنين لو قدم هذا القول لسأعت واعتتط، وأما الآن فلا يمكن إلا ما ترى». ثم وصل السير لمحاربة الفاطميين، فأوقع العزيز الهزيمة بقواته، ومضى أنفسهم هربا، ثم سبق إلى القاهرة مع بعض أنصاره من الأتراك حيث عفا عنه الخليفة وعامله معاملة قوامها العطف والرعاية، وخصص له دارا لإقامته (2).

أما الحسن بن أحمد، فإنه سار منهزما إلى طبرية (3) حيث حق به رسول العزيز الذي دعاه إلى مقابلة الخليفة ووعده بأنه سيكون موضع رعايته. فلم تلق هذه الدعوة قبولا منه (4) ثم رحل إلى الأحساء مع أنصاره من القرامطة بعد أن أتفق معه العزيز على أن يدفع له تعويضا سنويا قدره عشرون ألف دينار طيلة حياته (5).

وهكذا فشلت الحركة التي أثارها أنفسهم التركى في بلاد الشام، كما زال نفوذ القرامطة في هذه البلاد واضطروا إلى الجلاء عنها، مما سهل على الفاطميين استعادة دمشق إلى حوزتهم.

---
(1) ابن الأثير: ج8، ص 219.
(2) المقرئي: حطة، ج2، ص 10.
(3) ابن خلدون: ج4، ص 91.
(4) ابن الأثير: ج8، ص 219.
3 - موقف أمراء العرب بالشام عن الفاطميين

(1) بنو الجراح في فلسطين:
حاول بنو طي لفلسطين في أواخر القرن الرابع الهجري تكوين دولة لهم والاستقلال عن الخليفة الفاطمي، فثار بالرملة سنة 388 هـ. رعيهم مفرج بن دغفل بن الجراح، فأرسل برهوان الوصي على الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمي إلى فلسطين حملة بقيادة جيش بن الصمصامة، فسار إلى الرملة واستولى عليها وأخرج ثوارها، وطارد مفرج بن الجراح وقواته حتى طلب الأمان والصلح، فعفا عنه وأمهته، ثم عادت الفتنة ففلسطين سنة 400 هـ. عندما نقم الحاكم بأمر الله على آل المغيرة بنصر، ففر الوزير أبو القاسم حسن بن المغيرة (2) إلى حسان بن مفرج بن دغفل بن الجراح أمير طيء بالرملة، وحسنه لخلع طاعة الحاكم، فزحف حسان إلى الرملة واستولى عليها وقتل وألتها من قبل الفاطميين وعاث فيها فسادًا.

اتفق بنو الجراح سنة 401 هـ على استدعاع أبي الفتحوم الحسن بن جعفر الحسن ملكة ليبابعوه بالخلافة (3)، فواجهوا إليه الوزير أبو القاسم بن المغيرة ليغريه بالخروج على الحاكم بأمر الله (4). فلمما قدم هذا الوزير مكة، أطعم أميرها أبو الفتحوم في الرياسة وحرضه على طلب الخلافة، كما حبه على الخروج إلى الرملة إجابة لرجاء حسان بن مفرج بن الجراح الذي سيكون خير عون له على تثبيت سلطته، فرحب الأمير أبو الفتحوم بهذه الدعوة وأقام الخطبة لنفسه وتبلى بالراشد بالله، ثم سار من مكة فقادا الرملة وبصحته أبو القاسم بن المغيرة وبعض أنتصارات قبائل العربية، فلمما أقرب من الرملة تلقى حسان بن مفرج بن الجراح وأولاده وسائر وجه العرب بالشراب وترجعوا له وبابعوه بالخلافة، ونزل أبو الفتحوم في دار حسان ونادى في الناس بالأمان، وأقيمت له الخطبية في كثير من بلاد الشام (5).

(1) ابن الأثير: ج15، ص414.
(2) كان هذا الوزير ناقما على الحاكم بأمر الله لمغردة بأبيه وأميه.
(3) راجع: كتاب التوفيق الفاطمي في جزيرة العرب (المؤلف)، ص17.
(4) ابن خلدون: ج4، ص57.
(5) المغيري: خطب، ج2، ص157، ص287.
(6) عبد القادر الناسري: درر الفردوس المتهمة، ج1، ص107 – 108.
لما وصل إلى الحاكم بأمر الله نباً خروج أبي الفتح أمير مكة عليه وعبيدة بن الجراح له بالخلافة، بعث حملة إلى فلسطين للقضاء على هذه الحركة؛ غير أن هذه الحملة حلت بها الهزيمة واستفحل نفوذ بن الجراح، وبسطوا سلطانهم على جنوب بلاد الشام؛ فعمد الخليفة الحاكم بأمر الله إلى استنماء حسان وأبي مفرج وغيرها من بنى طيء بالأموال التي بذلها لهم؛ فانحرف بن الجراح عن الأموي أبي الفتح بعد أن بايعوه بالخلافة. ولم أحس أبو الفتح بخذلائمهم إياه وعدوا لهم عن رأيهم في العمل على تقوية نفوذه، ذهب إلى مفرج بن الجراح وأخبره بانصاره أولاده عن تأليفه. وقال له: "أريد أن تبعث معي من يوصلني إلى مكة ولا تخرجني". فبعث معه جمعة من بنى طيء؛ ولم يزالوا معه حتى بلغ مكة سنة 330 هـ، فاتلقاه أتباعه، وكاتب الحاكم وأعذر إليه؛ فقبل عذره وعفا عنه، وأعاده إلى إمارته ببيك (1). وعمل الأمير أبو الفتح منذ عودته إلى مكة على إقامة الدعوة للحاكم بأمر الله، كما نشأ اسمه على السكة (2).

ظل بنو الجراح متغلبين على بعض نواحي جنوب بلاد الشام حتى سنة 440 هـ. ولم يتوازن الفاطميون عن قتالهم خلال تلك الفترة، فجهز الخليفة الحاكم العسكر إلى الشام بقيادة على بن جعفر بن فلاح، فقصد الرملة وهزم حسان بن مفرج وقومه الطائنين واستولى على أموالهم وذخائرهم ثم سار إلى دمشق، فاستولى عليها وتولى إمارتها (3).

ضعف شأن بنو الجراح بفلسطين بعد الهزيمة التي حلت بهم في أواخر عهد الحاكم بأمر الله، واستعاد الفاطميون نفوذهم بهذا الإقليم، وظل الحال على ذلك حتى ولى الخليفة الظاهر لإعازر دين الله الخلافة، فحاول حسان بن الجراح استرداد سلطانه بالرملة، وما لبث أن حشد جموعه وهاجمه ونهبه ولم تقف أطماعه عند هذا الحد بل عمل على الاستقلال بفلسطين، وتحقيقا لهذه الغاية عقد اتفاقا سنة 450 هـ مع صالح بن مرداد أمير بنى كلاب وستان بن عليان أمير الكبليين (4).

---

(1) ابن خلدون: ج 4، ص 473، عبد إقبال الأنصاري: درر الفرائد المظلمة، ص 280.
(2) المقرئي: خطط، ج 3، ص 228.
(3) راجع كتاب الفوز الفاطمي في جزيرة العرب (للمؤلف) ص 17 - 21.
(4) ابن الأثير: ج 6، ص 63، ابن خلدون: ج 4، ص 57.
يتضمن أن تتقدم قواهم جميعاً لإخراج الفاطميين من بلاد الشام وتقييمها بينهم على أن يكون من حلب إلى عائدة على نهر الفرات لصالح بن مرداس، ومن الرملة إلى حدود مصر أمر سانف الطائي، ودمشق وما يحيط بها لسان بن عليان وعشيرته (1). وقد أطلع هؤلاء الأمراء الإمبراطور البيزنطي باسيل الثاني على هذا الاتفاق وطلبا معونته لكنه لم يجب طلبهم (2).

لما رأى الخليفة الظاهر الفاطمي الخطر الذي يهدد سلطان الفاطميين بلاد الشام من جراء ذلك الاتفاق الذي عقده بعض زعماء العرب، جهز جيشا سنة 420 هـ لمحاربة هذه القوى المتحالفة، وأرسل قيادته لأنتونيكيين الدربيري (3). وقد تمكن القائد الفاطمي من إخضاع الهزيمة بقوات حلف عرب الشام عند طبرية، وقتل صالح بن مرداس، وهرب حسان بن الجراح الطائي إلى الإمبراطور البيزنطي ليحتمي في بلاطه، وكهذا النصر استرد الفاطميين البقاع الجنوبية والوسطى من سوريا، أما حلب فقامت بيد نصر بن صالح بن مرداس الذي تلقى بشيل الدولة (4).

(ب) الحمدانيون والمرداسيون في شمال الشام:

ذلك واجه الفاطميون عدة صعوبات في سبيل بسط سيادتهم على شمال بلاد الشام حيث أقام الحمدانيون دولتهم في حلب. وكان هؤلاء الحمدانيون يخشون ارتداد نفوذ الفاطميين السياسي، فلما دعاهم جعفر بن فلاح - بعد أن تم له فتح دمشق - إلى إقامة الخلافة للنفوذ الفاطميين على منابر بلادهم، وهددتهم بالاستيلاء على حلب، أثار هذا التهديد سخطهم، وعملوا على مساعدة القرامية ليقضوا على نفوذ الفاطميين بلاد الشام (5).

على أن الحمدانيين لم يكونوا من القوة بحيث يستطيعون الوقوف في وجه الفاطميين، ففي عهد سعد الدولة بن سيف الدولة (561- 381 هـ)، بدأ الضعف

1) حجي بن سعيد الأنصاط: صلة التاريخ المجمع على التحقيق والتصديق، ج2، ص 244- 245.  
(3) Ibid الأثر: ج9، ص 128.  
(4) تاريخ حجي بن سعيد الأنصاط، ص 248: تاريخ ابن الودي، ج2 ص 222- 224.  
(5) حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام السياسي، ج3، ص 358.
يظهر في الدولة الخمدانية في حلب، فثار عليه قرعوبي – أحد أتباع أبيه – واستولى على حلب، وحاصل دون دخوله إليها، فقصد سعد الدولة حمص وآخر البقاء بها وانتحار إلى جانب الفاطميين، وأقام الخلافة للمعمر لدين الله الفاطمي(1). ثم وجه اهتمامه إلى استرداد حلب، فسار إليها على رأس جيش من العرب من بني كلاب وغيرهم وتمكن من استعادة سلطانه عليها بعد أن ظل يحاصره أربعة أشهر، وأرسل ولاية حمص إلى غلامة بكجور التركي سنة 366 هـ(2).

على أن سعد الدولة لم يتمتع بالطمأنينة، فشغفل بمحاربة بكجور الذي كتب إلى العزيز بالله الفاطمي يطلب إليه أن يوجه دمشق، وسنجد بقوة يستعين بها في الاستيلاء على حلب، فأجاب الخليفة الفاطمي طلبه سنة 327 هـ وسار بكجور إلى هذه المدينة وحاصراها، لكنه اضطر إلى الارتباك منها، فعاد إلى دمشق ليتوجه إمارتها. غير أنه عامل أهلها معاملة تطوى على العنف والشدة مما جعلهم يتقدمون من حكمه، كما أمضى له الوزير الفاطمي يعقوب بن كلس العداء لتكيله باتباعه؛ فصار يحول دون تحقيق رغبته، ثم اشترى على العزيز بعجلته، فأجاب طلبه بعد أن بلغه سوء سيرته في دمشق ورحل بكجور إلى الرقة (على نهر الفرات) حيث طلب من سعد الدولة الخمداني أن يعده إلى ولاية حمص، فلم يظهر منه بشيء(3).

ظل بكجور أثناء إقامته بالرقة بواصل جهوده للاستيلاء على حلب، فرسل جماعة من مالكية سعد الدولة الخمداني، واستمالهم إليه، فأظهر له ترحيبهم بقدومه إلى حلب، كما أخبروه بأن سعد الدولة مستقل بلدته عن تدير شنون دولته فعزم بكجور على انتهاد هذه الفرصة لتحقيق أطماعه، ورأى أن يستعين بالفاطميين لعله يظهر بتأييدهم، فأرسل إلى العزيز بالله يطلب منه في حلب و يقول له: "إنا دهلم العراق، ومتى أخذت كان ما بعدها أسهل منها، كما طلب منه أن ينهض إليه نجدة من جنده، فعمل العزيز على ندبية طلبه(4). وأرسل إلى واليه بطرابلس بأن يكون على أهبة الاستعداد للمسير إليه لمساعدته(5).

---
(1) ابن الأثير، ج 8 ص 271 - 272.
(2) ابن الفلاسي، ذي لب تاريح دمشق، ص 27 - 28.
(3) ابن الأثير: ج 9، ص 290 - 291.
(4) ابن الأثير: ج 9، ص 292.
(5) ابن الفلاسي: ذي لب تاريح دمشق، ج 1، ص 323 - 324.
لما علم سعد الدولة الحمداني بوصول بكجور إلى حلب، بعث إلى باسيل الثاني إمبراطور الروم، يخبره بخروج بكجور عليه ويطلب منه النجدة. فأرسل باسيل إلى واليه بانتظاكياً بأمره معاونته، وقامت الحرب بين بكجور يعاونه المغارة والعرب من بنى حداد، ولم يجن ثمرة هذه الحرب غير الفاطميين والروم.

استقر رأى سعد الدولة الحمداني بعد وقوفه على ما أصاب دولته من جراء المنازعات الداخلية على إزالة عوامل الخلاف بين جند الحمدانيين وتحويد صفوهم؛ فكتب إلى غلامه بكجور التركي بأن يمنع عن مناؤه، وبعده بإنشاء الأراضي المتصلة بين حمص والرقة، لكنه أدى إلا القتال؛ فدارت الحرب بينهما سنة 1281هـ، وحلت به الهزيمة وقتل؛ واستولى سعد الدولة على أمواله.

لم تكن علاقة سعد الدولة الحمداني بالخليفة العزيز بالله الفاطمي على شيء من الصفاء، فقد أساء سعد الدولة معاملة رسول هذا الخليفة - حين قدم إليه حاملا رسالته منه يخبره فيها من إلحاق الأذى بأناء بكجور - وقال له: عد إلى صاحبك وقل له: لست ممن تخفي أخبارك عنه وتومهتك عليه، وما بك حاجة إلى تجهيز العساكر إلى، فإني سأترك إليك لكون اللقاء قريباً منك، وخبرى بأنيك من الرملة. ولم يمض على ذلك غير قليل حتى توفي سعد الدولة سنة 1281هـ، وخلفه ابنه سعيد الدولة أبو الفضائل - وكان قد عهد إليه قبيل وفاته وأوصى لؤلؤة الحادم به.

حاول الفاطميون الاستيلاء على حلب في أيام سعيد الدولة، فانصرف الخليفة العزيز ولاية الشام إلى منجوتين الشركى، وعهد إليه بقادة الجيش الذي أعدّ لفتح حلب؛ فسار منجوتين إلى دمشق سنة 1283هـ، وبعد أن نظم شيوخها خرج منها إلى حلب.

Combridge Mediaeval History. Vol. 4 p. 147

1) ابن الفلاسي: ذيل تاريخ دمشق، ص 38.
2) ابن الفلاسي: ذيل تاريخ دمشق، ص 39.
3) حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام السياسي، ص 216-217.
4) ابن الأثير: ج 9، ص 31.
ولا علم سعيد الدولة بزحف الجند الفاطمي على الشام بقيادة منجوتين،
استنجد بإمبراطور الروم باسيل الثاني، فارسل هذا الإمبراطور إلى قائده بانطاكية
يأمر بمحاربة الفاطميين وردهم عن حلب، وعلى الرغم من انتصار منجوتين
على الروم فإنه لم يتمكن من دخول حلب، بل ارتد إلى دمشق بسبب نفاد
الأقوات؛ غير أن الخليفة العزيز ما لبث أن أمر بالسير إلى حلب وارسل الجيوش
لحصارها من جديد، كما أنقذ الأقوات إلى طرابلس
1.
رأى سعيد الدولة أبو الفتائل ولؤل الخادم بعد أن اشتد الحصار عليهما
بحلب أن يرسل للمرة الثانية إلى إمبراطور الروم يطلب منه النجدة، كما خوفته
من سقوط حلب في يد الفاطميين بقولهم: "متى أخذت حلب، أخذت انطاكية،
وعندما أخذت انطاكية، أخذت قسطنطينية"; فسار باسيل الثاني بنفسه إلى بلاد
الشام ونزل على حصن شيزر على مقرة من حماة، فاستولى عليه، ثم سار إلى
حمص ففتحها عنوة، وتابع سيرته إلى طرابلس، فحاصرها، ولم تكن عليه فتحها
رجل عائدا إلى انطاكية ومنها إلى قسطنطينية.
2.
عجز الفاطميون في عهد الخليفة العزيز بالله عن الاستيلاء على حلب؛ ذلك
أن إمبراطور الروم حين سار بقواته تلبية لدعوة سعيد الدولة أبو الفتائل
المقدادى، أرسل لؤل الخادم إلى منجوتين القائد الفاطمي، يحذرهم من رحف
الروم على شمال الشام بقوله: "إن الإسلام جافع بيني وبينك وانا ناصح لكم،
وقد وافاكم ملك الروم بجندوه، فخذوا لأنفسكم؛ فعدل منجوتين عن مهاجمة
حلب وعاد إلى دمشق\.
 لما وقف العزيز على مدى تقدم الروم في بلاد الشام، وبلغه عودة منجوتين
منهم إلى دمشق، عزم ذلك عليه، واستقر رأبه على أن يسير بنفسه لفتح حلب
وصد قوات الروم، فجهز حملة برية، كما أمر وزير عيسى بن نسطور بإنشاء

---

Cambridge Mediaeval History, Vol., 4. P. 147\AE

1) أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، ج4، ص 120.
2) أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، ج4، ص 119 - 120.
3) تاريخ بحي بن مسعود الانطاكى، 166، أبو المحاسن، ج4، ص 120 - 121.
4) أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، ج4، ص 120.
اسطول يسير بحرا إلى طرابلس. ولم يكد يتم إعداد هذا الأسطول حتى اشتعلت في اليراق في ميناء النيس، وأحرقت منه سنة عشر مركبا. وكان لهذا الحادث أسوأ الآثار في نفس المصريين والمغاربة؛ فثاروا ببعض نجاة الروم الذين وفدو إلى البلاد المصرية قبل ذلك بقليل وقتلوا فريقا كبيرا منهم حين ثبت لديهم أنهم دبروا مؤامرة إحراقة. وما لبث العزيز أن قضى على الاضطرابات التي حثت بالقاهرة بسبب إحراق الأسطول، وأشار على عيسى بن نسطور بإنشاء أسطول آخر، فلبى هذا الوريث رغبته، وشرع في جمع الأخشاب، وأمر الصناع بالإسراع في إنجازه. ولم يتم بناؤه، أحمر إلى أنظاره (١) لنجدة القائد الفاطمي منجوتنكين; غير أن معظم سنه لم تلبي أن تعطى بالقرب من طرابلس على أثر هبوط عاصفة عليها؛ وأسر الروم بعض رجال الأسطول المصري (٢). أما الحملة البرية، فخرج على رأسها الخلفية العزيز إلى بلبيس في طريقه إلى بلاد الشام، لكن المرض أشتد عليه فجأة، فوفى سنة ٦٨٦هـ(٣).

على الرغم من أن سعود الدولة أبا الفضائل الحمداني قد نُجى في إبعاد خطر الغزو الفاطمي عن بلاده في عهد العزيز بالله، فإن الأمور لم تستقر له في حلب، فقد واجه منافسة مولاه لولؤ الذي تطم في الاستثمار بحكم حلب وقبله، وانزع الوالي بنفسه من ولده أبي الحسن على أبي المعالي شريف وحكم باسمها. ولم تخف أطماع لولؤ عند هذا الحد، بل عمل على نقل الحكم إلى أسرته، فأرسل ولده سعيد الدولة مع سائر أفراد البيت الحمداني إلى القاهرة(٤). وأخذ يقرب إلى الفاطميين ليتقبل خصومهم، فأمر بحذف اسم الخليفة العباسي من الخطبة، وأعلن طاعته للفاطمة الحاكمة بأمر الله، وأقام الدعوة له فترة من الوقت(٥).

______________________
(١) ابن الأثير: ج ٩، ص ٣١.
(٢) من أعمال طرابلس بلبنان، وقع على ساحل البحر.
(٣) تاريخ يحيى بن سعود الأسطكي، ص ١٧٨، المفرز، خطط، ج ٢، ص ١٩٥ - ١٨٦.
(٤) ابن الحسن: النجوم الزاهرة، ج ٤، ص ١٢٢.
(٥) ابن كين: تأريخ المسلمين، ص ٢٥٩.
(٦) ابن خلدون: المعرف، ج ٤، ص ٢٧١.
لم توفي لؤلؤ سنة ۳۹۹ هـ، خلفه ابنه منصور، فاعترف بسلطان الخليفة الحاكم بأمر الله، وأقام الدعوة بحلب سنة ۴۰۴ هـ، ولقب هذا الخليفة مرتضى الدولة(۱)؛ ولهذا اتحد نفوذ الفاطميين إلى حلب مما مهد لهم أمر القضاء على سلطة الحمدانيين فيها(۲).

لم يتمتع منصور بن لؤلؤ طويلا بإدارة حلب، فقد عمل أهالي هذه المدينة على التخلص منه لكونه شبه بهم، كما قامت الحرب بينه وبين بنى كناب. وكان قد وعدهم بتوزيع بعض الإقطاعات عليهم، لكنه مات ولم يخفقوه لهم. ولمه عجز منصور عن الاحتفاظ بسلطته في حلب وحل عنها إلى أنتاكية، فسهل بذلك على نواب الحاكم دخول حلب والاستيلاء عليها؛ وظلت يتجاوزون الحكم فيها حتى أندى هذا الخليفة ولايتها سنة ۷۴۵ هـ إلى أمير من بنى حمدان يدعى عيز الملك فاتك، ولقب أمير الأمراء(۳)، فظل يلزم أمورها حتى توفي الحاكم بأمر الله سنة ۴۱۱ هـ، وخلفه ابنه الظاهر، فأثار في عهده الحكم في حلب؛ غير أنه لم يلبث أن قتل على يد غلام له يسمى بدر الذي استولى على حلب ثم سلمها فيما بعد إلى الخليفة الظاهر؛ وبذلك تزال سلطتان الحمدانيين في الشام.

لم يتسارع الفاطميين توصيد سلطانهم في حلب في عهد الخليفة الظاهر، فقد ظهر مناواي جديد لهم، وهو صالح بن مدراس أمير بنى كناب الذي تمكن من الاستيلاء على هذه المدينة سنة ۴۱۴ هـ من يد حكامها الفاطميين، كما دخل قلعتها بعد حصار طويل(۴)؛ وظل يتولى حكمها حتى سنة ۴۲۰ هـ حيث أعيد له الخليفة الظاهر جيشا كبيرا لقتاله وقتل بعض أفراد العرب بالشام الذين تغلقوا معه ضد الفاطميين من اقتسام بلاد الشام فيما بينهم. وقد تمكن الجيش الفاطمي من التغلب على قوات هؤلاء الخلفاء في معركة دارت بالقرب من طبرية، فتفاهم فيها صالح بن مدراس(۵)؛ وبذلك اتت الفاطميين استعادة نفوذهم في حلب على أن

---

(۱) ابن الأثير: ج۱، ص۸۷۸. ابن العبد الخليلي: زبدة الحلبي في تاريخ حلب، ص۲۷۷.
(۲) حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام السياسي، ج۳، ص۲۱۷.
(۳) ابن الأثير: ج۶، ص۷۹.
(۴) ابن الأثير: ج۹، ص۵۹.
(۵) Hitti, History of Syria P. 580.
هذا النفوذ لم يكن مستقراً بسبب تطلع المراديين إلى استرداد هذه المدينة. وقد تجلت مطالعهم في ولايتها فيما قام به نصر بن صالح بن مراد، الذي جمع قواته وهاجم حلب واستولى عليها من بيد الفاطميين، واتخذ لنفسه لقب شبل الدولة(1)، وما زال نصر يحكم حلب إلى أن ولى الخلافة المستنصر بالله الفاطمي، فعهد إلى القائد التركي أنوشتين الزبدي بالحفر إلى حلب واسترداها، فسار إليها سنة 419هـ والتقي بنصر عند بلدة حماه، ووقع به الهزيمة وقتله، وتقلد ولاية حلب بدلاً منه، وظل يلي أمورها إلى أن توفي سنة 432هـ(2).

كان ثمال بن صالح بن مرادس بالرجبة إذ ذاك، ولم يبلغه اضطراب الأمور في حلب، عول على الخروج إليها، ثم حاصرها واستولى عليها سنة 434هـ وتقلد زمام الحكم فيها؛ غير أنه لم يتمتع بالهدوء والاستقرار، فقد رفح إليه الجنود من مصر بقيادة أبي عبد الله ناصر الدولة بن حمدان سنة 440هـ، فخرج إليهم ثمال وقاتله أن يعفوهم، مطالبين به العودة إلى مصر(3).

لم يزال الجنود المصريون يعفوهم رفحها على حلب وتضيق عليها الحصار حتى ستم ثمال بن صالح إمارةها وعجز عن القيام بشؤونها، وبعث إلى المستنصر بمصر يطلب الصلح، فصالحه على أن ينزل عن حلب، وعهد الخليفة الفاطمي إلى مكين الدولة الحسن بن ملهم بولاية حلب سنة 449هـ(4).

لم يكد يمضى عامان على تقلد ابن ملهم ولاية حلب حتى ثار عليه أهلها وعثروا في طلب محمود بن نصر بن صالح بن مرادس، فقدم عليهم في منتصف سنة 452هـ، واشتركت معهم في محاربته ابن ملهم. ولم يعلم بذلك المستنصر، أرسل إليه نجدة تحت قيادة ناصر الدولة الحسين بن حسن بن حمدان، يشتمل على دمشق، فدارت بينه وبين محمود بن نصر بن صالح بن مرادس عدة معارك انتهت بانهياره واستعادة محمود ولاية حلب، وعاد ابن ملهم وأبن حمدان إلى مصر(5).

(1) ابن خلدون، العبر، ج6، ص272.
(2) ابن الأثير، ج9، ص79.
(3) ابن الأثير، ج6، ص78، ابن خلدون: العبر، ج6، ص273.
(4) ابن الأثير، ج9، ص96.
(5) ابن خلدون، العبر، ج4، ص272-274.
على الرغم من أن أمراء بني مرادس قد بذلوا جهدا كبيرا في سبيل الاحتفاظ بولاية حلب، فإنهم عجزوا عن توطيد نفوذهم فيها لأنهم كانوا مهددين من ناحية الخلافة الفاطمية (1)، كما أنه كان لضعفهم أثر كبير في عدم استقرار الأمم في ولايتهم وعلى الأخص منذ بداية النصف الثاني من القرن الخامس الهجري. وقد عجلت هذه الحالة بزوال حكم المرادسيين في حلب بعد أن ظلوا يحكمونها ما يقرب من ستين عاماً.

على أن الفاطميين وإن كانوا قد نجحوا في بسط سيادتهم على حلب بعد أن رأت سلطة الحمدانيين فيها، فإنه لم يتسنى لهم ضمها إلى حوزتهم بعد أن حكموا أمراء من بني مرادس، بل ظلوا في نزاع مع هؤلاء الأمراء دون أن يتمكنوا من القضاء على سلطتهم.

وقد تعرضت حلب في أواخر القرن الخامس الهجري لهجوم السلاجقة وبعض أمراء العرب؛ فسأر إليها شرف الدولة مسلم بن قرشين بن بدران العقلي صاحب الموصل وحاصر قلعتها واستولى عليها من ولائها المرادسيين سنة 472 هـ، ثم أرسل إلى ملكشاه سلطان السلاجقة ليقرر على نيابة حلب على أن يؤدى إليه مبلغًا معينًا من المال، فأجاب السultan طلبته (2)؛ وبذلك قضى على سلطان المرادسيين.

Lammens, La Syrie, Précis Historique Tome I. P. 154. (1)
ابن الأثير: جda ص 393.
المكن بن العميد: تاريخ المسلمين، ص 282. (2)
ابن خلدون: العبر، ج1 ص 275. (3)
4 - ضعف النفوذ الفاطميين في بلاد الشام
في أواخر القرن الخامس الهجري
كان نفوذ الفاطميين في بلاد الشام مرتبطا بقوتهم العسكرية؛ فإذا ما ضعفت قواتهم هناك، قام الأمراء المحليون بالعمل على توطيد استقلالهم الذاتي كما فعل بنو الجراح بفلسطين وبنو مرداش في حلب. وقد وجهت الخلافة الفاطمية عيناتها إلى القضاء على مناورة هؤلاء الأمراء والعمل على توطيد سلطانها بلاد الشام. وليس من شك فيه أن الاضطرابات التي أثارها بنو الجراح في فلسطين وعدم استقرار الأمور في حلب في عهده بنى مرداش، أتاح كل ذلك الفرصة أمام السلاجقة لليظهروا على مسرح السياسة في بلاد الشام ويقضوا على النفوذ الفاطمي فيها.
اخذ نفوذ السلاجقة في الارتداد منذ عهد طغرل بك الذي تمكن من جمع صفوفهم وضبط سلطانهم على جهات واسعة من الدولة الإسلامية شملت مرو ونسابور وكرمان وأذربيجان وجرجان وطبرستان. كذلك عمل طغرل بك على توثيق الروابط بين السلاجقة والخلفية العباسي القائم بأمر الله؛ فلما استنجد به هذا الخليفة لينقذه من فتنة أبي الحارث أرسلبه البسمرية، أجاب طلبته، فسار إلى بغداد وقضى على هذه الفتنة وأعاد إقامة الخلافة للخلفية العباسي سنة 451 هـ؛ غير أنه لم يلبث أن استأثر بالسلطة دونه، وسار على هذه السياسة من جاء بعدة من سلطنات السلاجقة.
وجه السلاجقة اهتمامهم بعد أن استأثروا بالنفوذ في العراق إلى استعادة ما فقدته الدولة العباسية من البلاد، فأرسل أليف أرسلان سنة 462 هـ إلى محمود بن صالح بن مرداش أمير حلب، يطلب منه إقامة الدعوة للخلفية العباسي بدلاً من

(1) يرجع أصل السلاجقة إلى إحدى قبائل الغز التركية، وكانوا قوما من البحر يسكنون قبلي تركستان، وقد قرب ملك هذا الإقليم جده سلجوق إليه، فظل في خدمته حتى وصل إليه نبا تدبيره موسى collaborated للخلاص منه. فهاجر مع نبلائه إلى بخارى، حيث دخل هو وأتباعه في الإسلام على مبادئ المذهب الشيوعي واضiations من التحصين له.}

المكتبة الممتعة: تاريخ المسلمين، ص 267، المقتري، السلطان لعرفة دول الملوك. ج 1، القسم الأول، ص 30 - 31.
الخليفة الفاطمي، فأجابه إلى طلبته. ثم سار بنفسه إلى حلب في العام التالي وحاصرها شهرًا، فخرج إليه أميرها ف Açكرها وأعاده إلى ولأته(1); واضطر آل أرسلان إلى العودة إلى بلاده حين وصله أن الروم اخترقوا بلاد أرمينية يريدون خراسان، وفي سنة 465هـ، عهد السلطان ملكشاه إلى أئذى التركمان بالاستيلاء على بلاد الشام، ففتح الرملة وبيت المقدس، ثم لم يسم السير إلى دمشق؛ غير أن جيوش الفاطميين سرعان ما ردته على أعقابه(2)، لكنه لم يلبث بعد ذلك أن عزل على محاربته سنة 474هـ، وأخذ يشد عليها الحصار حتى تمكن من فتحها، ثم حذف اسم المستنصر بالله الفاطمي من الخطة، وأحل محله اسم الخليفة العباسي المقتنع بأمر الله(3)، كما منع الأذان بحي على خير العمل. وكان لعمله هذا أحسن الأثر في نفس أهل دمشق(4).

ولما استقر الأمر للقائد التركماني أنس في بلاد الشام خشي أن يعود الفاطميون مهاجمة، فHELLZ جيشا من التركمان والعرب والترك وسار قاصدا مصر سنة 479هـ، بعد أن أثاروا بفتحها ابن بلدكور الذي احتضن به على أثر قمه بدر الجمالي إلى مصر، وأهدى إليه بعض التحف التي استولى عليها أبوه من خزائن المستنصر بالله الفاطمي(5).

وقد توغل أنس بقواته في البلاد المصرية دون أن يصادف مقاومة تذكر، وعسكر خمسين يومًا في الدلتا بذلا من أن يسير إلى القاهرة، وأساء أصحابه معاملة الأهالي وأخذوا أموالهم فأرسل رؤساء القرى المصرية إلى الخليفة المستنصر بالله يشكون إليه ما نزل بهم(6).

لم يكن بدر الجمالي في الوقت الذي رحف فيه أنس على مصر مستعدًا لمواجهة حملته لانشغاله بإخضاد بعض الثورات في بلاد الصعيد؛ فجد جميع...

____________________

(1) ابن الأثير: ج18، ص 22.
(2) ابن الأثير: ج18، ص 23.
(3) Stanley Lane-Poolc, A History of Egypt in the Middle Age. P. 161.
(4) ابن خلدون: ج4، ص 65-589.
(5) ابن مازر: تاريخ مصر، ص 44.
(6) ابن الأثير: ج18، ص 27.
الرجال القادرين على حمل السلاح، ودعا ثلاثة آلاف حاج كانوا متأهبين للسفر إلى بلاد الحجاز لمعاركهم في قتال السلاجقة. فأجابوا دعوته وتخلفوا عن السفر، وأصبح جيش بدر الجمالي يضم كثيراً من العرب وأهلية البلاد. وما دار القتال بين الفريقين استطاع بدر الجمالي بمهارته أن يستميل إلى جانبه فريقاً من السلاجقة، كما فعل المعز من قبل مع القرامة؛ وكان ذلك مما عجل الهزيمة بجيشهم، وفر أنسى إلى غزاة وأقام بالرملة حتى قبه من بقي من عسكره، ثم رحل إلى دمشق.

أعلنت بعض المدن الرئيسية في بلاد الشام على أن تلك الهزيمة التي خقت باتمر وراءها من جديد للخلافة الفاطمية. وقد شجع ذلك بدر الجمالي على العمل لاستعادة سلطان الفاطميين بثلك البلاد، فأرسل جيشاً بقيادة نصر الدولة إلى دمشق، فحاصرها حصاراً شديداً حتى اضطر أنسى إلى طلب النجدة من تاج الدولة تتبلن بن ألب أرسلان - وكان إذ ذلك يحاصر حلب - فسار تتب إلى دمشق.

ولم يقد يقترب منها حتى رحل عنها عسكر مصر.

وأما تقابل تتب مع أنسى عند سور دمشق، أنكر عليه تأخره في الخروج للقاءه، ثم ما لبث أن قبض عليه وقتله، واستولى على دمشق سنة 471 هـ، وأحسن معاملة أهلها(1). وصار يتولى بمرده جميع الأمور في بلاد الشام، غير أن الحاله لم تستقر له طولاً بثلك البلاد، فحاول بدر الجمالي أن يسترد دمشق سنة 478 هـ، فسار إليها على رأس حملة، وحاصرها حصاراً شديداً، كما دار بينه وبين صاحبها تاج الدولة تتب قتال؛ غير أنه لم يتمكن من التغلب عليه، ورحل عائداً إلى مصر(2). وما زال بدر الجمالي يوجه اهتمامه إلى استعادة الفوائد الفاطمية في بلاد الشام حتى تمكن سنة 482 هـ من الاستيلاء على معظم بلاد الشام الساحلية. على أن الفاطميين لم يتمكنوا من الاحتفاظ بسيطرتهم على هذه المدن بسبب تطلع السلاجقة إلى بسط سلطانهم عليها. ففي سنة 485 هـ أمر السلطان.

---

(1) ابن الأثير: ج. 36 ، ص 35 - 36 ، ابن مسير: تاريخ مصر ، ص 35 .
(2) ابن الأثير: ج. 438 ، ص 138 ، أبو النفاث. المختص في اخبار البشر ، ج. 2 ، ص 194.
(3) ابن الأثير: ج. 438 ، ص 194.
(4) ابن الأثير: ج. 1 ، ص 49.
ملكشاه نوابه بحلب والرها بالسير مع قواتهم معاونة أخيه تاج الدولة تمش في الاستيلاء على ما للخلافة المستنصر بالله الفاطمي من بلاد بساحل الشام، فساروا لنجدته، واستطاع تمش يساعدتهم أن يستولي على حمص وقلعتی عرفة وأفامیة (Apamea).

على الرغم من أن تاج الدولة تمش قد بسط سلطانته على معظم بلاد الشام فإنه لم يوجه جهوده للعمل على تكويد نفوذه بهذه البلاد - مع أن الظروف كانت مهيبة له وخاصة من ناحية الفاطميين الذين حال ضعفهم بسبب المعارك الداخلية دون نجاحهم في استرداد سيادتهم على بلاد الشام التي كانت في حوزتهم - فقد امتدت أطماع تمش إلى بلاد الجزيرة وفارس وتغلب على كثير منها مما آدى إلى قيام الخلاف بينه وبين ابن أخيه بركاتعلق سنة 483 هـ. وقد تطور هذا الخلاف إلى نشوب الحرب بين تمش وقوات بركاتعلق، انتهى الأمر فيها بهزيمة تمش وقعته سنة 488 هـ.

اقسم بلاد الشام بعد مقتل تمش ابنه رضوان ودفاقي؛ فاستقل الأول بولاية حلب، وانفرد الثاني بدمشق، لكنهما لم يكونا على وفاق، فقد دب الخلاف والتنافس بينهما، فسار رضوان إلى دمشق طمعا في الاستيلاء عليها لكنه عجز عن مهاجمتها لحصانتها ومناعتها، كما لم يتمكن من الاستيلاء على بيت المقدس. أما دفاقي فإنه رأى أن يسير إلى حلب لمحاصرة أخيه ردا على فعله. والتقى الفريقان يقينين حيث دارت معركة هرزم فيها دفاقي الذي ما لبث أن اتفق مع أخيه رضوان سنة 489 هـ على أن تقوم الخلافة بأسمهما في دمشق.

أما عن الحالة الداخلية في مصر، فقد تمكن إذ ذاك مستقرة؛ فقد اضطرت فيها الأمور بعد تولية المستعلي الخلافة، ويرجع ذلك إلى ما قام به الوزير الأفضل ابن بدر الجمل من إقصاء نزار بن المستنصر عن الخلافة رغم أحقيته لهما؛ فخرج أهالي الإسكندرية على طاعة الخليفة الفاطمی الجديد وانضموا إلى نزار بعد أن قدم

_________
(11) ابن الأثير: ج1، ص270. أبو الفداء. المختصر في أخبار البشر، ج2، ص17، 6، أفقامیة: كورة من كور حمص، تقع إلى الشمال من حمص وجنوب مهرة النعمان.
(21) ابن الأثير، ج1، ص85.
(22) ابن الأثير: ج1، ص93. أبو الفداء. المختصر في أخبار البشر، ج2، ص209-210.
إليهم ويا tùyوه بالخلافة، غير أن الأفضل بن بدر الجمالي ما لبث أن تمكن من القضاء عليه وعلى من آرائه في ثورته في أواخر سنة 688 هـ.

على الرغم من أن الحكومة الفاطمية في مصر في أوائل عهد المستعول بالله شغلت بضبط الأمور في البلاد عن مواصلة جهودها لاسترداد نفوذها في بلاد الشام، فإن الخلاف بين نواب السلاجقة في هذه البلاد وحالة الضعف التي تجلت في أيامهم، لم يكن كل ذلك خليقا عنها؛ فأرى الفاطميين أن يتهيزوا هذه الفرصة لحاولوا من جديد، إعادة سيطرتهم على ما فقدوه من مدن الشام، فسار الأفضل ابن بدر الجمالي سنة 689 هـ على رأس حملة إلى بيت المقدس - وكان يلي هذه المدينة إذ ذاك إلخازري وسقمان ابن الأمير أرطع -، فاتهم ومنهما تسليمه القدس من غير حرب، فلم يجيبه إلى طلبه. فحارس المدينة ونصب على أسوارها المجانق، واضطر أهل القدس إلى طلب الأمان، فأذن لهم وفتحوه له أحد أبواه؛ وبذلك تمكن الأفضل من دخولها والاستيلاء عليها، ورأى كل من سقمان وأخوه إلخازري أن يرحل عنها، فمضى الأول إلى الرها. أما الثاني فسار إلى بغداد.

أدى النزاع بين الفاطميين والسلاجقة على نشر نفوذهم في بلاد الشام إلى عدم استقرار الأمور في هذه البلاد وضعف الجبهة الإسلامية أمام الغزور الصليبيين؛ فقد رحف الصليبيون على أنتاكية بقيادة بوهند الترمذيدي في أواخر القرن الخامس الهجري، ورأوا أن يستغلوا الفرصة بين أمراء المسلمين في بلاد الشام، فأرسلوا إلى أمير حلب ودمشق يطلبون منهم عدم التعرض لهم، كما أدعوا بأنهم لا يقصدون غير البلاد التي كانت بيد الروم. ولم توقف رضوان أمير حلب على رغبة الصليبيين في إثارة النزاع بين القوى الإسلامية ليتمكن لهم تحقيق غرضهم، سارع إلى نجد أمير أنتاكية وانضم إليه سقمان بن أرطع وقواته من شيراز وحماه وحمص. غير أن المحاولات التي بذلها أمراء المسلمين بلاد الشام لإيقاف أنتاكية باءت بالفشل وسقطت المدينة في يد الصليبيين سنة 691 هـ (3 يونيه 1293 م).

---

(1) ابن مسير: تأريخ مصر، ص 277 - 277، أبو المحاسن: التجم الزاهرة، ج 5، ص 144 - 145.
(2) ابن الفلاسي، نظر تاريخ دمشق، ص 135.
(3) أبو المحاسن، التجم الزاهرة، ج 5، ص 159.
(4) ابن الأثير: ج 95، ص 17.
(5) نهج على مجرى من معركة النعمان شمال حماه.
(6) أبو الفداء: المختصر من أخبار البشر، ج 2، ص 21.
لم يصل إلى الحكومة الفاطمية في مصر نبأ هجوم الصليبيين على أنطاكية، رأت أن تبذل جهداً لمنع رحفلهم على بيت المقدس، فانقلب الوزير الأفضل بن بدر الجمالية سنة 492 هـ (992 م) سفارة إلى الصليبيين للتفاوض في عقد اتفاق معهم يتضمن أن يغادرهم أنطاكية وأن تستسلم مصر بيت المقدس على أن يسمح للصليبيين بزيارة الأماكن المقدسة ويفتح لهم الحرية في أداء شعائرهم الدينية على أن تزيد مدة إقامتهم بها عن شهر واحد ولا يدخلوا بسيوفهم. (1)

لم تؤد سفارة الأفضل بن بدر الجمالية إلى الصليبيين، إلى عدولهم عن تحقيق سياستهم في الاستيلاء على بيت المقدس، بل كان من أثرها أن وقف الصليبيون على مدى الخلاف السائد بين الفاطميين ونواب السلاجقة ببلاد الشام؛ ومن ثم استقر رأيهم بعد استيلائهم على أنطاكية على إرسال حملة لفتح بيت المقدس. وقد استولى الصليبيون أثناء سيرهم إلى هذه المدينة على معرة النعمان، (2) كما عمل أمر شيرز على تأمين طريقهم وترويدهم بما يحتاجون إليه دراً لخطرهم. (3)

كانت بيت المقدس في الوقت الذي تقدم فيه الصليبيون هاجمتها خاضعة للفاطميين، وليلة حكما نائب من قبلهم يدعى اقتصار الدولة، (4) فلما شرع الصليبيون في فتح هذه المدينة لقوا مقاومة في بادئ الأمر من الحملة الإسلامية. غير أن جودروي قائد الحملة الصليبية ما لبث أن عثر على منفذ للمدينة لم يهتم المسلمون بتخصيصه، فدخل منه مع بعض أتباعه من الفاطميين، وبدلك تيسر لهم فتح أبوابها، فاضطر المسلمون إلى الاعتصام بالمسجد الأقصى، فتعصب الصليبيون ونكلوا بهم، ولم يجد حاكما الفاطميا اقتصار الدولة بذا من الاستسلام، ومعهد هو وقواته للصليبيين بالرحب عنها إلى مصر. (5)

لم يقف الفاطميين إزاء هجوم الصليبيين على بلاد الشام ورحفلهم على بيت المقدس مكتوفي اليدين وخاصة بعد أن وصلوا خبر دخولهم هذه المدينة.

Cuillaume de Tyre (B. Hist Occ. Crois.,) T I P. 191 et Seq

(1) راجع كتاب، الحرب الصليبية الأولى حسن حشي، ص 52 - 54.
(2) ابن الأثير: ج 1 ص 99.
(3) حسن حشي: الحرب الصليبية الأولى، ص 74.
(4) ابن الأثير: ج 1 ص 98.
(5) ابن الأثير: ج 1 ص 98، حسن حشي: الحرب الصليبية الأولى، ص 63 - 65.
واستيلائهم عليها، ومحاولة أخذ ما تبقى لهم من المدن الساحلية، وعجز أمراء السلاجقة عن الوقوف في وجههم. فأعدوا حملة في رمضان سنة 492 هـ لاسترداد بيت المقدس. وخرج الأفضل بن بدر الجمالي وزير الخليفة المستعلي بالله على رأس الجيش الفاطمی، وأقام هذا الوزير بعض فترات في انتظار النجات التي وعد بها العرب (1)، وأرسل إلى الصليبيين ينكر عليهم ما فعلوه وتهددهم (2). على أن القوات الفاطمية ما زالت أن توجّهت بهجم الصليبيين، واشتبك الفريقان في عدة معارك انتهت بهزيمة الجند الفاطمي وتراجعهم تدريجيا، وعاد الأفضل مع خواصه إلى مصر (3).

تجلى ضعف النفوذ الفاطمي في بلاد الشام على أثر النجاح الذي أحرره الصليبيون في رحمة على هذه البلاد وتأسيس إمارة أنطاكية وبيت المقدس، وقد ظهرت بوادر هذا الضعف منذ حاول السلاجقة إقصاء الفاطميين عن بلاد الشام.

على أن السلاجقة وإن كانوا قد أحرزا بعض النجاح في بسط سيطرتهم على بعض مدن الشام التي كانت في حوزة الفاطميين، فإن الألفات الذي قام بين نوافهم أضعف من سلطتهم، كما أن التفاقم بينهم وبين الفاطميين على استناد بلاد الشام كان من أكبر العوامل التي عاونت الصليبيين على الاستقرار في هذه البلاد (4).

وأما لا شك فيه أن الخلافة الفاطمية في أوائل القرن الخامس الهجري لم تكن في حالة تساعها على استعادة مكانتها في بلاد الشام، فقد أصبحت مصر من الضعف بسبب ما ساداها من الإغترابات، وما منيت به من مزاعمات بين طائفتي العازرة والمستعمرة بحيث تعرَّض عليها الاحتفاظ بما تبقى لها من سلطان على بلاد الشام، يؤيد ذلك ما قاله المفرزي (5) عن الخلافة المستعلي بالله الفاطمي (487 - 495 هـ) "وفي أيام احتلت الدولة وانقطعت الدعوة من أكثر مدن الشام فإنها صارت بين الأترك والفرنج".

(1) ابن الفلاسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 137، أبو المحاسن، النجوم الزاهرة، ج 1، ص 150.
(2) ابن الأثير، ج 1، ص 99.
(3) المفرزي: خطط، ج 1، ص 356، أبو المحاسن، النجوم الزاهرة، ج 1، ص 149.
(5) كانت النزارة تدعى أن المنتصر بالله الفاطمي أوصى لأنه الأكبر نزار بالخلافة من بعد. أما المستعلي، فقدى أنه أوصى بها لأنه ابن القاسم أحمد الذي لقب بالمستعلي بالله (ابن مسرح، تاريخ مصر، ص 35، 37).
(6) خطط، ج 1، ص 356 - 357.
الباب السادس

الدولة الفاطمية في بلاد العراق

1- سياسة الفاطميين في نشر دعوتهم بمنطقة العراق إلى أوائل القرن الخامس الهجري.

2- حركة اليساير في بلاد العراق.

3- زوال النفوذ الفاطمي في بلاد العراق بعد دخول السلاجقة بغداد.
ا – سياسة الفاطميين في نشر دعوتهم بعد العراق إلى أوائل القرن الخامس الهجري

كان لظهور القرامطة في بلاد العراق السفلى والتشابه بين دعوتهم ودعوة الإسماعيلية أكبر الأثر في جذب كثير من أهل العراق إلى الاعتقاد المذهب الإسماعيلي. فصارت بلاد السواد (1) موجبة بتفاعل إثنا الإسماعيلية الذين اتخذوا سلمية (2) دار هجرة منذ عهد الخليفة المأمون العباسي، كما أصبح لهم أنصار في بغداد نفسها، بل إن عبد الله (المهدى) اتخذ دعاء له بهذه المدينة كانوا يجدونه بأفكار العباسيين. وقد استطاع بفضل دعاءه المقيم في بغداد وبلاد الشام التغلب على الصعوبات التي تعرض لها في طريقه من سلمية إلى بلاد المغرب (3).

قام دعاء الفاطميين في بغداد، بعد أن استقرت الخلافة لعبد الله المهدى في المغرب بنشاط كبير في نشر دعوتهم; وليس أدل على ذلك من اتخاذ ميول بعض كبار رجال الدولة العباسي إلى ما دعوا الفاطميين من حق في الخلافة والاعتراف

(1) عرف بذلك نسبة إلى إسماعيل بن جعفر الصادق. وكان أتباعه يعرفون بالإسماعيلية، وهم في téléphone من الشيعة.

(2) يتبع أن الإمام زهر بن عبد الله تلقى إلى الحلي بن أبي طالب رضي الله عنه ثم إلى ابنه الحسن، ثم إلى أخيه الحسن، ثم تلقى في بنجاء من جعفر الصادق إلى ابنه إسماعيل ثم تلقى في بنهة (القلشندى، صحيح الأخشي، ج 2، ص 115 - 120).

(3) السواد يراد به رستاق العراق وضياعها التي اتتحا المسلمون في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وقد سمى بذلك لسواد بالزروع والخيل والأشجار.

(4) حسن إبراهيم وطه شرف. كتاب "عبد الله المهدى"، ص 125، ص 128، 129، 130، 136. (باقوت، معجم البلدان، ج 2، ص 159).

(5) بلدة من ناحية بريه من أعمال حماة (باقوت، معجم البلدان، ج 5، ص 193).
تأريخ الدولة الفاطمية

312

بإمامة المهدي، فذكر مسكونه(1) أن يوسف بن أبي الساج - أحد قواد العباسيين في عهد الخليفة المستمد - أخبر كاتبه محمد بن خلف أنه متي جمع خراج واسط والكوفة وسوق الفرات عن سنة 214 هـ، شق عصا طاعة الخليفة العباسي وأظهر الدعوة للمهدى. ثم دعا الناس إلى الدخول فيما دخل فيه، وسار إلى بغداد؛ فكتب محمد بن خلف بذلك كله إلى نصر الحاكم، فأوصاه إلى مسام الخليفة العباسي(2).

على أنه يستدلت ما أورده ابن الآبار(3) عن تصال القائد العباسي يوسف بن أبي الساج بالفاطميين أن كاتبه محمد بن خلف هو الذي اتهمه بذلك طمعًا في تقلد الوزارة؛ فقال: "إن محمد بن خلف النيرمانى عظم شأنه وكرت ماله فحدث نفسه بوزارة الخليفة، فكتب إلى نصر الحاكم يخطب الوزارة ويسعى باب أبي الساج ويقول له إنه قرعتي يعتقد إمامة العلوي الذي يعترف في ناظرته وبناء عديثه كما ذلك فلم يرجع عنه، وأنه لا يسير إلى قتل أبي ظاهر القرمطي وإلا يأخذ المال بهذا السبب ويوقيه على قصد حضرته السلطان وإزالة الخلافة عن بنى العباسي.

وعلى الرغم من أنه ليس فيما ذكره كل من مسكونه وابن الآبار عن موقف يوسف بن أبي الساج إزاء الفاطميين، ما يدل على محاولته الخروج على طاعة الخليفة العباسي، فإن هذا الأمر لا يمنحنا من أن نرجع ميله إلى الدخول في دعوة عبيد الله المهدى، وإن كانت الفرصة لم تكن بعد لتحقيق هذه الرغبة. ويزيد ذلك ما أشار إليه الفنوي(4)، من أن يوسف بن أبي الساج، بعث إلى عبيد الله المهدى رسالة يعرف فيها بإمامةه ويعين استعداده لمعاونته(5).

كذلك بلغ من نفوذ دعاة الفاطميين في ذلك العهد أن نيحوا في جذب كثيرين من أهالي العراق إلى اعتناق المذهب الإسماعيلي؛ ويتضح لنا ذلك من هذا الحدث الذي دار بين عن بن عيسى وزير الخليفة العباسي المقددر بالله وبين أحدهم الإسماعيلي من أهل العراق. يقول ابن الآبار(6): جاء إنسان إلى على بن عيسى

(1) المغرب الأتم، ج: ص 167 ، حسن إبراهيم ، الفاطميون في مصر، ص 27 - 73.
(2) الكامل في التاريخ، ج: ص 54.
(3) المغني الكبير، ورقة 232 ب.
(4) حسن إبراهيم، الفاطميون في مصر، ص 54.
(5) الكامل في التاريخ، ج: ص 74.
الدعوة الفاطمية في بلاد العراق

وأخيرًا أن في جيرانه رجاءٌ من شيراز على مذهب القرامطة يكتب أبا طاهر(

بالأخير، فأحضره وسأله واعترف وقال: ما صحت أبا طاهر إلا لما سمع عن

أنه على الحق وانت وصايحك! (أي الوزير والخليفة) كفار، تأخذون ما ليس

لكم، ولا بد الله من حجة في أرضه! وإنما الهند فلان بن فلان بن محمد بن

إسماعيل بن جعفر الصادق القيم بلاد المغرب، ولستا كالرافضة والائتة عشرية

الذين يقولون بجهلهم أن لهم إمامًا ينتظرون ويكتب بعضهم البعض. فقال له

على ابن عيسى: قد خالطت عسكرينا وعرفتهم. فمن فيهم على مذهبه؟ فقال:

"أنت هذا العاهل تدير الوزارة كيف تطعن متي أنى أسلم يومًا مؤمنين إلى قوم

كفارين يقتلونهم لا فعل ذلك.."

كان لضعف سلطة الخلافة العباسيين الذي تجلى منذ بداية القرن الرابع

الهجري بسبب استفحل نفوذ القواد الأتراك واستقلال الأسراب بولاياتهم،

واستبداد البويهيين(1) بأمور الخلافة أثره في تشجيع الفاطميين على إرسال دعائهم

(1) تتقلد أبو طاهر سليمان الجلاب مسامع الحكم في دولة القرامطة بلاد الحيرين سنة 950 هـ. وكان عم ثانياً إلى

المجد والرقة، فقضى السنين الأولى من حكمه ينير شعون دولته، ويعد العدة للسيطرة على جزيرة

العرب، وقد تجلت في هذه قيام العلاقات الواسعة بين القرامطة والعباسيين بلاد العرب، واعتناقهم في

سياساتهم العادلة إزاء المباشرين.

(2) أشتر من بين أهالي البلاد الديم البويهيين، وكانوا جنودًا مغامرين من أصل فارسي، وقد رفوا أنفسهم

بالدهاء والمتكير، وكانوا لا يترددون ولا يعجلون من ترك خدمته قائد إلى خدمة آخر، يفتق له أجراً أكثر من

الأول؛ فافتشوا على ناحية وأخوه الحسن إلى مريحة الأسراب في جيش ماكانه النبيلي، ولم تخفقت به

الهجرة؛ انطلت إلى خدمة مراقبين يدينون في الدين، فثول على ناحية بلاد الكرج إلى الجنوب الشرقي

من هذان.

على أن الجو لم ينصف لباي بن بوي؛ فقد عمل مراقباً على طرف من بلاد الكرج وأرسل جيشًا

كبيرًا لإجباره منها، فسار إلى أرجاء (إحدى كور فارس) وأحتلها سنة 971 هـ. ثم دخل شيراز في العام

التالي وكان آخر حملة منهم من إحباط كارماً. لما نوقى مراقبين سنة 972 هـ، أطلق البويهيين

أصفهان والرقي وباشروا في توسعهم نحو العرب، فدخل ناحية أخر، فأعطى الله الأرض انتظارًا ناحية استغلاله على ناحية إضداد بلاد فارس، وأرسل إلى الخليفة الراضي

إتباعاً بالجاهزية، وأمضى رحلته وأمضى بها. وأصرت مياه الرميلة على مياه البلد، وانعدمتي إلى بلاد

العراق المجرية، ودعا ناحية أخر، أضحى ناحية إلى المير إلا خمس سنوات الحالة في ههد

البهجة المستقلة، فوصل ناحية أخر في 91، على أخذه إضداد، وانعكست نهاية

أمم، واجد ناحية إلى الخليفة. ولكن يظهر هذا الخليفة تأديبلي بن بوي منع زعمائهم الأثقل، هزل على

عوم الدولة، وليبهر في这个名字، وليلبهر الذي أضحى مبطلًا ملتقط الصرف في العراق مع الدولة.

مكسيك. (نجوم الأسماء) ص 324، ص 325.

حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام السياسي ج 3، ص 299- 301 و 324.

الدوري. المعصرة العبرية التأرخية، ص 248- 247.
إلى بلاد الدولة العباسية لنشر الدعوة لهم، كما حفزهم إلى العمل على تقويض دعائم الخلافة العباسية وانزاع زعامة الإسلام منها.

وقد كشف المعز لدين الله الفاطمي عن سياسته التي ترمى إلى بسط سلطانه على بلاد الشرق في خطبة ألفها على رؤساء كتامة مدينة المنصورية (1)، ورأيت أن أنفذ إليكم فأحضركم لشاهدوا حالى إذا خلتو دونكم واحتجب عنكم، وإنني لا أنفلكم في أحوالكم إلا فيما لابد لي منه من دنياكم وبا خصني الله به من إمامكم، وإنني مشغول بكتب ترد على من الشرق والمغرب، أجب عنها بخطى (2).

كذلك عبر المعز قبل وفاته سنة 365 هـ عن أمله في فتح العراق في الحديث الذي دار بينه وبين رسول الإمبراطور البيزنطي الذي قدم إلى القاهرة لزيارته. وقد خاطبه المعز بقوله: أنذكر إذ أتيني رسول وانا بالمهدة فقلت لك لتدخلن على وانا بمركا لما لك، قال: نعم. قال: وانا أقول لك لتدخلن على بغداد وأنا خليفة (3).

رأى الفاطميون أنه لن يتبرع لهم نشر نفوذهم في بلاد الشرق إلا بفتح مصر لتوسطها العالم الإسلامي، ففضل عن قربها من الشرق الذي حرص العزر على إخضاعه؛ لذلك وجه الفاطميون أنظارهم إليها لانتزاعها من الدولة العباسية، واستطاعوا أن يمتطوا سلطانهم عليها سنة 358 هـ، وأقيمت للفاطميين الخطبة على منابرها.

وأما أيقظ الفاطميين أن دعاتهم في بلاد الشرق قد نجحوا في صرف كثير من المسلمين عن تأييد العباسيين، شرعوا في مواصلة جهودهم لبسط سيادتهم على أراضى الدولة العباسية؛ فتخلي النفوذ الفاطمي في عهد المعز الحدوت المصرية إلى بلاد الشام، لكنه لم يكن مستقرًا فيها، بينما نراه ينمو ويزداد في جزيرة العرب.

(1) أسس الخليفة المنصور الفاطمي مدينة المنصورية سنة 377 هـ في الموضع الذي دارت فيه الوافقة بينه وبين أبي زيد مخلد بن كيدان على مقرية من القوران وانتذها حاضرة له.
(2) راجع كتاب: المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب لابي عبد البكر، ص 25.
(3) المغربي: احترام الحلفا بأعبار الأمام الخلفي، ص 136 - 137.
(4) ابن الأثر: الكامل في التاريخ، ج 8، ص 220.
الدعوة الفاطمية في بلاد العراق

بفضل الدعاية الفاطمية التي وجدت من تلقاء نفسها مراعي خصبة في تلك البلاد؛ فاقمت الخلفية في مكة والمدينة لكي يرتفع في الخلفاء الفاطميين، كما انتشر نفوذهم في بلاد يمن وذاعت دعواتهم في ك이며 من بلادها؛ وبذلك تضاءل سلطان الدولة العباسية الروحية في جزيرة العرب كما تضاءل سلطانهم في بلاد الشام من قبل.

كانت بلاد العراق محطة أنظار الفاطميين وعلى الأخص بعد أن استبد البوهيين بالسلطة في بغداد سنة 334 هـ. وقضوا على نفوذ الخلافة العباسية، بل شاركوا في مظهر سعادتهم الدينية والسياسية.

أقام البوهيين على أثر دخولهم بغداد إمارة وراثية، وكانوا يعتمدون الذهب الشيعي على مبادئ الزيدية التي أدخلها بلاد الدلم حسن بن على الزيدى(1). ومن ثم صاروا لا يعترفون بحق العباسيين في السيادة على جميع العالم الإسلامي(2)، وإذا اعتبروا معتصمين للخلافة من أصحابها العلويين(3).

وقد تأثر البوهيين إلى حد كبير بالدعوة الفاطمية في بلاد المشرق؛ فلما قبضوا على زمام السلطة في بغداد وضعف تبعًا لذلك مركز الخليفة فكروا في القضاء على الخلافة السنية وإقامة خلافة شيعية مكانها، وحاول مجاز الدولة، بويه (334 - 356 هـ) إخراج هذه الفكرة إلى حيز العمل وذلك بنقل الخلافة العباسية إلى أحد العلوين، ولكن خواصه حذرهم من سخط الناس ومخالفتهم لأن عامتهم في الأقطار الإسلامية اعتدوا الدعوة العباسي، وأطاعوا العباسيين طاعة الله ورسوله(1).

---

(1) نشر حسن بن على الزيدى الإسلام بين أهل العراق، وطبرستان في أواخر القرن الرابع الهجري، وقضى على الوثيقة والموجبة التي كانت متشرية بينهم، واستطاع أن يستمتعهم إلى جانب، وتناول مختلسين له طيلة حياتهم؛ كذلك نجح حسن بن على الزيدى في القضاء على النظام الإقطاعي الذي كان سائداً في بلاد الفيل، وطلبت طبرستان بد أسرته حتى سنة 314 هـ حين نجح مروديج بن يزار الدلمى هذا الأقليم.

(2) الدورى: العصور العباسية المتأخرة، ص 72 - 73.


(3) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 8، ص 149.

(4) الدورى: العصور العباسية المتأخرة، ص 248.
وقد وضح ابن الأثير (1) تلك المحاولة التي شرع مع الدولة في تنفيذها ثم
لم يلبيه أن عدل عنها بشيء: لقد بلغني أن معز الدولة استشار جماعة من
خواص أصحابه في إخراج الخلافة من العباسيين والبيعة للمني الدين للعلوي أو
لغيره من العلويين، فكلهم أشار بذلك ما عدا بعض خواصه، فإنه قال: فليس هذا
براء. فإن ذلك اليوم مع خليفة تعتقد أنت وأصحابك أنه ليس من أهل الخلافة ولو
أمرتهم بقتله لقتله مستحيلين دمه، ومثأر أجلس بعض العلويين خليفة كان يملك
من تعتقد أنت وأصحابك صحة خلافته فلو أمرهم بقتله لفعلوه؟

عدل معز الدولة بن بويه عن عزمه لما قد يتعرض له سلطانه من خطر بسبب
وجود خلافة علوية تطيعه الجند من الدليم ويكونون أداة في يد الخليفة يستغلها
لصلحه مشياء (2)، وفضل أن يستبد بالسلطة في ظل خليفة عباسى ضعيف
على أن يكون تأبع خليفة يعرف بإمانته، كما أن أمراء بنو بويه (3) الذين خلفوه
وأصبحوا مطلقين يصرف في العراق حدوه حدوه فلم يقدموا على تحويل
الخلافة إلى أحد العلويين، لكنهم ظلوا على اتصال بالفاطميين، فسمحوا لدعائهم
بنشر عقائد مذهبه في بلاد العراق وغيرها من البلدان التي كانت خاضعة لنفوذ بني
بوه (4).

كان البويهون رغم حرصهم على الاحتفاظ بنفوذهم السياسي يتلون
الفاطميين على العباسيين من الناحية الذهبية، فتسببت الرسائل الودية بين العزيز
بالله الفاطمي وعبد الدولة بن ركن الدولة (367-372 هـ) فاعترف هذا الأمير
بإمامة الخلافة الفاطمية، كما كان لغارات البيزنطيين المتكررة على الأراضي المتناحمة
حدود كل من الدولتين العباسية والفاطمية أثر كبير في تقويب ساحة الخلاف بينهما

(1) الكامل في التاريخ (8)، ص 149.
(2) مسكوبه: تجارب الأمم (جاب)، ص 78.

Noeldeke, Sketches From Eastern History P. 88.
(3) تفرد ما ورد في كتاب هميرة المولد في القرن داعي الدعابة أن من بين ألقاب بنو بويه، شاهد من العظيم
ملك الملوكي، سلطان الدولة، معز أفرؤين وتبع خليفة الله، كما درس أحياناً بلقب أمراء الأمراء
في كتاب (140).
(4) A.D. Stanley Lane - Poole فذكر أن أمراء Muhammadan Dynasties p.
بني بويه لم يدخلا لأنهم لقيهم لقب سلطان على المملكة، وإنما استعملوا لقب أمير وملك.
(5) وميضي: تاريخ الإسلام السياسي، ج 1، ص 101 - 102.
(6) حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام السياسي، ج 3، ص 102 - 103.
الدعوة الفاطمية في بلاد العراق

وعاونهما على إيقاف هذا العدو المشترك عند حدٍ، ويتبنون لنا ذلك من الكتاب الذي بعثه العزيز مع أحد رسوله إلى عضد الدولة سنة 329 هـ، وقد جاء فيه (1) إن رسولك وصل إلى خضرة أمير المؤمنين مع الرسول المنفذ إليك، فأدى ما تعمله من إخلاصك في ولاء أمير المؤمنين ومودتك ومعرفتك بحق إمامته، ومحبتك لآبائه الطائفيين الهاديين المهدين; فسر أمير المؤمنين بما سمعه عنك ووافق ما كان تتوسمه فيه، وأنك لا تعدل عن الحق . . وقد علمت ما جرى على شعور المسلمين من المشركين، وخراب الشام وضعف أهله، وغلاء الأسعار. ولولا ذلك لتوجه أمير المؤمنين بنفسه إلى الشعور، وسوف يقدم إلى الخيرة، وكتابه يقدم عليك. عن قريب، فتذهب إلى الجهاد في سبيل الله.

وأما هو جدير بالذكر أن رسول العزيز بالله الفاطمى لما وصل إلى بغداد استقبل استقبالا حافلا، فقد اصطفت الجنى على جانب الطريق، وأخذت القواد وكبار رجال الدولة أماكنهم كل على حسب مكانته، على حين جلس الخليفة الطائع وزار الستر، حتى إذا ما رفع هذا السر رأى الخاضرون الخليفة جالسا على عرش مرتفع ويجيب به مشات الخرس متشققين سيرفهم، مرتددين أبهي حللهم، وأمام الخليفة مصحف عثمان، وعلى كتفه بردة الرسول ﷺ، يبدع قضيب الملك، وتقدم عضد الدولة البوهي وقبل الأرض. هذا سأل رسول الخليفة الفاطمى - وقد أخذت الدهشة منه كل ما أخذ - من هذا الذي تصدج له وتقبل الأرض بين يديه؟ أهو الإله العظيم، فجاجبه عضد الدولة: إن خليفة الله وظهله على الأرض (2).

لما وصل كتاب العزيز إلى عضد الدولة، أرسل إليه رداً، أمره فيه على انتشائه لأهل بيت رسول الله ﷺ وأظهر استعداده لتنفيذ أموره. (3). وقد علق أبو المحاسن (4) على هذا الكتاب الذي أرسله عضد الدولة البوهي إلى الخليفة العزيز.

Arnold, the Caliphate p. 66 - 67.

(1) أبو المحاسن: التمجز الزاهرة، جدة: ص 124 - 125 .
(2) السروط: تاريخ الخلفاء، ص 27 - 271 .
(3) أبو المحاسن: التمجز الزاهرة، جدة: ص 125 .

(22)
بقوله: "وإذا أتعجب من كون عضد الدولة كان إليه أمير الخليفة العباسي ونهيه، ويقع في مثل هذا خلفاء مصر؛ وقد علم كل أحد ما كان بين بني العباسي وخلفاء مصر من الشأن. وما أظن عضد الدولة كتب له ذلك إلا عجزاً عن مقاومته، فإنه قرأ كتابه في حضرته الخليفة الطائع، وأجاب بذلك أيضًا بعلمه، فهذا من العجب".

على أن هذه السياسة التي كانت تتطوى على التواد بين الخليفة الفاطمي وعضد الدولة البوهيمي ما لبث أن تبدلت في أواخر عهد هذا الأمير، بل نراه يجهز قواته لغزو مصر واستشرادها من الفاطميين بعد أن اتفضح له خطر الدولة الفاطمية على سلطان بني بويه؛ فقد ذكر أبو منصور عبد القادر البغدادي في كتابه الفرق بين الفرق (1) أن عضد الدولة تأهب للسفر إلى مصر واتنزعها من أيدي الباطنية، وكتب على أعلامه: "بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد خاتم النبؤين، الطائع الله أمير المؤمنين، ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين...". لكن هذه المحاولة لم تتم بسبب وفاة عضد الدولة. وقد قيل إنما قام به هذا الأمير كان نتيجة لشكة في نسب الفاطميين، ذلك أنه دعا العلويين ببغداد، وقال لهم: "إذا الخليفة بمصر يدعى أنه علوي، فأنكروا انسابه إليه؟ فبعث إلى العزيز رسولا يقول له: "نريد أن نعرف من أنتم؟ فعظم ذلك على الخليفة الفاطمي وأرمع رسوله عضد الدولة علىعودة إلى بغداد، وبينما هو في طريقه إليها قتل بطرابلس (2)".

على الرغم من أن البوهيين لم يعملا على مناصرة الفاطميين في بداية عهدهم بالعراق، فإنهم ظلوا طوال حكمهم يشعرون بال데ن الشيعي الذي يديرون به وقويوا إليه أنغام هذا الدن ليستعينوا بهم على تحقيق سياساتهم في العراق، بل عيزوا ببعضهم للشيعة مما أدى إلى قيام الثورات من حين إلى حين بين الشيعة والسنيين في بغداد، وليس أدل على ذلك مما قام به يهود الدولة بن عضد الدولة (379-403 هـ)، فقد تعصب لأهل الشيعة في بغداد حين ودعا عزمهم على

(1) ص 375 - 376.
(2) المع ngozi: اتخاذ الحفاظ، ص 36.
مناصرة الحاكم بأمر الله الخليفة الفاطمي بمصر سنة ٣٩٨ هـ، وصاحوا: يا حاكم، يا منصور. وكان لتجوز هذا الأمير لهما أثر كبير في نفس القادر بالله العباسي (٣٨١ - ٤٢٢ هـ) فأماد السنين بفرقين من حرسه حتى يستطيعوا الوقوف في وجههم، ومن ثم دارت رحى الحرب بين الفرقاء. وانتهى الأمر بهزيمة أهل الشيعة (١).

لم يدخر الفاطميين جهدًا في سبيل نشر الدعوة الفاطمية في بلاد العراق؛ فأقيمت الدعوة للخليفة العزيز سنة ٣٨٢ هـ في الموصل على يد أميرها أبو الدرك محمد بن المستبب بن رافع بن المقلد العقيلي (٢)، كذلك نجح الحاكم بأمر الله الفاطمي في استهداف قواته بن المقلد الملقب بمعظم الدولة - أمير بن عقيل (٣) - الذي أتت إليه السيادة في الموصل، فخرج على طاعة الخليفة العباسي القادر بالله سنة ٤٠١ هـ، وقام بنشر الدعوة الفاطمية في الموصل والأنبار والمثنى والكوفة، كما أحل اسم الحاكم بأمر الله في الخطة محل الخليفة العباسي.

يقول أبو المحاسن (٤) عن إقامة الخطة في الموصل للحاكم بأمر الله أحضر (معظم الدولة) الخطب يوم الجمعة راحب المعمر (سنة ٤٠١ هـ) وخلع عليه قباء ديبيا وعمامة صفراء وسراويل ديباج أحمر وخفين أحمر، وقلده سيفًا وأعطاه نسخة ما يخطب به، و抉择 بعض ما ورد في هذه الخطة (٥): في الله وصل.

(١) السيوطي: تاريخ الخلافات، ص ٢٧٤.
(٢) ابن خلكان: زلفات الأعيان، ج ٢، ص ٢٠١.
(٣) كان أبو عقيل من النبلاء العربيين (نحو كلاس ونحو ثمود ونحو خفاجة) يقيمون بين الجزيرة والشام، وما أسر الحمدانيون دورهم في الموصل، ساروا من رعاياهم، ودعوتهم إلى الجاهلية، وخرجون معهم في الحرب. على أن أبي عقيل سرعان ما تطلعوا إلى انتقال البلاد بعد أن تصل إلى مشفى بني حسان، فاستولى أميرهم أبو الدرك محمد بن المستبب بن رافع بن المقلد على نصيبه سنة ٣٧٩ هـ، ثم سار إلى الموصل ومضوا إلى حراسة في السنة التالية، وأطر بهدا الدولة بن بويه عليها. لكنه لم يمنع بولاتها طريلًا، فقلع عزيز اليوهيم سنة ٣٨٢ هـ، وتم تأديب أبو الدرك سنة ٣٨٠ هـ، استعاد أخوه المقلد ولاية الموصل وأسس بها دولة العفليين التي ظلت قائمة حتى سنة ٤٨٩ هـ.

ابن الأنبياء: ج ٩، ص ٢٦٦، ابن خلكان: العير، ج ٤، ص ٢٥٤ - ٢٥٦.
(٤) النجوم الزاهرة، ج ٤، ص ٢٢٤.
(٥) أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، ج ٣، ص ٢٧٦ - ٢٧٧.
على وليك الأزه، وصدقيك الأكبر، على بن أبي طالب أبي الخلفاء الراشدين المهديين، اللهم وصل على السبطين الطاهرين الحسن والحسين، وعلى الأئمة الأبرار والصفوة الأخيار، من أقام وظهر، ومن خلف فاستمر. اللهم وصل على الإمام المهدي بك، والذي بلغ بأمرك وأظهر حجتك ونهض بالعدل في بلادك. اللهم وصل على القائم بأمرك والمتصور بنصرك، اللذين بذلا نفوذهما في رضائتك، وجاهدا أعداءك. اللهم وصل على المعز لدينك، المجاهد في سبيلك... اللهم وصل على العزيز بك الذي مهدت به البلاد وهديته به العباد. اللهم واجعل نواميس صلواتك وراويك بركاتك، على سيدنا وموثانا إمام الزمان وحصن الإيمان وصاحب الدعوة العلوية، عبد وولي المنصور أبي على الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين، كما صلبت على آبائه الراشدين. اللهم وفقنا لطاعته، واجمعنا على كلمته ودعوته، اللهم وأعنه على ما وليته، واحفظه فيما استرعيته. وانصر جيشه وأعله أعلامه في مشارق الأرض ومواردها، إنك على كل شيء قدير.

استع الله الخليفة القدار باشا العباسي حين بلغه نبأ ذيوع الدعوة الفاطمية في بعض بلاده، وأنفذ القاضي أبا بكر الباقلاتي إلى الأمير بياء الدولة ليخبره بالخطر الذي يهدد دولته من ناحية الفاطميين، وطلب منه العمل على مناهضة نفوذهم (1). فعدل بهذه الدولة عن تأييد الحاكم بأمر الله إجابة لرغبته الخليفة العباسي، وأرسل جيشًا إلى ابن المقلد اضطر وقف الدعوة للحاكم في بلاده وإقامة الخطة للقادر بالله (2).

كذلك رأي الخليفة القدار باشا العباسي بعد أن تجلى له نجاح الدعوة الفاطمية في بعض بلاد العراق أن يلجأ في محاربة الفاطميين إلى سلاح التشهير بسمعتهم في العالم الإسلامي، لعله يصل من وراء ذلك إلى القضاء على نفوذهم؛ فعقد اجتماعًا دعا إليه الفقهاء والقضاة وبعض زعماء الشيعة، وأصدروا في شهر ربيع الثاني سنة 420 هـ محاضرًا يتضمن الطعن في نسب الفاطميين.

(1) ابن خلدون: العبر، ج2، ص 442.
(2) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج9، ص 76 - 77.
خلفاء مصر وفي شريعة إمامتهم، وأنهم ليسوا من آل البيت، وقررت نسخ من هذا
المحضر في بغداد. وكان من بين الموقيين على الشريف الرضي وأخوه المرتضى،
وفريق من آكابر العلويين. وكان بما ورد فيهم: ( .. فشهدوا جميعًا أن الناجم بمصر
وهو منصور بن نزار الملقب بالحناكم ..) وهو من تقده من سفالة الأرجاس
الأئمة، أذعيباء، خوارج، لا نسب لهم في ولد على بن أبي طالب، وأن ذلك
باطل ورور، وأنهم لا يعلمون أن أحدًا من الطالبيين توقف عن إطلاق القول في
هؤلاء الخوارج أنهم أذعيباء. وقد كان هذا الإنكاك شائعًا بالحرم في أول أمرهم
المغرب. أن هذا الناجم بمصر هو وسلفه .. قد عطوا الحدود، وسفكوا الدماء
وسحوا الأنيبيء ولهروا السلف وادعوا الروبيوة(1).

علي أنه يضح لنا ما ورد في كل من ابن الأثير(2) والقزاز(3) أن الشريف
الرضي الموسوى العلوي أستدع عن توقف هذا المحضر، يؤيد هذا القول ذلك
القصيدة التي نظمها وأثبت فيها صحة نسب الفاطميين، غير أن هذه القصيدة لم
ترد في ديوان شعره خلفًا من الخليفة العباسي القادر بالله وإرضاء لأبيه.

وإليك بعض أبياتها:

ما سقّامى على الهوان وعندي
مَفْقُول صارم وألف حمى
لاس المذل في البلاد الأعداد
ومصر الخليف العلوي
إذا ضامني البعيد القصي
فألف عرقي بعرقه سيدها النا
س جمعياء: محمد وعلى
إن ذل إلى ذلك الحي عصا
أوامى بذلك التربيع رى

* * *

أتزنت هذه الأبيات غضب الخليفة القادر بالله؛ فبعث إلى الشريف أبي أحمد
الموسوى والد الشريف الرضي يعاته على ما جاء في قصيدة ابنه، بقوله: (قد

(1) أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، ج4، ص 279 - 280.
(2) الكامل في التاريخ، ج8، ص 8.
(3) تنظيم الخفاف، ص 105، 43 - 44.

لم يقف تيار الدعوة الفاطمية في بلاد العراق رغم ما بذله الخليفة الفاضل بابل الله العباسي من مجهود للقضاء على الفوضى الفاطمية في بلاد الدولة العباسية؛ فقد أُتيحت الفرصة لدعم الفاطميين لواصلة جهودهم في نشر دعوته وصدروا كثيرًا من النجاح حين ساد الاضطراب في بلاد العراق في مستهل القرن الخامس الهجري بسبب تنافس أمراء بني بويه على السلطنة؛ فقام النزاع بين سلطان الدولة الذي ولى الحكم في العراق، سنة 40 هـ وابن أخيه أبي الفوارس، ويعزو ابن الأثير 1) هذا النزاع إلى إغراق الديلم أبا الفوارس بمحاربة أخيه وأخذ ما بيده من البلاد، كما دارت الحرب بين جلال الدين وابن أخيه أبي كاليجار الذي استمال إليه بعض أمراء العراق، واستولى على البصرة وواسط، ثم تمكن جلال الدولة من استردادهما. كذلك كان لازداد نفوذ الأتراك أثراً في سوء الحالة في بلاد العراق، فقد أخذوا يتدخلون في تولية أمور بني بويه وأعزعزلهم، وبحملونهم على أن يحلقوا لهم على الطاعة والوفاء، ولم يكن الخليفة يملك إلا تنفيذ رغباتهم. وكان هؤلاء الأتراك ينزعون دائماً إلى الخروج على حكامهم طمعًا في ابتناء الأموال. وقد قاموا بعدة محاولات ترمى إلى خلع جلال الدولة وتوالى ابن أخيه أبي كاليجار في السلطنة من بعده 2).

لم تكن حقيقة الحال في بلاد العراق خفية عن الحكومة الفاطمية في مصر؛ فلما وصل إلى الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله الفاطمي ما حل ببغداد من الفوضى.

1) الكامل في التاريخ، ج 1، ص 101.
2) حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام السياسي، ج 2، ص 127 - 128.
بسبب النزاع والمنافسة بين أمراء بني بوبه، والخلفاء بين جند الأتراك، رأى أن يتذكر هذه الفرصة لتابع سياسة أسلافه في نشر الدعوة الفاطمية ببلاد العراق؛ فأرسل في سنة ٢٥ هـ إلى بغداد بعض دعات؛ فاستجاب لهم كثير من الناس.

كان للجهود التي بذلها الفاطميين لنشر دعوتهم عن طريق دعاتهم في بلاد الدولة العباسية وعلى الأخص منذ بداية القرن الخامس الهجري أثرها في حمل العباسيين على بث الدعوات السيئة ضد الفاطميين للحث من شأن الخلافة الفاطمية. ولعل أهم ما قاموا به لتحقيق هذه الغاية هو تنفير المسلمين منهم بادعائهم عدم صحة نسب الفاطميين إلى علي وفاطمة. وقد سار الخليفة القائم بأمر الله العباسي على سياسة أبيه القادر بالله في النيل من الفاطميين ومناهضة نفوذهم؛ فأصدر ديوانه ببغداد سنة ٤٤٤ هـ محاضراً تضمن إنكار انتساب الفاطميين لأهل البيت.

(1) المقرزي: اتعاظ الحنفية، ص ٢٧٦.
(2) أبو المحسن: التجدر الزاهرة، ج ٥، ص ٥٣.
3- حركة البساسيين في العراق

لم تكون حالة الخلافة السياسية في عهد النجاشي بأمر الله أن تكون في عهد من سبقه من الخلفاء؛ فقد تجلى في أيامه استقرار بني بوره بالسلطة، وقيام الزعامة والمنافسة بين أمراءهم من جهة، وبينهم وبين الجند من جهة أخرى؛ ففي سنة 244 هـ، ظهر التنافس بين جلال الدولة وابن أخيه أبي كاليجارد، كما ثار جند الأتراك على جلال الدولة ونهبوا داره وكتبهم ودواوينه سنة 246 هـ، وأقاموا الختامية ببغداد لابي كاليجارد - وكان إذ ذاك بالأهوار، غير أنهم ما لبثوا أن اعتذروا له وأعادوا إلى مكة(1). والما توفي جلال الدولة سنة 246 هـ، وخلفه ابنه الأكبر أبو منصور فيروز الذي لقب الخليفة الملك العزيز، غير أنه لم يتمكن من الاحتفاظ بسلطته أبهفة طويلة، فقد أرسل أبو كاليجارد بن سلطان الدولة إلى كبار القواد يستمتعهم إليه وبعدم إغادار الأموال عليهم، فتموا إلى تأييده وانصرفوا عن الملك العزيز، وهذه استطاع كاليجارد دخول بغداد، وأقيمت له الخاتمة بهذه المدينة في صفر سنة 436 هـ(2). واعترف بهنداو سائر أمراء العراق.

ظل أبو كاليجارد بعد توليه أمر العراق يعني بشئة فارس فقدي علي حركات الثوار في أصبهان وكرمان، كما عمل على إصلاح ما بينه وبين طغرل بك السلجوقى الذي استولى على خراسان والرثى؛ فعقد معه السلم سنة 339 هـ، وتوقفت عرى المودة بينهما برئ وعء وزوا، واستمر الحال بينهما على أن يتزوج طغرل بك بابته أبي كاليجارد، ويتزوج الأمير أبو منصور بن أبي كاليجارد بابته الملك داو داخي طغرل بك. كذلك عمد أبو كاليجارد إلى القرب من الفاطميين ليتخذهم وسيلة لإرهاب العباسيين حتى لا يحاولوا الاستعانة بالسلاجقة الذين يهودون سلطان بني بوره ذلك الدين.

كانت الدعوة الفاطمية إذ ذاك قد لقيت تأييدًا عند الدبالة في فارس على يد الداعي المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي(3) الذي قام بدور هام في نشر الدعوة.

(1) ابن خلدون: العبر، ص 448-450.
(2) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 188، ص 381-382.
(3) الكامل في التاريخ، ج 184، ص 184.
(4) ك. الداعود في الدين بن منارة رد عمله: الدعوة الفاطمية سنة 820 هـ وراهن من رأده الفيفرس، و من حكم أنه يكون فئة نداء الدين الذي كتب في تأييد الفاطميين إلى المسلمين.
(5) مقدمة في النبات، 12-14.
للخليفة المستنصر بالله الفاطمي في بلاد الفرس والعراق، واستطاع بسياسته أن يجذب الملك أبي كاليجار البويهي إلى هذه الدعوة (1).

وقد وضع هبة الله في سيرته، كيف كان يجتمع بالمملكة أبي كاليجار ليلقته أصول الدعوة الفاطمية، فقال: "كان كل ليلة جمعة أمكن عنه إلى أن يمضي هزيع من الليل، وهو يسألني عما يهجلس في نفسه، وكتب جوابي يظهر أكثر تباشير الفرح في وجهه، وسأله كيف وقع هذا الجواب منك، فرضا حر ك رأسه يعني أنه جيد، فلا أرضى دون أن أقرره بلسانه أنه ما دخل في مسامعه مثله... وكان بناء المجالس التي تعقد بحضوره في لبال الجمعات على أن ينديء بقراءة شيء من قواعر القرآن، ويشت بباب من كتاب الدعائم (2)، ويثبت بأن يسأل عما يريد فلايجيب عنه. وأختص بالمحميد والخطيئة لولانا الإمام خلدون الله ملكه... ومن جملة ما كتب قرهه مدعى أكذ غير نايه من امام ما يريد استماعه من أي لسان كان، من أي مذهب كان، ولكن يرجع به إلى، وسألي عما عنده في فإن وجد الريحان فيما عندي لزمه أن يرفض أقوالهم ويعمل بما هو أكمي له وأرجي لخارصه؟.

لما رأى الخليفة القائم بأمر الله العباسي الخطير الذي يهدد كيان دولته ومذهبه السنى في بلاد الفرس والعراق من جراء نشاط المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي في نشر الدعوة الفاطمية، بث رسولا من قبله إلى الملك أبي كاليجار يطلب إليه تسليم داعي الفاطميين ويهده بالاستعانة بالسلاجقة وإرغائهم بالاستيلاء على ما يمتلكه من البلاد (3)؛ فلم يحل أبو كاليجار في بادئ الأمر بهذا التهديد ثم أنفذ رسالة إلى هبة الله الشيرازي، حذرها فيها من عاقبة بقائه في شيراز بقوله (4): "لا شك أن هذه الضجة التي كانت تخرج الأرض وتشق الجبال وقعت في مسامعه،

(1) سيرة المؤيد في الدين دعاء الدعاة، ص 324.
(2) يعرف هذا الكتب باسم دعائم الإسلام. في كثير الحال والخرج والقضايا والأخلاق، ويعد من أهم مراجع فقه الإسلامي. ورد الله تعالى في جنينة المعجم ابن أبي عبد الله بن محمد بن أحمد بن حزين النعماني، وكان النعمان ملك المذهب ثم اعتنق المذهب الإسلامي، ودخل في خدمة عبد الله المهدي حول سنة 319 هـ، واختبر عمله في عبد المهدي والقائم، وانتصر على جميع ونشر كتب المذهب الإسلامي، واتخذت النصر والمثل قاضيا لهما؛ وتوفي سنة 323 هـ في خلافة المع، لديد الله (راجع: كتاب المعز لدين الله خليفة إبراهيم وطه شرف: ص 258).
(3) سيرة المؤيد في الدين، ص 56.
(4) المرجع نفسه، ص 26.
وعلمت أن هذه الأمم، لا يحبها إلا الله سبحانه، أعداؤك وخصماؤك، وكانوا أعداءنا فيك أيام كنا نقربك وندنيك، ونبلغك الآن أن تأخذ لنفسك وتبتغي سبيل نجاتك، وتفجر هذه الممالك؛ ثم تأخذ أي صوب شئت.

على أن الملك أبا كاليجار لم يكتف بهذه الرسالة التي بعث بها إلى هبة الله الشيرازي، بل أرسل إليه وفداً من كبار رجائه، فلما التقوا به عبروا له عن أسف الملك للصعاب التي سيلاقيها إذا نفذ ما كلفه به من الرحيل عن تلك البلاد، كما قدموا إليه كتاب الخليفة العباسي الذي يضم التنويع بطرابلس والطعن في نسب الفاطميين؛ وقد جاء فيه (1) "والقول إنه إن كانت دعوة تعزى إليهم في الأيام المتأخرة، فقد كانت في الخففاء والستر... وإن أحدًا ما جسر على مثل ما جسر عليه هذا الرجل (هبة الله الشيرازي)... من الوقوف في بعض مواقيط ظهاره وإظهاره والتجرد لدفع معالم ذكرهم بالصلاة والخطبة وإزالة أسامي بالكتابة، وأنه إذا سمع في بابه وأتهم تسليمه في يد ساحبنا، فقد أخرجتما من عهدة الآبان والعهود بينا وبينكم، وأخرجتما إلى استقرار من نصرا علينا.

ظل هبة الله الشيرازي رغم ما وصله من اهتمام الخليفة القائم بأمر الله بالقضاء على جهود واضطراح أبا كاليجار إلى الانصراف عن تأييد دعوته حريصًا على ولاية الفاطميين؛ فأجاب وفد الملك البروهي الذي أطلعه على كتاب الخليفة العباسي بأنه لا يعرف خليفة غير المستنصر بالله (الخليفة الفاطمي بمصر)؛ ثم أزمع الريح من شيراز وسار قادماً مصرياً سنة 238 هـ؛ ولهذا سعى إلى لقاء الإمام المستنصر بالله؛ فوجد من وزيره صدقة بن يوسف الفلاح بن تبريسيسًا لإجابة هذه الرغبة. وقد وصف هبة الله الشيرازي في سيرته (2) كيف دخل إلى مجلس الخلافة بالقاهرة وحظى بمبايعة الخليفة الفاطمي، فقال: "فلم تقع عيني عليه إلا وقد أخذتني الرعوة وغليستني العبيرة، وتمش في نفسى أني بين رسول الله وأمير المؤمنين-ماهـ- مثال، ويهوجي إلى وجههما مقابل، واجتهديت عند وقفي إلى الأرض ساحداً لولي السجرود ومستحقه، أمر يشفعه لسانه بشفاعة حسنة بنطقه.

---
(1) المرجع نفسه، ص 84 - 85.
(2) المرجع نفسه، ص 85 - 86.
فوجدته بعوجة المهابه معقولا، وعن مزية الخطابه معزولا. ومكثت بحضوره ساعة لا يبلغان لسانه بنطق ولا يهتدي لقوله، وكلما استطرد الخاضرون من كلامه ازدادت إعجاباً. وهو خلد الله ملكه يقول: دعوه حتى يهدأ ويستجز، ثم قمت وأخذت يده الكريمة فترشفتها وتركتها على عيني وصدري، وودعت وخرجت.

ولَا شَكَ أنَّ المؤيد في الدين هيئة الله الشيرازي يعد من أخلص دعاة الفاطميين الذين اتخذوا بلاد الشرق مركزاً لنشر دعوتهم. وقد استطاع بفضل ما أورته من حكمة وهداه، وما عرف عنه من حرص على التمك ي بولاته للخلافة الفاطمية أن ينجح في تأويل كثير من أهلاء هذه البلاد إلى المذهب الفاطمي ما أدى إلى ضعف نفوذ العباسيين في بعض بلاد الشرق. وليس أدل على ذلك من أن الديالل قد أصبحوا - كما يقول المؤيد في الدين - إلى صاحب مصر داعين.

وجامعاً على الوقوف في وجه دعاة الفاطميين.

وكان الخليفة القائم بأمر الله العباسي وقتادك يواجه كثيراً من الصعاب عاقته عن استعادة نفوذه في دولته؛ فضلاً عن انتشار الدعوة الفاطمية في بعض بلاده.

ظل أمراء بني بوه يظمون تنازعهم وتفاوضهم على السلطة قابضين على زمام الأمور في بلاد الفرس والعراق؛ فلمما توفي الملك أبو كاليجار سنة 440 هـ ببلدة جنوب بكرمان، استدعى ابنه أبو نصر خسرو فيروز - وكان ينوب عنه إذ ذاك ببغداد - الجند واستحلفهم، كما أرسل إلى الخليفة القائم بأمر الله يطلب منه أن يبذل له بذكى اسمه في الخطة ويلقب بالملك الرحبم، فاجابه الخليفة إلى طله الأول، وامتنع عن تلقيبه بهذا اللقب. وقال: لا يجوز أن يلقب بأي صفات الله تعالى» واستقر ملك الأمير السويحي بالعراق وخوزستان والبصرة. وكان بعض خروجه يتفاوضون في بسط سلطانهم على بعض الولايات حتى أصبحت مدن فارس والعراق مراكز للنزاع بينه وبينهم.

(1) ذكر أبو الحسن «ال öğretة الزارعة»، ج1 ص 66 أن الخليفة القائم بأمر الله لم يقبل الأمير ابا نصر «الملك الرحيم»، وخلع عليه خليفة السلطة. وكانت الخلافة مهيئة جباب كاملة، والوطاف، والقوميون والللتين، وهذا يتفق ما أورد في الأمير (ج1، ص 189) عن أن الخليفة العباسي لم يوافق على منح الأمير ابا نصر لقب «الرحيم».
(2) ابن الأثير: التاریخ، ج9 ص 188 - 189.
(3) حسن إبراهیم: تاريخ الإسلام السياسي، ج2 ص 135.
ومن بين الصعاب التي صادفت الخليفة القائم بأمر الله ثورات الجند الذين كانوا إذ ذلك يتآلفون من عناصر مختلفة، أهمها: العرب والديلم والأثراك، وقد أثار هؤلاء الجند كثيرًا من الشغب في بغداد. وكان العنصر التركي أقوى هذه العناصر تفوقًا؛ فقد تدخل في عزل بعض أمراء بنى بويه وتوليتهم، كما قام الإلخان بِقتنة في بغداد سنة 446 هـ يرجع سببها إلى ذمهم من ويزر الملك أبي كاليجارت الذي ماتهم في رد الأموال المنقولة لهم، فحاصروا دار الخلافة ما أرعى الناس وحملهم على إخفاء أموالهم. وبلغت الفوضى ذروتها في بغداد حين ركب جماعة من الأثراك وهجها دار الروم، وأخذوا في نهب الوفادين إلى بغداد، الأمر الذي أدى إلى غلاء الأسعار وندرة الأقوات. ولم وقت الخليفة العباسي على هذه الأحداث التي أركبتها الأثراك، أرسل إليهم ينهاهم عن إثارة الاضطرابات في المدينة ويطلب إليهم الإخلاء إلى السكينة، فلم يدعوا لأوامره، وظلا مصدر قلق واضطراب حتى بعد أن رأى ويزر الملك الرجيم أنعيد إليهم الأموال المنقولة لهم.1

كان من قواعد بنى بويه الأثراك في ذلك الوقت أبو الحارث أرسلان البساري،1 الذي عانى الملك الرجيم في الاستيلاء على البصرة سنة 444 هـ من يد أخيه أبي على بن أبي كاليجارت، ووذل سلطانه2 بها، كما أوقع في السنة التالية بالأكراد والأعراب الذين عاشوا فسادًا في بعض بلاد العراق وقطعوا الطريق طمعًا في السلطة. ولم قامت فتنة الأثراك في بغداد سنة 446 هـ لم يعمل البساري على مؤازرتهم، بل أقام دار الخلافة وأظهر استياء من حركتهم.3

ارداد نفوذ البساري في العراق بعد أن عتبه القائم بأمر الله رئيسًا للأثراك، وما لبث أن استبد بالسلطة في بغداد حتى أصبح الخليفة العباسي لا يقطع أمرًا دونه، ولا يحل ويعقد إلا عن رأيه، كما هاب أمراء العرب والعجم، ودعى له على كثير من متاب بلاد العراق والأهوار ونواحيها، وتارب يشرف على ما يدخل بتل المال من الإيرادات.4 وقد أثار علو شأن البساري كوامن الحقد في نفس

1 ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ص 207.
2) كان أبو الحارث أرسلان مولى لابي على الحسن بن أحمد الفارس النحوي وما زالت تنتقل به الأحوال حتى أصبح من ملاكم بباء الدولة بن عبد الدولة بن بويه. وقد عرف بالبساري نسبة إلى بلدة بفاس يقال لها بسا، وتقع على أربعة مراحل من شيراز، وها جمع كبير من الدبلوم. 
3) ابن خلدون: الإمبراطور، ج 2، ص 450.
4) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 9، ص 203، 206-207.
5) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج 5، ص 299-300، ابن خلكان وفيه الأعيان، ج 1، ص 76.
الوزير أبي القاسم على بن المسلمة الملقب برئيس الرؤساء، فأخذ يفسد ما بينه وبين الأمراء والخلفاء.

على أن الباسيري وإن كان قد استفحل أمره في بغداد حتى أصبح الخليفة العباسي والسلطان البيهي معه ضيفين الجانب، فإنه ما لبث أن واجه بعض الصعاب من جراء ما قام به أبو المعلوي قريش بن بدران أمير الموصل من محاسرة مدينة الأنباء والاستيلاء عليها ونهبها ثم إقامته الخدمية على منابرها للسلطان طغرل بك، فاستأب الباسيري من جراء أمير الموصل على مهاجمة البلاد التي تحت سلطاته، وثارت ثائرته حين وصل إليه أن رسلون من قبل هذا الأمير قدما إلى بغداد وأكرم القائم بأمر الله وفادتهما؛ فعد هذا الموقف من الخليفة تحدياً له وأظهر عدم ارتياحه، وقال: هؤلاء وصاحبهم (أمير الموصل) كسبوا حال أصحابي ونهبوا وفتحوا البئر وأسرفوا في إهلال الناس، واستقر رأيه على إلقائه القبض عليهم، لكن لم يتمكن من تنفيذ غرضه ونسب إلى رئيس الرؤساء (وزير القائم) أنه يقف حالا دون تنفيذ رغبته، فكان ذلك من أكبر العوامل التي أدت إلى تبدل العلاقات بين الباسيري والخلفية العباسي القائم بأمر الله.

على أن رئيس الرؤساء لم يعد عن خطته في العمل على الكيد للباسييري وإضعاف شأنه، فأثار الأتراك البغداديين ضدّه باتهامه أنه تسبّ في كل ما جرى عليهم من نقص في مرتبتهم، فادى ذلك إلى استيائهم منه، وما لبثوا أن عبروا عن سخطهم عليه في هيجومهم على دوره، واستيلائهم على جميع أملاكه في بغداد. ولم تكن العوامل التي دفعت الأتراك إلى القيام بهذه الحركة خاففة عن الباسييري، ف즈ّر حنظه على رأس الرؤساء حين ثبت لديه أنه أوعز إلى الأتراك بالخروج عليه.

وركز من الأخبار التي هددت إذ ذاك الخلافة العباسية، تقرّب بنو بويه من الفاطميين على يد المؤيد في الدين هبة الله النوريزي، وقيل عدد قليل من جند بويه من الدليم والأتراك إلى دعوتهم (2) بل إن الباسييري نفسه تأثر بهذه الدعوة، وأصبح يرى وجوب الانخيار إلى الفاطميين بعد أن ساءت علاقته بالخلفية العباسي وأيّقن من إعراضه عنه.

(1) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج: 288، ص: 3- 209.
(2) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج: 211.
(3) حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام السياسي، ج: 127، ص: 136– 137.
على أن القائم بأمر الله لم يضع له موقف البساسيري منه إلا بعد أن كتب إليه وزيره (رئيس الرؤساء) أن البساسيري يعمل على خلعه، وأنه راسل المستنصر بالله الخليفة الفاطمي ببصر. فلما تحقق عند الخليفة القائم العباسي صحة ما نسب إلى البساسيري من عزمه على الخروج عليه ومكاتبته الفاطميين ببصر، عمل على الحد من نفوذه; فأرسل إلى الملك الرحمي البويهي رسالة يقول فيها: "إني البساسيري خلع السطاعة وكتب الأعداء (بعني المصريين)، وأخفى الخليفة عليه الملك عهود وله الخليفة مثلها، فإن آثر فقد قطع ما بينهما، وإن أبعده وأصعد إلى بغداد تولى الديوان تدير أمره؛ فأظهر الملك الرحمي استعداده لإجابة طلب الخليفة بإعداد البساسيري عن بغداد، كما أن البساسيري نفسه لما علم بما تضمنته رسالة القائم العباسي رحل إلى الخلة (1) حيث نزل على أميرها دبس بن مزيد لمصاهرة بينهما (2)؛ فظل مقيما بها حتى اضطر إلى المسير إلى الرحجة (3)، بعد أن دخل طغرليك بغداد سنة 447 هـ (4)\\n\\nلم تكن الحالة في بلاد العراق في الوقت الذي شغل فيه القائم بأمر الله العباسي بالتغلب على الصعوبات الداخلية التي واجهته خافية عن السلاحفة الذين اوراد نفوذهم إذ ماذا في شرق الدولة الإسلامية؟ فعمدوا إلى انتهاز هذه الفرصة لمواصلة جهودهم بضبط سيادتهم على أراضي هذه الدولة. ففي أوائل سنة 447 هـ أظهر طغرليك فلأن يريد الحق وإصلاح طريق مكة والمسلمين إلى الشام ومصر وإزالة المستنصر العلوى صاحبه، وأمر أصحابه بإعداد الأقوات والمؤن، ثم أرسل إلى الخليفة القائم بأمر الله أنه يدين له بالطاعة ويسأله في دخول بغداد وهو في طريقه إلى مكة، فذاذ له كما أمر الخطيبة بإقامة الخطبة على منابر بغداد; فتم له ذلك في أواسط رمضان سنة 447 هـ (6)\\n\\nعلى أن العامة في بغداد، أظهروا تذمرهم من دخول طغرليك هذه المدينة وتمكنوا بفضل مساعدة بعض الأئمة من قتل فريق من جند السلاحفة (1) فاستاء\\n\\n(1) تعرف بحلة بي مريد، وتقع بين الكوفة وبغداد.
(2) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 6 ص 211.
(3) مدينة بين الرقة وبغداد على شاطئ الفرات.
(4) ابن خلدون: العبر، ج 3، ص 410.
(5) ابن خلدون: المبرع، ج 9، ص 459.
(6) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 6، ص 212.
من ذلك طغرلخ، واستدعى الملك الرحيم البويهي وأتباعه، واتهمهم بتدبير ما حدث، ثم قبض عليهم، وأرسل الملك الرحيم إلى قلعة على مقربة من الرى؛ فظل معتقلا بها ثلاث سنوات ثم توفي.

ولما بلغ الخليفة العباسي ما حل بالملك البويهي وأتباعه، بث إلى طغرلخ ينكر عليه سياسة العنف التي لجأ إليها على أثر دخوله بغداد ويعقول: إنهم إذا خرجوا إلى باميرو وأمازي، فإن أطلقتهم وإلا فأغرق بغداد، فإنه إذا احترقت واستدعيتكم اعتقائًا من أن تعظيم الأوامر الشريفة يزداد وحرمة الحريم تعمّ، وأرى الأمر بالفيد. فأطلق السلطان السلجوقي سراح بعضهم، واستولى على جميع إقطاعات عسكر الملك الرحيم؛ فكان ذلك مما حمل كثيرًا منهم على الرحيل إلى البساسيري والانسحاب حوله، فكثر بهم عدد أنصاره.

ولما طال مقام السلاجقة بغداد، وخلق أهلها بسبح بكم من الضر والآذي، رأى الخليفة القائم بأمر الله أن يبلغ عميد الملك الكندرى وزير السلطان طغرلخ بما يعاني الأهل من جراء إقامة جند السلاجقة بينهم؛ فمضى إلى السلطان وأطلعه على حقيقة الحال في بغداد فاعتذر بكثرة الجند وعجزه عن تهديبهم؛ وأصر أومره بإخراجهم من دور العامة، ثم ما لبث أن استقر رأيه على الرحيل عن بغداد للتخفيف عن أهلها، وغادرها في أواخر سنة 448 هـ.

بعد أن ظل بها ثلاثة عشر شهرًا لم يحظ فيها بمقابلة الخليفة.

أخذ البساسيري في توطيد علاقاته مع رجال الحكومة الفاطمية في مصر بعد الرحيل إلى الرهبة؛ فأرسل إلى المستنصر بالله الفاطمي يعلم له دخوله في طاعته، كما تبودلت الكتابات بينه وبين الداعي المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي الذي كان إذ ذلك بالقاهرة يبرق نشاطه في بلاد العراق؛ ومن بين الكتب التي أرسلها هذا الداعي إلى البساسيري، كتاب وصلة قبل قدموه إلى الرهبة، وأخيره في أنه سيكون عدوًا له وجنوده البغداديين. فبعث إليه البساسيري كتابًا تضمن شكره والثماره النجدة. وقد جاء فيه: "فإن أخذتم بأيامنا، أخذنا لكم البلاد، وإن قلدونا نجد نصركم وإنجادكم، فتحنا من جهتكم الأغوار والانجذاب".


(1) ابن الردي، الكامل في التاريخ، ج9، ص 218.
(2) ابن اليماني، الكامل في التاريخ، ج2، ص 290.
(3) ابن خلدون: البربر، ج2، ص 218.
(4) ابن الردي، الكامل في التاريخ، ج9، ص 286.
(5) سيرة المؤيد في الدين دايع الدعاء، ص 99.
أيد المستنصر بالله الفاطمی أبا الحارث البسامیری فی خروجه علی الخليفة العباسي القائم بأمر الله، كا عمل على إمداده بالمال والخيل والسلاح. وقد انتهت الوزیر أبو محمد الحسن البازری (1) هذه الفرسقة لاضاءات الداعی المؤید في الدين هبة الله الشیرازی عن مصر لاستثماره بفروع كبير عند الخليفة المستنصر؛ فرأى أن يعهد إليه بعمل الأمال والأسلحة إلى البسامیری؛ غير أن المؤید أدرك حیاة البازری، تأتي في بادئ الأمر القيام بهذه المهمة؛ فحاول البازری أن يتیبه عن رأیه بأن أفضی إلی بواقي الخیلیة على إتتادبه سفیراً من قبلі إلى البسامیری. ولم يزل بلغ عليه حتى عمل المؤید على رفضه إصدار رکب الإمدادات، وشارط على الخليفة في كتاب أرسله إليه أن يتعیه هذا الأمر دون أن يوجه إلی لوم إذا فشل فی أدائه؛ فقال في كتابه (2) : وان علم أن اجتهد وأسعى وافقد، فما أصب فیما رحمة من الله و                                   إقال الدولة أدمها الله تعالى، وما أخطأت فیه فلا يتوجه علی عتب ولائمة، ولا تعرض لی فيما أحل وأعد يد معتبرة.

سار المؤید لنجلة البسامیری مع فئة قليلة من الرجال، تحمل الأموال والسلاح والخيل. وقد هاله أن يكون مقدماً على أمر خطیر وهو القضاء على الخلافة العباسیة دون أن تخرجه حامة كبيرة، بل اقتصرت المعلومة التي سيقدمها للبسامیری على الأموال والخيل، وتشمل خمسة ألف قوس، وعدداً كبيراً من السیف، وكثيراً من الرماح والنشاب (3)؛ وما هو جدير بالذكر أن الوزیر المستنصر لم يتزداد في أن يضحی بهذه الإمدادات رغم ما كانت تعاني مصر من أزمة اقتصادية وغلاء حتى إنها لم ترسل ما اعتادت أن ترسل من الفحم إلى مكة (4).

(1) هو أبو محمد الحسن بن علي بن عبد الرحمن البازری، نشأ في بلدة بازار (وهي قریة من أعمال الرملة)
من إحدى الأمر التي كانت تشتغل بالساحة، وشغلت عدد مناصب، فولی قضاء الرملة بعد أیبه، كما عهد إليه المنظر في دیوان الممستنصر، ثم أستند إليه الوزیر في الساعی المجر من الحرم سنة 442 هـ، وسماه له بالبلقاء في وظیفة حاکم عام الخیلتة ولقب بالنصر للدنی، فبسط المسلطین الوزیر الأجل الكرم، سید الروساء تاج الأنصاریة، فاضی الفضاء، وداعی الدعاء. ورغم في متعبه حتى قبض عليه المستنصر في أول محرم سنة 540 هـ بعیطة مراسلة طفيلک السجنی ودعته لنزور مصر.
(2) راوی ما ورد عن البازری في ابن الأثير، ج9 ص 221 - 222، ابن میسر. تاريخ مصر ص 5 - 8.
(3) سيرة المؤید، ص 97 - 98.
(4) أبو المحاسن، النجوم الزاهرة، ج1 ص 12.
G Wiet, Histoire de la Nation Egyptinnc P. 233
الدعوة الفاطمية في بلاد العراق

وقد وصف المؤيد خروجه من القاهرة بقوله: "وسرت في جلبة عظيمة، قد التف فيها من الوحش والركابية المقدرين وسفساف الناس من البغالين والحمالين عسكر لو لم يمسني غير عذابهم عذابًا لكان فيه ما يغيني ويكفي. وكان الناس يتعجبون من أمرني. وقد كان موضع العجب، لعمري كيف أجرد مثل هذاوجه الخطر العظيم رقتي من دون أن يتعني من شيء يسمى العسكر اثنان، ويقول بين على عسكر غريب معلوم الشان، يستعيذ بالله من شرهم الشقلان، عادتهم بالاستخفاف بملوكهم معرفة".

تجلى إخلاص المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي لخلال الخلافة الفاطمية فيما قام به من جهود لمؤازرة حركة الباسارية في بلاد العراق. وكان الوزير البارز قد طلب منه أن يجد ثلاثة آلاف رجل من العرب الكباديين بالشام، يسير بهم إلى الرحمة، وحذره من الاتصال بشمال بن صالح بن مرداد صاحب حلب. غير أن المؤيد أصر على تنفيذ خطته، فصار بما صحبه من الأموال والسلاح والخيل والموارد مع ابن صالح على أن يلبقاه في موضع يلي حمص، يقال له الروستان (على جسر نهر العاصي) وهناك التقى المؤيد ابن صالح ومع كل منهما حامية من الجند. ولم نزل معركة النعمان حَقَّ قُبَه بما فريق من جند الباسارية. وقد استطاع المؤيد بدهائه وحسن سباسته أن يكسب ثقة شمال بن صالح بن مرداد وأن يستميله إليه ويجعله يدي استعداده لمعاونة الفاطميين. فتمحجه عند نزوله بباب حلب ما يخصه من الخيل، ثم دعا إلى تجديد البيعة للخلافة الفاطمية، فأجاب إلى ذلك. وقيل المؤيد: "لا دخلت حلب جدلاً عليه من أيان البيعة في خدمة الدولة ما كانت تعيد الجبال للفقه، وتتشقق السماوات والأرض من حمله".

أخذ المؤيد بعد وصوله إلى حلب يتأهب للمسير إلى الرحمة حيث يقوم الباسارية وجنده؛ وبينما هو في طريقه إليها، ورد إليه كتاب نصر الدولة أحمد ابن مردان صاحب مسارف مرير، يخبره فيه بأنه كان قد اتجاه إلى جانب السلاجقة، فشاد من شرهم وغدرهم وظلمهم وجوههم وإطاقهم الأيدي في الأموال ما جعله يتخلى عنههم، وأظهر رغبته في معاونة المؤيد الذي كتب إليه يرحبه به ويطلب منه إقامة الخطة على منابر بلاده للمستنصر بالله الفاطمي.

---

(1) سيرة المؤيد، ص 100.
(2) سيرة المؤيد، ص 100-107.
(3) سيرة المؤيد، ص 113-115.
ولما كان المؤيد حريصًا على توحيد كلمة جند البساسيري ويث الطمانينة في نفوسهم، لذلك طلب من جند الأتراك البغداديين الذين قابلوه وهو في طريقه إلى حلب العودة إلى الرحبة ليخبروا إخوانهم من جند البساسيري بقرب قدوهم إليه لتجديدهم؛ وأنفق مهمل رسالة إلى القواقد والحمجان يستميلهم إلي ويدعوهم إلى نصرته، ويبين لهم اهتمام الخليفة الفاطمي بأسرهم، فقال: "غير خاف عنهم ما كان من إعمام مولانا الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرين بالإحفاء بهم والتفلت بوجه المراعاة إليهم، رغبة فيما يردهم إلى أهلهم وديارهم. "، كما حذرهم من طرفلك السجنوفي بقوله: "إذا كانت الطاغية الشركامية من حيث أخذت عصا التسبار وإلى حيث انتهت من الدبار، لم تنازل ملكاً مولاً ولا سلطانًا مɵمما بعث الانتعا في العساكر والجيوش فحولاً، ولم تنزل من غير منازل النذر والخليفة منزلاً.

واصل المؤيد مسيره إلى الرحبة وبحسبه شمال بن صالح بن مرادس على رأس جنده من بنى كلاب. ولم يكد يعلم أبو الحارث أرسلان البساسيري بأن ركب المؤيد في طريقه إليه حتى أسرع في الخروج إلى لقائه ومعه جنده البغداديون. وقد رحب البساسيري وجدته بوصول المؤيد إلى الرحبة فأعلنهم بالمال والسلاح، وازدادت محبتهم للمؤيد حين أخذ يوزع عليهم وينحيم الأموال، وما لبثوا أن عبروا عن ولائهم للمخلية الفاطمی، فحلفوا له بأيام البيعة، وكان منهم من يقول: "هناك منا من يحلف ويأخذ الذي يأخذه بالشكور ويفض عنه الفضول والعين على ما جرت به عادة أخبار الناس، ومنهم من يستقل القدر الذي يعطاه ويرده، ظننا أن الذي يصب إليه من بعد استحلافنا فهو كالجزء عن بينة التي أقسم بها وهو محفوظ بأضعاف ما عرض عليه معها."

ولما فرغ المؤيد من توزيع الخلع والأموال على أتباع البساسيري من الأعراب والأكراد والأتراك، خلع على البساسيري نفسه في احتفال كبير أقيمت لهذا الغرض، وقرأ العهد الذي أوقفه إليه المستنصر في شهر صفر سنة 484 هـ. وقد جاء فيه:  

(1) سيرة المؤيد، ص 116 - 117 .
(2) المرجع نفسه، ص 117.
(3) المرجع نفسه، ص 142 - 144 .
من عبد الله رحمه الله وسلم: "سلام عليكم، فأنَّ أمير المؤمنين يحميد إلى الله الذي لا إله إلا هو، ويسأل أن يصلى على جده محمد ن⊿خت وغيرها وسيد المرسلين. ولما وجد أمير المؤمنين من السابقين إلى النداء بشعاره في ديار العراق، والمرز بن بوضيلة السبق على أولاده في قضاء الآفاق المشرومين عن ساعد الجند بما يجعل عرصاتها بفصل عدلته مشروعة بتأميم السعودية، ويعبد أعداد منابرها بذكر اللرسول ﷺ، ناضرة العود، رأى أمير المؤمنين - وبالله توفقه - أن يطوف على طول وولاية رجاعها، ويقيم على رأسك لزمة التقدم راوية جمالها، وينوط بك أمورها كلها، ويكلل إليه عقدها وحلمها.

استقر رأي المؤيد بعد وصوله إلى الرحبة على استمالة أمراء العرب لضمان نجاح حركة البأسيري، فأرسل إلى نور الدولة دبس بن مزيد صاحب الجلة أن يلحق به في الرحبة، واستطاع بعد قدوته إلى أن يفتحه بنهب الباسيري، كما أن الخليفة الراقي رغبة منه في اكتساب ولاة بن مزيد وتشجيعه على مؤازرة الباسيري، منهع حذراً لقبه فيه بالبامبر سلطان ملوك العرب، سيف الخلافة، صفى أمير المؤمنين، كما قلده زعامة عرب العراق، ومنحه ولاية ما يفتح من البلاد شرقي نهر الفرات.

سار الباسيري على رأس جيشه ومعه دبس بن مزيد، كما قدمت إليه نجدة من دمشق، قوامها الكليبيون الذين رفضوا في باديئ الأمر المسرح مع الجيش إلا إذا انفصول العرب عن غيرهم من جند الأكراد والأنطوك، لكن المؤيد لما بث أن حملهم على العدوتين على رأيهما بالأسمنت التي أغدقها عليهم.

كان من أثر الإمدادات التي وصلت إلى الباسيري أن انصره هو وأعوانه على جيش قريش بن بدران صاحب الموصل وقلمش بن عم السلطان طغرليك في موقع من سنجار ٤٤٨ هـ. وقد لقي قتيل منهم من أهل سنجار العنت، كما بالغوا في إلحاق الأذى به. أما قريش بن بدر فقد لجأ إلى نور الدولة دبس بن مزيد، فأعطاه خلعة كانت قد أرسلت إليه من مصر، ثم اتجه إلى جانب...

(١) سيرة المؤيد، ص ١٢٧ - ١٣٠.
(٢) تقع بنواحي الجزيرة على مقربة من الموصل.
الساسيري وسار بصحبته إلى الموصل حيث أقامت الخطبة للمستنصر بالله.

أيضاً المؤيد أن نجاح حركة الساسيري ودخوله بغداد، يوقف على تحقيق أحد أمرين: إما القضاء على قوة السلاجقة بها أو تشتت شمل جيشهما في معارك متفرقة، ومن ثم عمد إلى مراسلة بعض الأمراء الذين كانوا على اتصال بالسلاجقة، وحاول أن يستمتعهم إلى جانبه، كما أرسل كتابًا إلى عميد الملك الكنديري - وزير طغرليك - قلل فيه من شأن الخليفة العباسي. فقال: "وكر العجب من السيد (عميد الملك الكنديري) على ما قرأه من السيري وغيره من آباء الأمر الذي يكون العباسي (القائم بأمر الله) عهد خليفة الله. ولم يستحقل فرقة من فرق الإسلام أن العباسي (ابن عبد المطلب) خليفة أصلي، وسواء هذا فإنه على عدم الخلافة عاد لمصدق القول وصدق اليمين وحسن الوقاية. كما أشار في كتابه إلى أن ابن المسلمة وزير الخليفة القائم بأمر الله هو الذي أغير السلاجقة بدخول بغداد، وأن هذا العمل الذي قاموا به لا يعد نصراً كبيرًا لهم، ونوه في خطابه بعلو شأن الخليفة الفاطمي وسيادته على الأراضي المقدسة ببلاد الحجاز ويفا لديه من الأموال والأسلحة والمساكر."

كان المؤيد يرى من وراء هذه الرسائل التي ألقحها إلى بعض أمراء العرب دعوتهم إلى تأييد الفاطميين، كما أن رسالته إلى وزير طغرليك كان الغرض منها صرف السلاجقة عن تأييد العباسيين، غير أن هذه المكتبات لم تؤدي إلى تحقيق الغاية التي أرسلت من أجلها، ذلك أن عميد الملك الكنديري كان في الوقت الذي وصلته في رسالة المؤيد يعمل على تفريق شمل أمراء العرب ويفرغهم بأساند بعض الولايات إليهم، فبعد أن اهتم بمصيدي، على حين يبني غيره بولاية البصرة وواسط. وقد أدت هذه السياسة التي اتبعها عميد الملك إلى اختلاف كلمة هؤلاء الأمراء وعدلهم عن معاونة الساسيري، بل إن بعضهم كثرت الدولة ديس بن复查 وقريش بن بدران ببعث إلى طغرليك يستعطفه؛ فعفو عنهم، واضطر الساسيري إلى العودة إلى الرحابة وتبع الآثار البغداديون وجماعة من بنى عقيل.

1. ابن الأثير، ج9، ص 217- 218.
2. سيرة المؤيد، ص 154 - 156.
الدعوة الفاطمية في بلاد العراق

ظل المؤيد حريصًا على التواعد لأمراء العرب بالعراق رغم ما لاحظه من ترددهم في نصية البساميري؛ فأرسل كتابه إلى كل من نور الدولة ديبس بن مزيد وقريش بن بدران رغبة في الإبقاء على موظفهم. ثم أمعن الرحل إلى الرحبة، ومنها سار إلى حلب حيث التقى بأميرها ثعالب بن صالح بن مردا، وخلق به البساميري، فنزل يوضع دعاء على مقرية من حلب وصاحبه قريش بن بدران، ونجده من وجوه بنى عقيل.

أخذ نفوذ السلاجقة في بلاد العراق بالأشد من منذ عودة طغرلبع إلى بغداد سنة 449 هـ إذ قابل الخليفة النقيب بأمر الله الذي أفضى الخلع عليه وخاضبه ذلك المشرق والمغرب، وطلب وزوراء أن يلهبه هذا الفول: إن أمير المؤمنين شاهر لمعك، حاكم لفلكك، مستسأله، و где ولد جمع مالله ثم بلاده، ورد على مراعاته عباده، فاتلق الله فيما ولد، وأعرب نعمته عليه في ذلك، واجتهد في نشر العدل وكف الظلم وإصلاح الربعة:

على أن طغرلبع رغم ذلك لم ينعم بالاستقرار في دولة فخرج عليه أخرى لأبي إبراهيم بنال الذي كان قد استولى على بلاد الجبل (1)، وهمذان وأمتد سلطاته على ما حولها من البلاد إلى حلب سنة 437 هـ، ثم طلب منه طغرلبع أن يسلمه همدان، فرفض في بادئ الأمر، غير أنه ما لبث أن اضطر إلى النزول عنها بعد أن هزم في القتال الذي دار بينه وبين أخيه (2). وظل الخلاف منذ ذلك الوقت قائمًا بين طغرلبع وإبراهيم بنال به ورسول من الموصل إلى حيث يقيم البساميري وقريش بن بدران، وكان ظاهر رسله الترغيب في الدخول في طاعته ليقدردهم ملأ البلاد، أما باطنه فتضم مخاطبة المؤيد لبرشي إلى الخليفة الأموي والأنفاق والألوية التي يتفقها من الخليفة الفاطمي، حتى إذا ما تغلب على طغرلبع وخلفه في الملك جعل الخطة للفاطميين، بالخلافة وأنباء مقدمة على خطبته. ولم توقف المؤيد على ما تضمنت رسالة إبراهيم بنال، تعهد بأن يجيب طلب فيما يتعلق بالمال والخلة والأنفاق:

(1) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 49، ص 220 - 221.
(2) اسم لبعض بلاد ما وراء طبرستان.
(3) ابن خلدون: الأسر، ج 2، ص 427 - 428.
(4) سيرة المؤيد، ص 175 - 176.
ما وثق المؤيد من أن جهوده في سبيل نشر الدعوة الفاطمية بلاد العراق قد كللت بالنجاح، استقر رأيه أثناء إقامته بحلف على العودة إلى مصر، ويترك الساسيرى وجنته البغداديين وغيرهم من أعوانه يواجهون السلاجقة والعابدين. غير أنه لم يفصح عن خطته في الفعل من متابعة الساسيرى إلا حين وصله خبر خروج إبراهيم بن المالح وتركت بها حامية صغيرة من جند السلاجقة، فانهتز هذه الفرصة وقال للساسيرى: «قد آن لك أن ترجع إلى الرحبة وتتدربي وتسنعين على وقتك بارتفاعها، ونحو ذلك نسوق إليه كل سنة مالا كثيراً يكون إضافة إلى ما تستقبل الرحبة، فكنت يذكرب ولا تتناقص حالك، ثم وجه حديثه إلى قريش ابن بدران بقوله: «وأنت يا قريش قد حان لك أن ترجع إلى بلدك الموصل».

والشرذمة التي بها فلا قلب لهم بالشبات في وجهك، لا سيما إذا شدد مثل الساسيرى». وقد استطاع المؤيد بما عرف عنه من سمعة الحكمة أن يقنعهما بوجهة نظره، ثم مضى في طريقه إلى مصر(1)، ورحل الساسيرى وقريش بن بدران من حلب لمواصلة جهودهما في نشر نفوذ الفاطميين بمدن العراق.

كانت ثورة إبراهيم بنال على أخيه طرفلبك ما مهد السبيل أمام الساسيرى لتحقيق أغراضه، ذلك أن إبراهيم بنال لما غادر الموصل إلى بلاد الجيل سنة 452هـ، عزا السلطان طرفلبك رحيله إلى خروجه على طاعته وبعث إليه رسولا يستدعنه ومعه الخلاة التي خلعها عليه الخليفة العباسي؛ فعاد إبراهيم إلى السلطان وهو إذ ذلك ببغداد— وما أينق الساسيرى وقريش بن بدران أن القوة التي تركها إبراهيم بالموصلي من الضعف بحيث يسهل عليهم التغلب عليها، رحفا على هذه المدينة وتمكننا من الاستيلاء عليها(2).

كان للصعاب التي واجهت السلطان طرفلبك من ناحية الساسيرى أسوأ الأثر على نفسه، ففضلنا عن الهزيمة التي حقه جيشه بنجار انعزت منه الموصل. لذلك نراه يتأنب لدرء الأخطار عن البلاد التي تحت سلطانه، فأنذف كتبه إلى خراسان وبلاد ما وراء النهر يستنفر الناس خفافا وثقالا، حتى حشد من الحشود الجم الغفير والعدد الكبير. وجعل قصفه الشام، ومصر همه، عالما بأن تلك الجموع التي اجتمعت على قمعه ودفعه بعيداً تجمع(3). وسرعان ما تحقق ظن

(1) سيرة المؤيد، ص: 171-178.
(2) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج: 2، ص: 222-223، ابن خلدون. العبر، ج: 1، ص: 623.
(3) سيرة المؤيد، ص: 179.
الدعوة الناطمية في بلاد العراق

طغرلبه فيما يتعلق بالموصل، فقد انسحب منها كل من البساميرى وقريش ابن بدران، فلما سار إليها لم يجد بها أحدًا، ثم اتجه إلى نصيبين ليتبع آثارهم، ويخرجهم من البلاد التي يستولون عليها. وبينما هو في طريقه فارقه أخوه إبراهيم ينال الذي سار نحو همدان فوصلها في أواخر شهر رمضان سنة 450 هـ.

وقد أشار ابن الأثير (1) إلى العوامل التي دفعت إبراهيم ينال إلى الخروج على أخيه طغرلبه بقوله: «وكان قد قيل إن المصريين كاتبو بالبساميرى قد استمالهم وأطمعب في السلطنة والبلاد». ومن الثابت أن إبراهيم ينال كان على اتصال بداعى الفاطميين المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي. ونستند على ذلك من قول المؤيد نفسه: «وكشف القناة عما استقر بيني وبين إبراهيم ينال، كما أناني رسول الصوفي وأنا بحلب» (2).

أدرك طغرلبه الخطر الذي يهدد سلطانه من جراء خروج أخيه إبراهيم ينال عليه ومن ثم عزل على السير في أثره حتى يتسنى له إخضاعه، وخلق به من كان ببغداد من الأتراك (3). وقد وصف المؤيد (4) خروج طغرلبه لمحاربة أخيه بقوله: «فافتكب طغرلبه عسكره، فتفرقوا، وهام طغرلبه على وجهه مقتفيًا لأثره حتى غاب حسه ولم يدر أي طريق سلك، وفي أي واد هلك؟».

ولم يكن جيش طغرلبه من القوة بحيث يكبه إحرار النصر على أخيه، بينما اجتمع إلى إبراهيم ينال كثير من الأتراك الذين كانوا ينتمون على طغرلبه وحلف لهم أن لا يصالح أخاه ولا يدخل بهم العراق لكثرته نفقاته، كما أن على بعض أبناء أخيه أرثاش، مع كثير من جندهم، فاشتد بهم ساعدته وقوى أمره واضطر طغرلبه إلى التوجه إلى الرى حيث استجذب بابن أخيه آل بارسلان وطلب منه المونة. فأقبل إليه آل بارسلان من سجستان إلى حدود العراق، وفي 19 من جمادى الآخرة سنة 451 هـ هزم إبراهيم ينال بالقرب من الري وأخذ أسيرًا إلى طغرلبه الذي قتله في نفس السنة تخلصًا منه (5).

(1) الكامن في التاريخ: 9 ص 229.
(2) سيرة المؤيد: ص 179.
(3) ابن الأثير: الكامن في التاريخ: 9 ص 232.
(4) سيرة المؤيد: ص 180.
(5) ابن الأثير: الكامن في التاريخ: 9 ص 245. ابن خلدون: العبر، ج2 ص 263.
انتهز الباسسیری فرصة انشغال طغرلبة بإخماد حركة أخيه إبراهيم بنال ورحت إلى بغداد على رأس أربعمائة فارس جاملا الرآبات المستنصرية التي كتب عليها: "الإمام المستنصر بالله أبو تمام عبد أبو المؤمنين"، كما سار معه قريش بن بدران في ماتئ فارس من بني عقيل، وتمكن من الاستيلاء عليها في 8 ذي القعدة سنة 450 هـ دون مقاومة تذكر. فتم إلهام أهل الكرخ لكونهم من الشيعة ورغبوا بقدومه. وفي يوم الجمعة الثالث عشر من ذي القعدة أقام الباسسیری الخطبة بجامع المنصور للمستنصر بالله الفاطمی، كما أمر بأن يؤذن بحی على خیر العمل، ثم خُطب للخلافة الفاطمی على جميع منابر بغداد، وضرب السکة بسیم، وبعث إليه إبنه بهت بن بغداد وإيام الدعوة له. وقد وصف المؤید دخول الباسسیری هذه المدينة بقوله: "ولأ رأي الباسسیری أن الله سبحانه قد قطع (طغرلبة) الأسباب. علم أن بغداد فرصة لم طلب وقيضة من رغب، فرخص بالرايات المستنصرية، وصادف فيها أرضًا تج إلى الله تعالى من ظلم الرکمانیة وقلوبًا من غیظًا من العباسي واین المسلمة الذي كان سبب استدعائهم وتسلطهم على حرم الناس وأموالهم ودمائهم. فكان قدوم الباسسیری عليهم كزول الرحمة من سماهم، فشهدوا حمزتهم معه لإيام الدعوة المستنصرة على بغداد".

ضعفت سلطة الخليفة القائم بأمر الله العباسي بدخول الباسسیری بغداد، وانصرف عن تأيیده كثیر من الناس لما اضطرهم إلى طلب الأمن من قريش بن بدران، فأجابه، كما أعطى أمیة لرئیس الرؤساء؛ فاستناء من ذلك الباسسیری وأرسال إلى قريش بن بدران يقول: أختالف ما استقر بينا؟ - وكنا قد تنازلنا إلا ينفرد أحضه، والمؤرخ بهما نصفين - فقال قريش: ما عدت كما استقر بيننا، عدوك ابن المسلمة ( يعني رئيس الرؤساء) فذكه. وأنا أخذ الخليفة، فرضي الباسسیری بذلك(3).

عول الباسسیری بعد أن استقر له الأمر في بغداد على التخلص من رئيس الرؤساء أبو القاسم بن المسلمة، فلما قدم إليه قال له: مرحبا بدمدر الدولة ومهلک

---
1) أبو الفداء. المختصر في أخبار البیشة. ج2، ص 177
2) ابن النضر. الكامل في التاريخ. ج9، ص 223، 225، أبو الحسن النجوم الزاهرة. ج6، ص 6، 11
3) أبو الحسن: النجوم الزاهرة. ج6، ص 9
الدعاة الفاطمية في بلاد العراق

الأم، ومحمّد، ومحمد. فقال له ابن المسلمة: العفو عند المقدرة.
قال: قد قدرت فما عفوت، وأنت تاجر صاحب طبلان، ولم تبع على الحريم
والإمام والاطفال، فكيف أعفو عنك وأنا صاحب سيف، وقد أخذت أن تكون
وعادت أصحابي ودرست دوري وسبقتي وأعطتني، كذلك أظهر العامة نقمهم
على ابن المسلمة حين قدم لمقابلة البسائيّر وهموا بالاعتذار عليه. غير أن
البسائيّر حاد بينه وبينهم، ثم أمر بقتله.

أما فيما يتعلق بالخليفة القائم بأمر الله العباسي فإن البسائيّر كان قد عزم
على أن ينجح في قتله، فرعى قريش أن يبيع به بصن عنده الأمير محبب الدين
المغيرة إلى حدث، وعادته، فأنزله به مع أهل وحريه وحاشيته. وكان البسائيّر قد أرغم قبّل مغادرته بغداد على كتابة عهد. اعترف فيه بأنه لا
بُنِي العباس ولا له في الخلافة بعد تكون على فاطمة الزهراء عليها السلام، ثم
بعث بهذا العهد إلى القاهرة حيث ظل حفوظًا بقصر الخلافة حتى استولى صلاح
الدين يوسف بن أبي حمامة سنة 517 هـ، فألفن إلى الخليفة العباسي
الهوجاء، في بغداد، مع بعض التحفة والهدية على أثر وفاة العضاد، آخر
الخليفة الفاطميين بعصره.

كذلك أرسل البسائيّر إلى المستنصر بالله ثوب الخليفة القائم العباسي
وعامته وشباكه، الذي كان يجلس فيه، وغير ذلك من الأموال والتحف. وقد
أثار وصوله وقيام الدعوة الفاطمية بمساجد بغداد حماسًا على أهل مدينة
القاهرة الذين أقاموا الزيات ابتهجًا بهذا النصر، كما سر الخليفة المستنصر

1) ابن مير: تاريخ مصر، ص 100، أبو الحاسن، النجم الزاهرة، جهد ص 49 - 11.
2) أنذر: ابن الجزيري: المتظم، ج 8 ص 190 - 195.
3) تقع بالقرب من الأنبار.
4) ابن خلدون: البر وحدود، 266.
5) الغزيري: خطط، ج 1 ص 439.
6) كان هذا الشباك كتشفت فيه الخليفة وبحث بسببه على حاكم، وقد بقي محفوظًا عند الخليفة الفاطمي
حتى تلقى إلى قيادة الرأي إلى عمهما الآخرين بين بدر المأمون، فصار يجلس فيه الوزير ويتكلم عليه، وما
زال بها إلى أن عمر الأمير ركز الدين بيرس المحارس الخلافة الركنية، فأخذ من أنقاض دار الرأي شباك
الخليفة العباسي وجعله في لقبه.
7) الغزيري: خطط، ج 1 ص 125.
انفق كثيرًا من الأموال لإعداد القصر الذي بناء العزيز وعرف باسم القصر الغربي الصغير ليكون مقرًا لإقامة الخليفة القائم بأمر الله (1). إذا ما تحقق أمله في القبض عليه. وكان من بين مظاهر الاحتفال باستيلاء البسarıري على بغداد إقامة الخطة باسم المستنصر على منابرها أن وقفت إحدى المغنيات تحت قصر الخليفة تنشد هذه البيتين:

يا بني العباسي صدروا
ملككم كان معاصرًا
والعوباري تستنصر
ملك الأسر معاصر.

فأعجب المستنصر بغنائها وأقطعها أرضًا لا تزال تعرف إلى اليوم في مدينة القاهرة باسم أرض الطالية (2).

على الرغم من الجهود التي بذلها البساري في سبيل نشر نفوذ الخلافة الفاطمية في بغداد، فإنه لم يثقل من الخليفة المستنصر بالله ما يشجعه على مواصلة القيام بystick سلطانه على بلاد العراق؛ ورجع البسبب في ذلك إلى حقد الوزير أبي الفرج محمد بن جعفر المغربي (3) عليه. وكان هذا الرجل قد رحل إلى بغداد وانضم إلى البساري، وما لبث بعد ذلك أن انتقلب معاذًا له وفر إلى مصر حيث أخذ يحذر الخليفة من غارة إطامه (4)، فتخوف منه المستنصر وصار لا يعنى بإجابة طلباته؛ غير أن البساري رغم ذلك حرص على إخلاصه للخليفة الفاطمي، فأخذ يتابع إغاثته في بلاد العراق حتى استولى على واسط والبصرة، ثم أمر بإقامة الخطة للمستنصر بالله (5). وقد علق أبو المحاسن (6) على موقف

(1) المقرئ: خطط، جد 1 ص 405.
(2) أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، جد 5 ص 12.
(3) نشأ أبو الفرج محمد بن جعفر بن محمد بن محمد على المغيري في مصر في عهد الخحاكم بأمر الله، ثم سار إلى العراق بعد أن نقل هذا الخليفة بعض أعضا أسرته. وما زالت تتقلقه الأحوار حتى عاد إلى مصر في عهد المستنصر واصطحبه زهير أبو محمد الأحمي الأزروري. فولى ديوان الجبل. وأصبح منذ ذلك الوقت موضع رعاية أمان المستنصر. ولا أكثرة الوصاية إلى أبي الفرج عبد الله بن محمد الأزروري، بعد وفاة الأزروري، نفس عليه، فلم يزل معتقلًا حتى أُسنِد إليه منصب الوصاية في الخلافة والمغربي عين ربيع الآخر سنة 450 هـ. لقب بالوزير الأجل الكامل الأحرج صافي آمر المؤمنين وخالسه؛ وظل يعتمد على النصب حتى عزل في اليوم السابع من شهر رمضان سنة 452 هـ، ثم ولي ديوان الإشقاء، وتوفي سنة 478 هـ.
(4) المقرئ: خطط، جد 1 ص 158.
(5) أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، جد 5 ص 11.
(6) أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، جد 6 ص 2255.
المستنصر من الباسيرى بعد دخوله بغداد بقوله: وولا تخوف المستنصر من الباسيرى وترك تحريضه على ما هو بصدقه، لكانت دعوته تتم بالعراق زمنًا طويلاً.

لم تتم طغرل بك القراءة على حركة أخيه إبراهيم ينال على المسير إلى العراق لإعادة الخليفة القائم بأمر الله إلى مقر خلافته، فأرسل إلى الباسيرى وقرش بن بدران يطلب منه إعادته الخليفة العباسي إلى بغداد، وقيل إنه يمنع بذكر اسمه في الخطبة ونسخه على السكة، ولا يدخل العراق. وقيل أنفذ طغرل بك وهو في طريقه إلى العراق الإمام أبو بكر أحمد بن محمد بن أيوب المعروف بابن فورك، إلى قريش بن بدران يشكو على حسن معاملته للكاليفة ومحافظته على حياته، ويخبره بأنه عهد إلى ابن فورك بصاحبة القائم بأمر الله في عودته إلى بغداد.

لم يجب الباسيرى طغرل بك إلى طله، كما أن قريش بن بدران سعى لدى الأمير محج الدين مهارش صاحب الخديبة لبحول دون عودة الخليفة العباسي إلى بغداد. وكان يرى أن تحقق هذه الغاية قد يؤدي إلى عدول السلاجقة عن السير إلى العراق. ويتبنينا ذلك من رسالته إلى الأمير مهارش التي جاء فيها: فقد علمت أنتى وودعتي الخليفة عدنى ثقة بيما كانت، وقد صدوقي، ورحى وحسوره ومنك، فخذت ورحل به وأهلك إلى البرية. فإنهم إذا علموا أن الخليفة عدنى في البرية لم يقصروا العراق ونحكم عليهم بما وسعوا. لكن الأمير مهارش رأى أنه لا يدع للغة قريش بن بدران، فبعث إليه يقول: كان بيني وبين الباسيرى عهود ومواثيق نقضتها، وأن الخليفة استحلفني بهمود ومواثيق لا مخلص منها، ثم أرمع المسير إلى بغداد بصحة الخليفة في 11 ذي القعدة سنة 540.

كان طغرل بك إذًا في طريقه إلى بغداد، فلمما اقترب منها أدرك الباسيرى أنه لا يقبل له مقاومة لأنه لم يتلق من مصر مساعدات أخرى تمكنه من

(1) أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، ج 3، ص 178.
(2) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 9، ص 226.
(3) ابن الجوزي: التمذج، ج 5، ص 267 - 277.
(4) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 9، ص 227.
الوقوف في وجه السلاجة، ومن ثم خرج من بغداد مع جنده وسار قاصداً الكويت في اليوم السادس من ذي القعدة سنة 451 هـ.

رأى طغرل بك أن يبالغ في الاحتفال بعودة القائم بأمر الله إلى بغداد ليظهر له مدى إخلاصه له؛ فأرسل إليه وهو في طريقه إلى هذه المدينة وزiero عميد الملك الكندري والأمراء والمحببين ليقوموا على خدمته. ولم يكتف بذلك، بل خرج لاستقباله عند وصوله إلى النهروان وقبل الأرض بين يديه، وأبدى له اغتبطه بعودته، كما اعتذر له عن تأخره في نجده بانشغاله في إخضاع فتنة أخيه إبراهيم ينال، وقال له إنه عزم على المضي خلف الباسامير، والمسير إلى الشام، والوقوف من الخليفة الفاطمى بمصر موقعاً حارماً يتلامع مع أنفعه.

خلت مدينة بغداد من أعينها في الوقت الذي عاد فيه الخليفة القائم بأمر الله إلى مقر خلافته حتى لم يكن في استقبالهم غير القاضي أبي عبد الله الدامغاني وثلاثة من الشهود، وأظهر طغرل بك حرصه على الاحتفاء بقدومه - وكان قد سبقه في المسير إلى هذه المدينة - ولم يكد يستقر الأمر للخليفة العباسي في بغداد حتى عهد السلطان إلى القائد خمارتيكين الطغراني بالمسير على رأس ألفي فارس إلى الكويت حيث يقيم الباسامير، كما ضم إليه طائفة من الجنود بقيادة ابن منيع الخناجي وسار بنفسه في أثرهم. ولم تزل قواته تعقب الباسامير حتى أوقعت به الهزيمة عند الكويت، وقضت عليه في ذي الحجة سنة 451 هـ. وبذلك تسر لطغرل بك القضاء على حركة الباسامير وإعادة الخطبة في بغداد للخليفة القائم بأمر الله العباسي.

---

(1) أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر، ج2، ص 178 - 179.
(2) ابن الأثير الكامل في التاريخ، ج9، ص 226 - 227.
(3) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج9، ص 228، ابن خلدون: العبر، ج3، ص 465.
3- زوال النفوذ الفاطمي ببلاد العراق

بعد دخول السلاجقة ببغداد

ارداد نفوذ السلاجقة في بلاد العراق منذ منتصف القرن الخامس الهجري، فاستأثر طغرل بك بالسلطة دون القائم بأمر الله بعد أن أقنعه من تحكم البسمرى وأعاده إلى مقر حلفائه، وسار على هذه السياسة من جاء بعد من سلاطين السلاجقة حتى أصبحت حالة خلفاء العباسيين لا تختلف اختلافًا كبيرًا، بما كانت عليه في أيام بني بوبه، ذلك أنه بينما كان أمراء بني بوبه يقيمون في بغداد ويستبددون بالسلطة فإن السلاجقة استأثروا بالنفوذ في بلاد العراق، أضف إلى ذلك أن الخلفاء العباسيين في العصر السلجوقى كانوا يعيشون من إقطاعات مقررة يستولون على دخلها(1) ولم يبق لهم من سلطانهم القديم سوى ذكر اسمهم في الخطبة ونفشه على السكة.

على أن معاملة السلاجقة للخلفاء العباسيين كانت أفضل بكثير من معاملة بني بوبه لهم؛ ويرجع السبب في ذلك إلى اعتناق السلاجقة الذهب السنى الذي يعد الخليفة العباسي رئيسه الأعلى. وقد ذكر أرنولد(2) أن السلاجقة كانوا لا يحرون الخليفة مركزه السياسي، بل لأنه خليفة الله في الأرض.

ضعف شأن الخلفاء العباسيين في العصر السلجوقى؛ فقد عمل السلاجقة على الحد من نفوذهم، بل تعصف بعضهم في معاملاتهم؛ من ذلك ما قام به السلطان ملكشاه، إذ صمم على طرد الخليفة المقتدى من بغداد سنة 485هـ لأنه رأى فيه ميلاً إلى التدخل في الحكم(3)، كما أخذ السلاجقة من الخليفة المسترشد بردة الرسول التي كان الخلفاء يردونها عند توليتهم الخلافة أو عند حضورهم الحفلات الدينية(4).

كان السلاجقة يدركون الخطر الذي يتهددهم من وراء انتشار النفوذ الفاطمي في بلاد الشرق الإسلامي، ومن ثم وجهوا سياستهم بعد أن قبضوا على زمام الأمور في بغداد سنة 451هـ إلى مناهضة هذا النفوذ، وقد صادفه كثير من

---

(1) ابن الأثير: تاريخ دول الأوبئة، ص 91 - 92
(2) The Caliphate, P. 80
(3) السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص 181 - 182
(4) Arnold The Caliphate P. 80
النجاح في تحقيق هذه السياسة؛ فقام أمير مكة محمد بن جعفر الدعوة لكل من الخليفة القائم بأمر الله والسلطان آل أرسلان سنة 464 هـ (1)، وفي السنة التالية تمكن أرسلان من بسط سلطان السلاجقة على حلب، كما أصبحت دمشق سنة 488 هـ تحت سيادتهم، وأبطل فيها الأذان بحري على خير العمل (2)؛ وهو يعد من مظاهر المذهب الشيعي التي كانت سائدة إذ ذاك في الأراضي الخاضعة للفوذ الفاطميين.

كذلك حرص السلاجقة على تعقب دعاء الإمامية الذين قاموا بشهر الدعوة للفاطميين في بلاد الفرس، كما تعصموا للمذهب السني، وبلغ من تعصموا لهذا المذهب أن أقسموا غير السنين على وظائف الحكومة؛ وأحسن مثل لذلك ما قام به نظام الملك وزير السلطان ملكشاه الذي فصل الحسن بن الصباح من ديوان السلاجقة بسبب اعتقائه المذهب الإمامي واتصاله بدعاء الفاطميين (3).

وعلى الرغم من اهتمام السلاجقة بالقضاء على دعاء الإسلامическая، فإن كثيرًا من هؤلاء الدعاء تميزوا نشاطهم منذ أواخر القرن الخامس الهجري في بلاد الفرس، ويرجع السبب في ذلك إلى بعد هذه البلاد عن بغداد مركز الخلافة العباسية، كما أن السلطان آل أرسلان (445-466 هـ) بإلغاء نظام البريد جعل من المتعذر على السلاجقة استطاع أخبار دولتهم ما ساعد الإسلامическая على إحكام أمورهم في شرق الدولة الإسلامية. وقد وضع البنداري (4) ذلك بقوله: وكان منهم رجل من أهل الري، وكانت صناعة الكتابة، فخفي أمره، حتى ظهر وقام من الفتنة كل قيامة، واستولى في مدة قريبة على حсон وقلاع متينة، وبدأ من القتل و الفتك بأمور شرعية، وخفت عن الناس أحوالهم، ودامت حتى استتب على استقرار، بسبب أنه لم يكن للدولة أصحاب أخبار.

أما عن الدعوة الإسلاموية في بلاد العراق فإنها لم تظهر بكثير من النجاح في أواخر العهد السلجوقي لأن هذه البلاد كانت مقرًا للخلافة العباسية السنية التي كان من أهم أركان سياساتها مناهضة أتباع المذهب الإمامي، كما أن السلاجقة

---
(1) راجع كتاب "الفتوح الفاطمیة في جزيرة العرب" للمؤلف ص 21 - 22.
(2) السبتي: تاريخ الخلفاء ص 180.
(3) عز الدين شرف: كتاب "دولة النزارية" ص 44 - 44.
(4) تاريخ دولة آل سلجوق، ص 26 - 23.
من ناحية أخرى عمدوا إلى تعقب دعوة هذا المذهب؛ وفضلاً عن ذلك فإن الخلافة الفاطمية في مصر لم تتم منذ منتصف القرن الخامس الهجري على مواصلة جهودها لنشر دعوتها في بلاد العراق، كما كانت الحال عند قيام الباساسيري بحركته، بل اقتصر اهتمامها على الاحتفاظ بما تبقى لها من نفوذ في الجزيرة العربية، وتأييد دعوة الإسماعيلية في بلاد الفرس واليمن الذين استطاعوا باتخاذهم هذه البلاد مركزاً لهم أن يكونوا بعيدين عن تنكيل العباسيين والسلاجقة بهم.

وليس من شك في أن اضطراب الحالة الداخلية في مصر في أواخر عهد المستنصر بالله الفاطمي، كان له أثر كبير في صرف الحكومة الفاطمية عن الاهتمام بنشر دعوتها في بلاد العراق؛ ففقد ظهر التنافس بين العناصر الأجنبية وبخاصة الأثراء والسودان، كما خرج ناصر الدولة الحسن بن حمدان التغلبي الذي كان يتولى قيادة الأثراء على طاعة الخليفة الفاطمي، وبث سنة 426 هـ إلى ألب أرسلان سلطان السلاجقة بالعراق رسولاً من قبله، يسأله أن يرسل إليه نجدة ليقم الدعوة العباسية على أن تكون إليه السيادة على مصر، فرحب ألب أرسلان بذلك؛ غير أنه ما لبث أن شغل بمحاربة الروم عن المسير إلى دمشق ثم مصر(1).

لما بلغ المستنصر أن ناصر الدولة أرسل إلى ألب أرسلان يستدعه إلى الديار المصرية، جهز إليه عساكر كثيرة من الأثراء لمحاربته بإقليم البحيرة فأوقع بهم ناصر الدولة الهزيمة وغنم منهم مغامتين كثيرة، وأقام الختام للخليفة الفاطمي بأمر الله العباسي في الإسكندرية ودمياط، وجميع أنحاء الوجه البحري، وحالف دون وصول الأقوات إلى القاهرة ومصر(2). وكان ما زاد الحالة سوءاً تلك المجاعة التي بدأت بانخفاض النيل سنة 457 هـ، واستمرت سبع سنين، فقتل الأقوات واشتد الغلاء. وقد عانى الأغنياء وكبار رجال الدولة من هذه المجاعة مثل ما عاناه الفقراء تماماً؛ واضطر بعض أصحاب النفوذ والأعيان إلى مغادرة مصر والرحيل إلى بلاد الشام والعراق(3).

---

(1) ابن مسر: تاريخ مصر، ص 20.
(2) ابن مسر: تاريخ مصر، ص 20.
(3) المرجع نفسه: ص 40، أبي الحسن: النجوم الزاهرة، ج 5، ص 15. 16.
ظل ناصر الدولة بن حمدان يبذل أقصى جهده لإضفاء شأن الخليفة المستنصر بالله الفاطمي والاستثمار بالحكم؛ وتحلي خروجه على طاعة سنة 344هـ حيث عاد القيام بهذف اسمه من الخلافة في الوجه البحري، كما بعث إلى القائم بأمر الله العباسي ببغداد يلتمس الخلع. ثم قدم إلى القسطنطين على رأس جيش كبير من العرب والبربر وتولى الحكم فيها، وأنشئ إلى المستنصر رسولا يطلب منه الأموال. ولم يكتف بذلك بل سار إلى القاهرة وسّل في إهانة الخليفة الفاطمي وأظهر ميله إلى مذهب أهل السنة. واضطر كثير من أقارب المستنصر إلى النزوح إلى المغرب والعراق. على أن ناصر الدولة لم تستقر له الأسور طويلا بالقاهرة، فسرعان ما ثار الأمر الذي كانوا إذ ذاك من أهم عناصر الجيش الفاطمي ونجحوا في القضاء عليه والتخلص من جميع أفراد أسرته

لم تكن الظروف مهيأة في أواخر القرن الخامس الهجري لتفعيل الدعوة الفاطمية مكانتها في بلاد العراق؛ فقد ضعف أمرها وأصبحت مهددة بالزوال من جراء ذلك النزاع الذي نشأ حول الخلافة الفاطمية بعد وفاة المستنصر سنة 487هـ والذي ترتب عليه انقسام الإسماعيلية في مصر وبلاد الشرق الإسلامي إلى طائفيين، عرفت الأولى بالنزارية، أما الثانية فتعرف بالمستعلية. وقد انتحار دعوة الإسماعيلية في بلاد اليمن إلى هذه الفرقة التي اتخذت مصر مركزًا لها، وظلوا على ولائهم للكريمة المستعلية

وأصبح من الدعاة في بلاد الفرس بزعامة الحسن بن الصباح إلى نزار وادعوا أن المستعلي أغضب منه الخلافة والإمامية.

وأصبحت الدعوة الفاطمية في حاجة إلى توحيد وجهود دعاتها حتى يتسنى لهم الإبقاء عليها، لكن انقسام الإسماعيلية إلى فرق وأحزاب كان له أثر كبير في صرفهم عن تحقيق هذه الغاية؛ فشغفت الحكومة الفاطمية بالقضاء على الفقلاقل التي أثارها أتباع النزارية في مصر بإيبار من رؤساء دعوتهم في فارس الذين كانوا يندوونهم بالمال. وقد تجلى خطر النزارية على الخلافة الفاطمية في عهد الآخر.
في أواخر السنوات، فإنحمل الخليفة الأموي السنة 16 هـ على أن يعود إلى وزيره أبي عبد الله الأمام بن البطائحي بكتابة رسلة لزعيمهم الحسن بن الصباح يشدد فيه على أن الزاوية في الإصلاح والرد على هؤلاء الخارجين على الإسماعيلية، بما لكم من الحق في النار، ودعا لهم وزيره الأمام البطائحي: "ما لكم من الحق في النار، ودعا لهم وزيره الأمام البطائحي، فقال كل منهم: لم يكن لنزار إمامًا ومن اعتقد هذا فقد خرج عن المذهب وقيل ووجب قتلته".

على أن هذه الرسالة لم يتح لها أن نصل إلى يد الحسن بن الصباح لفوله رسول الخليفة الأموي عن مواصلة السفر إلى الأندلس التي وصلت إلى مصر عن ازدياد تفوق طائفة النازارية، بلاد المرزوقة واتصالها بآبائها في مصر لتتبدى مؤامرة لقتل الخليفة الفاطمي ووزيره الأمام البطائحي. لذلك لا نعتبر إذا رأينا أن الحكومة الفاطمية تتبع حركاتهم في جميع البلاد الخاضعة لفوؤدها وتعمل على التخلص من جميع الشبهات حول انحيازهم إليها، وبلغ من اهتمام الأمام البطائحي بالبحث عن النازارية وتعظم أثار أتباع هذه الطائفة في مصر والقاهرة.

وقد وضح ابن ميسر (1) ما قام به هذا الوزير من مجهود في سبيل إبعاد خطر النزارية عن الدولة الفاطمية، فقال: "إن أركب في يوم من الأيام جماعة من العسكر، وفرقوه وأمهم بمسك من عينه، فمسك منهم جماعة كبيرة، منهم مرجل كان يتردق أولاد الخليفة الأموي، ومسك معهم الامر الذي سيره ابن صبح برسم نفقة مصر، فأخذوا وكانت هذه الفصلة من الأمامين من عجائب الحذق، وبه مع ذلك الجواسيس في أقطار الأرض، وكان الباطني إذا خرج من الفصل في إرسالهم، ودعا إليه مساعدته، وعلى الرغم من اتخاذ الحكومة الفاطمية الحيلية للقضاء على مؤامرة النازارية

(1) المقرزي: خطط، ج 2 ص 76.
(2) ابن ميسر: تاريخ مصر، ص 25 ص 68.
(3) المرجع نفسه، ص 25.
(4) تاريخ مصر، ص 62.
لاعتقال الأمر، فإن فريقًا منهم كُمنِوا له بجزيرة الروضة، ثم انقضوا عليه وقتلوه
على مقربة من المقياس في ذي القعدة سنة 542 هـ(1).

واجهت الدعوة الفاطمية منذ أولئك القرن السادس الهجري سوّاء في مصر
أو بلاد الشرق الإسلامي كثيرًا من الصعاب مما جعلها مهددة بالزوال؛ فقد أدّى
عدم استقرار الأمر في مصر في أواخر العصر الفاطمي وإنسحاب الحكومة
الفاطمية عن بذل جهودها لنشر دعوتها إلى إتاحة الفرصة أمام خلفاء العباسيين-
رغم ما كانوا يعانونه من أزدياد سلطان النجاة للفلسطينيين للقضاء على ما تبقى
للفاطميين من نفوذ. وقد حالفهم النجاح في بلاد العراق وغيرها من بلاد الشرق الإسلامي
حيث أضحى النفوذ الفاطمي في اليمن والحجاز روحياً فقط، وصار لا يمثل إلا
في السكة والخطبة.

كذلك كان لوقف بعض وزراء هذا العصر في وجه رجال الدعوة في مصر
حتى لا يتبسر لهم الوصول إلى الزعامة أو السلطان، وعدم حرص رجال الحكومة
الفاطمية على الاحتفاظ بمظهر المذهب الإسلامي أثره البالغ فيما أصاب الدعوة
الفاطمية في بلاد الشرق الإسلامي من وهن وانحلال؛ ولا غرو فقد أصبح
التحمس لهذا المذهب ونصره أو إضعافه ومناهضته تابعاً لرغبة الوزراء وميلهم
وليس أدل على ذلك من أن الوزير الأفضل بن بدر الجمالي ظل مشابعًا للمذهب
الفاطمي حتى توقيع المستقبل وخلافه الأمر سنة 549 هـ، فأخذ يميل ميل
السينين(2). وقد تجلت هذه الظاهرة في إلغائه الاحتفال بولد النبي ﷺ، ومولد
ابنه فاطمة، وعلى بن أبي طالب، ومولد الخليفة القائم بالأمر. ولا يخفي علينا
أن عمله هذا يؤدي إلى إضعاف نفوذ الفاطميين الذين كانوا يحرصون على
الاحتفال بهذه الأعياد لتلبية انتسابهم إلى على بن أبي طالب وزوجه فاطمة بنت
الرسول عليه الصلاة والسلام(3). ولما استأثر ابن الوزير أبو على أحمد بن
الأفضل بالنفوذ سنة 544 هـ، ومنع الحافظ من التصرف في صنف الدولة وسجنه
في خزازة، أمر بحذف اسم إسماعيل بن جعفر الصادق من الخطبة وأحل محله
اسم محمد المنتظر الإمام الثاني عشر عند طائفة الإمامية، كما أمر بعد إضافة

---

(1) المفرز: خطط، ج2، ص 182، أبو المحسن، النجوم الزاهرة، ج5، ص 185.
(2) ذكر ابن الأثير (79، ص 20) أن الإمامية كانوا يكرهون الأفضل بن بدر الجمالي لأسباب منها؛
تضيف على إمامهم، وترك ما يجهدهم سوءه معهم. ومنها تركة معارضة أهل السنة في اعتقادهم
والتبين عن معارضتهم، وإذن للناس في إظهار معتقداتهم والنظرة عليها.
(3) حسن إبراهيم، الفاطميون في مصر، ص 279.
عبارة على خير العمل إلى الآذان ورد في إضعاف المذهب الإسماعيي بأن
عين سنة 526 هـ أربعة من القضاة ثمانية من الشيعة، أحدثهما طاقة الإمامية
الاثني عشرية والأوخر من الإسماعيلية، وأثنتين من السنين أحدثهما شافعي والآخر
مالكية، وأعطى لكل منهم السلطة في إصدار أحكامه وفق مذهبه 1. وقد أثارت
هذة السياسة التي اتبعها الوزير أبو علي أحمد بن الأفضل غضب
الإسماعيلية، وكذلك الأمراء وغيرهم؛ فقدروا مؤامرة لاغتيالهم 2.

وهكذا نهت الأحوال الخارجية والحوادث الداخلية الطريق للقضاء على
الدعوة الفاطمية، فاضهد السلاجقة في بلاد العراق كثيرًا من الشيعة، كما
وقعوا من دعاء الإسماعيلية الذين استفحل خطورهم في بلاد الدولة العباسية موقعة
ينطوي على الحزم والشدة، فبذلا جهودهم لإخصاد حركاتهم. ولم يكن الخلفاء
العباسيون أقل تحسناً منهم في مقاومة نفوذهم إذ كانوا يرون في طاعة الإسماعيلية
خطرًا بهدوت الدولة الإسلامية؛ فضلاً عن ذلك فإن نهوض هؤلاء الخلفاء لاستعادة
سلطاتهم القديم 3، وسعهم لإحياء مجد الخلافة ومجاهدهم في تحقيق هذه
الأشياء، ساعد إلى حد كبير على تقوية الشعور الإسلامي ضد الطوائف الشيعية.

1) ابن مسرو، تاريخ مصر ص 572، الجزء. خطط: ج. ص 271، 282، 326.
2) حسن إبراهيم الفاطمي، في مصر ص 230.
3) حوار بعض الخلفاء العباسيين أن يسعوا للمطالبة بإسقاطهم التي استأثروا بسلاجقة وسار الخلافة المسترشد بخطى
واسعة في هذا البلد، خرج في سنة 506 هـ على السلطان محمود بن محمد بن الملكة السلجوقى
وهمز قواته، وكاد يستقبل بالأمر لولا المخالفة التي نفدها حاكم البصرة للسلطان (ابن الأثير، ج 16،
3/277). ولا توفي السلطان محمود سنة 526 هـ، عمل الخليفة المسترشد على استعادة سلطته فجعل
الجيش لاستمرار ما كان للعباسيين من نفوذ، وانتقل من الخلاف التي قام في أواخر القرن السلجوقى
부터 في بناء الاستقرار السياسي للدولة الساسانية بقيادة جونزى، بيزنطى، وحلفاء في عهود
الخليفة مسترشد. ولكل السلطان مسعود، سرعان ما حاصر بغداد، واستعاد الخلافة إلى الحواف
تعدد من الأحكام، مما أدى إلى الفساد في الدولة وانهيار الخلافة.

وأظهر الفساد، وأظهر الفساد في إقامة الخليفة مسترشد، وليس بعد قضاء في بعض
القضايا أنه إذا حاول محاربته أو جرد السفاح على أصحابه حق عليه الخلاف من الخلافة، غير أن الخليفة ما لبث
أن اعتذر عن عدم إصداره، ثم أمر بإصلاح ذاتي، أتى عليه حكام دله، تفاوت في جميع
البؤس في الخلافة، وترك٪ السلاجقة، وهنانشرت في بغداد، واستعادت الخلافة إلى الحواف
تعدد من الأحكام، مما أدى إلى الفساد في الدولة وانهيار الخلافة.

وأما الخلافة الفاطمية، فلقد كانت خلفاء الفاطميين بعد فتح أنم على الفتح، وانهيار
الخليفة في العراق، بل ضم أفراد من ذلك الوقت، وأورة الخلافة الفاطمية بوروزه إعلان على إحياء مجد
الخليفة وإعادة بيعها، وأورد أتل على سبيل ضغط الخلافة الفاطمية، ولم ي фиг الشعور إلى السلاجقة، وإلى الذين طالما
أكد على دخول بغداد بعد بن عفان الخلافة الفاطمية، كما حل حديث هذا الخليفة في اجتماع. وunde
بايات على النصر والهيبة وازدادت الطاعة، وأنه لا يتعرض إلى الفتح بالحرب، ولم ينقل هو في نظر المؤرخين
السلطات بعد في النقطة.

وكذا فقد سلسلة شؤون الحقائق التي كان يتوارثها أسلمه، وأخذ النفوذ السلاجقة في العراق بما
لذلك في الامتداد حتى إلى نهاية سنة 526 هـ.

(راجع: ابن الأثير، ص 334، 377، الشروط، تاريخ الحفاظة، ص 278، 282، 292).
ولم تكن حالة الدعوة الإسماعيلية في مصر مقر الدولة الفاطمية خيراً منها في بلاد الأشرق، فقد تجلّى ضعف الذهاب الإسماعيلي في العصر الفاطمي الأخير وأنصرف بعض الوزراء عن تأييد هذا الذهاب، بل تخصص بعضهم كعالي بن الساري- وزير الخليفة الظاهر- للذهب السنوي، فأنشأ في سنة 564 بالإسكندرية مدرسة للشافعية، أسند إدارتها إلى الحافظ السلفي الفقيه الشافعي (1)؛ وخلق هذا السيد لرجع الذهب السنوي إلى مصر. وقد أدى تخصص لهذا الذهب ورغبته في إحلاله ب مصر محل الذهب الإسماعيلي إلى حقد الخليفة ورجال دولته عليه، فقتل بإيامه (2). ومازال الذهب الإسماعيلي آخذًا في الانتشار من الديار المصرية حتى تقلّد صلاح الدين يوسف بن أبوب الوزارة للخليفة العظيم الفاطمي سنة 564 هـ. فوجه اهتمامه - بعد إضعافه سلطنة هذا الخليفة - إلى القضاء على الذهب الشيعي في مصر، فأنشأ مدرسة لتدريس الذهب الشافعي، وأخرى لتدريس الذهب المالكي، وعزل قضاة الشيعة، وعين صدر الدين عبد الله بن درباس الشافعي قاضيًا للقضاء في جميع أنحاء الدولة المصرية (3)؛ فاستعاد بذلك الذهب السنوي قوته، وأخذ الذهب الشيعي في الاحتفاء تدريجيًا حتى لم يبق له أنصاراً في مصر.

ولا شك أن هذه العوامل التي تقدم ذكرها وإن كانت قد عجلت بزوال النفوذ الفاطمي بلاد الأشرق. فإنها من ناحية أخرى أفادت الخلافة العباسيّة فقدها مساعدة على الاحتفاظ بسيادتها على البلاد الإسلامية.

---
(1) ابن خلكان: رياض الأنبياء، جل 467 - 468.
(2) حسن إبراهيم: الفاطميين في مصر، ص 296.
(3) الفيزالي: خطط، ج 2، ص 344.
الباب السابع

علاقة الفاطميين بالأندلس والمغرب وجزيرة صقلية

1 - علاقة الفاطميين بالأمويين في الأندلس.
2 - علاقة الفاطميين بالزربيين في المغرب.
3 - الفاطميون وجزيرة صقلية.
(1) علاقة الفاطميين بالآسيويين في الأندلس:
أخذ عبد الله المهدي منذ أن استقرت خلافته في إفريقية، ببعث بدعاته إلى بلاد الأندلس لنشر الدعوة الفاطمية. لكن الجهود التي بذلت في هذا السبيل لم تكمل بالنجاح حتى عهد المعز لدين الله؛ فلم تجذب تلك الدعوة إليها إلا فريقاً ضئيلاً من رجال الفكر الأندلسيين(1).

ولا شك أن قيام الخلافة الفاطمية في إفريقية ونشاط دعاتها في شعوب المغرب، أصبح خطراً يهدد كيان الأمويين بالأندلس، ولذلك وجه عبد الرحمن الناصر منذ ولي الحكم في الأندلس سنة 330 هـ اهتمامه إلى الوقوف في وجه الفاطميين والقضاء على أطماعهم؛ فعمل على إعداد أسطول قوي؛ بلغ عدد قطعه نحو مائتي مركب(2)، ليستعين به في صد هجمات الأسطول الفاطمي، كما حرص على اجتذاب أتراك له من بين قبائل الزناتيين المعادية للفاطميين في المغرب.

وأما وقف عبد الله المهدي على خطوة السياسة التي يتبعها عبد الرحمن الناصر ضد، أمر قائدته مصالة بن حبوب بمحاربة الزناتيين سنة 312 هـ، فخرج مصالة من تأهرت والثقيق بقوات محمد بن خزر زعيم قبيلة مغراوة، في معركة عنيفة، انتهت بمقتل مصالة وهزيمة جيشه(3).

وكان عبد الرحمن الناصر، وقتذاك قد استولى على سبتة، وعزم على اتخاذها قاعدة بحرية للسيطرة على بلاد المغرب الأقصى، ومحاربة وليها موسى بن...

(1) عبد العزيز سالم: المغرب الكبير (العصر الإسلامي) ص 108.
(2) ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر. ج 1 ص 211.
(3) ابن علاء: البيان المغربي في أخبار المغرب. ج 1 ص 266.
تأريخ الدولة الفاطمية

أبي العافية. غير أن هذا الوالى لم يبلى أن اضطر بعد أن تخرج مركزه إلى خلع
طاعة عبد الله المهدي، والدخول في طاعة عبد الرحمن الناصر الأموي بالأندلس.
وفي ذلك يقول ابن خلدون(1): "ثم انفصى موسى بن أبي العافية عامل فاس
والمغرب وخلع طاعة البابية، وانحرف إلى الأموية من وراء البحر، وثبت دعوته
في أقطار المغرب".

وأما علم عبد الله المهدي بانضواء موسى بن أبي العافية تحت لواء عبد
الرحمن الناصر، جهز خيراً وسيره إلى المغرب الأقصى بقيادة عامله على تأهير
حميد بن يصال، فأوقع الهزيمة بموسي، وتمكن من دخول فاس سنة 321 هـ وأعاد
الدعوة فيها لعبد الله المهدي؛ ولكنها لم تثبت أن أقيمت بعد وفاته باسم الخليفة
الناصر الأموي.

اتخذ العداء بين الدولة الفاطمية والدولة الأموية بالأندلس مظهرًا قوياً في
عهد المعز لدين الله؛ فلم يمض ستان على توليه الخلافة حتى هاجمت إحد السفن
الأندلسية سفينة فاطمية كانت تحمل رسولًا من قبل الحسن بن علي صلى الله عليه
فجهز المعز أسطولاً، ساره إلى الأندلس بقيادة هذا الوالي سنة 344 هـ. فلما وصل
المري، هاجم مرساه، وأحرق الجند جميع ما فيه من السفن، ثم دخلوا المدينة
وعائلاً فيها نهياً وقتيلاً، وعادوا بعد ذلك إلى المهدى(2).

وبلغ من شدة العداء بين الأمويين في الأندلس والفاطميين في المغرب، أن
عمد عبد الرحمن الناصر الخليفة الأموي بالأندلس إلى توطيد علاقته بأعداء
الخلافة الفاطمية فتحالف سنة 344 هـ مع الإمبراطور البيزنطي قسطنطين الثامن
الذي كان يطمغ في استرداد صقلية من أيدى الفاطميين(3). كما أمر بلعن الخليفة
الفاطمي من متابع الأنديس؛ وكتب بذلك إلى جميع عماله(4).

علي أن عبد الرحمن الناصر لم يبلى أن أتى أحد رسله إلى حاضرة الخلافة
الفاطمية بالمغرب، ومعه كتاب إلى بعض رجال العز، يطلب منه الموادة والصلح;

(1) ابن خلدون: العبر ردوان الدولة والمغرب. ج، ص 39 - 40.
(2) ابن الأثير الكاكي في التاريخ. ج، ص 170، إنظر أيضًا: النعمان: كتاب "المجالس والمساوات". ج 1.
(3) ص 326 - 326.
(4) ابن عطاري. البيان المغرب ج، ص 326.
فرفض المعز إجابة طلبه، وقال لرسول الناصر(1): "أما ما دعا إليه من السلم والكف والمؤذنة والصلاة، وهو يزعم أنه أمير المؤمنين، - كما تمسى دون من سلف من آبائه - ، وإمام الأمة بدعوته واتخاه، ونحن نقول: إننا أهل ذلك دونه ودون سواء..."

وما أنا بالمداهن في دين الله، ولا بالراكن بالرودة إلى أعداء الله، ولا بالمشاركت مع أمنر الله عز وجل. ارجع بجوابي هذا إليه، فما له عندي سواء وما لي من الأمر من شيء، إن الأمر كله لله، عليه تولت وإليه أتبت.

أخذ عبد الرحمن الناصر - برغم عدم استجابية المعز لطلب الصلح معي - يوالى إنفاذرسله ورسائله إليه، رغبة في مصالحته. لكن المعز كان يدرك ما يرمى إليه الناصر من وراء هذه المكتبات، فقال: "إذا أراد هذا الفاسق أن يقطع الزمان بهذه الرسالة والمكتبة بيننا وبينه(2)".

شرع عبد الرحمن الناصر - بعد أن أعرض المعز عن عقد الصلح معي- في إعداد قواته البرية والبحرية؛ ثم سير هذه القوات لمهاجمة البلاد الخاضعة لسلطان الفاطميين بالمغرب؛ فتوقفت الهزيمة بالقوات الفاطمية التي تصدت لها سنة 346ه. وكان ذلك مما أثار سخط أهالي بلاد المغرب الأقصى على الفاطميين، فجهز المعز جيشًا ضخمًا، لاستعادة سلطان الفاطمية على تلك البلاد، أرسل قيادته إلى جوهر الصقلي، الذي مضى في فتح مدن المغرب حتى استرد سجلها وفاس، ولكنه عجز عن الاستيلاء على سبتة وطينة(3).

وأما توفي عبد الرحمن الناصر سنة 360ه، وخلفه ابنه الحكم المستنصر، استمر النزاع قائمًا بين الفاطميين والأمويين بالأندلس. وكان من مظاهر تلك الحملة التي أرسلها الحكم سنة 362ه إلى بلاد المغرب الأقصى والأوسط للقضاء على الدعوة الفاطمية التي قويت شوكتها في ذلك الوقت. ولم تثبت هذه الحملة

---

(1) النعمان، كتاب المجلام السيرات، ج1 ص 224 - 232.
(2) نفس المرجع، ج1 ص 238.
(3) السلازي: الاستعضا لأخبار المغرب الأقصى، ج1 ص 86 - 87، حسن إبراهيم وله شرف، كتاب 5 المعزو لديد الله، ص 43 - 44.
أن تمكن من بسط سلطان الخليفة الإموي على تلك البلاد، وخرج زعماء زناتة من مغراوة ومكتنسة على طاعة المعز لدين الله الفاطمي، وأقاموا الدعوة للمحكّم المستنصر من منابرهم.

لم ينته العداء بين الفاطميين والأمويين في الأندلس بعد وفاة المعز سنة 365 هـ، وتبين لنا ذلك ما رواه ابن خلكان: فقد ذكر أن الحكّم المستنصر بن عبد الرحمن الناصر لدين الله، تلقى من العزيز الخليفة الفاطمي بقصر كتابٍ، يشبه فيه وهجومه: فكتب إليه الحكّم المستنصر: «وقد عرفتنا فهجوتنا، ولم يزداد الكافرون». لا يجيّد.

كان الأمويون في الأندلس يتحينون الفرص لقضاء على الخليفة الفاطمِيّة الشيعيّة في مصر، وتجلى ذلك في الثورة التي قام بها رجل يقال له أبو ركوة(1)، وهو من ذريّة هشام بن عبد الملك بن مروان، نزح إلى برقعة واستقر بين قبيلة بنى قرة على أثر استبداد المنصور بن أبي عامر بالسلطة دون الخليفة هشام المؤيد بن الله الأموي، وذلك افتتح له مكتباً يعلم فيه الصبيان القراءة والكتابة، كما اجتذب الناس إليه بورعه وذلالة لسانه ونبل أخلاقه.

ولما رأى أبو ركوة أن الفرصة قد سيحت لظهار شخصيته دعا إلى عمه هشام المؤيد الخليفة الأموي بالأندلس؛ فلقيت دعوته قبولًا حسناً من نفوس البدو في أنحاء برقعة، كما استجاب إليه بنو قرة الذين كانوا ساخنين على الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمي لإسرافه فيقتل زعمائهم وكيرواتهم. ولم يلبث أن سار على رأس جيش كبير؛ وأوقع الهزيمة بجند الحاكم، ومن ثم تسر له بسط سلطانه على برقعة سنة 395 هـ، وأمر بحذف اسم الحاكم من الخطبة وتلقي بالشائر بالله، وضرب السكة باسمه، وأظهر الرفق والعدل في معاملة أهالي هذه الولاية، فهورعت إليه الوقود لتأيده.

ولما وصل إلى الخليفة الحاكم نبأ ما قام به أبو ركوة في برقعة، أعد العدة لمحاربته؛ فجهز جيشًا كبيرًا مكونًا من خمسة آلاف فارس تحت قيادة قليل بنال طويل. - أحد قواد الأتراك -، غير أن هذا الجيش ما لبث أن هزم بسبب استياء

(1) ابن خلكان.
(2) وفيات الأعيان.
(3) سمى بذلك لأنه كان يحمل ركوة (وعاء من الخلد) لوضوّه على عادة الصوفية.
الجند المغاربة من قائدهم التركي وخروجهم على طاعته، كما وقع ينال أسيرًا وقتل واستولى أبو ركوة على مائة ألف دينار كانت معه، فاستفحل بذلك أمره وزادت هيبته، وأخذ يطلع إلى امتلاك مصر.

لم يكن بعلم الحاكم بما استقر عليه رأى أبو ركوة من الزحف على مصر، حتى شعر بفخامة الخطر الذي يهدد ملكه، فسير لمحاربة أبي ركوة جيشًا ضخماً قوامه الجنود الشامية والغلمان الجماعة تحت قيادة الفضل بن عبد الله في ربيع الأول سنة 396هـ، فالتقى الفريقان بالقرب من الإسكندرية حيث دارت بينهما معارك شديدة، ارتد بعدما الفضل صوب القاهرة، ثم واصل أبو ركوة رفحه حتى وصل قصر الفيوم، فتبه الفضل بقواته وأوقع به الهزيمة، وظل يطارده حتى حدود النوبة حيث ظفر به رئيس ربيعأ أبو المكارم هبة الله. وانتهى أمر أبي ركوة بقتله.

\footnote{1} أبو للحاسن, النجم الزاهرة ج2, ص 215 - 217.
(ب) علاقة الفاطميين بالزبيريين في العصور لما عزم المعز لدين الله الفاطمی على الرحیل إلى مصر سنة ۳۶۱ هـ، عهد بولاية إفريقية والمغرب إلى بلکین بن زریب بن مناد الصنمائه. وقال له (۱) إن نسبت ما وصیتك به، فلا تنس شیئاً من أشياء، لا ترفع الجباية عن أهل البلد، ولا ترفع السيف عن البربر، ولا تول أحداً من إخوتك وبنی عموك، فإنهم يرون أنهم احی بهذا الأمر منك، واستوچ بالخضر خیرك.

ظل بلکین بن زریب موالياً للفاطميين بعد رحیلهم إلى مصر، فلما توفی خلفه ابنه العفو المنصور، كان يزعم الاستقلال عن الخلافة الفاطمیة، ويجلى لنا ذلك من قوله لشیخ الیقروان الذين قاموا إليه لتحتنه بالامراء (۲) إن أبي يوسف وجدت زریب كنیاً يأخذ الناس بالسیف، وأنا لا أخذه إلا بالاحسان، ولست من يولى كتاب ويعزل بكتاب (۳) لتأني ورثه عن آبائی وأجدادی (۴). 

ولما وقف الخلفیة العزیز بالله على رغبة هذا الأمر في الاستقلال بالبلاد التي يحكمها، عمل على إثارة قبائل البربر عليه؛ فأرسل سنة ۳۷۶ هـ داعیاً من قبله يدعی أبی السهم الخراسانی إلى قبائل كثامة لیدعونهم إلى طاعته. وكان الخليفة الفاطمی، يرمی من وراء ذلك إلى إثارة قبائل كثامة على أمراء بنی زریب. فلما قدم عليهم هذا الداعی، التفوا حوله وکون منهم جیشًا، روه بالسلاح، فاسبأ المنصور من نشاط هذا الداعی، وكتب إلى الخليفة العزیز بذلك; فأرسل إليه العزیز، بنهاة عن التعرض له. لكن المنصور لم يصغ لقوله وعول على محاربة كثامة، ثم رحف بجبیسه سنة ۳۸۸ هـ إلى بلادهم، واشتیك معهم في موقعة؛ انتهت بانتصارهم عليهم (۵). أما فيما يتعلق بالداعی أبی السهم فإن المنصور ظل يتوقعه حتى قیض عليه وقتله. ولم بلغ ذلك العزیز، أدرك أن خطته التي تطوری على إضعاف شأن الأمر المنصور، باءت بالفشل ؛ ومن ثم آثر سياسة التوهد (۶).

(۱) ابن عداری. الیان المغرب. ج ۱ ص ۳۶۳، المغری. (۲) ابن عداری. الیان المغرب. ج ۱ ص ۳۴۴، ابن الأثير. الكامل في التاريخ ج ۹ ص ۱۲.
(۳) يعني أن الخلافة بمسیر لا قادر على عزله.
(۴) ابن الأثير. الكامل في التاريخ ج ۹ ص ۱۸ (۵) عداری ابن عداری. الیان المغرب ج ۱ ص ۳۶۳، ۵۵۳، ۱۴۵.

(۶)
علاقة الفاطميين بالأندلس والغرب وجزيرة صقلية

ابحث الخليفة الحاكم بأمر الله سياسة أبيه العزيز مع أمير ديرى في بداية عهده. لكنه رأى، بعد أن بلغه أن الأمير نصير الدولة باديس يعمل على الاستقلال عن الخلافة الفاطمية. أن بث الصعاب في وجهه، فأمر بانس العزيزى، وعليه على بركة بالمسير إلى طرابلس سنة 369 هـ، والاستيلاء عليها. وكانت وتلك تلك تابعة لباديس، فمضى بانس ففي سيره إليها. غير أن قوات باديس ما لبث أن تصدت له؛ ودارت بين الفريقين معركة، أسفرت عن هزيمة الجيش الفاطمي وقتل يانس (1).

رأى الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمي، بعد تلك الهزيمة التي لحقت بجيش يانس العزيزى أن يمد إلى حيلة أخرى، لعله يصل من ورائها إلى إضعاف نفوذ بني زيري في المغرب الأدنى. فأثار قبيلة زناتة ضد باديس، وحثها على التقدم إلى طرابلس والاستيلاء عليها؛ فاستجاب لاه، وأنفذت جيشًا إلى طرابلس. لكن باديس لم ير حلف إليها على رأس جيش كبير، وتمكن من دخولها في تعبان سنة 400 هـ، واضطر قائده زناتة إلى طلب العفو والأمان منه؛ فأجاب طلبه؛ وذلك احتفظ باديس بسلطته على البلاد التابعة له، الأمر الذي حمل الخليفة الحاكم بأمر الله على العودة إلى سياسة التقويد بأمر بنى زيري التي اتبعها أبو العزيز من قبل، فأرسل إلى الأمير باديس هدية سنة 420 هـ كما أمر بإضافة برقه وأعمالها إليه (2).، وسادات العلاقات الودية بينه وبين هذا الأمير منذ ذلك الوقت.

استمر النفوذ الفاطمي سائداً في إفريقية حتى ولي إمارة بنى زيري المعز بن باديس الصناحى – وكان منحرفًا عن مذهب الشيعة ويعتنق مذهب السنة – فحمل جميع أهل المغرب على التمسك بمذهب الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه، وحسم مادته الخلاف في المذاهب (3). وعلى الرغم من انحراف هذا الأمير عن المذهب الإسماعيلي الذي يدين به الفاطميين، فإن الخليفة الحاكم بأمر الله لم يظهر اعتراضا على سياسته المذهبية؛ بل عمل على استجلاب محبه، فخاطبه بشرف الدولة في سجل أرسله إليه سنة 47 هـ (4). كما أوقف إليه رسولا سنة 41 هـ ومعه بعض الهدايا.

---

(1) عبد العزيز سالم: المغرب الكبير ص 305.
(2) ابن عداري. البيان المغربي ج 1 ص 374.
(3) ابن خلكان. وفيات الأعيان ج 2 ص 137.
(4) ابن عداري. البيان المغربي ج 1 ص 389.
ولا جاء الخليفة الظاهر لإعجاز دين الله، واقتنى بأبيه الحاكم في الاحتفاظ بعلاقات ودية مع الأمير المعز بن باديس، فزاده سنة ٤١٤ هـ لقبًا(١)؛ وصار يعرف بشرف الدولة وعضاها، وبعث إلى الهدايا(٢).

على أن علاقة هذا الأمير بالفاطميين في مصر لم تثبت أن تبدلت في أواصر عهد المستنصر بالله، فأعلن سنة ٤٤٠ هـ خروجه على طاعة هذا الخليفة، وأمر بحذف اسمه من الخطة والسكنة والطرز، وأقام الخطة للقائم بأمر الله العباسي(٣) (٤٤١-٤٦٧ هـ)؛ كما أمر بنساء السود شعاع العباسيين وأعد أعلامًا سودًا وملاکة سوداء لرجال الدولة(٤).

استنادًا إلى الخليفة المستنصر بسم الله الفاطميين من خروج المعز بن باديس عليه وإقامته الخطة للخليفة العباسي، واعلى الانتقام منه. فأشار عليه الوزير أبو محمد الحسن بن علي الباروري بأن يسمعن باقيين بنى هلال(٥) الذين استروا في صعيد مصر - في محاوراً بنى زيري، فإذا ما انتصروا عليهم وأصبحوا أعلامًا للدعوة وعمالاً للدولة في إفريقية، وإذا هزموه ضعف أمرهم وتخلصت الخلافة من عدوانهم. فلقي هذا الرجل قبل من نفس المستنصر، وعود الوزير الباروري إلى أمير الآمراء مكين الدولة أبو علي الحسن بن مهلم - الذي اشتهر بحسن رأيه وكاسته(٦) - بالمسير إلى هذه القبائل بخلع سلبه وأمواله، فورعها عليهم؛ ثم أباح لهم الوزير الفاطمي إغارة النيل، وقال لهم: قادعطكم المغرب وملك المعز بن بلخين الصناحي، العبد الآبق، فلتأنتم(٧) . فسار أبو هلال إلى برقة؛ وما نزلوا بها فتحوا أصصروا واستباحوا، ثم ضموا في سيرهم إلى إفريقية، فاتقوا بجيوش المعز بن باديس التي كانت تقوم عناصر من العرب والبربر والعبيد؛ ودارت

١) عبد العزيز سالم، المغرب الكبير ص ٢٥٨.
٢) ابن عناي، اليان الغرب ج ١ ص ٣٩٢.
٣) أنظر ابن الأثير الكامل في التاريخ ج ١ ص ١٨٠، ابن خلدون ج ١ ص ١٥٩.
٤) ابن عناي، اليان الغرب ج ٤٥.
٥) تضم هذه القبائل أحياء من جمجم ورظية وربوعة وهديد. ولم يكونوا على وفاق فيما بينهم، بل استمرت الحروب بين بعضهم ما جعل البلاد التي تقيمون فيها تعرض لكثر من عبثهم. وفي ذلك يقول ابن خلدون ج ١٤ ص ٣١٤ وقد عم ضررهم وأحرق البلاد والدولة شرهم.
٦) عبد العزيز سالم، المغرب الكبير ص ٢٧٧.
٧) ابن خلدون ج ١ ص ١٤.
الحرب بين الفريقين في ذي الحجة سنة 442 هـ. ولكن حدث أثناء القتال أن جند العرب الذين كانوا مع المعز استهروهم العصبية العربية؛ فاتصرفوا عنه وآثروا الانضمام إلى عرب بنى هلال، كما خذلته أنصاره من زناتة وصناها؛ فحلت به الهزيمة في موقعية حيدر (1). ونجى بنفسه مع بعض أتباعه إلى القيروان (2).

على أن بنى هلال ما لبثوا أن تقعوا بنى باديس؛ فقصصوا القيروان وحاصروها، وأخذوا يعيشو فيها فسادًا، وخربوا عمرانها، كما أتوا على معمالها مما اضطر أهلها إلى الرحيل عنها (3).

ضعف منذ ذلك الوقت شأن بنى زرئ؛ فأشار المعز بن باديس على رعاية بالانتقال إلى المهدية، واتخذها مقرًا له (4). ولم يزل مقيمًا بها حتى توفر سنة 454 هـ، فخلفه ابنه ميم الذي تقلص في عهده ملك بنى زرئ حتى لم يعد يجاوز جزءًا من الساحل يحيط بالمهدية (5).

أما عن الخلافة الفاطمية فإنها لم تلبث أن واجهت كثيرًا من الصعاب سواء في مصر أو أقطار الشرق الإسلامي التي امتل نفوذها إليها. لذلك تعدد على الاحتفاظ بسيادتها على بلاد المغرب. وظلت الخطة تقام للعباسيين في هذه البلاد حتى قامت دولة الموحدين في أوائل القرن السادس الهجري وقطع أميرها عبد المؤمن بن علي الدعوة للخليفة العباسي المقتفي (1) وأخذ يسع ملكه في شمال إفريقيا؛ فاستولى على مراكش سنة 542 هـ، ثم تقدم شرقًا، فبسط سلطانه على إقليم الجزائر وتونس، وظل يتابع زحفه حتى حدود مصر العربية فاستولى على طرابلس وبرقة. وبعد أن تم لعبد المؤمن فتح هذه البلاد، عاد أدارجه إلى المغرب الأقصى وأدركته الوفاة سنة 558 هـ (1131 م).

(1) عبد العزيز سالم: المغرب الكبير ص: 369، ابن خلدون ج 6 ص 15.
(2) ابن الأثير: الكامل في التاريخ. ج 97 ص 197.
(3) ابن خلدون. ج 6 ص 15.
(4) ابن الأثير: الكامل في التاريخ. ج 97 ص 197.
(5) تاريخ الدولة الفاطمية، ج 254 ص 2.
(6) انظر: أبو الحسن النجوم الزاهرة ج 6 ص 51.
يرجع اهتمام المسلمين بجزيرة صقلية إلى عهد معاوية بن أبي سفيان؛ فحاولوا غزوها أكثر من مرة وبخاصة في القرن الثاني الهجري دون أن يظهروا بفتحها. فلما ولى زيداء الله بن إبراهيم بن الأغلب إمارة الأغالبة في إفريقية في عهد الخليفة الأموي العباسي، أعد جيشاً وأسطولاً، وتتألف من مائة مركب لغزوا بقيادة قاضي القيروان أسد بن الفرات سنة 212 هـ. وقد تمكّن المسلمون من الاستيلاء على بعض حصون الجزيرة ومندها، لكنهم سرعان ما كانوا يتخلون عنها تحت ضغط الروم، وظلوا على هذه الحال حتى توفي زيداء الله بن الأغلب سنة 273 هـ، فأخذ بعض أمراء الأغالبة من بعده في تسيير الحملات والسرايا إلى صقلية لإقامة فتحها. واستطاع المسلمون بعد أن قضوا ما يقرب من خمسين عاماً في محاير الروم في هذه الجزيرة، أن يستروا على بعض غزورهم ومندها، نذكر من بينها: برلم، وقصصياته، وسما، وقطانية، وطرمس. وكانت سرقتها التي تعد من أمهات مدن صقلية، آخر معقل سقط في أيديهم في عهد إبراهيم الثاني بن الأغلب سنة 141 هـ.

أصبحت جزيرة صقلية منذ أن تسرت للملنديين فتحها في مستهل القرن الثالث الهجري، ولا يتناوب حكمها ولاة من قبل أمراء الأغالبة، واستمر الحال على ذلك حتى أن رجب أبو عبد الله الشيعي داعى الفاطميين ببلاد المغرب على إفريقية وتمكن من الاستيلاء على كثير من مدنها سنة 293 هـ. ثم التقت قواته بأصحاب زيداء الله الثالث آخر أمراء الأغالبة، في جمادى الآخرة سنة 296 هـ؛ فوقفت بهم الهزيمة. واضطر هذا الأمير إلى الرحل عن إفريقية والفرار إلى مصر، بعد أن حمل معه ما خف ورنه وغلا ثمنه. وفي مستهل رجب من هذه السنة، دخل أبو عبد الله الشيعي رقادة، وتزول بعض قصورها. وبذلك رال نفوذ بني الأغلب في إفريقية.

(1) أنظر: أماني: المكتبة الصقلية. ج 1 ص 427 - 429.
(3) ابن خلدون: ج 4. ص 114 - 123.
(5) المفروزي: أعلام الحفاظ، ص 82 - 87.
(6) ابن عذاري: البيان المغرب، ج 1. ص 201.
(7) المفروزي: أعلام الحفاظ، ص 87.
ولا بلغ أهل صقلية ما أحرزه أبو عبد الله الشهري من نصر على الأغالبة، ثاروا على واليهم السني الحسن بن رياح وولوا بدله على بن أبي الفواس سنة 292 هـ، وكتبوا إلى داعي الفاطميين يطلبون منه أن يقرعوا على ما فعلوا، فأجاب طلبهم (1). غير أن عبيد الله المهدي - أول الخلفاء الفاطميين بالغرب - لم يثبت أن عزل هذا الوالي وعين الحسن بن محمد بن أبي خنجر الكثامي محله سنة 297 هـ. لكنه لم يستمر طويلاً في الولاية؛ فقد ثار به السنون من أهل صقلية للاستأهالهم وحبسهم (3). فولى عبيد الله المهدي مكائه على بن عمر البلوي. ولم يكن أقل تعصبًا من سلفه، فخرج أهل الجزيرة على طاعته - وبخاصة العناصر العربية التي ساءها أن يولى على الفاطميين رأياً من البربر -، ووقع اختيار زعمائهم سنة 300 هـ على أحمد بن قرعب (3) - وكان عربياً -؛ غير أن هذا الوالي لم تظل ولايته، فقد ثار به الجند بسبب طموحه إلى تدعيم نفوذه بقليل. ولم بليث أن انحرف عن الفاطميين وأعلن ولاءه للمقتندر العباسي، فأقام له الخطب بدلاً من عبيد الله المهدي ولم يكتف بذلك، بل ألف أسطوله لمهاجمة سواحل البلاد المغرب واستطاع في بادئ الأمر أن يوقع الهزيمة للأسطول عند ساحل إفريقية. لكن الفاطميين سرعان ما ضاعفوا جهدهم في إعداد أسطولهم وأحلوا الهزيمة بقوات ابن قرعب حين شرع في مهاجمة إفريقية، وقبضوا عليه وأرسلوه إلى المهدي حيث قتل (4). وهكذا قضى على أول محاولة ترمى إلى إعادة بقية إلى حكم العباسيين، واستعاد الفاطميون سيادتهم عليها.

لم تستقر الحالة في صقلية بعد أن ولي عبيد الله المهدي الخلافة؛ فكثيرًا ما كانت تقع المنازعة بين أهلها من المسلمين، فيعزلون ولائهم ويعينون من يشاؤون ولذلك استقر رأي الخليفة على إرسال جيش مع الوالي يدفع عنه خطر الثائرين، فضلاً عن اتخاذ وسيلة لقمع الوالدة إذا ما حدثتهم أنفسهم بالخروج على طاعته (5).

(1) انظر: أمراي: المكتبة الصقلية ج1، ص 434.
(2) ابن خلدون: ج1، ص 207.
(3) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج8، ص 33.
(4) ابن خلدون: ج1، ص 207، حسن إبراهيم وله شرف: كتاب وفاة الله المهدي، 201 - 202.
(5) انظر. ابن الأثير: الكامل في التاريخ ج8، ص 23 - 24.
وكان الفاطميين يحرصون على الاحتفاظ بسيادتهم على هذه الجزيرة، لاتخاذها قاعدة لاستوطانهم في البحر المتوسط، لصد الحملات التي بوجهها الروم نحو إفريقيا. ومن ثم استمروا في إرسال ولائهم إليها حتى قامت ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد فلما قضى على هذه الثورة، عين المصور، الفاطمي الحسن ابن على الكلبي، وإليا على صقلية سنة 376. وفي هذه تفاقم النزاع بينه وبين مسيحيين صقلية الذين لجأوا إلى قسطنطين السابق إمبراطور الدولة البيزنطية لنجدتهم، فلبوا طلبهم وأنفق قواته إلى صقلية حيث اشتبكت مع قوات الحسن الكلبي وحلت الهزيمة بالجيش البيزنطي؛ واضطر الإمبراطور إلى طلب الصلح.

على أن الإمبراطور البيزنطي لم يحترم شروط الصلح الذي عقده مع الحسن الكلبي، فأرسل إلى صقلية سنة 465(956م) حملة تمكنت من فتح بعض مدنها. لكن الروم لم يتمتعوا بشمار هذه الانتصارات التي أحرزها في صقلية، وانسحبوا إلى قلرية.

لم تتم جزيرة صقلية بالاستقرار من جراء تهديد البيزنطيين لها في عهد المعز؛ فقد قامت بها الحرب بين الجيوش الفاطمية وأنصار البيزنطيين، واستطاع واليها أحمد بن الحسن الكلبي سنة 513 أن ينطلق على قلعة طبرمين - وهي من قلاعها المديدة - ثم طرد منها أهلها وأحل محلهم جماعة من المسلمين، وأطلق عليها اسم المزعية. ثم طرد منها أهلها وأحل محلهم جماعة من المسلمين، وأطلق عليها اسم المزعية. ثم طرد منها أهلها وأحل محلهم جماعة من المسلمين، وأطلق عليها اسم المزعية. ثم طرد منها أهلها وأحل محلهم جماعة من المسلمين، وأطلق عليها اسم المزعية. ثم طرد منها أهلها وأحل محلهم جماعة من المسلمين، وأطلق عليها اسم المزعية. ثم طرد منها أهلها وأحل محلهم جماعة من المسلمين، وأطلق عليها اسم المزعية. ثم طرد منها أهلها وأحل محلهم جماعة من المسلمين، وأطلق عليها اسم المزعية. ثم طرد منها أهلها وأحل محلهم جماعة من المسلمين، وأطلق عليها اسم المزعية. ثم طرد منها أهلها وأحل محلهم جماعة من المسلمين، وأطلق عليها اسم المزعية. ثم طرد منها أهلها وأحل محلهم جماعة من المسلمين، وأطلق عليها اسم المزعية. ثم طرد منها أهلها وأحل محلهم جماعة من المسلمين، وأطلق عليها اسم المزعية. ثم طرد منها أهلها وأحل محلهم جماعة من المسلمين، وأطلق عليها اسم المزعية. ثم طرد منها أهلها وأحل محلهم جماعة من المسلمين، وأطلق عليها اسم المزعية. ثم طرد منها أهلها وأحل محلهم جماعة من المسلمين، وأطلق عليها اسم المزعية. ثم طرد منها أهلها وأحل محلهم جماعة من المسلمين، وأطلق عليها اسم المزعية. ثم طرد منها أهلها وأحل محلهم جماعة من المسلمين، وأطلق عليها اسم المزعية. ثم طرد منها أهلها وأحل محلهم جماعة من المسلمين، وأطلق عليها اسم المزعية. ثم طرد منها أهلها وأحل محلهم جماعة من المسلمين، وأطلق عليها اسم المزعية. ثم طرد منها أهلها وأحل محلهم جماعة من المسلمين، وأطلق عليها اسم المزعية. ثم طرد منها أهلها وأحل محلهم جماعة من المسلمين، وأطلق عليها اسم المزعية. ثم طرد منها أهلها وأحل محلهم جماعة من المسلمين، وأطلق عليها اسم المزعية. ثم طرد منها أهلها وأحل محلهم جماعة من المسلمين، وأطلق عليها اسم المزعية. ثم طرد منها أهلها وأحل محلهم جماعة من المسلمين، وأطلق عليها اسم المزعية. ثم طرد منها أهلها وأحل محلهم جماعة من المسلمين، وأطلق عليها اسم المزعية. ثم طرد منها أهلها وأحل محلهم جماعة من المسلمين، وأطلق عليها اسم المزعية. ثم طرد منها أهلها وأحل محلهم جماعة من المسلمين، وأطلق عليها اسم المزعية. ثم طرد منها أهلها وأحل محلهم جماعة من المسلمين، وأطلق عليها اسم المزعية. ثم طرد منها أهلها وأحل محلهم جماعة من المسلمين، وأطلق عليها اسم المزعية. ثم طرد منها أهلها وأحل محلهم جماعة من المسلمين، وأطلق عليها اسم المزعية. ثم طرد منها أهلها وأحل محلهم جماعة من المسلمين، وأطلق عليها اسم المزعية. ثم طرد منها أهلها وأحل محلهم جماعة من المسلمين، وأطلق عليها اسم المزعية. ثم طرد منها أهلها وأحل محلهم جماعة من المسلمين، وأطلق عليها اسم المزعية. ثم طرد منها أهلها وأحل محلهم جماعة من المسلمين، وأطلق عليها اسم المزعية. ثم طرد منها أهلها وأحل محلهم جماعة من المسلمين، وأطلق عليها اسم المزعية. ثم طرد منها أهلها وأحل محلهم جماعة من المسلمين، وأطلق عليها اسم المزعية. ثم طرد منها أهلها وأحل محلهم جماعة من المسلمين، وأطلق عليها اسم المزعية. ثم طرد منها أهلها وأحل محلهم جماعة من المسلمين، وأطلق عليها اسم المزعية. ثم طرد منها أهلها وأحل محلهم جماعة من المسلمين، وأطلق عليها اسم المزعية. ثم طرد منها أهلها وأحل محلهم جماعة من المسلمين، وأطلق عليها اسم المزعية. ثم طرد منها أهلها وأحل محلهم جماعة من المسلمين، وأطلق عليها اسم المزعية. ثم طرد منها أهلها وأحل محلهم جماعة من المسلمين، وأطلق عليها اسم المزعية. ثم طرد منها أهلها وأحل محلهم جماعة من المسلمين، وأطلق عليها اسم المزعية. ثم طرد منها أهلها وأحل محلهم جماعة من المسلمين، وأطلق عليها اسم المزعية. ثم طرد منها أهلها وأحل محلهم جماعة من المسلمين، وأطلق عليها اسم المزعية. ثم طرد منها أهلها وأحل محلهم جماعة من المسلمين، وأطلق عليها اسم المزعية. ثم طرد منها أهلها وأحل محلهم جماعة من المسلمين، وأطلق عليها اسم المزعية. ثم طرد منها أهلها وأحل محلهم جماعة من المسلمين، وأطلق عليها اسم المزعية. ثم طرد منها أهلها وأحل محلهم جماعة من المسلمين، وأطلق عليها اسم المزعية. ثم طرد منها أهلها وأحل محلهم جماعة من المسلمين، وأطلق عليها اسم المزعية. ثم طرد منها أهلها وأحل محلهم جماعة من المسلمين، وأطلق عليها اسم المزعية. ثم طرد منها أهلها وأحل محلهم جماعة من المسلمين، وأطلق عليها اسم المزعية. ثم طرد منها أهلها وأحل محلهم جماعة من المسلمين، وأطلق عليها اسم المزعية. ثم طرد منها أهلها وأحل محلهم جماعة من المسلمين، وأطلق عليها اسم المزعية. ثم طرد منها أهلها وأحل محلهم جماعة من المسلمين، وأطلق عليها اسم المزعية. ثم طرد منها أهلها وأحل محلهم جماعة من المسلمين، وأطلق عليها اسم المزعية. ثم طرد منها أهلها وأحل محلهم جماعة من المسلمين، وأطلق عليها اسم المزعية. ثم طرد منها أهلها وأحل محلهم جماعة من المسلمين، وأطلق عليها اسم المزعية. ثم طرد منها أهلها وأحل محلهم جماعة من المسلمين، وأطلق عليها اسم المزعية. ثم طرد منها أهلها وأحل محلهم جماعة من المسلمين، وأطلق عليها اسم المزعية. ثم طرد منها أهلها وأحل محلهم جماعة من المسلمين، وأطلق عليها اسم المزعية. ثم طرد منها أهلها وأحل محلهم جماعة من المسلمين، وأطلق عليها اسم المزعية. ثم طرد منها أهلها وأحل محلهم جماعة من المسلمين، وأطلق عليها اسم المزعية. ثم طرد منها أهلها وأحل محلهم جماعة من المسلمين، وأطلق عليها اسم المزعية. ثم طرد منها أهلها وأحل محلهم جماعة من المسلمين، وأطلق عليها اسم المزعية. ثم طرد منها أهلها وأحل محلهم جماعة من المسلمين، وأطلق عليها اسم المزعية. ثم طرد منها أهلها وأحل محلهم جماعة من المسلمين، وأطلق عليها اسم المزعية. ثم طرد منها أهلها وأحل محلهم جماعة من المسلمين، وأطلق عليها اسم المزعية. ثم طرد منها أهلها وأحل محلهم جماعة من المسلمين، وأطلق عليها اسم المزعية. ثم طرد منها أهلها وأحل محلهم جماعة من المسلمين، وأطلق عليها اسم المزعية. ثم طرد منها أهلها وأحل محلهم جماعة من المسلمين، وأطلق عليها اسم المزعية. ثم طرد منها أهلها وأحل محلهم جماعة من المسلمين، وأطلق عليها اسم المزعية. ثم طرد منها أهلها وأحل محلهم جماعة من المسلمين، وأطلق عليها اسم المزعية. ثم طرد منها أهلها وأحل محلهم جماعة من المسلمين، وأطلق عليها اسم المزعية. ثم طرد منها أهلها وأحل محلهم جماعة من المسلمين، وأطلق عليها اسم المزعية. ثم طرد منها أهلها وأحل محلهم جماعة من المسلمين، وأطلق عليها اسم المزعية. ثم طرد منها أهلها وأحل محلهم جماعة من المسلمين، وأطلق عليها اسم المزعية. ثم طرد منها أهلها وأحل محلهم جماعة من المسلمين، وأطلق عليها اسم المزعية. ثم طرد منها أهلها وأحل محلهم جماعة من المسلمين، وأطلق عليها اسم المزعية. ثم طرد منها أهلها وأحل محلهم جماعة من المسلمين، وأطلق عليها اسم المزعية. ثم طرد منها أهلها وأحل محلهم جماعة من المسلمين، وأطلق عليها اسم المزعية. ثم طرد منها أهلها وأحل محلهم جماعة من المسلمين، وأطلق عليها اسم المزعية. ثم طرد منها أهلها وأحل محلهم جماعة من المسلمين، وأطلق عليها اسم المزعية. ثم طرد منها أهلها وأحل محلهم جماعة من المسلمين، وأطلق عليها اسم المزعية. ثم طرد منها أهلها وأحل محلهم جماعة من المسلمين، وأطلق عليها اسم المزعية. ثم طرد منها أهلها وأحل محلهم جماعة من المسلمين، وأطلق عليها اسم المزعية. ثم طرد منها أهلها وأحل محلهم جماع...
استمرت الحرب سجالاً بين قوات الفاطميين في صقلية وقوات البيزنطين، التي تفوقها في العدد. وقد تمكن الجند الفاطميين أن يثبتوا أمام تلك القوات، كما أن القائد الفاطمى الحسن بن عمر استطاع بعد أن نظم جيشه أن يلتقي بالقائد البيزنطي مانويل وينقض عليه؛ فولى جنده هارين؛ وبذلك حلت الهزيمة بالبيزنطين، وأخذ المسلمون في صقلية يعاقبونه حتى وقع في أيديهم كبير من الأسرى والسبى، وتجمدوا منهم مغانم كثيرة، ثم مضى أحمد بن الحسن الكلبي -والي صقلية- إلى مسنا ليقضي على فلول البيزنطين، فوجههم قد رحلوا عنها؛ فلحق بهم وانتصر عليهم في موقعة المجار (1) سنة 354 هـ.

أما عن الحالة الداخلية في جزيرة صقلية؛ فإن المعز أبى أحمد بن الحسن الكلبي ولياً عليها حتى سنة 58 هـ، ثم ولي مكانة يعيش، مولى الحسن الكلبي. وظهر أن الخليفة الفاطمى كان يرى إقصاء الكلبيين عن الحكم في هذه الجزيرة حتى لا يستبعدوا بأمورها. لكنه لم يثبت أن عدل عن هذه السياسة؛ فأسددها إلى بعض المناصب الكبرى، وولي أبو القاسم بن الحسن الكلبي ولاية صقلية في منتصف سنة 59 هـ (2)؛ فرحب به أهله، واتفقوا على طاعته، واستقرت بذلك الأمور في الجزيرة.

ولما انتقل المعز لدين الله إلى مصر، واتخذها مقراً لخلافته سنة 362 هـ، لم يجعل لوالى إفريقية والمغرب حكماً على صقلية، بل صار بلياً أموراً والمستقل من قبل الخليفة الفاطمى، وأصبح له الرجوع إليه في تصريف شؤون ولايته. 

أخذ النفوذ الفاطميين في جزيرة صقلية في الضعف في أواخر القرن الرابع الهجري، وغدت علاقة الخلفاء الفاطميين بهذه الجزيرة مقصورة على إرسال الولاة إليها لإدارة شؤونها. لكن بعض هؤلاء الولاة مثل أحمد الأكحل أثار الانقسام بين المسلمين من أهلها بسبب الفترات في معاملتهم، فاضطر جماعة منهم إلى السفر إلى المعز بن باديس أمير إفريقية سنة 277 هـ، وشكروا إياه ما حل بهم، وقاموا لهنحب أن تكون في طاعته وإلا سلمتنا البلاد إلى الروم (3). فكان ذلك الانقسام الذي

(1) يقصد به الخليفة الذي يفصل بين صقلية وإيطاليا.
(2) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج8، ص 184 - 185.
(3) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج8، ص 12.
(4) انظر: أمارة: المكتبة الصغيرة ج1، ص 274.
طرأ على مسلمي صقلية مما شجع البيزنطيين على غزوها في عهد الإمبراطور ميخائيل الرابع (441-444 م) الذي أُنقذ إليها حملتين: الأولى سنة 429 هـ (1037 م) لم تحرر أي نجاح، أما الثانية، فكانت في السنة التالية. وقد استطاعت هذه الحملة أن تستولي على مسنين ومعظم البلاد الواقعة على الساحل الشرقي من الجزيرة، غير أن المسلمين سرعان ما تمكنوا من استعادة أكثر البلاد التي استولى عليها البيزنطيون (1).

على أن الاضطرابات ما لبث أن ساعدت هذه الجزيرة من جراء النزاع بين أمرائها المسلمين والحروب الداخلية. وقد مهد ذلك، السبيل أمام النورماندين لغزوها، فتمكن روجر بن تانكرد النورماندي من الاستيلاء على جميع أرجائها سنة 444 هـ (1051 م) (2).

---

(2) Hitti, History of the Arabs. P. 606
الباب الثامن

العلاقات بين الدولة الفاطمية والدولة البيزنطية والمدن الإيطالية

1- الفاطميين والبيزنطيون.
2- الفاطميين والمدن الإيطالية.
القاتطيون والبيزنطيون:

واجه القاتطيون منذ تقدمت جيوشهم في بلاد الشام صعوبات كثيرة من ناحية البيزنطيين الذين اظهروا بعدة حدود سورية الشمالية بغاراتهم المتتالية. كما رحفت قواهم على أنطاكية سنة 969م (58هـ)، واستطاعوا بعد ذلك بعده وجيزة أن يدخلوا حلب، وأن يرغموا حاكمها على عقد صلح معهم (1).

اتجهت سياسة المبع لدى الله إلى استعادة المدن التي استولى عليها البيزنطيون في شمال الشام ليقفوا بذلك على الأخطار التي تهدد نفوذهم في تلك البلاد؛ وقام بتنفيذ هذه السياسة القائد الفاطمي جعفر بن فلاح. لكن الحملات الفاطمية التي أرسلت لإجلائهم عن إنطاكية فشلت في تحقيق هذه الغاية لانشغال الفاطميين بصد القرامطة والقضاء على ما بقي لهم من نفوذ بالشام (2). اتخذ البيزنطيون من النزاع بين الفاطميين والقرامطة فرصة فرصة ساحقة لمواصلة شن غاراتهم؛ فتقدم إمبراطور الروم خسنتيس (John Tzimisces) في سنة 975م من أنطاكية إلى حمص، ومنها إلى بعلبك؛ واضطرت دمشق إلى التسليم ودفع الجزية له، كما سلمت له طبرية وقيسارية. ثم سار الإمبراطور شمالا حيث استولى على بروت وصيدا، ولما حاول الاستيلاء على طرابلس أوقفت حامية المدينة يعاونها الأسطول الفاطمي الهزيمة بقوة، ثم عادت الجيوش البيزنطية إلى أنطاكية وعاد الإمبراطور إلى القسطنطينية حيث توفي في أوائل سنة 976م (3).

---

(1) Hitti, History of Syria p. 460
(2) انظر كتاب النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق، ص 22.
(3) Cambridge Mediaeval History Vol IV p. 148
ظل النزاع قائمًا بين الدولة الفاطمية والدولة البيزنطية حتى سنة 372هـ (987م) حيث قدمت إلى مصر رسل الإمبراطور باسيل الثاني (961-1025م)، تحمل هدية الخليفة العزيز وطلب عقد صلح بين الدولتين واشتملت الهدية على ثمان وعشرين صينية من الذهب، فأجاب الخليفة الفاطمي طلب هؤلاء السفراء واشترط للاستفادة عدة شروط منها:

1- أن يطلق البيزنطيون سراح من عندهم من الأسرى المسلمين.

2- أن يدعى للخليفة العزيز بجامع قسطنطينية في خطبة الجمعة.

3- أن تضع الحرب أوزارها بين الفريقين مدة سبع سنوات(١).

لم يكن لهذه الهدنة أي تأثير كبير في وقف تيار الحرب بين الفاطميين والبيزنطيين، لأن سعيد الدولة أبا الفضائل بن حمدان أمير الحمدانيين في حلب، لما علم بتوغل الفاطميين في بلاد الشام، استنجد بإمبراطور الروم باسيل الثاني؛ فأمسكه الإمبراطور بحملة، والتقت القوات المصرية والبيزنطية على ضفاف نهر العاص، ولحقت الهزيمة بالبيزنطيين سنة 381هـ. وعاد القائد الفاطمي منجوتلكين إلى دمشق لنفاد الأقوات، فاستمر العجز لذلك، وأمره بفتح حلب، وأرسل إليه المؤن، فسار منجوتلكين إليها في العام التالي، وحاصرها حصارًا شديدًا حتى اضطر أميرها إلى الاستنجد بالإمبراطور البيزنطي مرة ثانية، وكتب إليه يقول: "إذً أخذت حلب، أخذت أنطاكية، ومنى أخذت أنطاكية، أخذت قسطنطينية(٢)".

لما رأى باسيل الثاني خطر الذي يهدد بلاده من جراء هجوم الفاطميين على حلب، عَوَّل على السير إليها بنفسه، فاستولى على حصن شيزر(٣). ثم فتح حمص، وأخذ يتابع سيره حتى وصل طرابلس. ولما تعرّض عليه فتحها عاد إلى القسطنطينية سنة 385هـ (995م) بعد أن بسط سلطانه على معظم ساحل الشام(٤).

وعندما وقف العزيز على مدى تقدم البيزنطيين في بلاد الشام، واستقر رأيه على أن يسير بنفسه لصد قواتهم؛ فجهز حملة بحرية، كما أمر وزيره عيسى بن

(١) أبو المحسن، النجوم الزاهرة ج، ص ١٥١-١٥٢.
(٢) آب المحسن، النجوم الزاهرة ج، ص ١١٩-١٢٠.
(٣) يقع على مفرقية من سعر النعام شمال حمص.
(٤) تاريخ يحيى بن سعيد الأنصاري، ص ١٢٨.
نسطورس بإنشاء أسطول يسير بحرًا إلى طرابلس؛ غير أن هذا الأسطول أشعلت فيه الثوران في ميناء المقيب بالقاهرة وأحرقت منه ستة عشر مركبًا. وكان لهذا الحادث أسوأ الأثر في نفس المصريين، فاتهموا الروم بتدبير مؤامرة إحراقه وخاصة أنهم كانوا يقيمون على مقرية من دار الصناعة بالمقس، وحملوا عليهم وقثتوا قبلاً كبيرًا منهم؛ وما لبث العزيز أن قضى على الاضطرابات التي حدثت بالقاهرة، بسبب إحرق الأسطول؛ ثم شرع في جمع الأحشار وأمر الصناع بالإسراع في إنجازها. ولم تتأه أبحر إلى أنطروطوس؛ غير أن أغلب سفنه لم تلبث أن تحطمت في البحر على أثر هبوط عاصفًا عليها، وأمر الروم ببعض رجال الأسطول المصري. أما الحملة البرية، فخرج على رأسها الخليفة العزيز بنفسه إلى بليبيس، لكن المرض اشتد عليه ففاجأ فتخلف بها وتوفر لله 386هـ.
(1946م).

ظل البيزنطيون ينتظرون الفرص للدليل من الفاطميين؛ فلما خرج أهل صور على طاعة الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمي سنة 388هـ بزعة رجل ملاح يعرف بعلاقة، اتخذ عملًا جديدًا نقض عليها هذه العبارة: أعزى بعد فائقة للأمير علاقة، وأعلن استقلال مدينته(3)، وأرسل بروجوان الذي كان يلي إذ ذاك الوصاية على هذا الخليفة حملة كبيرة بقيادة جيش بن الصصامة الكتاني إلى صور وكان علاقة الشائر بها قد استنجد بالإمبراطور باسيلي الثاني؛ فبعث إليه بالإمدادات في البحر؛ ورأى بروجن من ناحيته أن ينفد إلى مياه صور بعض سفن الأسطول المصري. فحصصرت المدينة من البحر والبحور، ونشبت بين الفرقيين معارك شديدة انتهى الأمر فيها بسقوط صور في أيدي القوات الفاطمية وهزيمة البيزنطيين وحليفهم الأمير علاقة الذي أمر وأرسل إلى القاهرة حيث قتل. وواصل جيش ابن الصصامة الكتاني سيره إلى أنفاسه(4). وعندما التقى بالبيزنطيين، فتغلب عليهم، وأخذ يطاردهم حتى أبوايات أنطاكية(5).

(1) المزيزي، خطط، ج1، ص 195 - 196.
(2) من أعمال طرابلس بلبنان، تقع على ساحل البحر.
(3) تاريخ بحبي بن سعد الأندلسي، ص 178.
(4) أبو الامام: المجموع، ج1، ص 172.
(5) ذاكرة تاريخ سورية، ص 213.
(6) مدينة حمص، وهي كورة المورة من كورة محمص.
(7) تاريخ بحبي بن سعد الأندلسي، ج1، ص 181 - 184، ابن خلدون، ج4، ص 57.
ووفقًا للعهود القديمة، فإن برجوان عائد على مهادنتهم لثنائيته للتفريق بين الفقهاء على الفقه الداخلي للبطريرك، فأرسل إلى باريس يقترح عليه عقد الصلح. فرحب الإمبراطور البيزنطي بهذه الدعوة، وأنفذ سفيرًا إلى الخليفة الفاطمي ليتفق معه على شروط الصلح. وبينما كانت المفاوضات تدور بالقاهرة غزا باريس بلد الشام لوقف رحم الفواتق الفاطمية إلى أنتماكية. وكان مشروع الصلح ينحاز لولا الفشل الذي حق الإمبراطور في هجومه الجديد، فارتح مسرعا نحو أرمينيا وآت استثمار السلام في حدود بلاده الجنوبية حتى يتفرع لمواجهة البلغار.

استثنا مأرب تأثر ذلك المفاوضات في القاهرة بين رجال الدولة المصرية والسفير البيزنطي. ولم يت寝اق على شروط الصلح، انتدب برجوان أرسطيوس بطريقتين بوب المقدس لمساعدة السفير البيزنطي في سفره إلى القسطنطينية لعرض هذه الشروط على الإمبراطور وإقرارها. فقام أرسطيوس بهذه المهمة، وتم بذلك إبرام معاهدة صديقة بين مصر والدولة البيزنطية تقرر فيها ما يلي:

1- نظرة الهيمنة دائمة بين مصر والدولة البيزنطية مدة عشر سنوات.

2- يتمتع المتحدثون الذين يقيمون في أنحاء الدولة الفاطمية بالحرية الدينية ويسمح لهم بتجديد كنائسهم وبنائها.

3- يتعهد الإمبراطور باريس الثاني بإمداد مصر بما تحتاج إليه من الحبوب.

على أن الإمبراطور البيزنطي سرعان ما قطع علاقته بالدولة الفاطمية حين وصلته أخبار سياسة الحاكم الداعية إزاء النصارى؛ وظل الحال على ذلك إلى أن توفر هذا الخليفة والخليفة الذي ظاهره فحاولت عثمان ست الملك - التي قامت بالتصدير عليه - تتويج العلاقة بين مصر والدولة البيزنطية. وتفيداً لهذه الرغبة أرسل بقيف بوب المقدس سفيرًا إلى باريس الثاني ليجعل على عقد أواصر الصداقة بين الدولتين، ولبنفسه بالإجراءات التي اتخذتها في القاهرة لرفع الخيف عن النصارى وتحديد بناء الكنيسة. بيد أن هذه السفارات لم تأتي بعواقب، وظلت غارات البيزنطيين تتواصل على شمال الشام حتى سنة 418 هـ (727 م)، حيث أنف الإمبراطور يسافر إلى الإمبراطور قسطنطن التام لعقد الصلح. فتم
الانفصال بين الفريقين على إبرام معاهدة تضمنت شروطًا تتزامن تنفيذها كل من الخليفة الفاطمى والإمبراطور البيزنطي؛ وفيما يلي هذه الشروط:(1):
1- أن يسمح للإمبراطور البيزنطي بإعادة بناء كنيسة القيامة في بيت المقدس.
2- أن يسمح لكافة المسيحيين بإعادة بناء الكنائس التي هدمها الحاكم عداً التي حوّلت إلى جوامع.
3- أن يعين الإمبراطور البيزنطي بريطاً في بيت المقدس.
4- إلا يقوم الفاطميين بأعمال عدائية نحو حلب حتى تقوم بسداد الجزية السنوية التي كانت تدفعها للدولة البيزنطية، منذ عام 970م.
5- إلا تم الدخول الفاطمى يد المساعدة لأي عدد من أعداء الدولة البيزنطية وخاصة لأسجل الذين هددوا هذه الدولة وعازوا في جزر بحر الأرخبيل، وكان الإمبراطور البيزنطي يخشى انضمام الأسطول الفاطمى إلى هؤلاء، فتبتسر عليه إخلاصهم.
وفي مقابل هذه الشروط، يتعهد الإمبراطور بما يأتي:
1- أن يعمل على ذكر اسم الخليفة الفاطمى في الخطبة، في جامع القطسطنطية والمصادر الوارقة داخل حدود الدولة البيزنطية.
2- أن يعيد بناء جامع القطسطنطية.
3- أن يطلق سراح الأسرى المسلمين الذين في قبضة الروم.
4- إلا يقدم الإمبراطور أية مساعدة لحسن بن مفرج بن الجراح صاحب الرملة الذي خرج على الخليفة الظاهر الفاطم.
5- أن يسحب الإمبراطور طله الخاص بالاستعاضة عن شيزر بالفامية.
على أن الأمر الذي يستمع النظر في هذا الصلح أن الإمبراطور البيزنطي تعهد بإعادة بناء جامع القطسطنطية. وكان البيزنطيون قد أقدموا على هده حين بلغهم هدم كنيسة القيامة في بيت المقدس، ثم أعادوا بناءه في أيام الظاهر الفاطم.
(1) تاريخ بحى بن سعيد النطفي، ص 271 - 272.
G. Wiet, Hist. de Le Nation Egyptienne (L'Egypte Arabe) P. 222, 223.
لم يلبث البيزنطيون أن نقضوا هذا الصلح سنة 433 هـ. وانضموا إلى بعض أمراء العرب بالشام الذين كانوا يعادون الفاطميين؛ فساروا مع حسان بن مفرج بن الجراح الطائفي صاحب الرملة- وكان قد لجأ إلىهم بعد أن هزمه جند الخليفة الظاهر الفاطمي عند طبرية -، وأغاروا على أقامية وغنموا منها مغامث كثيرة واستولوا على قلعتها وأسروا كثيرًا من أهلها (1).

تحسن العلاقات بين الفاطميين والبيزنطيين في أوائل عهد المستنصر بالله، فعقد هذا الخليفة هدنة مع الإمبراطور ميخائيل الرابع سنة 429 هـ (1037 م) وسمح له بإقامة إصلاح كنيسة القيامة على أن يطلق سراح خمسة آلاف أسير مسلم. فأخلى الإمبراطور سبيل الأسرى وأرسل المعماريين إلى بيت المقدس، وافق كثيرًا من الاموال على تجديد بناء هذه الكنيسة (2).

وأما ولي قسطنطيني التاسع الحكم، حاول على استمرار العلاقات الودية مع الفاطميين، فبعث إلى المستنصر بالله الفاطمي سنة 437 هـ، هدية عظيمة، اشتملت على ثلاثين قنطارًا من الذهب الأحمر، قيمة كل قنطار منها عشرة آلاف دينار عربية (3).

استغل الخليفة المستنصر بالله الفاطمي فرصة صفاء العلاقات بينه وبين الدولة البيزنطية للعمل على تعاقب الحالة الاقتصادية في دولته؛ فأرسل على أثر المجاعة التي هزت مصر سنة 446 هـ إلى الإمبراطور قسطنطين التاسع يطلب منه أن يهدد بأربعمائة ألف أردب من القمح، فأظهر الإمبراطور استعداده لإجابة هذا المطلب؛ لكنه لم يلبث أن توفي وخلفته الإمبراطورة تيودورا، فاشترتها لتقديم هذه المساعدة أن يعدها المستنصر بالجند، إذا ما اعتمد على بلاده أي معبد; غير أن المستنصر رفض الموافقة على هذا الشرط، فأجابه تيودورا على ذلك بأن حالت دون إرسال الغلال إلى مصر.

أثارت سياسة هذه الإمبراطورة غضب الخليفة المستنصر، وعول على محاربتها، فجهز حملة تحت قيادة مكنان الدولة الحسن بن ملهم؛ وما لبث هذا

---

(1) أبو الفدا. المختصر في أخبار البشري، ج2، ص 168.
(2) أبو الفدا. المختصر في أخبار البشري، ج2، ص 162.
(3) البشري. المتطرف في كل فن مستورف، ج2، ص 54.
القائد أن نزل بالقرب من أفنية ثم تجول في أعمال أنتاكية؛ فإنها فاتحت الإمبراطورية حملة بحرية أوقعت به الهزيمة، وأسر هو وكثير من جنده سنة 447 هـ. وكان ذلك مما حمل المستنصر على أن يعهد للقاضي أبي عبد الله القاضي بالذهب إلى القسطنطينية لتسوية الخلاف بين الدولتين؛ فلم تحتل الإمبراطورية بوجوده، على حين رحب برسل السلطان طغرل بك السلجوقي الذي قدم إذ ذاك من العراق ومعه رسالة من السلطان يتعيس فيها أن يصله رسوله في جامع القسطنطينية، فأذنت له بذلك، فدخله وصلى فيه صلاة الجمعة وأقام الحفلة للخليفة القائم بأمر الله العباسي. ولا غرو وقد كان السلاجقة في ذلك الوقت أشد خطراً على البيزنطيين من الفاطميين الذين اضطحل سلطانهم في بلاد المغرب، وأصبحوا يواجهون في مصر كثيراً من الصعاب.

ولما وقف الخليفة المستنصر على سياسة الإمبراطورية العدائية إزاء بالإسلام التي خلة بسفره، بعد في طلب كثير كنيسة القيامة ونفاؤها؛ فأرسلت إليهم؛ وازداد بذلك التوتر في العلاقات بين الفاطميين والبيزنطيين.

عاد العداء بين الدولة الفاطمية والدولة البيزنطية سيرته الأولى؛ وظل الحال على ذلك إلى أن وجه الصليبيون حملاتهم إلى بلاد الشام، وأسسوا بها إمارة أنتاكية وبيت المقدس؛ وصاروا يستبكون من وقت لا آخر في معارك حرية مع القرى الإسلامية بتلك البلاد وبخاصة في عهد نور الدين محمود أمير حلب الذي أمره الخليفة في دمشق سنة 549 هـ (1154 م).

وأما أخذت الاختراق تواجه الفرصة بيت المقدس من جراء ازداد نفوذ نور الدين محمود بلاد الشام وطموجه إلى بسط سلطانه على مصر، بعد أموري ملك بيت المقدس يستنجد بملاح أوريا لوقف الخطر الذي يهدد الإمارات اللاتينية بالشام، لكنهم شغلا عنه؛ لذلك لم يرد بداء من الاستعانة بالإمبراطور البيزنطي مانويل الذي رحب بعد بد المعونة إليه واتفق معه على المسير بحرًا إلى مصر، وأنفذ

(1) الفاريزي، ج 1، ص 225.
Staley Lane - Poole, A History of Egypt in the Middle Ages P. 148.

(2) ابن مسير: تاريخ مصر ص 7.

(3) ابن الأثير الكامل في التاريخ، ج 11، ص 74 - 75.
إلى أسطولًا يعاونه حملة من الفرسان والمشاة مزودة بالمؤن والعتاد الحربي (1). وتوجهت هذه القوات إلى دمياط حيث أحاطت بها برًا وبحرًا في صفر سنة 565هـ (1169م). وكان الإمبراطور البيزنطي يرجو أن تحقق هذه الحملة أطماعه في التوسع. فتصبح مصر من بين الأقطار الداخلة في دائرة نفوذه. ولما بلغ صلاح الدين وزير الخليفة الفاطمي العاضد مسير قوات الفرنسة والبيزنطيين إلى دمياط، عول على النهوض لصدها، فأرسل جنده عن طريق النيل، وبعث إلى نور الدين محمود يطلب الإمداد (2). فاجاب طله، كما حرص الخليفة على مدة بالأموال (3).

علي أن هؤلاء المغيرة على دمياط من الفرنسة والبيزنطيين لم يقدموا على التورغل في داخل البلاد المصرية، بل اضطروا إلى الرحيل عن هذه المدينة. بعد أن ظلوا يحاصرونها نحو خمسين يومًا، والعودة بجيوشهم إلى بلادهم، بسب ما بلتهم عن شروع نور الدين في الإغارة على بلاد الإمارات اللاتينية بالشام، فضلاً عن وقوع الخلاف بين قوادهم. وبذلك عجزت الحملة الصليبية التي عاونها البيزنطيون عن تحقيق أطماعها في مصر (4).

(1) حسن حسين، نور الدين والصليبيون، 135.
(2) المرزوق، خطط، ج1، ص 215.
(3) ابن رضوان، معرج الكروب في أخبار بني أبوب، ج1، ص 181.
(4) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج1، ص 132، المقرزي، خطط، ج1، ص 215.
(5) حسن حسين، نور الدين والصليبيون، 138-139.
العلاقات بين الدولة الفاطمية والدولة البيزنطية والمدن الإيطالية

(ب) الفاطميين والمدن الإيطالية

كانت مدينة أملفي أولى المدن الإيطالية التي أنشأت علاقات مع مصر والشام، Maurus. في العصر الفاطمي، ومن خلال ذلك أن أحد أثرى هذه المدينة ويدعى استعان بجهة الصناع والفنانين من الإسكندرية لتعيين بعض قصوره بالفسيفساء، وما يذكر عنه أنه لما شرع في بناء دير بيت المقدس، وكانت إذ ذلك خاضعة للسيادة الفاطمية. 아. 1141(2007 م) على منحة قطعة من الأرض بالحي السفيحي بالمدينة شيد عليها دير أملفي.

كذلك حرصت مدينة بيزا على توئيق صلة المودة مع الخلافة الفاطمية، فأرسلت سنة 1154 م سفيراً إلى بلاط الخليفة الظاهر الفاطمي لتسوية بعض المشاكل الناجمة عن اعتداء بعض التجار من رعاياها في إحدى السفن على فريق من التجار المصريين بالنقل والسلب، وتأثرت الحكومة الفاطمية لرعاياها المصريين ببعاقب التجار البيازنة الذين تمت المعتاد أن يتفق مع رجال الحكومة الفاطمية على تسوية، تضمنت تعهدًا من حكومة بيزا بالاقتصاد في المتاعب والامتناع عن تقديم أي مساعدة للصليبيين في الشام ولغيرهم من أعداء مصر، كما تضمنت تعهدًا من الحكومة الفاطمية بإطلاق سراح رعايا مدينة بيزا الذين أودعوا السجن بسبب اعتداءهم على بعض المصريين، وحماية الحجاج والتجار البيازنة الذين يسائرون في سفن غير حربية.

وبلغ من اهتمام حكومة بيزا بإيجاد علاقاتها برجال الحكومة الفاطمية أنه عندما أسندت الوزارة في مصر إلى طليع بن رزه، سارعت إلى إرسال وفد لتقديم تهئتها إليه؛ فرحب بقدومهم وأكرم وفاداتهم، ووعد بالعمل على حماية رعاياهم.

على أن حكومة بيزا لم تكن مخلصة في تقربها للفاطميين؛ ووضع ذلك حين أخذ أثري ملك بيت المقدس يهدد الفاطميين في مصر فأظهرت بيزا استعدادها لمعاونة الصليبيين، ووعدها أثري بإعطاء الامتيازات في البلاد المصرية.

Heyd. Hist. du Commerce de Levant au Moyen Age Tame I. P. 102 - 104 (1)
ولما اتضح للبيزنطيين أن الصليبيين لن يتسرب لهم البقاء في مصر، وأنهم في سبيل الاتفاق مع الحكومة الفاطمية للجلاء عن البلاد، سارعت حكومة بيزا إلى الوسطاء في الطرفين، وأفادها هذا العمل، إذ منحها الخليفة العاضد الفاطمي امتيازات تجارية، لكنها لم تثبت أن عادت إلى إيثار مصالحها الخاصة، فاشتهرت مع الصليبيين سنة 1170 م في الهجوم على ثغر دمياط رغم الامتيازات التي منحتها لها الحكومة الفاطمية.(1)

وكانت مدينة جنوة تحرص أيضًا على التوسع إلى الفاطميين. وقد غدت العلاقات بينهما وبين مصر في النصف الأخير من القرن الحادي عشر الميلادي فعقد مندوب عنها معاهدة تجارية مع الحكومة الفاطمية عام 1261 م، كما وافق بعض الخلفاء في أواخر العصر الفاطمي على حماية رعايا هذه المدينة أثناء إقامتهم بأراضي الدولة الفاطمية(2). وكان كثير من تجار جنوة يتوافدون إلى الإسكندرية لاستيراد بعض السلع ومن بينها الشب والتطرون التي احتكرت الحكومة الفاطمية تجارتها، واحتفظت لنفسها بحق بيعه للروم.(3)

ولم يكن اهتمام البندقية بإقامة علاقات ودية مع الفاطميين في مصر والشام أقل من غيرها من المدن الإيطالية. ففي القرن العشرين الميلادي كانت تتقل إلى العرب الحبشة اللاتين لبناء السفن، ولم تعرضت لهتطلبات الإمبراطور البيزنطي حنا ريسكيس (John Zimices) بالانتقام منها إذا لم تتوقف عن مد مصر وغيرها من البلاد الإسلامية بالحشب الذي يصلح لعمارة السفن، أصدرت أمرًا بمنع تصدير هذا النوع من الحشب وسمحت بإمدادها بالحشب الذي لا يصلح لبناء السفن.(4)

وكانت لهذا القرار أثر سئ في مصر، فقد ترتب عليه أن ندر وجود السفن في مصر حتى إنه لما أراد الوزير عيسى بن نسطور أن ينشئ أسطولا يقوم مقام الأسطول الذي كان معدًا لوقف البيزنطيين بالشام واحترق أمرت الحكومة الفاطمية بقطع الأخطاب من مختلف وجهات القطر.(5)

Heyd Hist. du Commerce de Levant au Age Tome I, pp, 392 - 396. (1)
Stunlley Lane. Poole A History of Egypt in the Middle Ages P. 182. (2)
Heyd. Hist. du Commerce de Levant au Mayen Age Tome I, p. 391. (3)
(4) المؤرخ. خلط، ص 109.
(5) مترو. الحضارة الإسلامية، ج2، ص 316.
على أن حكومة البندقية رأت ألا تضحي بصالحها الخاصة في سبيل إرضاء أباطرة الدولة البيزنطية، فأرسلت بعثات إلى مصر حصلت على استيارات لسفنها(1)، كما أن تجارها عملوا على تنمية العلاقات التجارية مع المسلمين، وصارت سفنهم تنقل من موانئ مصر منتجات آسيا إلى أسواق أوروبا.

(1) تأريخ يحي بن سعيد الإيطالي، ص 178.  
مصادر القسم الثاني

1- ابن الأثير: (ت ۳۰۰ هـ، ۱۲۳۸م) على بن أحمد بن أبي الكرم المعروف
بابن الأثير الجزري.
(أ) "الكامل في التاريخ". (۲ جزء)
(ب) "تاريخ دول الأثابكة".

2- أحمد أمين.
"ظهر الإسلام" (الجزء الأول - القاهرة ١٩٤٥).

3- الأدفويني: (ت ۷۴۸هـ) كمال الدين أبو الفضل جعفر بن ثعلب بن جعفر بن
على الأدفويني الشافعي.
"الطائع السعيد الجامع لأسماء نجى الصعيد".

Arnold: Sir Thomas W.
The Caliphate (Oxford, 1924)

Amari; Michel -
"مكتبة صقلية العربية" (جزاءن).

Biblioteca Arabo - Sicula. 2. Vols.

O’Leary, (De Lacy)
"A Short History of the Fatimid Khalifate.

Evanow: إيفانو
The Rise of the Fatimids.

5- باخمروة: أبو محمد عبد الله بن أحمد الطيب باخمروة.
"المختار في تاريخ ثغر عدن" صورة شمسية بدار الكتب المصرية بالقاهرة.

6- البغدادي: (ت ۴۲۹ هـ، ۱۰۲۳م) أبو منصور عبد القدام بن طاهر.
"الفرق بين الفرق" (القاهرة ۱۲۸۸هـ، ۱۹۱۱م).

7- أوليري دي ليسي: (DE LACY)
10 - البكري (ت 487 هـ، 640 م) أبو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز البكري.

«الغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب»

11 - البنداري (توفي في النصف الأول من القرن السابع الهجري) الفتح بن علي بن محمد البنداري الاصفهاني.

تاريخ دولة آل سلجوق (القاهرة 1318 هـ، 1900 م)

12 - البهاء الجندلي: (ت 732 هـ، 1331 م) أبو عبد الله بهاء الدين بن يوسف ابن يعقوب الجندلي.

«أخبار القرامطة باليمن» المقول من كتاب السلوك في طبقات الموالي والملوك.

13 - ابن الجوري (ت 975 هـ) جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد.

المتظم في تاريخ الملك والأمم (القاهرة 1947 م)

Hitti Philip - حتى: فيليب - 14

History of the Arabs. (أ)

History of Syria. (ب)

15 - حسن إبراهيم حسن

(أ) «الغاطسيون في مصر وأعمالهم السياسية والدينية بوجه خاص» (القاهرة 1932 م)

(ب) «تاريخ الدولة الفاطمية» (القاهرة 1959 م)

(ج) «تاريخ الإسلام السياسي» (الجزء الثالث - القاهرة 1946).

16 - حسن إبراهيم حسن وظهير شرف

(أ) «عبد الله المهدي إمام الشيعة الإسماعيلية ومؤسس الدولة الفاطمية في بلاد المغرب» (القاهرة 1947 م)
(ب) المعز لدين الله إمام الشيعة الإسماعيلية ومؤسس الدولة الفاطمية في مصر
(القاهرة - 1948م)

17- حسن حبيش:
(أ) الحرب الصليبية الأولى (القاهرة - 1947م)
(ب) "نور الدين والصليبيون" (القاهرة - 1948م)
18- ابن حزم (ت 457 هـ، 1061م) أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح الأندلسي الظاهري.
"فجميلة أنساب العرب".
(تحقق وتعليق): ليفي بروفسال (القاهرة 1948م).
19- الحمادي اليماني: محمد بن مالك بن أبي الفضائل الحمادي اليماني
(من فقهاء السنة في أواستة القرن الخامس الهجري)
"كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة".
20- الخطيب البغدادي: (ت 466هـ) الحافظ أبو بكر أحمد بن علي.
"تاريخ بغداد أو مدينة السلام" (14 جزء)
21- ابن خلدون: (ت 808هـ، 1406م) عبد الرحمن بن محمد
"العبر وديوان المبتدأ والخبر" (7 أجزاء - بولاق 1284هـ)
22- ابن خلكان: (ت 681 هـ، 1271م) شمس الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن أبي بكر الشافعي
"وفيات الأعيان" (جزء - بولاق - 1283 هـ)
23- دحلان: (ت 430 هـ) أحمد زيني دحلان المكي.
"خلاصة الكلام في أمراء البيت الحرام".
24- الديع الشيباني: (ت 944 هـ) الفقيه وصبه الدين عبد الرحمن بن على
ابن محمد الشيباني الشافعي المشهور بالديع الزبدي.
чаेة العيون في تاريخ اليمن الميمون (صور شمسية بدار الكتب المصرية بالقاهرة).

De Goeje M.C. 

Memoire sur Les Carmathes du Bahraïiu et Les Fatimides. (Leyden 1886)

26- سبط بن الجوری (ت ۶۵۴ هـ، ۱۲۵۷ م) شمس الدين أبو المظفر يوسف
ابن قراوغلي.

1 مرآة الزمان في تاريخ الأعيان
(صور شمسية بدار الكتب المصرية بالقاهرة رقم ۵۵۱ تاريخ)

27- ابن سعيد: (ت ۶۷۳ هـ، ۱۲۷۵ م) على بن موسي المغربي.
الغرب في حلي الغرب، والشرق في حلي الشرق.

28- السلاوی: أبو العباس أحمد بن خالد الناصری.
(الاستعفا لأخبار دول المغرب الأقصى)
(4 أجزاء - القاهرة ۱۳۱۰ - ۱۳۱۲ هـ).

29- السيد عبد العزيز سالم:
المغرب الكبير (العصر الإسلامي). (القاهرة ۱۹۶۶ م).

30- سيدة إسماعيل كاشف:
 مصر في عصر الإسلاميين (القاهرة ۱۹۵۰ م).

31- السيوطي: (ت ۹۱۱ هـ، ۱۵۰۵ م) عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين.
تاریخ الخلفاء امراء المؤمنين القائمين بأمر الامة.

32- طه شرف:
دولة الزراعة أجداد أغا خان (القاهرة - ۱۳۶۹ هـ، ۱۹۵۰ م).

32- عبد العزيز الدوری:
دراسات في العصور العباسية المتأخرة (بغداد - ۱۹۵۰ م).
4- عبد القادر الإنصاري: الشيخ زين الدين عبد القادر بن البدري محمد بن
إبراهيم الإنصاري من علماء القرن العاشر الهجري.

(مخطوط بدار الكتب المصرية بالقاهرة)

5- ابن العدين الحليبي (ت 662 هـ، 1262 م) كمحال الدين أبو
حفص أو أبو القاسم عمر بن أحمد هبة الله.

زبيدة الحلب في تاريخ حلب.

6- العرشي: القاضي حسين بن أحمد العشري الزيدي (من علماء القرن الرابع
 عشر الهجري).

بولوغ المرام في شرح مسح الختام فمن تولى ملك اليمن من ملك وإمام.

(نشر الأب أنتسيا مارى الكرميلي).

7- عمارية اليمني (ت 596 هـ، 1164 م) أبو محمد عمارة بن أبي الحسن
على بن زيدان بن أحمد الحكمي اليمني اللقب بحميد الدين.

(Henri Cassels Kay

(1) "تاريخ اليمن" (نشر .

"Yaman, Its Early Mediaeval History"

(ب) "التلك العصرية في اخبار الوراء المصرية .

(نشر Hartwig Derenbourg . باريس 1897 م).

8- ابن العميد: (ت 727 هـ، 1327 م) الشيخ المكي جرجس بن العميد

تاريخ المسلمين (ليدن - 1625 م).

9- أبو الغفدا: (ت 732 هـ، 1332 م) إسحاق بن علي عماد الدين صاحب
حماد.

المختصر في أخبار البشر .

Wiet, G. فيت. فيت.

Histoire de La Nation Egyptienne Vol IV. (L'Egypte Arabe). (أ)

Précis de L'histoire d'Egypte T. II. (L'Egypte Musulmane). (ب)
تاريخ الدولة الفاطمية

41- ابن القلاشني: (ت: 555 هـ، 1160 م) أبو علي حمزة.

ذيل تاريخ دمشق

42- القلقشندي: (ت: 821 هـ، 1418 م) أبو العباس أحمد

صبح الأعشى في صناعة الإنشاء (14 جزء).

42- الكندی: (ت: 1350 هـ، 961 م) أبو عمر محمد بن يوسف

كتاب الولاة وكتاب القضاة (ليدن - 1908 م).

Lammens: Père Henri

43- لا مانس

La Syria, Précis Historique, Tome 1.

Lane Poole: Stanley

44- فينول: ستانلي

A History of Egypt in the Middle Ages (أ)

The Muhammadan Dynasties (ب)

45- ابن المؤيد اليمني: (حبي بن الحسين)

«نهاي الزمن في تاريخ اليمن» (صور بصرية بدار الكتب المصرية بالقاهرة.

46- متيز: آدم

Mez. Adam

Die Renaissance des Islams.

نقله إلى العربية الدكتور محمد عبد الهادي أبو ريدة بعنوان:

«الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري» (جزاءن - القاهرة 1940 - 1941).

47- ابن المجاور: (ت: 990 هـ) جمال الدين أبو الفتح يوسف بن يعقوب ابن

محمد المعروف بابن المجاور الشباني دمشق.

تاريخ ابن المجاور» (صور بصرية بدار الكتب المصرية بالقاهرة. رقم

342).
48- أبو المحاسن: (ت 1354 هـ) جمال الدين يوسف بن تغريدية
«النجم الزاهر في ملوك مصر والقاهرة» (نشر دار الكتب المصرية
بالقاهرة).

49- محمد جمال الدين سرور.
(أ) «الفتوح الفاطميين في جزيرة العرب» (الطبعة الرابعة - القاهرة
1964).
(ب) «الفتوح الفاطميين في بلاد الشام والعراق» (الطبعة الثالثة - القاهرة
1964).

50- مسعوده: (ت 421 هـ، 1320 م) أبو علي أحمد بن محمد
كتاب تجارب الأمم.

51- العقدى: (ت 1388 هـ، 1967 م) شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد
ابن أبي بكر العقدى المعروف بالبشراي.
«الحسن التفاسيم في معرفة الأقاليم» (المكتبة الجغرافية المصرية - المجلد
الثالث - طبعة د. غريغ ليدن 1961 م).

52- المقرز: (ت 845 هـ، 1440 م) تقى الدين أحمد بن علي.
(أ) «السلوك لمعرفة دول الملوك» (نشر الدكتور زيلة).
(ب) «المواد والاعتبار بذکر الخلطة والإثارة» (طبعة بولاق 1270 هـ).
(ج) «تثبيث المحتوى بأخيار الأئمة الخلفاء» (نشر الدكتور جمال الدين الشال
القاهرة 1948).

53- ابن ميسر: (ت 1278 هـ، 1377 م) محمد بن علي بن يوسف بن جلب
تاريخ مصر» (طبعة هنري ماسه، القاهرة 1919 م).

54- النعمان: (ت 1363 هـ، 1973 م) أبو حنيفة المغربي
«المجالس والمسايرات» (3 أجزاء - مخطوط بمكتبة جامعة القاهرة).

55- النوري: (ت 732 هـ، 1332 م) شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب
«انهاء الأرب في فنون الأدب» (صور شمسية بدار الكتب المصرية بالقاهرة
رقم 549).
59 - ابن واصل: (ت 697 هـ، 1298 - 1392م) جمال الدين محمد بن

60 - ابن الوردی: (ت 750 هـ، 1349م)

61 - ياقوت: (ت 722 هـ، 1229م) شهاب الدين أبو عبد الله الحموي

62 - يحيى بن سعيد الأنصاش: (ت 458 هـ، 567م).

63 - اليعماني: محمد بن محمد.

56 - هبة الله الشیرازی؛ (ت 470 هـ، 1077م) المؤید فی الدين هبة الله

(نشر الدكتور محمد كامل حسین - القاهرة 1949م).

Al - Hamdani, (Husain -)

57 - الهمدانی: حسین

Letters of Al - Mustansir Billah.
(Billetin of the School of Oriental Studies, Vol VII Part 2. 1934)

Heyd, W.: - 58


خدمة الكربوب في أخبار بني أيوب.

(نشر جمال الدين الشیال - 1953، 1957م).

61- ياقوت: (ت 722 هـ، 1229م) شهاب الدين أبو عبد الله الحموي

62- يحيى بن سعيد الأنصاش: (ت 458 هـ، 567م).

63 - اليعماني: محمد بن محمد.

"سبيرة الحاجب جعفر بن علي وخروج المهدي من سلمية ووصوله إلى
سجلماة" (نشر إيفانو. مجلة كلية الآداب- جامعة القاهرة - ديسمبر
1936)
السجلات المستنصرية.

سجلات وتوقيعات وكتاب مولانا الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين إلى دعاء اليمن وغيرهم.

(نشر وتحقيق د. عبد المنعم ماجد سنة 1954).

- مجموعة الوثائق الفاطمية.

(جمعها وحققها Dr. Gamal al-Dine al-Shayla - القاهرة 1958م).

. Encyclopaedia of Islam - 66

. Encyclopaedia of Religion and Ethics - 67

- تاريخ كامبريدج العصور الوسطى.

Cambridge Mediaeval History Vol IV.
<table>
<thead>
<tr>
<th>أسماء</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>أحمد بن الحسن الكلبي</td>
</tr>
<tr>
<td>أحمد حميد الدين الكرماني</td>
</tr>
<tr>
<td>أحمد بن خاقان</td>
</tr>
<tr>
<td>أحمد بن خالد</td>
</tr>
<tr>
<td>أحمد بن أبو سعيد الحسن (الملقب بأبي المنصور)</td>
</tr>
<tr>
<td>أحمد بن طولون</td>
</tr>
<tr>
<td>أحمد بن علي بن الإخشيدي</td>
</tr>
<tr>
<td>أحمد بن علي بن إبراهيم بن الزبير الفساني الأسوياني</td>
</tr>
<tr>
<td>أحمد بن قرع</td>
</tr>
<tr>
<td>أحمد بن محمد بن أبي العوام</td>
</tr>
<tr>
<td>أحمد بن محمد الواسطي</td>
</tr>
<tr>
<td>إبراهيم الثاني بن أحمد الأغلب</td>
</tr>
<tr>
<td>إبراهيم بن الحسين الحامدي</td>
</tr>
<tr>
<td>إبراهيم بن خمارويه</td>
</tr>
<tr>
<td>إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الزيدى</td>
</tr>
<tr>
<td>إبراهيم بن محمد الأخضر</td>
</tr>
<tr>
<td>إبراهيم بن نزال</td>
</tr>
<tr>
<td>أحمد بن أبي بكر</td>
</tr>
<tr>
<td>أحمد بن محمد بن رسول</td>
</tr>
</tbody>
</table>

**توضيح:** اعتُمِدَت في ترتيب الأسماء على أول اسم دون الميالة، بدأدة التصريف، و🔮تلخيص الآب والابن مثل ذلك: (ابن باباس) فـقد ذكرنا في حروف الهاء، و(ابن جفني) نجد في حروف الجيم، و(ابو الفاس)، في حروف الفاء، وكل اسم ربع بعد رقم يليه الحرف (هـ) فهو من أسماء الأعلام الواردة في الهواشي.
<table>
<thead>
<tr>
<th>اسم</th>
<th>صفحة</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>أحمد بن الدمير</td>
<td>431.45</td>
</tr>
<tr>
<td>أحمد بن مرزبان</td>
<td>278.28</td>
</tr>
<tr>
<td>أبو أحمد الموفق طلحة</td>
<td>39, 43, 45, 46</td>
</tr>
<tr>
<td>أحمد بن كيلغز</td>
<td>52</td>
</tr>
<tr>
<td>الإخشد = محمد بن طلحة</td>
<td>163</td>
</tr>
<tr>
<td>إدرِس بن زبير الصنهاجي</td>
<td>193.1</td>
</tr>
<tr>
<td>إدرِس بن عبد الله بن الحسن ابن الحسن بن علي بن أبي طالب</td>
<td>272</td>
</tr>
<tr>
<td>أرتش -</td>
<td>339.3</td>
</tr>
<tr>
<td>أرق -</td>
<td>36.2</td>
</tr>
<tr>
<td>أريسطيس (بطريرك بيت المقدس)</td>
<td>374.7</td>
</tr>
<tr>
<td>إسحق بن كنداج</td>
<td>47</td>
</tr>
<tr>
<td>إسحق بن عصودا</td>
<td>276.7</td>
</tr>
<tr>
<td>أسد الدين شير كوه (الملك المنصور)</td>
<td>115, 116, 117, 118, 119</td>
</tr>
<tr>
<td>أسد بن الفرات (قاضي القيروان)</td>
<td>164</td>
</tr>
<tr>
<td>أسعد بن أبي يعفر</td>
<td>234.2</td>
</tr>
<tr>
<td>أسعد بن أبي شهاب</td>
<td>246.3</td>
</tr>
<tr>
<td>اسم</td>
<td>صفحة</td>
</tr>
<tr>
<td>--------------</td>
<td>--------</td>
</tr>
<tr>
<td>آلب أرسلان بن طغرليك</td>
<td>347</td>
</tr>
<tr>
<td>إلكز</td>
<td>98</td>
</tr>
<tr>
<td>الإمام أبو جنينة النعمان بن ثابت</td>
<td>75</td>
</tr>
<tr>
<td>الإمام الشافعي</td>
<td>75</td>
</tr>
<tr>
<td>الإمام أحمد بن حنبل</td>
<td>80</td>
</tr>
<tr>
<td>الإمام مالك بن أنس</td>
<td>85</td>
</tr>
<tr>
<td>أملريك (ملك بيت المقدس)</td>
<td>116</td>
</tr>
<tr>
<td>أبو بكر أحمد بن محمد بن طنج الإخشيدي</td>
<td>39, 54, 62</td>
</tr>
<tr>
<td>أبو بكر الأولتاري</td>
<td>272</td>
</tr>
<tr>
<td>أبو بكر الباقلاني</td>
<td>272</td>
</tr>
<tr>
<td>أبو بكر الصديق (رضي الله عنه)</td>
<td>77</td>
</tr>
<tr>
<td>أبو بكر محمد بن علي الماذري</td>
<td>41</td>
</tr>
<tr>
<td>أبو بكر محمد بن علي الماذري (ب)</td>
<td>36</td>
</tr>
<tr>
<td>باديس (الادمير نصير الدولة)</td>
<td>377</td>
</tr>
<tr>
<td>الباساك (وايلي قوص)</td>
<td>111</td>
</tr>
</tbody>
</table>
أبو بكر محمد المالكي - ص 158
بلد كوز - ص 98.
ابن بلدقوز - ص 303.
بهاء الدولة بن عضد الدولة - ص 318.
بهرام الأرمنى (والي الغربة) - ص 110، 111، 132.
بوهمند الزمانى - ص 106.

(ج)
جعفر الحاجب - ص 136، 241.
جعفر الصادق بن محمد الباقر
ابن علي زين العابدين بن الحسين - ص 19، 20، 105، 222.
(هـ)، 311، (هـ).
جعفر بن عبد الغفار المصري - ص 4.
جعفر بن عبد الفضل بن
الفرات - ص 39، 63، 74، 65، 71، 126.
جعفر بن الفلاح الكتامي (القائد
الفاطمي) - ص 214، 215، 216، 274، 275، 276، 277، 280، 281، 285.
أبو جعفر محمد بن أحمد بن
مودود (ابن عبد كان) - ص 4.
أبو جعفر مسلم بن عبد الله
الحسينى - ص 23، 24، 25، 29.

(د)
تاج الدولة تخت بن ألب
أرسلان - ص 34، 305.
تاج الملوك شاذى - ص 95، 97.
أبو تغلب بن ناصر الدولة بن
حمدان - ص 280.
تقيق الدين عمر - ص 120.
نكن (أبو منصور) - ص 50، 51، 52.
قيم بن معز بن بادي - ص 361، 362.
قيم بن المعز لدين الله - ص 151.
توزن التركى - ص 54.
فهرس الأعلام

جعفر الفوضي (ابن الخليفة المعتمد على الله) - ص 44
جوهر الصقلي (قائد البرز الدين الله) -
جوهر مؤسس الخليفة -
ص 119.
جود فري - ص 37.
جياش بن النجاح - ص 244.
أبو الجيش إبراهيم - ص 234.
أبو الجيش إسحق -
ص 243.
جيش بن صمصامة -
ص 287.
(ح)
أبو الحارث أرسلان البساسي -
ص 234.
حسن بن أحمد القرمطي -
ص 275.
حسان بن مفرج بن الجراح الطائي -
ص 194.
أبو حرب طنان - ص 224.
حباس بن يوسف -
ص 27.
حبشي بن أحمد المغربي -
ص 27.
الحافظ لدين الله (الخليفة الفاطمي) -
<table>
<thead>
<tr>
<th>حسن بن حبطرة الفرغاني (المعروف بالأخر) - ص 89.</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>الحسن بن الصباح - ص 6، 156، 256، 258 (هـ)، 346، 426</td>
</tr>
<tr>
<td>الحسن أبو علي الجناحي - ص 276.</td>
</tr>
<tr>
<td>الحسن بن عبد الله بن حمدان = ناصر الدولة بن حمدان</td>
</tr>
<tr>
<td>الحسن بن عبيد الله بن طفع الإخشد - ص 56، 191، 376، 375.</td>
</tr>
<tr>
<td>الحسن بن علي بن أبي طالب - ص 19، 216 (هـ)، 311 (هـ).</td>
</tr>
<tr>
<td>أبو الحسن علي بن الخليفة الحاكم بأمر الله = الظاهر لإعجاز دين الله الفاطمي.</td>
</tr>
<tr>
<td>أبو الحسن علي الإخشد - ص 56، 55، 65.</td>
</tr>
<tr>
<td>أبو الحسن علي بن رضوان - ص 156.</td>
</tr>
<tr>
<td>حسن بن علي الزيدي - ص 315.</td>
</tr>
<tr>
<td>أبو الحسن ولد ب حوشب - ص 279، 260، 241، 142.</td>
</tr>
</tbody>
</table>

---

<table>
<thead>
<tr>
<th>حسن بن جعفر الحسيني - ص 192، 240، 273.</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>الحسن بن سهل - ص 158.</td>
</tr>
<tr>
<td>أبو الحسن الشابشتى - ص 158.</td>
</tr>
<tr>
<td>الحسن بن طاهر (مهنى) - ص 193.</td>
</tr>
<tr>
<td>أبو الحسن علي بن النعمان المغرى - ص 154.</td>
</tr>
<tr>
<td>الحسن الكبى - ص 266.</td>
</tr>
<tr>
<td>الحسن بن محمد بن أبي خنزير الكتاني - ص 265.</td>
</tr>
<tr>
<td>الحسن بن أحمد بن عبد الله (الإمام) - ص 21، 22.</td>
</tr>
<tr>
<td>حسن بن إسماعيل الأصبهانى - ص 251، 252.</td>
</tr>
<tr>
<td>الحسن بن علي بن أبي طالب - ص 19، 69، 76، 77، 145، 149، 191، 222 (هـ)، 311 (هـ)، 320.</td>
</tr>
<tr>
<td>ابن الحاج - ص 274.</td>
</tr>
<tr>
<td>الخلوانى (الداعى) - ص 22، 23، 235.</td>
</tr>
<tr>
<td>حمدان بن الشهت (قرمط) - ص 279 (هـ).</td>
</tr>
</tbody>
</table>
حمزة بن على الزوزني – ص 89
حمزة بن وحاش بن أبي الطيب داود – ص 204
حميد الدين الكرمانى – ص 158
حميد بن مصال – ص 356
أبو حميد سبأ بن أحمد المظفر بن على الصليحي – ص 249, 250, 252
حنا زيكس – ص 371, 378
أبو حنيفة النعمان بن أبي عبد الله محمد – ص 157, 176, 325 (ه)
ابن حوشب = أبو القاسم رستم
ابن الحسين بن فرج بن حوشب (خذ)
خمارة تشوبان الطغرائى – ص 343
ابن الخنجرى – ص 49
خمارة بن أحمد بن طولون – ص 431, 435, 437, 447
48
(ص)
داود بن عيسى بن فليلة – ص 204
أبو الدرداء محمد بن السيب بن رافع بن مقلد العقيلي – ص 319 (ه)
ذكا الرومي – ص 51
(ص)
الراضى بن المقندر (الخليفة العباسي) – ص 369, 52, 53, 61, 142, 191, 315 (ه)
أبو ربيع سليمان بن الأمير الزواحي – ص 250
ربيع أبو المكارم هبة الله – ص 259
ابن رحيم – ص 242
رسلم بن الحسين بن حوشب – ص 221, 235
ابن رشد (من زعماء الخوارج) – ص 225
الرشيد (الخليفة العباسي) – ص 21
رضوان بن تش – ص 306, 310, 311
رضوان بن ولخي – ص 128, 111
<table>
<thead>
<tr>
<th>ركن الدولة الحسن بن بويه</th>
<th>ص 313 (هـ)</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>أبو ركوه</td>
<td>ص 358 ، 359</td>
</tr>
<tr>
<td>روجر بن تذكر النورماندي</td>
<td>ص 368</td>
</tr>
<tr>
<td>رومانوس (إمبراطور الروم)</td>
<td>ص 190</td>
</tr>
<tr>
<td>ريان الخادم (ولاي دمشق)</td>
<td>ص 288</td>
</tr>
</tbody>
</table>

<table>
<thead>
<tr>
<th>سابه بن عبد الملك الأزدي</th>
<th>ص 262</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>زكريا بن عبد الملك الأزدي</td>
<td>ص 262</td>
</tr>
<tr>
<td>زياد بن عبد الله بن إبراهيم الأغلب</td>
<td>ص 264</td>
</tr>
<tr>
<td>زيد بن علي زين العبادين</td>
<td>ص 264</td>
</tr>
<tr>
<td>زيرى بن منان الصنهاجي</td>
<td>ص 264</td>
</tr>
</tbody>
</table>

<table>
<thead>
<tr>
<th>سبببر بن أبي طاهر</th>
<th>ص 213</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>سبأ بن أحمد الصليحي</td>
<td>ص 251 ، 252</td>
</tr>
</tbody>
</table>
فسر الأعلام

صلاح الدين يوسف بن أبوب - ص 115، 116، 117
صالح الصيدلي - ص 116، 117، 118
صالح بن جعفر بن موسى الصليحي - ص 104، 115، 134، 137، 201، 202
صالح شأوور - ص 115، 116، 117

 المنصور بن أحمد بن أبي الفتح الحسن - ص 197
 أبو طاهر أسلام - ص 283
 أبو طاهر الندللي - ص 28
 ابن طالوت القريشي - ص 116

 شريف الدولة مسلم بن قريش بن ضد الرقبي - ص 3

 شريف أبو أحمد الموسوي - ص 231

 شريف أبو طالب الحسن - ص 196

 شرف الدين عبد الله بن داراس الشافعي (قاضي القضاة) - ص 352

 شهاب بن أحمد بن طولون - ص 49

 صالح بن مرداد (أمير بنى كلاب) - ص 293، 294، 295
 صدر الدين عبد الله بن درباس

 صدقة بن يوسف الفلاحى - ص 34، 84، 128، 266

 فضيلة المنصور بن أحمد بن أبي الفتح الحسن - ص 115

 فضيلة المنصور بن أحمد بن أبي الفتح الحسن - ص 115

 فضيلة المنصور بن أحمد بن أبي الفتح الحسن - ص 115
<table>
<thead>
<tr>
<th>حليفه الفاطمية</th>
<th>الصفحة</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>أبو عبد الله المحسن بن علي بن أبي طالب</td>
<td>221</td>
</tr>
<tr>
<td>أبو عبد الله الدامغاني</td>
<td>244</td>
</tr>
<tr>
<td>عبد الله الرضي</td>
<td>21</td>
</tr>
<tr>
<td>عبد الله بن سعد بن أبي السرح</td>
<td>37</td>
</tr>
<tr>
<td>أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن زكريا المعروف بالشيعي</td>
<td>21, 22, 23, 24, 25, 26, 27, 28, 29, 30</td>
</tr>
<tr>
<td>عبد الله بن علي العلوي</td>
<td>277</td>
</tr>
<tr>
<td>عبد الله بن عمر بن الخطاب</td>
<td>197</td>
</tr>
<tr>
<td>عبد الله بن قحطان بن أبي بكر</td>
<td>243</td>
</tr>
<tr>
<td>أبو عبد الله القضاعي</td>
<td>377</td>
</tr>
<tr>
<td>أبو عبد الله محمد بن البطائح مأمون البطائح</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي</td>
<td>78</td>
</tr>
<tr>
<td>عبد الله محمد الأخضر</td>
<td>221</td>
</tr>
<tr>
<td>أبو عبد الله محمد بن النعمان المغربي</td>
<td>154</td>
</tr>
<tr>
<td>عبد الله بن ميمون القذاح</td>
<td>21</td>
</tr>
</tbody>
</table>

<table>
<thead>
<tr>
<th>أعلام أخرى في الفاطمية</th>
<th>الصفحة</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>عامر بن عبد الله الزواحي</td>
<td>243</td>
</tr>
<tr>
<td>ابن عباس الشاوي</td>
<td>240</td>
</tr>
<tr>
<td>العباس (ابن عبد الملك)</td>
<td>326</td>
</tr>
<tr>
<td>العباس بن عمرو الغنوي</td>
<td>208</td>
</tr>
<tr>
<td>العباس بن المكرم الهمداني</td>
<td>266</td>
</tr>
<tr>
<td>عبد الرحمن الناصر الخليفة الأموي (الأندلس)</td>
<td>78, 93, 100, 266, 357</td>
</tr>
<tr>
<td>عبد الرحمن بن إلياس (ابن عم الخليفة الحاكم بأمر الله)</td>
<td>125</td>
</tr>
<tr>
<td>عبد العزيز بن مروان</td>
<td>38</td>
</tr>
<tr>
<td>أبو عبد الله أحمد الواسي</td>
<td>46</td>
</tr>
</tbody>
</table>
أبو عبد الله بن ناصر الدولة بن حمدان - ص 300.
عبد الله بن الإمام الحسين بن أحمد = عبد الله المهدي.
عبد المستنصر بن الكرم أحمد الصليحي - ص 249.
عبد المؤمن بن علي (أمير دولة الموحدين) - ص 363.
عبد النبي بن مهدي - ص 264.
عبد الوهاب بن أحمد بن مروان (أمير عمان) - ص 263.
عبيد الله المهدي (الخلفية الفاطمية) - ص 245، 226، 277، 288، 29، 59، 60، 69، 186، 189، 230، 210، 211، 24، 213، 222، 226، 24، 228، 268، 226، 239، 240، 237، 226، 313، 313، 313، 313، 313.
عروبة بن يوسف - ص 27.
عزر الدولة بختيار (أمير بني بويه) - ص 279.
عزر الدولة بختيار (أمير بني بويه) - ص 279.
عزن المخلوف بالسبح - ص 158.
عززه الله (الخلفية الفاطمية) - ص 27، 78، 81، 94، 104، 100، 108، 193، 193، 193، 242، 289، 289، 291، 290، 290، 290، 290، 290، 290، 348، 279، 317، 317، 317، 279، 317، 317، 317، 317، 317.
أبى على الحسن بن مهلم (مكين الدولة) - ص 300.
أبى على أحمد بن الأفضل - ص 108، 109، 110، 114، 199 (هـ)، 237.
على بن أحمد المهذبي - ص 41 (هـ).
على بن بويه (عمادة الدولة) - ص 313 (هـ).
علي أبي تغلب بن ناصر الدولة بن حمدان - ص 28.
علي بن جعفر بن الفلاح - ص 293.
أبى على الحسن بن مهلم (مكين الدولة) - ص 362.
أبو علي (الداخي)
ص 112، ص 248، ص 238.
علي الرضا بن موسى الكاظم
ص 112.
علي بن سبأ بن أبي السعد بنذر킹
ص 263.
علي بن السلار
ص 112، ص 352.
علي بن عيسى (وزير الخليفة المقتدر بالله)
ص 312، ص 112.
علي بن الفضل اليمني
ص 272، ص 375، ص 367.
علي بن عباد الله بن حمداد
ص 106، ص 270، ص 372.
علي بن عيسى النجاشي
ص 349.
علي بن الخليفة الظاهر (الفائز بننصر الله)
ص 112، ص 125.
علي بن أبي القوارس
ص 356.
أبو علي بن محمد بن الحسن بن الهيثم
ص 156، ص 159.
علي بن محمد الصليبي
ص 196، ص 267، ص 244، ص 243.
علي بن هطالب
ص 225.
عمارة اليمني
ص 200.
عمر بن الخطاب
أبو القاسم أحمد (العثلي)
- ص 278، 146، 167، 147، 278، 145، 146، 147، 278.
- أبو الفتح عثمان بن سعيد الكلابي - ص 278.
- أبو الفتح الحسن بن جعفر الحسني (أمير مكة) - ص 193، 194، 195، 296، 297، 298.
- أبو الفرج عبد الله بن محمد البابلي (الوزير) - ص 278 (هـ).
- الفضل بن جعفر بن الفرات - ص 29.
- الفضل بن صالح - ص 25.
- الفضل بن عباس (الوزير) - ص 112.
- الفضل بن عبد الله - ص 359.
- فهد بن إبراهيم - ص 85.
- أبو الفهم الخراساني - ص 360.
- أبو القواسم أحمد بن علي (حفيد الأخشيدي) - ص 6، 24، 73، 74.
- فيروز (الدارمي) - ص 278، 278، 278، 278.
- القادر بالله (الخليفة العباسي) - ص 5، 6، 73، 74.
- أبو القواسم بن بأي بعل العباسی - ص 278.
ابن كنداج - ص 44، 45.
لملك بن مالك - ص 273.
لأولم الخادم - ص 297، 298، 299.
اليث بن سعد - ص 75.
المؤمن البطاحي - ص 108، 141، 159، 257، 258، 259، 349.
المؤمن العباسي - ص 264، 311، 366.
ملك بن أم سمار (الإمام) - ص 261.
مانويل (القائد البيزنطي) - ص 377.
الحمد (رسول الله) - ص 89، 97، 77، 98، 227، 145، 149، 147، 146، 331 (م)، 131 (م)، 260.
محمد بن إبراهيم الزيادى - ص 233.
محمد بن أبي الساج - ص 47.
محمد الأخضر - ص 233.
محمد بن إسحاق البخاري - ص 211، 89، 90، 94.
محمد بن تكن - ص 52.
القائم بأمر الله (الخليفة العباسي) - ص 169، 197، 241، 260، 323، 270، 326، 332، 329، 330، 328، 331، 276، 352، 367، 346، 344، 343، 342، 341، 340، 339، 338، 337، 336، 335.
قصلسم (ابن عم السطان طغر بك) - ص 335.
قزوين - ص 277.
قرطاس بن المقد (أمير بنى عقيل) - ص 219.
قرش بن بدران - ص 299، 330، 336، 337.
قضاطين السابع (إمبراطور الدولة البيزنطية) - ص 366.
قضاطين الثامن (إمبراطور الدولة البيزنطية) - ص 356.
قضاطين التاسع (إمبراطور الدولة البيزنطية) - ص 376.
كانور الإخشيدي - ص 39، 64، 56، 62، 276، 64، 94، 91، 90.
أبو كاليفار (أمير بنى بويه) - ص 226، 324، 323، 320، 329، 328، 337، 336.
<table>
<thead>
<tr>
<th>محمد بن جعفر (أمير مكة)</th>
<th>ص 192, 197, 446.</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>محمد الحبيب (إمام الإسماعيلية)</td>
<td>ص 336, 338.</td>
</tr>
<tr>
<td>أبو محمد الحسن البازدي</td>
<td>ص 273, 342 (هـ).</td>
</tr>
<tr>
<td>محمد بن الحنفية</td>
<td>ص 92.</td>
</tr>
<tr>
<td>محمد بن خزير</td>
<td>ص 39, 55.</td>
</tr>
<tr>
<td>محمد بن خلف النميري</td>
<td>ص 312.</td>
</tr>
<tr>
<td>محمد بن رائف الحزري</td>
<td>ص 53, 61, 269.</td>
</tr>
<tr>
<td>محمد بن سبأ الزريعى</td>
<td>ص 233.</td>
</tr>
<tr>
<td>محمد بن سليمان الكاتب</td>
<td>ص 26, 48, 49.</td>
</tr>
<tr>
<td>محمد شكر بن أبي الفئوحة</td>
<td>ص 4.</td>
</tr>
<tr>
<td>الحسن</td>
<td>ص 39, 42, 56, 64, 77, 190, 271, 277.</td>
</tr>
<tr>
<td>محمد بن طنف الإخشد</td>
<td>ص 222.</td>
</tr>
<tr>
<td>محمد بن القاسم</td>
<td>ص 20.</td>
</tr>
<tr>
<td>محمد المتضور بن الحسن العسكري</td>
<td>ص 29.</td>
</tr>
<tr>
<td>أبو محمد بن جعفر الفلاح</td>
<td>ص 287, 288.</td>
</tr>
<tr>
<td>المرجع</td>
<td>صفحة</td>
</tr>
<tr>
<td>--------</td>
<td>--------</td>
</tr>
<tr>
<td>مسعود بن الكرم الهمداني</td>
<td>ص ۲۲۲ (۳۵۱ هـ)</td>
</tr>
<tr>
<td>مسلمة بن مخلد</td>
<td>ص ۳۸</td>
</tr>
<tr>
<td>مصالحة بن حبوس</td>
<td>ص ۲۸۸ (۴۰۰ هـ)</td>
</tr>
<tr>
<td>الملك هرقل</td>
<td>ص ۱۹۱، ۲۸۸</td>
</tr>
<tr>
<td>معاوية بن أبي سفيان</td>
<td>ص ۳۷</td>
</tr>
<tr>
<td>المعتمد (الخليفة العباسي)</td>
<td>ص ۴۸</td>
</tr>
<tr>
<td>المعتمد (الخليفة العباسي)</td>
<td>ص ۴۸</td>
</tr>
<tr>
<td>معز الدولة بن بويه</td>
<td>ص ۲۱۴، ۳۱۵، ۳۱۶ (۲۸۸ هـ)</td>
</tr>
</tbody>
</table>
| المعز بن بادي الصنواجي | ص ۳۶۷، ۳۶۸
<table>
<thead>
<tr>
<th>الموفق بن الخياط - ص 258.</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>مؤسس الخادم - ص 510.</td>
</tr>
<tr>
<td>المفيد في الدين هبة الله</td>
</tr>
<tr>
<td>الشيرازي - ص 263، 371، 386، 387، 388، 389، 400، 429</td>
</tr>
</tbody>
</table>

<table>
<thead>
<tr>
<th>ميخائيل الرابع (الإمبراطور البيزنطي) - ص 368</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>ميمون القداح - ص 21. (لى)</td>
</tr>
<tr>
<td>ناصر الدولة أنتكين - ص 134.</td>
</tr>
<tr>
<td>ناصر الدولة الحسين بن حمدان</td>
</tr>
<tr>
<td>النغلي - ص 95، 96، 97، 98، 99، 100، 101، 102</td>
</tr>
<tr>
<td>ناصر خسرو - ص 137، 138، 139، 140، 141، 150، 151، 152</td>
</tr>
<tr>
<td>نجاح - ص 244</td>
</tr>
<tr>
<td>نجم الدين أبو ب - ص 115</td>
</tr>
<tr>
<td>نجم الدين المستنصر - ص 227</td>
</tr>
<tr>
<td>نجم الدين بن مصال - ص 112</td>
</tr>
</tbody>
</table>

<table>
<thead>
<tr>
<th>مكنين الدولة الحسن بن ملهم - ص 276</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>ملكشاه (سلطان السلجقة) -</td>
</tr>
<tr>
<td>ص 301، 302، 303، 304</td>
</tr>
<tr>
<td>ص 345، 346، 347</td>
</tr>
<tr>
<td>الملك الرحيم النووي -</td>
</tr>
<tr>
<td>ص 330، 331</td>
</tr>
<tr>
<td>أبو المنجا القرتمي -</td>
</tr>
<tr>
<td>ص 286، 287</td>
</tr>
<tr>
<td>منجوتيكين التركي -</td>
</tr>
<tr>
<td>ص 297، 298</td>
</tr>
<tr>
<td>منسا بن إبراهيم الفرار -</td>
</tr>
<tr>
<td>ص 16</td>
</tr>
<tr>
<td>أبو منصور تكين - ص 50</td>
</tr>
<tr>
<td>المنصور بن أبي عامر -</td>
</tr>
<tr>
<td>ص 358</td>
</tr>
<tr>
<td>أبو منصور عبد القاهر -</td>
</tr>
<tr>
<td>ص 318</td>
</tr>
<tr>
<td>منصور بن صادق - ص 82</td>
</tr>
<tr>
<td>منصور بن لؤلؤ الخادم -</td>
</tr>
<tr>
<td>ص 295</td>
</tr>
<tr>
<td>منصور بن المفضل بن أبي</td>
</tr>
<tr>
<td>البركات - ص 214.</td>
</tr>
<tr>
<td>ابن منبع الخفاجي - ص 344</td>
</tr>
<tr>
<td>موسى بن أبي العافية -</td>
</tr>
<tr>
<td>ص 27، 250، 255، 256</td>
</tr>
<tr>
<td>موسى الكاظم بن جعفر</td>
</tr>
<tr>
<td>الصادق - ص 20.</td>
</tr>
<tr>
<td>اسم الشخصية</td>
</tr>
<tr>
<td>--------------</td>
</tr>
<tr>
<td>هشام الموبد بالله</td>
</tr>
<tr>
<td>هشام بن عبد الملك بن مروان</td>
</tr>
<tr>
<td>(ج) ابن واسول (الشافعى بالله)</td>
</tr>
<tr>
<td>(ي) يارجوكح</td>
</tr>
<tr>
<td>ياسر بن بلال</td>
</tr>
<tr>
<td>يانس الأرمنى</td>
</tr>
<tr>
<td>يحيى بن إدريس</td>
</tr>
<tr>
<td>أبو يزيد مخلد بن كيداد</td>
</tr>
<tr>
<td>النصير الدولة أحمد بن مروان</td>
</tr>
<tr>
<td>نصار بن صالح بن مرداش</td>
</tr>
<tr>
<td>أبو نصير هرون</td>
</tr>
<tr>
<td>نصير الدولة بابليس (الأمير)</td>
</tr>
<tr>
<td>نور الدولة ديبس بن مزيد</td>
</tr>
<tr>
<td>يعقوب بن كلس</td>
</tr>
<tr>
<td>يوسف بن الأسد</td>
</tr>
<tr>
<td>يوسف بن أحمد بن أبي الساج</td>
</tr>
<tr>
<td>يوسف بلقين بن زيري بن مناد</td>
</tr>
<tr>
<td>يوسف بن وجيه (أمير عمان)</td>
</tr>
<tr>
<td>ابن يوسف المنجم</td>
</tr>
<tr>
<td>الهادي (الخليفة العباسي)</td>
</tr>
<tr>
<td>هاشم بن خليفة (أمير مكة)</td>
</tr>
<tr>
<td>أبو هاشم محمد بن جعفر بن محمد (نافج الموالي)</td>
</tr>
<tr>
<td>هارون بن خمرويه</td>
</tr>
<tr>
<td>ابن هبة</td>
</tr>
<tr>
<td>V10</td>
</tr>
<tr>
<td>-----</td>
</tr>
<tr>
<td>020</td>
</tr>
<tr>
<td>010</td>
</tr>
<tr>
<td>000</td>
</tr>
<tr>
<td>111</td>
</tr>
<tr>
<td>101</td>
</tr>
<tr>
<td>010</td>
</tr>
<tr>
<td>100</td>
</tr>
<tr>
<td>000</td>
</tr>
<tr>
<td>111</td>
</tr>
<tr>
<td>101</td>
</tr>
<tr>
<td>010</td>
</tr>
<tr>
<td>100</td>
</tr>
<tr>
<td>000</td>
</tr>
<tr>
<td>111</td>
</tr>
<tr>
<td>101</td>
</tr>
<tr>
<td>010</td>
</tr>
<tr>
<td>100</td>
</tr>
<tr>
<td>000</td>
</tr>
<tr>
<td>111</td>
</tr>
<tr>
<td>101</td>
</tr>
<tr>
<td>010</td>
</tr>
<tr>
<td>100</td>
</tr>
<tr>
<td>000</td>
</tr>
<tr>
<td>111</td>
</tr>
<tr>
<td>101</td>
</tr>
<tr>
<td>010</td>
</tr>
<tr>
<td>100</td>
</tr>
<tr>
<td>000</td>
</tr>
<tr>
<td>111</td>
</tr>
<tr>
<td>101</td>
</tr>
<tr>
<td>010</td>
</tr>
<tr>
<td>100</td>
</tr>
<tr>
<td>000</td>
</tr>
<tr>
<td>الاسم</td>
</tr>
<tr>
<td>---------------------------</td>
</tr>
<tr>
<td>بنو الجراح - 418</td>
</tr>
<tr>
<td>بنو الحسن بن على بن أبي</td>
</tr>
<tr>
<td>طالب - 427</td>
</tr>
<tr>
<td>بنو الحسن بن على بن أبي</td>
</tr>
<tr>
<td>طالب</td>
</tr>
<tr>
<td>بنو حمدان - 377</td>
</tr>
<tr>
<td>بنو زياد - 244</td>
</tr>
<tr>
<td>بنو نبرة</td>
</tr>
<tr>
<td>بنو سليمان - 189</td>
</tr>
<tr>
<td>بنو طليء</td>
</tr>
<tr>
<td>بنو عمار بن عوف بن عامر بن عقيل - 417</td>
</tr>
<tr>
<td>بنو العباس - 198</td>
</tr>
<tr>
<td>بنوتم - 227</td>
</tr>
<tr>
<td>بنو مراد - 24</td>
</tr>
<tr>
<td>بنو يعفر - 280</td>
</tr>
</tbody>
</table>

<table>
<thead>
<tr>
<th>الاسم</th>
<th>الصف</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>بنو السنة (السنين) -</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>بنو السنية - 37</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>بنو السنية - 367</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>بنو السنية - 117</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>بنو السنية - 487</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>بنو الربيع - 127</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>بنو الأخضر - 221</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>بنو الأصفر - 285</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>بنو البريدي - 277</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>بنو بوه - 190</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>بنو تغلب - 216</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>بنو رستم - 24</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>بنو مراد - 24</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>بنو يعفر - 280</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>بنو قرة - ص ٣٥٨</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>-------------------</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>بنو كلاج - ص ٣٤٣, ٢٩٤, ٢٩٥, ٢٩٦, ٢٩٧</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>بنو مارداس - ص ٣٠١, ٣٠٢</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>بنو معين بن زائدة - ص ٢٦٧</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>بنو ثيير - ص ٣١٩ (هـ)</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>بنو هلال - ص ٣٦٢, ٣٦٣</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>البازطيون - ص ٣٨٠</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>(ت)</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>التركمان - ص ٣٤٠</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>تغلب - ص ٢٧٠ (هـ)</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>(ج)</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>جهينة - ص ٩٩</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>الجمانرة - ص ٩٩</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>الجودية - ص ١٣١</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>الجيوشية - ص ١٣٢</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>(ح)</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>الحافظية - ص ١٣٢</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>الحمدانيون - ص ١٩٣, ٢٧٦, ٢٧٧, ٢٧٨, ٢٧٩</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>الزنجبيل - ص ٢٣٣</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>زوجة - ص ٩٣</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>الزيدية - ص ٣١٥</td>
<td></td>
</tr>
</tbody>
</table>

<table>
<thead>
<tr>
<th>الخوارج</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>ص ٣٠, ٢٧٤, ٢٧٦, ٢٧٧, ٢٧٨</td>
</tr>
<tr>
<td>الحولانيون - ص ٢٥٧</td>
</tr>
</tbody>
</table>

<table>
<thead>
<tr>
<th>الديرية</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>ص ٩٠</td>
</tr>
<tr>
<td>دولة الزبيدية - ص ٢٣٥</td>
</tr>
<tr>
<td>دولة السليمانيين - ص ١٨٩</td>
</tr>
</tbody>
</table>

<table>
<thead>
<tr>
<th>(ع)</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>الرافضة - ص ٣١٣</td>
</tr>
<tr>
<td>الروم - ص ١٣١, ٢١٢, ٢٧٤, ٢٧٦, ٢٧٧</td>
</tr>
<tr>
<td>٢٨٤, ٢٨٨, ٢٩٦, ٢٩٧, ٢٩٨, ٣٧٨</td>
</tr>
<tr>
<td>٣٧٠, ٣٧٢, ٣٧٤</td>
</tr>
</tbody>
</table>

<table>
<thead>
<tr>
<th>(ز)</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>زناته - ص ٢٢٩, ٢٩٨, ٣٠٠</td>
</tr>
<tr>
<td>٣٢٢, ٣٦١</td>
</tr>
<tr>
<td>الزنج - ص ٢٣٣</td>
</tr>
</tbody>
</table>
تاريخ الدولة الفاطمية

الزيرويون - ص 353، 360

(س)

السلاحة -
ص 251، 260، 306، 376، 408
302، 316، 330، 339
346، 376، 408، 367
238، 345
238، 377، 301 (هـ)
377

السودانيون -
ص 90، 93، 94، 98، 99، 191
4، 5، 11، 119، 131

(ش)

الشيعة -
ص 2، 3، 6، 33، 46، 77،
87، 88، 89، 90، 91،
111، 117، 222، 232،
330، 350، 351، 352،
661، 671، 350

(ص)

الصليبيون -
ص 7، 8، 9، 10
377، 379، 380

(ط)

الطولونيون -
ص 30، 33، 34، 40، 41
343، 368، 369
50، 130، 139
109
(ع)

الغز - ص 2, 3.
الغلمان الحمدانية - ص 359.

(ف)

الفاطميون -
ص 19, 21, 26, 27, 29, 30, 31, 32, 33, 34.

(ق)

القرامة -

(ك)

الكافورية - ص 145.
الكناميون -
ص 24, 26, 27, 29, 30, 28, 28, 28, 28.
<table>
<thead>
<tr>
<th>الجغرافية - ص 375</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>إفريقية -</td>
</tr>
<tr>
<td>ص 264, 267, 307, 337</td>
</tr>
<tr>
<td>أثيوبيا -</td>
</tr>
<tr>
<td>ص 332, 340, 210, 317</td>
</tr>
<tr>
<td>أفغانستان -</td>
</tr>
<tr>
<td>ص 324, 211, 227, 326, 372</td>
</tr>
<tr>
<td>الإقليم البحيرة -</td>
</tr>
<tr>
<td>ص 91, 97, 112</td>
</tr>
<tr>
<td>ألبانيا -</td>
</tr>
<tr>
<td>ص 349</td>
</tr>
<tr>
<td>ألمانيا -</td>
</tr>
<tr>
<td>ص 779</td>
</tr>
<tr>
<td>الأنعاب -</td>
</tr>
<tr>
<td>ص 319, 329</td>
</tr>
<tr>
<td>الأندلس -</td>
</tr>
<tr>
<td>ص 28, 29, 353, 355, 356</td>
</tr>
<tr>
<td>أنتاكيا -</td>
</tr>
<tr>
<td>ص 277, 296, 297, 377</td>
</tr>
<tr>
<td>أنتويرب -</td>
</tr>
<tr>
<td>ص 298, 373</td>
</tr>
<tr>
<td>الأهرام -</td>
</tr>
<tr>
<td>ص 31, 222, 313 (هـ)</td>
</tr>
<tr>
<td>بابل - ص 212</td>
</tr>
<tr>
<td>البابين - ص 115</td>
</tr>
<tr>
<td>بالس - ص 337</td>
</tr>
<tr>
<td>بانياس - ص 140</td>
</tr>
<tr>
<td>أسوان -</td>
</tr>
<tr>
<td>ص 34, 99, 136, 140</td>
</tr>
<tr>
<td>أسوان -</td>
</tr>
<tr>
<td>ص 34, 136</td>
</tr>
<tr>
<td>الأشمون -</td>
</tr>
<tr>
<td>ص 59, 136</td>
</tr>
<tr>
<td>أصبهان - ص 106, 139, 214</td>
</tr>
<tr>
<td>بلاد الجيل - ص 337, 360, 337</td>
</tr>
<tr>
<td>-----------------------------</td>
</tr>
<tr>
<td>بلاد الحجاز - ص 187, 189, 190, 191, 192, 193, 190, 197, 200, 201, 198, 202, 211, 214, 246, 266, 326, 331, 332, 333</td>
</tr>
<tr>
<td>بلاد الدليم - ص 315 (هـ)</td>
</tr>
<tr>
<td>بلاد الروم - ص 131</td>
</tr>
<tr>
<td>بلاد العراق - ص 43, 43, 80, 96, 98, 141, 141, 141, 161, 222, 222, 222, 222, 222, 222, 222, 222, 222, 222, 222, 347, 347, 347, 347</td>
</tr>
</tbody>
</table>
| | }
| بلاد الفرس | ص 91، 92، 100، 106، 142، 225، 347، 348 |
| ضبقية | ص 124، 140، 281 |
| البهنسا | ص 136 |
| بيت المقدس | ص 376، 377، 379 |
| بيروت | ص 271 |
| بيروت - ص 271 |
| بيروت - ص 380 |
| بين القصرين - ص 120 (تا) |
| تأهرت | ص 24، 28، 30، 32 |
| تأهرت | ص 306، 307 |
| نجد | ص 277 |
| تركستان - ص 2 |
| تعز | ص 264 |
| نيس | ص 41، 43، 49، 61، 87، 90 |
| تهامة | ص 282 |
| توزر | ص 29 |
| تونس | ص 376 |
| تونس - ص 71، 76 |
| بلاد الأرض الأقصى | ص 257، 363 |
| بلاد المغرب | ص 7، 9، 30، 308، 373 |
تاريخ الدولة الفاطمية

(ج)

جبيل المقطم
- ص 88، 89، 91.
- جرجان - ص 302.
- الجزائر - ص 367.
- الجزيرة - ص 47، 319 (525)، 360، 367، 328، 376.
- جزيرة أورال - ص 214.
- جزيرة الروضة (جزيرة مصر) - ص 143، 350.
- جزيرة صقلية - ص 253، 355، 367، 376، 384، 370، 375، 388، 376، 378.
- جزيرة العرب - ص 153، 201، 207، 208، 210، 211، 214، 312، 222، 229، 233، 314، 334، 317، 319.
- جنوب - ص 137.
- جنوب - ص 131، 380.
- الجزيرة - ص 65، 70، 90، 119.
- حارة برجوان - ص 99.
فورس البلاد والدن والمواضع والجبال والأنهار

الدلان - ص 3
دهلك - ص 262، 275
دار بكر - ص 271
دار ربيعة - ص 276، 271
دار كندة - ص 273
(لل)
رشيد - ص 41
رقادة - ص 26، 29
الرقة - ص 40، 47، 54
الرملة - ص 49، 53، 54، 61
الرها - ص 4، 30، 6
الرى - ص 21، 312، 324، 331، 336
(ز)
زيد - ص 20، 222، 232، 233، 234، 236، 244، 246، 247، 262، 266، 264
(س)
سامرا - ص 20، 28، 60، 87
حوران - ص 272
حيدران - ص 284
الخيرة - ص 317
(خ)
خرسان - ص 3، 23، 4، 3، 37، 238
خزاعة البنود - ص 139
خزاعة الحيلام - ص 133
خزاعة السلاح - ص 133
خوزستان - ص 6
(ط)
دار الحكمة - ص 105، 106، 107
دار الملك - ص 144، 145
دباق - ص 139
الدكة - ص 28
دمشق - ص 3، 4، 6، 47، 49، 52، 53، 56، 67، 70، 80، 106، 116، 118، 142، 214، 216، 218، 227، 266، 277، 279، 280، 281، 282، 285، 290، 297، 301، 303، 34، 35، 36، 30، 30، 33، 33، 34، 34، 34، 34، 34، 34، 34، 34، 34، 34، 34
(ه)
دمياط - ص 31، 49، 69، 71، 98، 99، 106، 107، 108، 109، 110، 111، 112، 113، 114، 115، 116．
<table>
<thead>
<tr>
<th>الشمال</th>
<th>بشيراز - ص 7، 132، 276، 375</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td></td>
<td>سحلما - ص 24، 30، 387، 457</td>
</tr>
<tr>
<td>ازكار</td>
<td>سرقسطة - ص 374</td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>حمص - ص 24، 230، 227، 226</td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>سمراء - ص 21، 24، 211، 217</td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>سنجار - ص 70، 320، 328</td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>السند - ص 22</td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>سوريا - ص 391، 371</td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>الشام - ص 39، 42، 43، 46، 65، 67، 05، 03، 03، 05، 50، 61، 64، 90، 91، 92، 131، 142، 179، 191، 196، 200، 207، 279، 283، 280، 276، 271، 277، 278، 272، 275، 274، 269، 299، 297، 296، 294، 287، 286، 285، 284، 283، 282، 281، 280، 279، 278، 277، 276، 275، 274، 273، 272، 271، 270، 269، 268، 267، 266، 265، 264، 263، 262، 261، 260، 259، 258، 257، 256، 255، 254، 253، 252، 251، 250، 249، 248، 247، 246، 245، 244، 243، 242، 241، 240، 239، 238، 237، 236، 235، 234، 233، 232، 231، 230، 229، 228، 227، 226، 225، 224، 223، 222، 221، 220، 219، 218، 217، 216، 215، 214، 213، 212، 211، 210، 209، 208، 207، 206، 205، 204، 203، 202، 201، 200، 199، 198، 197، 196، 195، 194، 193، 192، 191، 190، 189، 188، 187، 186، 185، 184، 183، 182، 181، 180، 179، 178، 177، 176، 175، 174، 173، 172، 171، 170، 169، 168، 167، 166، 165، 164، 163، 162، 161، 160، 159، 158، 157، 156، 155، 154، 153، 152، 151، 150، 149، 148، 147، 146، 145، 144، 143، 142، 141، 140، 139، 138، 137، 136، 135، 134، 133، 132، 131، 130، 129، 128، 127، 126، 125، 124، 123، 122، 121، 120، 119، 118، 117، 116، 115، 114، 113، 112، 111، 110، 109، 108، 107، 106، 105، 104، 103، 102، 101، 100، 99، 98، 97، 96، 95، 94، 93، 92، 91، 90، 89، 88، 87، 86، 85، 84، 83، 82، 81، 80، 79، 78، 77، 76، 75، 74، 73، 72، 71، 70، 69، 68، 67، 66، 65، 64، 63، 62، 61، 60، 59، 58، 57، 56، 55، 54، 53، 52، 51، 50، 49، 48، 47، 46، 45، 44، 43، 42، 41، 40، 39، 38، 37، 36، 35، 34، 33، 32، 31، 30، 29، 28، 27، 26، 25، 24، 23، 22، 21، 20، 19، 18، 17، 16، 15، 14، 13، 12، 11، 10، 9، 8، 7، 6، 5، 4، 3، 2، 1</td>
</tr>
</tbody>
</table>
قسططنية - ص 376.

قسطنطينية - ص 376.

قرطبة - ص 3.

فارس - ص 277.

فاس - ص 277.

غزة - ص 300.

غدير حم - ص 76.

غدارر - ص 77.

عكا - ص 98.

عمان - ص 203.

عثمان - ص 226.

عسفان - ص 282.

عدن - ص 226.

المريش - ص 279.

العباية - ص 49.

طنبجة ص - 327.

(ع)

فلسطين - ص 277. 276، 77، 6، 7، 5، 5، 3، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2، 2，
<table>
<thead>
<tr>
<th>كنيسة القيامة</th>
<th>ص 375, 378, 379, 382</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>الكوفة</td>
<td>ص 210, 211, 212, 280, 284, 319, 323, 332</td>
</tr>
<tr>
<td>(الل)</td>
<td>مازندران - ص 21</td>
</tr>
<tr>
<td>(الم)</td>
<td>المجاز (خليج يفصل بين صقلية وإيطاليا) - ص 367</td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>المدائن - ص 319</td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>المدينة المنورة - ص 21, 67</td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>مروبوط - ص 136</td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>مشتول - ص 59</td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>قسرة - ص 70, 112, 147, 154, 364</td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>قصريا - ص 43</td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>القطائع - ص 49</td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>القطيف - ص 29</td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>قلعة أقامية - ص 50</td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>قلعة طبرين - ص 765</td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>قلعة عدنا - ص 350</td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>قلعة ألوفت - ص 258</td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>قلنسرين - ص 271, 272</td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>قليوب - ص 98, 140</td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>قوص - ص 111, 137</td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>القبران - ص 22, 25, 26, 27, 28, 30, 32, 33, 35, 59, 61, 71, 73, 141, 371</td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>القيس - ص 97</td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>قيسارية - ص 371</td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>(الك)</td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>كرلاه - ص 76</td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>كرمان - ص 22, 234, 277</td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>الكعبة - ص 193, 196, 197</td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td></td>
</tr>
</tbody>
</table>
مقدمة - ص 28

المصورة -
ص 31، 32، 60، 69، 119، 314، 318.

الميا - ص 116

منية شلحان - ص 14

المهدية -
ص 28، 29، 33، 314، 316، 332، 375، 398.

المصل -
ص 6، 48، 67، 171، 280، 319، 319، 329، 332، 338، 339.

مياfareian - ص 323

(ن)

النصب -
ص 27، 339.

نهر العاصي -
ص 271، 333، 373.

نهر الفرات -
ص 271، 333، 373.

نهر النيل -
ص 26، 48، 136، 139.

مورة النعمان - ص 307

المغرب -
ص 226، 227، 348، 350، 350، 350، 351، 376.

مكة -
ص 22، 48، 136، 136، 136، 136، 191، 192، 193، 194، 195، 196، 197، 198، 199، 205.
<table>
<thead>
<tr>
<th>النهروان</th>
<th>ص 344</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>النوبة</td>
<td>ص 376، 767، 140</td>
</tr>
<tr>
<td>نيسابور</td>
<td>ص 320</td>
</tr>
<tr>
<td>همدان</td>
<td>ص 344، 313 (هـ)، 337، 339، 351 (هـ)</td>
</tr>
<tr>
<td>الهند</td>
<td>ص 22، 140، 277، 272، 203، 205</td>
</tr>
<tr>
<td>واسط</td>
<td>ص 203</td>
</tr>
</tbody>
</table>